

في الكتب والمصنفات



إعداد وتنظيم

السيد محمد السيد حسين الحكيم

إشراف وتقديم

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه



الجزء الأول

إعداد وتنظيم

السيد محمد السيد حسين الحكيم

إشراف وتقديم



مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام



اسم الكتاب: ....الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في الكتب والمصنفات

....الجزء الأول

إعداد وتنظيم: .... السيد محمد السيد حسين الحكيم

إشراف وتقديم: ......مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

رقم الإصدار: ٢٨٢

الطبعة: ....الأولى ١٤٤٤هـ

عدد النسخ: ....طبعة محدودة

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

العراق- النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٩٧٤٤٤٧٤ - ٠٧٨١٦٧٨٧٢٢٦

www.m-mahdi.com

info@m-mahdi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المركز:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيّبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم ومنكريّ فضائلهم إلى يوم الدين، اللهم عجّل فرج إمامنا الموعود وانصر به الحق وأقم به العدل وأيّد به الدين وادفع به الظلم عن المؤمنين.

اللهم أرنا ذلك اليوم قريباً واجعلنا من أعوانه وأنصاره وشيعته الثابتين على موالاته والمتشرّفين ببيعته.

لا شك في أنّ قيمة العقيدة والإيمان تمثّل للإنسان المؤمن فصله الحقيقي فبه يكون وجيهاً عند الله سبحانه وتعالى وعند أهل البيت عليهم السلام وينبغي ألّا يدّخر جهداً ولا يتوانى للحظة في بحثه عن عقيدته وضبطها والاستدلال عليها والدفاع عنها ودفع الشبهات المثارة حولها.

الحاجة الملحّة للقيام بهذه المهمة، مع كثرة الكتب المنتشرة والبحوث والمقالات وضياع المصادر في بعض الأحيان وعسر الوصول إلى نسخها المطبوعة ورقياً مع ما يستلزم ذلك من ضياع الجهد الكبير والوقت الكثير وقد لا يوفّق بعض الباحثين في العثور على ما يهمّ بحثهم إلّا بعد إنجازه والفراغ عنه، لأجل هذا، ولأجل غيره، قام مركزنا (مركز الدراسات التخصّصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه) بجمع ما وقع تحت يده من كتب مختصة بالإمام المهدي عجل الله فرجه أو فصول أو أبواب أو بحوث تحت عناوين محددّة، فضلاً عمّا دوّنته المجلات العلمية والتخصّصية من بحوث ومقالات، وغيرها، وتبويبها وتسهيل الوصول إليها من

خلال منهجة وفهرسة تضمّنت الإشارة التفصيلية إلى جميع ما يرتبط بالفصل أو المسألة أو التفريعات التي يبحث عنها الكاتب أو الباحث.

وكانت طريقة الاستلال من الكتب التي استُخرجت منها الفصول أو المسائل أو البحوث أو المقالات هي بأخذ صورة للكتاب والفصل الذي تعرّض فيه المؤلف إلى البحث المعيّن، ثم بتصوير صفحات البحث كاملة وبنفس الترقيم الموجود في الكتاب دون إجراء أي تغيير لأجل تصحيح الاستشهاد من قِبل الكتّاب والمؤلفين وتسهيل عملية الإرجاع وضبط المصادر عند الاعتماد على هذه الموسوعة في كتاباتهم وتأليفاتهم.

ولتوضيح المسألة بمثال حيّ فإنّ البحوث المرتبطة بولادة الإمام عليه السلام من كتاب الغيبة لشيخ الطائفة قدس سره عندما قمنا باستلالها وإدراجها في هذه الموسوعة في الفصل المختص ببحوث الولادة فإنّنا قمنا بأخذ صورة لكتاب الغيبة لكي يتبيّن للمؤلف والباحث النسخة التي اعتمدنا عليها والجهة التي حقّقت الكتاب والطبعة، ثم نأخذ صوراً لبحث الولادة الذي ذكره شيخ الطائفة قدس سره بنفس الصفحات الموجودة في الكتاب من تلك الطبعة، وبذلك قد جعلنا نفس المصدر الذي اعتمدناه تحت يد المؤلف والكاتب، فله الحق في الإرجاع وكأنّما يقرء من كتاب الغيبة مباشرة.

فيتجلى الهدف بوضوح من وراء هذا العمل الكبير والمهم في رفد الكتّاب والمؤلفين بجميع المصادر المتاحة فيما يرتبط ببحثهم، فيمكن لهم الرجوع إلى هذه الموسوعة وكأنّهم يقرؤون عدّة موسوعات وكتب ومقالات وبحوث في كتاب واحد، فهو ادّخار للجهد والوقت وغير ذلك.

وبين يديك عزيزي القارئ موسوعة (الإمام المهدي ﷺ وطول العمر في الكتب والمصنفات) في أربعة مجلدات ضخمة فعلاً، قابلة للزيادة وهي من تنظيم وإعداد السيد محمد السيد حسين الحكيم وبإشراف وتقديم مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي ﷺ.

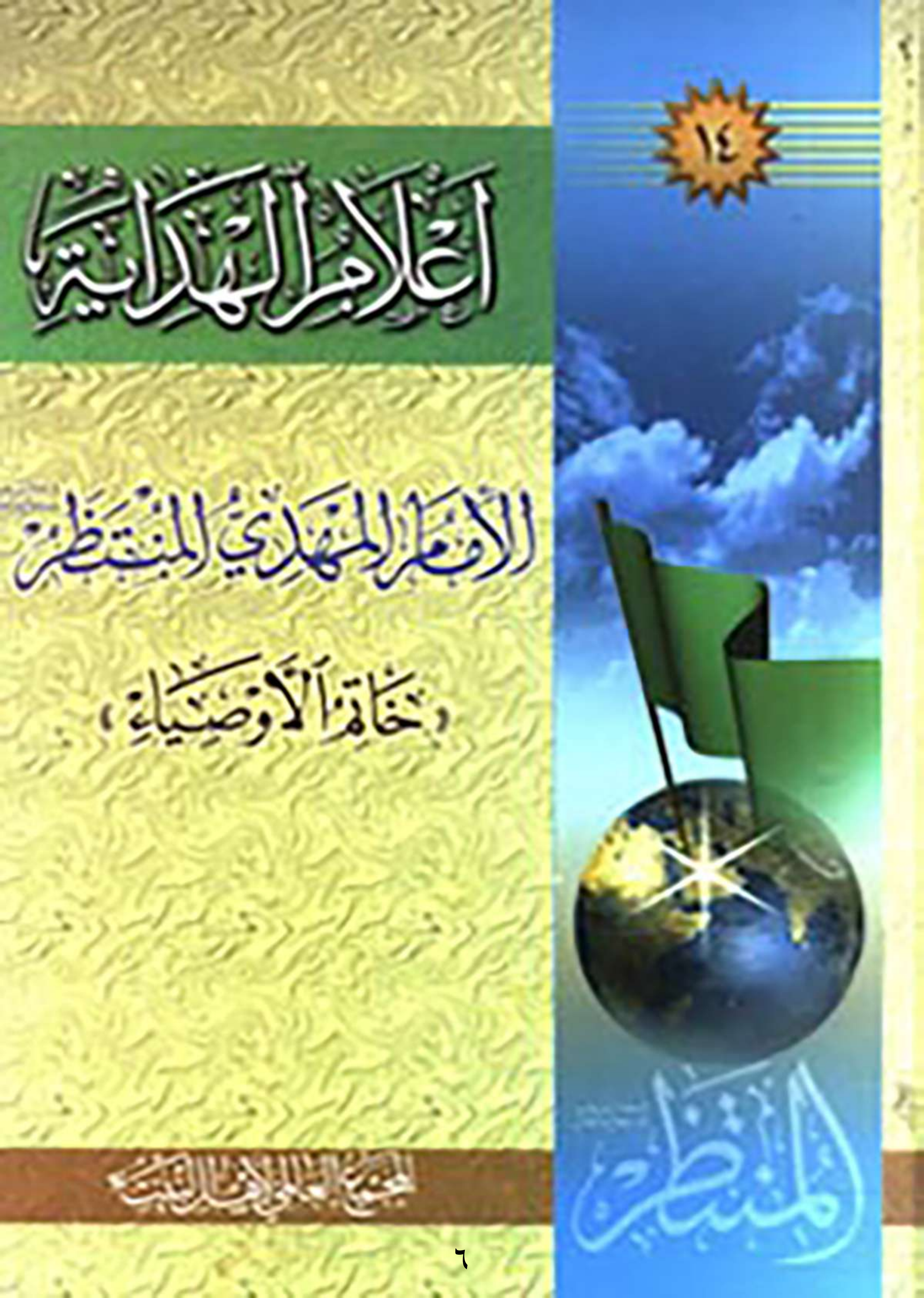
كما قد بلغ عدد الكتب التي بُحث فيها عن مسألة طول العمر وتفرّعاتها أكثر من (٧٩٠) كتاب فعلاً.

فيما بلغ عدد الكتب التي استُلّت منها البحوث المرتبطة بالإمام المهدي ﷺ أكثر من (١١٦) كتاب قابلة للزيادة بعد العثور على كتب أخرى لم تذكر هنا.

ومن الله نسأل أن يزيد في توفيق السيد الجليل (محمد الحكيم) حيث بذل جهداً كبيراً ومشكوراً لتنظيم هذه الموسوعة وغيرها كما نسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً لخدمة المولى صاحب العصر والزمان ﷺ وأن نكون من أنصاره وأعوانه وشيعته والمستشهدين تحت لوائه.

مركز الدراسات التخصصية

في الإمام المهدي ﷺ


١٤
أعلام الهداية
الإمام المهدي المنتظر
«خاتم الأوصياء»
المجمع العالمي لأهل البيت
المنتظر
٦



اسم الكتاب: أعلام الهداية (١٤) /الإمام المهدي المنتظر عليه السلام خاتم الأوصياء

المؤلف: لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الموضوع: كلام وتاريخ

الناشر: المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة: الخامسة المحققة، منقحة ومزيدة

المطبعة: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الكمية: ٣٠٠٠

تاريخ النشر: ١٤٢٩ هـ

ردمك: ISBN: 978-964-529-357-2

ردمك الدورة: 978-964-529-358-9

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

www.ahl-ul-bayt.org

E-mail: info@ahl-ul-bayt.org

طول عمر المصلح في الفكر الإنساني

إنّ الأوصاف التي يذكرها المفكر الإيرلندي للمصلح العالمي من الكمال الجسمي والعقلي وطول العمر والقدرة علىٰ استجماع خبرات العصور والأطوار بما يمكنه من إنجاز مهمته الإصلاحية الكبرىٰ قريبة من الأوصاف التي يعتقد بها مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي المنتظر (عليه السلام) وغيبته.

وقضية طول العمر في هذا المصلح العالمي التي أكد ضرورتها

بـرناردشو؛ تشيرُ الىٰ إدراك الفكر الإنساني لضرورة أن يكون المصلح العالمي مستجمعاً -عند ظهوره لتجارب العصور لكي يكون قادراً علىٰ إنجاز مهمته[١]، وهذه الثمرة متحصلة من غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) الطويلة حسب عقيدة الإمامية الاثني عشرية، ولكن الفرق هو أنّ عقيدتنا في الإمام المعصوم تقول بأنه مستجمع منذ البداية لهذه الخبرة والثمار المرجوة من طول عمره، فهو (عليه السلام) مؤهّل بدءاً لأداء مهمته الإصلاحية الكبرىٰ ومسددٌ إلهيٌّ لها، قادرٌ عليها متىٰ ما تهيأت الأوضاع الملائمة لظهوره. وأنّ طول الغيبة يؤدي الىٰ إكتساب أنصاره والمجتمع البشري لهذه الثمار فيستجمعونها جيلاً بعد آخر[٢].

(١) راجع توضيح هذه النقطة في البحث القيم الذي كتبه آية الله الإمام الشهيد الصدر حول المهدي : ٤١ - ٤٨ ، ط ٣ دار التعارف.

(٢) لمزيد من التوضيح راجع تاريخ الغيبة الكبرىٰ : ٢٧٦ وما بعدها.

١

عصر الإمام المهدي عجل الله فرجه



سماحة السيد علي السبزواري
(دامت بركاته)

مركز الدراسات التخصصية
في الإمام المهدي عليه السلام
النجف الأشرف _ شارع الرسول صلى الله عليه وآله _ محلة الحويش
رقم الزقاق ٥٤ _ رقم الدار ٢
هاتف: ٣٣٢٨١١ و٣٣٦٨١٣
ص.ب ٥٨٨
www.m-mahdi.com
m-mahdi@m-mahdi.com

عمر الإمام المهدي عليه السلام
السيد عليّ السبزواري
تقديم وتحقيق
مركز الدراسات التخصصية
في الإمام المهدي عليه السلام
الطبعة الثانية: شعبان ١٤٢٦هـ
السعر: ٥٠٠ دينار
النجف الأشرف
جميع الحقوق محفوظة للمركز
العدد: ٣٠٠٠ نسخة

الندوة الثانية:

[الإجابة على شبهة طول العمر]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

تذكير:

ذكرنا في الليلة الماضية أنّ أساس النزاع بين الشيعة الإمامية والخصم إنّما يرجع إلى عدم معرفة الخصم بالإمام ومنزلة الإمام ودوره في الأمّة، وذكرنا أنّ الإمام له من الصفات الكمالية وله منزلة عليا تؤثر في النظام الكوني، والنظام التشريعي، فلا بدّ أن يكون موجوداً في جميع الأدوار والأكوار، ولذلك لمّا لم تتّضح لهم هذه الحقيقة الناصعة أثاروا الشبهات والإشكالات، ومن جملة تلك الأسئلة والإشكالات موضوع طول عمره الشريف، الذي أنكره جمع كثير من أبناء العامّة وإن أثبته آخرون.

وأنّ أساس تلك الشبهات يرجع إلى أمور أربعة ذكرناها في الندوة الأولى فراجع.

أجوبة الشبهات:

فإذا أراد الخصم تكرار شبهاته، لا سيما ما يتعلّق منها بطول عمر المهدي الموعود عليه الصلاة والسلام، فيمكن الجواب عنها بوجوه:

الوجه الأوّل: الإمكان:

إنّ طول عمر فرد من أفراد الإنسان تارة يبحث عنه من حيث الإمكان العام ـ وهو الذي يقع في مقابل الواجب والممتنع ـ وأخرى من حيث الإمكان الخاص ـ وهو الذي يكون بالنسبة لموضوع خاص، كعمر إنسان معيّن ـ فإنّ غير الممتنعات إنّما يقع البحث عن إمكانها بأحد هذين الوجهين على سبيل منع الخلو.

الإمكان العام:

أمّا البحث عن الإمكان العام في طول الأعمار فلم ينكره أحد، إذ لم يقل فرد بأنّه من الممتنعات الذاتية ـ كاجتماع النقيضين واجتماع الضدّين ـ وبذلك يعترف الخصم أيضاً، فلا جدوى في البحث عن هذه الجهة.

الإمكان الخاص:

أمّا الإمكان الخاص، فتارة نبحث فيه من حيث قدرة الخالق البارئ العظيم جلّ وعلا، وأخرى من حيث استعداد المخلوق وقابليته لإطالة العمر ـ أي وجود المقتضي لطول العمر ـ وثالثة من حيث وجود المانع بعد التسليم بتماميّة المقتضي، فإذا بحثنا عن هذه الجهات وتمّ الكلام فيها فلا بدّ للخصم من الاعتراف.

جهات الإمكان:

ويمكن بحث هذه الجهات كما يلي:

الجهة الأولى: قدرة الخالق:

لا ريب أنّ البحث فيها من المسلمين، بل المعترفين بالخالق من

جميع الملّيين غير صحيح، لأنّ إنكاره يستلزم نسبة العجز إليه سبحانه وتعالى، وبطلانه عند الجميع من الواضحات.

أمّا المنكرين للخالق من الدهريين والماديين وغيرهم، فلنا معهم كلام آخر ليس المقام موضع ذكره.

الجهة الثانية: المقتضي:

والصحيح أنّ كل إنسان بحسب استعداده له القابلية للبقاء وطول العمر، وذلك لأنّ الذي يحكم بهذا الأمر إمّا العقل، أو العلوم والتجارب وأهل الخبرة، أو الشرع.

أولاً: العقل:

إنّ العقل إمّا أن يحكم في هذا الموضوع الذي نبحث فيه بالتحديد وأنّ أعمار الإنسان مؤقّتة ومحدودة بوقت خاص، أو يحكم بالإطلاق فيه، أو يتوقّف ولا يحكم بأحد الأمرين.

وفي الأوّل لا بدّ من التوقّف عند ذلك الحدّ والقيد، فإذا تعدّى فرد من أفراد الإنسان ذلك العمر المحدود إنّما يكون من خرق العادة، وحينئذ لا تكون قاعدة مطّردة باعتراف الجميع.

وفي الثاني لا قيد ولا تحديد في الأعمار وإن كان خلاف الطبع، وهو يحتاج إلى برهان.

وفي الثالث يتوقّف العقل في الحكم لا سلباً ولا إيجابياً.

ولا ريب أنّ حكم العقل بأحد الأمرين إنّما يكون من جهة إدراك الحسن والقبح ونحو ذلك ممّا له دخل في هذا الموضوع، أو

يرجع إلى الحجّة والبرهان ممّا يقع تحت دائرة الحسن من التجربة والاختبار ونحوهما. ومسألة عمر الإنسان من الأخير دون الأوّل، والظاهر أنّه لم يختلف فيه اثنان، فإنّ موضوع البحث من الأمور العاديّة التي يدركها الإنسان من تلك النواحي التي ذكرناها آنفاً.

ومن المعروف أنّ أدل دليل على إمكان الشيء وقوعه في الخارج، وقد تحقّق العمر الطويل في بعض أفراد الإنسان، وأخبر بذلك الكتاب العزيز كما في نوح عليه السلام وغيره، وأثبته التأريخ المعتبر بما لا يصح إنكاره أبداً.

ثانياً: العلوم والتجارب:

إنّ التجارب الحديثة والعلوم الحياتية أقرّت بأنّ الإنسان لو خلّي وطبعه له قابلية البقاء وطول العمر إلى ما يشاء الله تعالى.

وقد ألّف العلماء في هذا الأمر كتباً ورسائل، ونشروا بحوثهم في المجلاّت العلمية المعتبرة، شأنه شأن غيره من الموضوعات التي كشفتها العلوم الحديثة وأقرّ بها الجميع.

ثالثاً: الشرع:

وسيأتي بيانه في موضوع (المانع).

إذن؛ قد ثبت أنّ الإنسان له اقتضاء البقاء في الحياة وطول العمر ما لم يكن هناك مانع يرفع أو يمنع من تأثيره كما هو ثابت في علمي المنطق والفلسفة، فلا بدّ من البحث في المانع.

الجهة الثالثة: المانع:

إنّ ما يمكن تصويره في المانع إمّا أمور طبيعية خارجية، أو أمر إلهي تكويني دلّ الدليل عليه من الشرع، فيستفاد منه أنّ عمر الإنسان

محدود بفترة زمنية معينة لا يتجاوزها، وذلك لإرادة إلهية قاهرة تقهر العباد على الموت. وهذا ما يدّعيه بعضهم حيث تمسّك ببعض الأخبار.

أولاً: الموانع الشرعية:

القرآن:

إنّ من أمعن النظر في آيات الكتاب العزيز يرى خلاف ذلك، فإنّها بيّنت كثيراً من شؤون الإنسان، كخلقه وأدوار تكوينه وعمره في دار الدنيا وغير ذلك، ولكنها لم تتطرّق إلى مسألة تحديد العمر أبداً، لا من قريب ولا من بعيد.

فمثلاً إنّ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[1].

يبيّن الخلق وعمر الإنسان ووفاته، ولكنّه لم يشر إلى المدّة التي يعيش فيها، بل الإشارة إلى طول عمره حتّى يصل إلى مرحلة متأخّرة تؤثّر في بعض أحاسيسه وعلومه واضحة.

وكذا غيره ممّا ورد في حياة الإنسان في هذه الدار الفانية، فلم يرد فيها ما يرشد إليه، ولو على سبيل الإشارة والإيماء.

ولم يقدر الخصم أن يتمسّك بالكتاب العزيز لإثبات مطلوبه، إلاّ إذا كان على سبيل التفسير بالرأي، الذي هو مرفوض عند الجميع.

السنّة:

وأمّا الاستدلال بالأخبار، فإنّ أقصى ما أمكن للخصم الاستدلال به الحديث المروي عن نبينا الأعظم ﷺ أنّه قال في آخر

(١) النحل: ٧٠.

عمره: «أرأيتم ليلتكم هذه فإنّه على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممّن هو اليوم عليها أحد».(١)

أو الحديث الآخر المروي عنه: «أعمار أمّتي بين الستين والسبعين».(٢)

ولكن الكلام في إخباره صلى الله عليه وآله في مثل تلك الروايات هل هو إخبار عن إرادة تكوينية إلهية تعلّقت بالتحديد؟ أم إرادة تشريعية؟

---

(١) صحيح البخاري ١: ١٤١؛ مسند أحمد ٢: ٨٨ و١٣١؛ البداية والنهاية ١: ٣٩٢؛ كتاب الفتن للمروزي: ٤٢٧.
قال جلال الدين السيوطي في الديباج على صحيح مسلم ج ٥ ص ٤٨٣:
«المراد ان كل نفس كانت تلك الليلة على الأرض لا تعيش بعدها أكثر من مائة سنة سواء قل عمرها أم لا وليس فيه نفي عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة».
وقال النووي في شرح مسلم ج ١٦ ص ٩٠:
«وقد احتج بهذه الأحاديث من شذ من المحدثين فقال الخضر عليه السلام ميت والجمهور على حياته».

(٢) كنز العمال ١٥: ١٧٧/ الحديث ٤٢٦٩٧، مسند أبي يعلى ١٠: ٣٩٠/ الحديث ٥٩٩٠؛ الشرح الكبير لابن قدامة ٧: ١٤١؛ فقه السنة ١: ٥١١؛ البداية والنهاية ١٣: ٣٦.
قال المباركفوري في تحفة الآحوذي ج ٩ ص ٣٧٦ و٣٧٧ عند شرح الحديث: «أي نهاية أكثر أعمار أمتي غالباً ما بينهما وأقلهم من يجوز ذلك أي يتجاوز السبعين فيصل إلى المائة فما فوقها، قال القاري وأكثر ما اطلعنا على طول العمر في هذه الأمّة من المعمرين في الصحابة والأئمّة سن أنس بن مالك فإنه مات وله من العمر مائة وثلاث سنين، وأسماء بنت أبي بكر ماتت ولها مائة سنة ولم يقع لها سن ولم ينكر في عقلها شيء وأزيد منهما عمر حسان بن ثابت مات وله مائة وعشرون سنة عاش منها ستين في الجاهلية وستين في الإسلام وأكثر منه عمراً سلمان الفارسي فقيل عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمائة وخمسين سنة».

لا ريب في انتفاء الثاني، ولا سبيل إليه بوجه من الوجوه المعروفة، ولم يختلف اثنان في أنّ الأعمار من الأمور التكوينية التي ترجع إلى إرادة الباري تبارك وتعالى.

فإن كان إخباره صلوات الله عليه عن أمر طبيعي، وقد عرفت آنفاً عدم التحديد، إلاّ أن يكون المراد من إخباره ﷺ لبيان كثرة الموانع، فيكون من قبيل الإخبار بالملزوم وإرادة اللازم، فهو ﷺ يخبر عن أمر طبيعي في أنّ الأعمار _ لاسيّما في أمّته _ في تناقص لأسباب عديدة منها كثرة الحروب، وزيادة الهموم والغموم، ومنها الاعتماد على المادّيات والإعراض عن المعنويات وغير ذلك.

وهذا صحيح، ويعدّ من معجزاته ﷺ حيث أخبر عن أمر غيبي، وذلك لما منحه الله عزّ وجلّ من العناية واللطف، أو استفاد ذلك بذهنه الثاقب من القرآن الكريم الذي فيه تفصيل كل شيء.

ولكن ذلك لا يتنافى مع كون بعض أفراد أمّته ممّن لا تعتريهم تلك الموانع، فتطول أعمارهم، كما هو المنقول والمشاهد والمحسوس، أو تكون هناك جهوداً جبّارة من العلماء لإزالة تلك الموانع وتشخيص أمور ترجع إلى إطالة عمر الإنسان.

فيكون شأن هذه الأخبار شأن تلك التي وردت في بيان خواص الأعشاب والأدوية، فإنّه لا تعبّد فيها بوجه.

هذا مع قطع النظر عن أسانيد مثل تلك الأخبار، فراجع.

هذا كله بحسب ما يمكن استفادته من الموانع الشرعية التي أخبر بها رسول الله ﷺ.

ثانياً: الموانع الطبيعية:

أمّا الموانع الطبيعية، فلا يمكن لأحد إنكارها، وهي كثيرة وأسبابها متعدّدة، وتختلف بحسب الأعصار والأمصار بحيث لا يمكن حصرها تحت ضابطة عامّة أو قاعدة كلية، وكلّما مرّ زمان ظهر مانع جديد.

إلاّ أنّها مع كثرتها وتعدّدها قد تصدّى لها العلماء والباحثون لكشف أسبابها وعلاجها أو القضاء عليها، كما لا يخفى على المتتبّع الخبير.

فإذا أمكن السيطرة عليها فلا ريب في أنّ في إزالة المانع يؤثّر المقتضي، وقد عرفت أنّه يفيد الدوام والاستمرار.

بل يمكن أن يتصدّى الشخص نفسه لإزالة الموانع التي تخصّه، إمّا بفضل علمه وجهوده العلمية، كما نراه عند بعض الأفراد لاسيما الأطبّاء والمهتمين بصحّتهم، أو بفضل ما يمنحه الله تعالى من الإلهام، كما بالنسبة إلى الأولياء الصالحين، فتطول أعمارهم.

فليكن الإمام المهدي صلوات الله عليه من كلتا الطائفتين أو من أحدهما، ولا مانع يتصوّر في ذلك، كيف وهو سليل خليل الرحمان عليه السلام الذي حكى عنه الله عزّ وجلّ قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[1].

والحاصل أنّه لا استحالة في طول العمر مطلقاً، ولاسيما في خصوص الإمام عجّل الله فرجه الذي هو من أولياء الله تعالى الذي يرعاه بلطفه وعنايته الخاصّة.

هذا كلّه بالنسبة إلى الشبهة الأولى من الشبهات الأربعة التي تقدّم ذكرها في بداية الندوة.

---

(١) الشعراء: ٨٠

الوجه الثاني: الولادة:

إنّهم قالوا: لم تثبت ولادته حتّى نسلّم طول عمره.

ولكن الجواب عن ذلك ظاهر، فإنّه لم يختلف عليه السلام عن سائر الناس في هذا الأمر، فإنّه كما ثبتت ولادة سائر الأفراد بالأمور المعروفة في الشرع الحنيف من البيّنة والشياع والإقرار، كذلك الأمر بالنسبة إليه عليه السلام فهل اختصّ بأمر خاص لم يوجد عند غيره من هذه الجهة؟!

وهل كنّا نطالبهم بإثبات ولادة المعروفين من الصحابة حتّى يطالبونا بإثبات ولادته عليه السلام؟

مع أنّ الإثباتات التي تدل على ولادته عليه السلام مثل غيرها في سائر الأفراد، إن لم تكن أتم وأكمل، وقد اجتمعت في إثبات ولادته عليه السلام جميع الأدلّة التي ذكرها الفقهاء في كتبهم الفقهيّة من البيّنة والشياع والإقرار، بحيث لا يبقى مجال للشك.

اللهم إلاّ أن يتمسّك بأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله تدل على عدم ولادته، وهي على فرض صحّتها معارضة بجملة من الأحاديث التي هي أكثر عدداً وأصح سنداً تدل على اسمه الشريف ونسبه المنيف،[1] فهو محمّد بن

(١) الكافي ١: ٤٦٩/ الحديث ٢؛ إكمال الدين وإتمام النعمة: ٢٨٦/ الحديثان ١و٤، ٤١١: الحديث ٦؛ كتاب الغيبة للنعماني: ٩٣/ الحديث ٢٣ و٢٣١: الحديث ١٤؛ اعتقادات المفيد: ١٢٢؛ كنز العمال ١٤: ٢٦٣/ الأحاديث ٦٥٥ و٣٨٦٦١ و٣٨٦٦٩ و٣٨٦٧٦ و٣٨٦٧٧ و٣٨٦٧٨ و٣٨٦٨٨ و٣٨٦٨٩ و٣٨٦٩٢ و٣٨٧٠٢ و٣٨٧٠٧.

ولزيادة الاطلاع راجع: بحار الأنوار ٥١: ٧٢/ باب ما ورد من اخبار الله والنبي صلى الله عليه وآله بالقائم عليه السلام من طرق الخاصّة والعامّة.

الحسن العسكري المنتهي نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ولد أبوه واستشهد، وأقرّ بولادة ابنه محمّد المهدي عليه السلام.(١)

ولا يسع الخصم إنكار تلك الأحاديث، أو يتمسّك بالعناد واللجاج، وهذا يوقّفنا عن المحاجّة معه، فإنّه قد نهينا عن الجدال والخصام.

الوجه الثالث: طول العمر:

إنّهم قالوا: إنّ الاعتقاد بطول عمر الإمام عليه السلام مع كونه مستتراً وغائباً يستلزم إشكالات متعدّدة، وقد ذكرنا جملة منها في ابتداء الكلام.

ويمكن الجواب عنها ابتداءً بالنقض عليها بحياة الرسل مع أممهم، فإنّ كثيراً منهم غابوا عن أممهم، كما بالنسبة إلى يونس عليه السلام حيث حكى سبحانه وتعالى عنه: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.(٢)

فغاب عن قومه مدّة ثم رجع إليهم، فما يجاب به هنا نقول به أيضاً في غيبة الإمام، وهذا المثال يلقى في النقض عليهم.

مع أنّ الأمثلة كثيرة، ومنها غياب خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله في شعب أبي طالب مدة ثلاث سنين،(٣) ولا يضر قصر المدّة وكثرتها بالمقصود.

وأمّا الجواب الحلّي، فإنّ الواجب على الله تعالى إرسال الرسل وإنزال

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٤٠٩/ الحديث ٨؛ كشف الغمّة ٣: ٣٣٥؛ كفاية الأثر: ٢٩٦.

(٢) الصافات: ١٣٩ – ١٤٤.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٣٦٦؛ سيرة النبي لابن هشام ١: ٩٦؛ السيرة النبوية لابن كثير ١: ٢٠٠؛ تاريخ ابن خلدون ٢: ٩؛ تاريخ مدينة دمشق ٦٦: ٣١٩.

الكتب. وقد حصل من جانبه سبحانه، ولكن الذي يأتي من ناحية البشر في دفع ذلك فهم مسؤولون عن أفعالهم وليس على الله شيء.

فإنّ سبب غيبة الإمام هو ظلم الظالمين، وأفعال المستكبرين المعاندين، وغصب حقوق الأنبياء والأوصياء وإزاحتهم عن المراتب التي رتّبها الله تعالى لهم إنّما هو من عمل الإنسان الظالم.

فقد تحقق الواجب من قبل الله عزّ وجلّ ولكن المانع حاصل من قبل الناس.

ولا يستلزم منه تكليف ما لا يطاق بعد أمر الله تعالى لهم بالرجوع إليهم، فقال: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1] وإعراض الناس عنهم.

كما لا يستلزم العبث أيضاً كما هو واضح.

هذا ما أردنا ذكره بإيجاز.[2]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ونسألكم الدعاء

(١) النحل: ٤٣؛ الأنبياء: ٧.

(٢) مضافاً إلى عدم انحصار فائدة الإمام عليه السلام بتعليم الشرع والحكم بين الناس حتى يقال بالعبثية وخلف الغرض في حال استتاره فإنّ لموقع الإمامة بحسب النظرية الشيعية منزلة خاصة تتسع للتحكم في عالم التكوين والتشريع كما ذكر المحاضر في الندوة الأولى.



المسائل العشر في الغيبة

تأليف

الإمام الشيخ المفيد

٣٣٦-٤١٣هـ

تحقيق

الشيخ فارس الحسون

تقديم

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

مركز الدراسات التخصصية
في الإمام المهدي عليه السلام
النجف الأشرف ـ شارع الرسول صلى الله عليه وآله ـ محلة الحويش
رقم الزقاق: ٥٤ ـ رقم الدار: ٢
هاتف: ٣٣٢٨١١ و٣٣٢٨١٣
ص.ب ٥٨٨
www.m-mahdi.com
m-mahdi@m-mahdi.com

المسائل العشر في الغيبة

الإمام الشيخ المفيد

تقديم

مركز الدراسات التخصصية

في الإمام المهدي عجل الله فرجه

الطبعة الأولى: ربيع الأول ١٤٢٦ هـ
العدد: ٣٠٠٠ نسخة
السعر: ١٢٠٠ دينار
النجف الأشرف

جميع الحقوق محفوظة للمركز

الفصل السادس

[طول العمر]

تعلّق الخصوم بانتقاض العادة في دعوى طول عمره، وبقائه على تكامل أدواته[1] منذ[2] ولد على قول الإماميّة[3] في سنّي عشر الستين والمائتين وإلى[4] يومنا هذا وهو سنة أحد عشر وأربعمائة، وفي حملهم[5] في بقائه وحاله وصفته الّتي يدّعونها[6] له بخلاف حكم العادات، وأنّه يدلّ على فساد معتقدهم فيه.

فصل: [ردّ شبهة الخصوم في مسألة طول العمر]

والذي تخيّله[7] الخصوم هو: فساد قول الإماميّة[8] بدعواهم لصاحبهم طول العمر، وتكامل أدواته فيه، وبقائه إلى يومنا هذا وإلى وقت ظهوره بالأمّة،[9] على حال الشبيبة،[10] ووفارة[11] العقل والقوّة، والمعارف بأحوال الدين والدنيا.

---

(١) أي: تكامل قواه وآلاته.

لسان العرب ١٤: ٢٥ أدا.

(٢) س. ط: وأنّه منذ.

(٣) ع. ر: قول للإماميّة.

(٤) س. ط: إلى.

(٥) ط: حكمهم.

(٦) ر. س: يدعو بها.

(٧) ل: يختار.

(٨) ع. ر: قول للإماميّة.

(٩) ط: بالإمامة.

(١٠) س. ط: التشبيب.

(١١) س: ووقارة.

وإن خرج عمّا نعهده نحن[١] الآن من أحوال البشر، فليس بخارج عن عادات سلفت لشركائه في البشريّة وأمثالهم في الإنسانية.

وما جرت به عادة في بعض الأزمان لم يمتنع وجوده في غيرها، وكان حكم مستقبلها كحكم ماضيها على البيان.

ولو لم تجر عادةٌ بذلك جملةً[٢] لكانت الأدلّة على أن الله تعالى قادرٌ على فعل ذلك تُبطل[٣] توهّم المخالفين للحقّ فساد القول به وتكذّبهم[٤] في دعواهم.

وقد أطبق العلماء من أهل الملل وغيرهم أنّ آدم أبا البشر عليه السلام عمّر نحو الألف[٥]، لم يتغيّر له خلقٌ، ولا انتقل من طفوليّة إلى شبيبة، ولا عنها إلى هرم، ولا عن قوّة إلى عجز، ولا عن علم إلى جهل، وأنّه لم يزل على صورة واحدة إلى أن قبضه الله عزّ وجلّ إليه.[٦]

هذا مع الأعجوبة في حدوثه من غير نكاح، واختراعه من التراب من غير بدوٍ،[٧] وانتقاله من طينٍ لازب إلى طبيعة الإنسانية، ولا واسطة في صنعته على اتّفاق مَن ذكرناه من أهل الكتب حسب ما بيّناه.

والقرآن في ذلك ناطق[٨] ببقاء نوح نبيّ الله عليه السلام في قومه تسعمائة سنة

---

(١) لفظ: نحن، لم يرد في س.ط.

(٢) ط: ولو لم تجر بذلك عادة جلّة.

(٣) أي: الأدلّة.

(٤) س. ط. ل: وتكذيبهم.

(٥) س. ط: نحو الف.

(٦) راجع كمال الدين ٢: ٥٢٣ رقم ٣، قصص الأنبياء: ٥٤ و٥٥ و ٦٥.

(٧) لفظ: من غير بدوٍ، لم يرد في ط، وفي ع.ل.ر.س: من غير يدٍ وصحّ، والظاهر ما اثبتناه، إذ لفظ: صحّ ورد لأجل سقطٍ كان في نسخةٍ، فتوهّم المستنسخ انّها من المتن.

(٨) العنكبوت: ١٤.

وللتفصيل راجع: كمال الدين ٢: ٥٢٣ رقم ١ و٢ و٣، وقصص الأنبياء: ٨٤ و ٨٥.

وخمسين سنة للإنذار لهم خاصّة، وقبل ذلك ما كان له من العمر الطويل إلى أن بُعث نبيّاً من غير ضعفٍ كان به ولا هرم، ولا عجزٍ ولا جهلٍ، مع امتداد بقائه، وتطاول عمره في الدنيا، وسلامة حواسّه.

وأنّ الشيب أيضاً لم يحدث في البشر قبل حدوثه في إبراهيم الخليل عليه السلام[١] بإجماع مَن سمّيناه من أهل العلم من المسلمين خاصّة كما ذكرناه.

وهذا ما لا يدفعه إلاّ الملحدة من المنجّمين، وشركاؤهم في الزندقة من الدهريّين، فأمّا أهل الملل كلّها فعلى اتّفاق منهم[٢] على ما وصفناه.

* * *

[ذكر المعمّرين]:

والأخبار متناصرة بامتداد أيّام المعمّرين من العرب والعجم والهند، وأصناف البشر وأحوالهم الّتي كانوا عليها مع ذلك، والمحفوظ من حكمهم مع تطاول أعمارهم، والمأثور من تفصيل قصاتهم[٣] من أهل أعصارهم وخطبهم وأشعارهم، لا يختلف أهل النقل في صحّة الأخبار عنهم بما ذكرناه، وصدق الروايات في أعمارهم وأحوالهم كما وصفناه.

وقد أثبتُّ أسماء جماعة منهم في كتابي المعروف بـ الإيضاح في الإمامة، وأخبار كافّتهم مجموعة مؤلّفة حاصلة في خزائن الملوك، وكثير من الرؤساء، وكثير من أهل العلم وحوانيت الورّاقين،[٤] فمن أحبّ الوقوف على

---

(١) راجع: قصص الأنبياء: ١٠٩.

(٢) ع. ل. ر: منه.

(٣) ع. ل تعطّل قصاتهم، ر.س: تعطل قضاتهم.

(٤) راجع: كتاب المعمّرون: ١- ١١٤، كمال الدين ٢: ٥٢٣ باب ٤٦ ما جاء في التعمير، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول الجزء الثاني الباب الثاني عشر، تذكرة الخواص: ٣٦٤، الغيبة للطوسي: ١١٣- ٣٢٣، البحار ٥١: ٢٢٥- ٣٩٣، باب ١٤، ذكر أخبار المعمّرين، تقريب المعارف: ٢٠٧- ٢١٤، كنز الفوائد ٢: ١١٤- ١٣٤.

ذلك فليلتمسه من الجهات المذكورة، يجدها على ما يثلج صدره، ويقطع بتأمّل أسانيدها في الصّحة له عذره، إن شاء الله تعالى.

وأنا أُثبتُ مِن ذكر بعضهم ها هنا جملةً تُقنع، وإن كان الوقوف على أخبار كافّتهم[١] أنجع فيما نؤمه[٢] بذكر البعض إن شاء الله.

فمنهم: لقمان بن عاد الكبير.[٣]

وكان أطول الناس عمراً بعد الخضر عليه السلام، وذلك أنّه عاش على رواية العلماء بالأخبار ثلاثة آلاف[٤] سنة وخمسمائة سنة، وقيل: إنّه عاش عمر سبعة أنسر،[٥] وكان يأخذ فرخ النسر فيجعله في الجبل فيعيش النسر منها ما عاش، فإذا مات أخذ آخر فربّاه، حتّى كان آخرها لبد، وكان أطولها عمراً، فقيل: طال الأمد على لبد.

(١) ع. ل. ر: كافهم.

(٢) أي: نقصده.

اللسان ١٢: ٢٢ أمم.

(٣) وفي بعض المصادر: لقمان بن عاديا، وفي بعضها: لقمان العاديّ.

وهو غير لقمان الّذي عاصر النبي داود عليه السلام، وكان من بقيّة عادٍ الأولى، وكان وفد عادٍ الّذين بعثهم قومهم إلى الحرم ليستسقوا لهم، واعطي من السمع والبصر على قدر ذلك، وله أحاديث كثيرة.

المعمّرون: ٤ و٥، كمال الدين ٢: ٥٥٩، حياة الحيوان ٢: ٣٥١.

(٤) ع. ر: الف.

(٥) طائر معروف، جمعه في القلّة أنسر وفي الكثرة نسور، وسمّي نسراً لأنّه ينسر الشي ويبتلعه، وهو أطول الطير عمراً، وأنّه يعمّر ألف سنة، وهو أشدّ الطير طيراناً، ويقال في المثل: أعمر من نسر.

حياة الحيوان الكبرى ٢: ٣٤٨- ٣٥٢.

وفيه يقول الأعشى:[(١)]

لنفسك إذ تختار سبعة أنسر — إذا ما مضى نسرٌ خلدتَ[(٢)] إلى نسر

فعمّر حتّى خال أنّ نسوره — خلودٌ وهل تبقى النفوس على الدهر

وقال لأدناهنّ إذ حلّ[(٣)] ريشه — هلكتَ وأهلكت ابن عادٍ وما تدري[(٤)]

ومنهم: رُبَيْعُ بن ضُبيع[(٥)] بن وَهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عَدِي[(٦)] بن فزارة.[(٧)]

عاش ثلاثمائة سنة وأربعين سنة، وأدرك النبيّ ﷺ ولم يسلم.

وهو الذي يقول وقد طعن في ثلاثمائة سنة:

أصبح منّي الشباب قد حسرا[(٨)] — إن ينأ[(٩)] عنّي فقد ثوى عصرا

والأبيات معروفة.

---

(١) أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، يعرف بأعشى قيس، ويقال له: اعشى بكر بن وائل، أحد المعروفين من شعراء الطبقة الأولى في الجاهليّة وفحولهم، وكانت العرب تعني بشعر الأعشى، سكن الحيرة، وكان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر.

الكنى والألقاب ٢: ٣٨، الأعلام ٧: ٣٤١.

(٢) ع. ل. ر: إذ خل.

(٣) في كتاب المعمّرون: خلوت.

(٤) للتفصيل راجع: المعمّرون: ٤ و٥، كمال الدين ٢: ٥٥٩.

(٥) س. ط: ضبع، وكذا في كتاب كمال الدين.

(٦) ع. ل. ر: عيسى.

(٧) في بعض المصادر: انّه عاش مائتين وأربعين سنة. وقصّته مع عبد الملك ودخوله عليه معروفة.

المعمّرون: ٨- ١٠، كمال الدين ٢: ٥٤٩ و٥٥٠، و٥٦١.

(٨) ل: خسرا.

(٩) ع. ر: يراي.

وهو الذي يقول أيضاً منه:

إذا كان الشتاء فأدفئوني ... فإنّ الشيخ يهدمه الشتاءُ

وأمّا حين يذهب كلّ قرّ ... فسربالٌ خفيف أو رداء

إذا عاش الفتى مأتين عاماً ... فقد أودى المسرّة والفتاء[١]

ومنهم: المستوغر بن ربيعة بن كعب.[٢]

عاش ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين سنة.

وهو الّذي يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وعمرت من عدد السنين مئينا[٣]

مائةٌ حَدَتْها بعدها مائتان لى ... وعمِرْتُ من عدد[٤] الشهورِ سنينا[٥]

ومنهم: أكثم بن صيفي الأسدي.[٦]

---

(١) ط: مسرّته الفناء، وفي النسخ الأخرى: المسرّة والفناء، والمثبت من كتاب المعمرون وكتاب كمال الدين، ويروى عجز البيت الأخير أيضاً: فقد ذهب التخيّل والفتاء.
والفتاء: الشباب.
لسان العرب ١٥: ١٤٥ فتا.
وللتفصيل راجع: المعمرون: ٨- ١٠، كمال الدين ٢: ٥٤٩ و٥٥٠، ٢: ٥٦١.

(٢) هو: المستوغر بن ربيعة بن كعب بن زيد مناة بن تميم، عاش زمناً طويلاً، أدرك الإسلام ولم يسلم، وكان من فرسان العرب في الجاهلية.
المعمرون: ١٢- ١٤، كمال الدين ٢: ٥٦١.

(٣) ع. ر: من بعد السنين سنيناً، ل. س: من بعد الستين مأتينا، ط: من عدد السنين مأتينا، والمثبت من كتاب المعمّرون.

(٤) ع. ر.س: بعد.

(٥) للتفصيل راجع: المعمّرون: ١٢- ١٤، كمال الدين ٢: ٥٦١.

(٦) اكثم بن صيفي أحد بني أسد بن عمرو بن تميم، ادرك الإسلام واختلف في اسلامه، إلاّ أنّ الاكثر لا يشك في أنّه لم يسلم، ولم تكن العرب تقدّم عليه أحداً في الحكمة.
المعمرون: ١٤- ٢٥، كمال الدين ٢: ٥٧٠.

عاش ثلاثمائة سنة وثمانين سنة، وكان ممّن أدرك النبيّ ﷺ وآمن به ومات قبل أن يلقاه، وله أحاديث كثيرة وحِكم وبلاغات وأمثال.

وهو القائل:

وإنّ امرأ قد عاش تسعين حجّة إلى مأةٍ لم يسأم العيش جاهلُ

خلت مائتان بعد عشر وفائها[١] وذلك من عدّي ليالٍ[٢] قلائل[٣]

وكان والده صيفي بن رياح بن أكثم[٤] أيضاً من المعمّرين.

عاش مائتين وستة وسبعين سنة، ولا ينكر من عقله شيء،[٥] وهو المعروف بذي الحلم الّذي قال فيه المتلمّس اليشكري:[٦]

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا[٧] وما علّم الإنسان إلاّ ليعلما[٨]

---

(١) كذا في النسخ، وفي ر: وقادها، وفي كمال الدين: غير ستّ وأربع.

(٢) في كمال الدين: وذلك من عدّ الليالي.

(٣) للتفصيل راجع كمال الدين ٢: ٥٧٠، المعمرون: ١٤– ٢٥.

(٤) ع. ل: أكثر، ر: اكبر.

وهو: صيفي بن رياح بن أكثم أحد بني أسد بن عمر بن تميم أبو أكثم، ومن وصاياه:...ومن سوء الأدب كثرة العتاب، واقرع الأرض بالعصا، فذهب مثلاً، والقرع الضرب، والمراد: أن ينبّه الإنسان صاحبه عند خطئه.

وأصل المثل: أن عامر بن الظرب لمّا طعن في السن وأنكر قومه من عقله شيئاً أمر أولاده أن يقرعوا إلى المجن بالعصا إذا خرج من كلامه وأخذ في غيره.

الوصايا: ١٤٦، كمال الدين ٢: ٥٧٠.

(٥) ع. ل. ر: شيئاً.

(٦) في النسخ اضطراب في ضبط الاسم، وما أثبتناه هو الصحيح.

وهو: جرير بن عبد المسيح أو عبد العزى من ضبيعة من ربيعة، شاعر جاهلي، وأخواله بنو يشكر.

راجع: الأغاني ٢٤: ٢٦٠، الأعلام ٢: ١١٩، المعمرون: ٥٨.

(٧) ع. ل. ر: فيه، بدلاً من: قبل.

(٨) للتفصيل راجع: كمال الدين ٢: ٥٧٠، الوصايا: ١٤٦.

ومنهم: ضُبَيْرة بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو.[١]

عاش مائتي سنة وعشرين سنة، فلم[٢] يشب قطّ، وأدرك الإسلام ولم يسلم. وروى أبو حاتم[٣] [و] الرياشي،[٤] عن العتبي،[٥] عن أبيه أنّه قال: مات ضُبَيْرة السهمي وله مائتا سنة وعشرون سنة، وكان أسود الشعر صحيح الأسنان.

ورثاه ابن عمّه قيس بن عدي فقال:

من يأمن الحدثان بعـ ـد ضبيرة السهمي ماتا
سبقت منيّته المشيـ ـب وكان ميتته افتلاتا
فتزوّدوا لا تهلكوا[٦] من دون أهلكم خفاتا[٧]

---

(١) هو: ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص القرشي، عاش مائتين وعشرين سنة وقيل: مائة وثمانين، وأدرك الإسلام فهلك فجأة.
المعمرون: ٢٥، كمال الدين ٢: ٥٦٥.

(٢) ع. ر: ولم.

(٣) أبو حاتم سهل بن محمّد بن عثمان بن يزيد الجشيمي السجستاني البصري الكوفي، توفّي سنة ٢٤٨ أو ٢٥٠ أو ٢٥٤، قرأ على الأخفش.
راجع تفصيل حياته في مقدّمة كتاب المعمرون للسجستاني، بقلم عبد المنعم عامر.

(٤) ع. ر. ل: الرياسي، والصحيح: أبو حاتم، والرياشي كما هو في الغيبة للطوسي: ١١٦، وبقيّة المصادر والرياشي هو أبو الفضل العباس بن الفرج النحوي اللغوي، قتل في المسجد الجامع بالبصرة في أيام العلوي صاحب الزنج في سنة ٢٥٧.
الانساب ٦: ٢٠٠ و٢٠١.

(٥) أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب، الشاعر البصري، وكان راوية للأخبار وأيام العرب، روى عن أبيه وسفيان بن عيينة ولوط بن مخنف، روى عنه أبو حاتم السجستاني وأبو الفضل الرياشي، توفي سنة ٢٢٨.
العبر ١: ٤٠٣- ٤٠٤، وفيات الأعيان ٤: ٣٩٨- ٤٠٠.

(٦) ع. ر. س. ط: ولا تهلكوا.

(٧) ل. ر: حفاتا.
وللتفصيل راجع: كمال الدين ٢: ٥٦٥، المعمرون: ٢٥.

ومنهم: دريد بن الصمّة الجشمي.[١]

عاش مائتي سنة، وأدرك الإسلام فلم يسلم، وكان أحد قوّاد المشركين يوم حُنين ومقدّمهم،[٢] حضر حرب النبيّ ﷺ فقُتل يومئذٍ.[٣]

ومنهم: محصّن بن عتبان[٤] بن ظالم الزبيدي.[٥]

عاش مائتي سنة وخمسة وخمسين سنة.[٦]

ومنهم: عمرو بن حممة الدوسي.[٧]

عاش أربعمائة سنة.

وهو الذي يقول:

كبرت وطال العمر حتّى كأنّني ... سليمُ أفاعٍ ليله غير مودع

فما الموت أفناني ولكن تتابعت ... عليَّ سنون من مصيف ومربع

ثلاث مئات قد مررن كواملاً ... وها أنا هذا أرتجى نيل[٨] أربع[٩]

---

(١) دريد بن الصمّة الجشمي من جشم بن سعد بن بكر، عاش نحواً من مائتي سنة حتّى سقط حاجباه من عينيه، قتل يوم حنين، وإنّما خرجت به هوازن تتيمّن به.
المعمرون: ٢٧ و٢٨.

(٢) ع. ل. ر: ومقدمتهم.

(٣) للتفصيل راجع: المعمّرون: ٢٧ و٢٨.

(٤) ع. ر: محصّن غسّان، ل.س: محصّن عتبان، وما أثبتناه هو الصحيح.

(٥) محصّن بن عتبان بن ظالم بن عمرو بن قطعية بن الحارث بن سلمة بن مازن الزبيدي.
المعمرون: ٢٦ و٢٧، كمال الدين ٢: ٥٦٧.

(٦) للتفصيل راجع: كمال الدين ٢: ٥٦٧، المعمرون: ٢٦ و٢٧.

(٧) ع. ل. ر: عمر بن حممة الدوسي. قال في المعمّرون: عمرو بن حممة الدوسي، قضى على العرب ثلاثمائة سنة. المعمرون: ٥٨.

(٨) س: مثل، ط: مرّ.

(٩) للتفصيل راجع: المعمرون: ٥٨.

ومنهم: الحرث[١] بن مضاض الجرهمّي.[٢]

عاش أربعمائة سنة.

وهو القائل:

كأن لم يكن بين الحجون[٣] إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمر[٤] بمكّة سامرُ

بلى نحن كنّا أهلها فأبادنا[٥] صروف الليالي والجدود[٦] العواثر[٧]

وفي غير من ذكرت يطول بإثباته جزء الكتاب.

والفرس تزعم أنّ قدماء ملوكها جماعات طالت أعمارهم وامتدّت، وزادت في الطول على أعمار من أثبتنا اسمه من العرب، ويذكرون أنّ من جملتهم الملك الّذي استحدث المهرجان، عاش ألفي سنة وخمسمائة سنة.[٨]

لم نتعرّض لشرح أخبارهم، لظهور ما قصصته من أمر العرب من

(١) س: الحارث، وكذا في كتاب المعمّرون.

(٢) في المعمّرون: الحارث بن مضاض الجرهمي.

راجع: المعمّرون: ٨، تذكرة الخواص: ٣٦٥.

(٣) الحجون: موضع بمكّة ناحية من البيت، وقيل الجبل المشرف ممّا يلي شعب الجزّارين بمكة.

لسان العرب ١٣: ١٠٩ حجن.

(٤) ع. ل. ر: يسمو.

(٥) في المعمّرون: فأزالنا.

(٦) الجدود جمع جد، وهو: البخت والحظ.

لسان العرب ٣: ١٠٧ جدد.

(٧) ع. ل. ر: والحدود الغوابر.

وللتفصيل راجع: تذكرة الخواص: ٣٦٥، المعمرون: ٨

(٨) قال الشيخ الطوسي في الغيبة ١٢٣: وأمّا الفرس فإنّها تزعم فيما تقدّم من ملوكها جماعة طالت أعمارهم، فيردون أنّ الضحّاك صاحب الحيتين عاش ألف سنة ومائتي سنة، وافريدون العادل عاش فوق الف سنة، ويقولون انّ الملك الّذي أحدث المهرجان عاش ألفي سنة وخمسمائة سنة استتر منها عن قومه ستمائة سنة.

وراجع: تاريخ الطبري ١: ١٩٤ و٢١٥، تاريخ اليعقوبي ١: ١٥٨، البحار ٥١: ٢٩٠.

أعمارهم على ما تدّعيه الفرس، ولقرب عهدها منّا وبُعد عهد أولئك، وثبوت أخبار معمّري العرب في صحف أهل الإسلام وعند علمائهم.

وقد أسلفت القول بأنّ المنكر لتطاول الأعمار إنّما هم طائفة[١] من المنجّمين وجماعة من الملحدين، فأمّا أهل الكتب والملل فلا يختلفون في صحّة ذلك وثبوته.

فلو لم يكن من جملة المعمّرين إلاّ من التنازع في طول عمره مرتفع، وهو سلمان الفارسي[٢] رحمة الله عليه، وأكثر أهل العلم يقولون: بأنّه رأى المسيح، وأدرك النبيّ صلوات الله عليه وآله، وعاش بعده، وكانت وفاته في وسط أيام عمر بن الخطاب،[٣] وهو يومئذ القاضي بين المسلمين في المدائن،[٤] ويقال: أنّه كان عاملها وجابي خراجها، وهذا أصحّ.[٥]

---

(١) ع. ر: بأن المنكر لتطاولٍ للأعمار إنّما طائفة.

(٢) هو أبو عبد الله سلمان الفارسي، وهذا اسمه بعد الإسلام، أمّا قبله، فقيل: مابه بن بوذخشان بن مورسلان، وقيل: اسمه بهبود، ويلقب: سلمان الخير وسلمان المحمدّي وسلمان ابن الإسلام، شهد الخندق - وهو الّذي أشار بحفره - ولم يفته بعد الخندق مشهد، توفي بالمدائن سنة ٣٥، أو ٣٧، أو ٣٣، وقبره ظاهر معروف بقرب أيوان كسرى، وكان عطاؤه خمسة آلاف، وكان إذا خرج تصدّق به ويأكل من عمل يده.
وأمّا عمره فمئتان وخمسون سنة فممّا لا شك فيه، ولكن الاختلاف في الأكثر، فقيل ثلاثمائة، وقيل: ثلاثمائة وخمسون.
تهذيب التهذيب ٤: ١٣٧ رقم ٢٣٣، أعيان الشيعة ٧: ٢٧٩- ٢٨٧، كمال الدين ١: ١٦١، الكنى والالقاب ٣: ١٥٠، تذكرة الخواص: ٣٦٥.

(٣) أبو حفص عمر بن الخطاب، روى عن النبيّ وأبي بكر وأُبي، روى عنه أولاده وغيرهم قتل سنة ٢٣.
طبقات الفقهاء: ١٩، تهذيب التهذيب ٧: ٤٣٨.

(٤) عبارة عن مدن سبع، من بناء أكاسرة العجم، على طرف دجلة ببغداد، كان يسكنها ملوك بني ساسان إلى زمن عمر، وفي الجانب الشرقي مشهد سلمان.
الكنى والألقاب ٣: ١٤٦- ١٤٨. ⇦

وفيما أسلفناه في هذا الباب كفاية فيما قصدناه، والحمد لله.

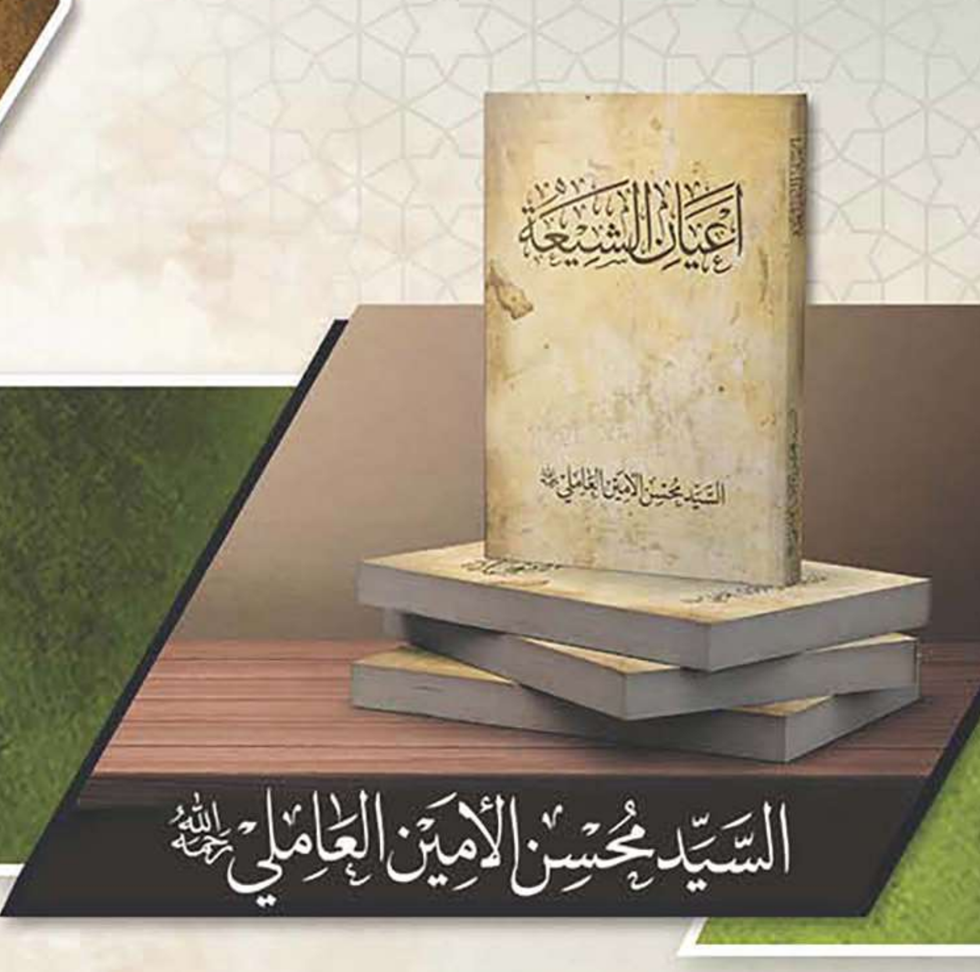
* * *

⇨

(٥) نصّ أكثر المؤرخين أن سلمان كان أميراً على المدائن، واختلف في سنة وفاته، فقيل: في زمن عثمان، وقيل: في زمن أمير المؤمنين، والشيخ المفيد هنا ذهب إلى أنّه وسط أيّام عمر ابن الخطاب.

للتفصيل راجع: الطبقات الكبرى ٤: ٧٥- ٩٣، تهذيب التهذيب ٤: ١٣٧، تهذيب ابن عساكر ٦: ١٨٨، حلية الأولياء ١: ١٨٥، صفة الصفوة ١: ٢١٠، تذكرة الخواص: ٣٦٥، أعيان الشيعة ٣: ١٥٠، الكنى والألقاب ٣: ١٥٠.





تقديم وتحقيق

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف



اسم الكتاب: ....ترجمة الإمام المهدي عليه السلام في أعيان الشيعة

تأليف: ....السيد محسن الأمين العاملي قدس سره

تقديم وتحقيق :.. مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

رقم الإصدار: ٢٤٤

الطبعة: ....الثانية (المحققة) ١٤٤٢هـ

عدد النسخ: ....طبعة محدودة

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

العراق- النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٩٧٤٤٤٧٤ - ٠٧٨١٦٧٨٧٢٢٦

www.m-mahdi.com

info@m-mahdi.com

في دفع الشُّبُهات التي وردت في أمر المهدي عليه السلام

الشبهة الأولى:

إنَّ طول العمر بهذه المدَّة مستبعد، بل غير واقع عادةً، كيف وقد مضىٰ عليه الآن ما يزيد عن ألف وتسع وثمانين سنة كما مرَّ[١]؟

والجواب:

أنَّ الاستبعاد ليس دليلاً، ولا يعارض الدليل، وقد عرفت قيام الأدلَّة العقليَّة والنقليَّة علىٰ ولادته وغيبته، فهل يجوز أنْ ندفعها بالاستبعاد؟ مع أنَّه لا استبعاد في ذلك بعد نصِّ القرآن العظيم علىٰ مثله في نوح وأنَّه ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً﴾ [العنكبوت: ١٤]، ونُقِلَ أنَّه عاش ألفاً وثلاثمائة سنة، وفي رواية عن أنس بن مالك، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه عاش ألفاً وأربعمائة وخمسين سنة[٢].

وعاش آدم تسعمائة وثلاثين سنة كما هو مذكور في التوراة[٣].

وعاش شيث تسعمائة واثني عشرة سنة[٤].

---

(١) مرَّ في (ص ١٥)، فراجع. وقد ذكرنا هناك أنَّ عمره الشريف إلىٰ يومنا هذا وهو (١٥/ ربيع الثاني/ ١٤٤١هـ) يبلغ ألف سنة ومائة وخمس وثمانون سنة وسبعة أشهر.

(٢) راجع: بحار الأنوار (ج ١١/ ص ٢٩٠/ ذيل الحديث ١١).

(٣) تاريخ الطبري (ج ١/ ص ١٠٨).

(٤) تاريخ الطبري (ج ١/ ص ١١٠)؛ مروج الذهب (ج ١/ ص ٥٦).

وجاءت الروايات ببقاء الخضر إلىٰ الآن، قال الطبرسي في (إعلام الورىٰ): (أجمعت الشيعة وأصحاب الحديث، بل الأُمَّة بأسرها خلا المعتزلة والخوارج علىٰ أنَّ الخضر موجود في هذا الزمان، حيٌّ كامل العقل، ووافقهم علىٰ ذلك أكثر أهل الكتاب)[1] انتهىٰ.

وكذلك إلياس وإدريس[2].

ونصَّ القرآن الكريم علىٰ بقاء عيسىٰ ورفعه إلىٰ السماء[3].

وجاءت الروايات المتَّفق عليها بين الفريقين علىٰ أنَّه ينزل عند خروج المهدي ويُصلّي خلفه[4]، فكيف جاز بقاء المأموم طول هذه المدَّة وحياته وامتنع بقاء الإمام؟!

هذا مع ما صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: «كلُّ ما كان في الأُمَم السالفة يكون في هذه الأُمَّة حذو النعل بالنعل والقذَّة بالقذَّة»[5].

وجاءت روايات الفريقين بحياة الدجّال[6]، وهو كافر معاند مضلٌّ، وبقائه إلىٰ خروج المهدي، فيقتله المهدي، فكيف امتنع في وليِّ الله ما وقع مع عدوِّ الله، ونُسِبَ معتقده إلىٰ الجهل وسخافة العقل؟!

ونصَّ الكتاب العزيز علىٰ بقاء إبليس إلىٰ يوم القيامة[7]، وهو غاوٍ مضلٌّ؟!

---

(١) راجع: إعلام الورىٰ (ج ٢/ ص ٣٠٥).

(٢) راجع: تفسير الكشّاف (ج ٣/ شرح ص ٢٠١).

(٣) انظر قوله تعالىٰ: ﴿وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء: ١٥٧ و١٥٨).

(٤) كما مرَّ في (ص ٦٠)، فراجع.

(٥) راجع: كمال الدِّين (ص ٥٦٠/ باب ٤٧/ ذيل الحديث ٢).

(٦) كما سيأتي في (ص ١٤٠)، فانتظر.

(٧) انظر قوله تعالىٰ: ﴿قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ (ص: ٧٩ و٨٠).

وقد صنَّف أبو حاتم السجستاني كتاباً خاصًّا بالمعمَّرين.

وقد نصَّ القرآن الكريم علىٰ بقاء أهل الكهف أحياءً وهم نيام ﴿وَكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨]، فلبثوا في رقدتهم الأُولىٰ ﴿ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف: ٢٥]، كما نطق به القرآن العظيم[١].

فأيُّهما أعجب وأغرب وأبعد بقاء رجل يأكل ويشرب ويمشي وينام ويستيقظ ويتنظَّف مدَّة طويلة، أم بقاء أشخاص نيام في مكانٍ واحدٍ لا يأكلون ولا يشربون ولا يتنظَّفون؟!

وقد نصَّ القرآن الكريم علىٰ إماتة عُزير مائة عام ثمّ إحيائه وطعامه لم يتسنَّه ولم يتغيَّر وحماره معه[٢]، فأيُّهما أعجب هذا أم بقاء المهدي؟!

وقد نصَّ الكتاب العزيز علىٰ بقاء أهل الجنَّة والنار[٣].

وجاءت الأخبار بلا خلاف بأنَّ أهل الجنَّة لا يهرمون ولا يضعفون ولا يحدث بهم نقصان في الأنفس والحواسِّ[٤].

---

(١) انظر قوله تعالىٰ: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَذاتَ الشِّمالِ وَكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ...﴾ (الكهف: ١٨)، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴿٢٥﴾﴾ (الكهف: ٢٥).

(٢) انظر قوله تعالىٰ: ﴿فَأَماتَهُ اللهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَشَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ...﴾ (البقرة: ٢٥٩).

(٣) انظر مثلاً قوله تعالىٰ في أهل الجنَّة: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها ...﴾ (آل عمران: ١٥)، وقوله تعالىٰ في أهل النار: ﴿خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ ...﴾ (آل عمران: ٨٨).

(٤) عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل، قال: «... إنَّهم شباب لا يهرمون، وأصحّاء لا يسقمون، وأغنياء لا يفتقرون، وفرحون لا يحزنون، وأحياء لا يموتون...» (الكافي: ج ٢/ ص ٥٩٨/ كتاب فضل القرآن/ ح ١).

ومن أراد استقصاء أخبار المعمِّرين فليرجع إلىٰ كتابنا (البرهان علىٰ وجود صاحب الزمان)[(١)].

وقد شاهدنا في زماننا بقاء الأجسام بعد الموت محفوظة بالأدوية أُلوفاً من السنين في المَلِك الذي أُخرج من صيدا، وهو في تابوت مغموراً بالماء، لم يفقد من جسمه شيء، ونُقِلَ بتابوته إلىٰ القسطنطينيَّة في عهد السلطان عبد الحميد العثماني، وتاريخه قبل المسيح عليه السلام.

وشاهدنا في مصر أجسام الفراعنة محنَّطة باقية من عهد موسىٰ عليه السلام أو قبله بأكفانها، والتماسيح المحنَّطة، والمعزىٰ، والحنطة، والخبز، وغير ذلك.

وبهذه السنين استُخرِجَ في مصر أحد الفراعنة المسمّىٰ (توت عنخ آمون) وجسمه لم يبلُ، ومائدته أمامه عليها الفواكه.

فإذا جاز علىٰ الله تعالىٰ أنْ يُلهِم عباده معرفة الأدوية الحافظة لأجسام الموتىٰ والحيوانات وغيرها أُلوفاً من السنين، أمَا يجوز عليه أنْ يُطوِّل عمر شخص ويُبقيه حيًّا زماناً طويلاً؟!

وقد ضرب السيِّد ابن طاوس رحمه الله في كتاب (كشف المحجَّة) مثلاً لرفع استبعاد بقاء المهدي حيًّا بين الناس مدَّة طويلة وهم لا يعرفونه حين حصلت بينه وبين بعض علماء بغداد من أهل السُّنَّة مناظرة في ذلك، فقال:

---

(١) قصيدة وشرحها لسيِّدنا المعاصر السيِّد محسن بن السيِّد عبد الكريم الأمين...، طُبِعَ في صيدا سنة (١٣٣٣هـ) في (١٠٨ص) وهو ردٌّ علىٰ القصيدة البغداديَّة المرسَلة إلىٰ علماء النجف، وقد أجاب عنها جمع كثير منهم نظماً ونثراً التي مطلعها:

أيا علماء العصر يا من لهم خبر ... بكلِّ دقيق حارَ في مثله الفكر

الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة (ج ٣/ ص ٩١).

وقد طبعها مركز الدراسات التخصُّصيَّة في الإمام المهدي عليه السلام مرَّتين: الأُولىٰ سنة (١٤٢٧هـ)، والثانية سنة (١٤٤١هـ).

لو أنَّ رجلاً حضر إلىٰ بغداد وادَّعىٰ أنَّه يستطيع المشي علىٰ الماء وضرب لذلك موعداً، أترىٰ أنَّ أحداً من أهل بغداد كان يتخلَّف عن ذلك الموعد؟ لا شكَّ أنَّه لا يتخلَّف أحد، أو يتخلَّف النادر، ثمّ إذا حضر في اليوم المعيَّن ومشىٰ علىٰ الماء، وقال: إنَّه في اليوم الثاني يريد أنْ يفعل مثل ذلك، أفكان يحضر من الناس مثلما حضر في اليوم الأوَّل؟ لا شكَّ أنَّ الحاضرين يكونون أقلّ من اليوم الأوَّل بكثير، وإذا قال: إنَّه في اليوم الثالث يريد أنْ يفعل مثل ذلك فلا شكَّ أنَّه لا يحضره أحد أو يحضره النادر، وإذا تكرَّر ذلك منه كثيراً لا ينظر إليه أحد ولا يستغرب منه ذلك، فكذلك المهدي عليه السلام لـمَّا كان بقاء مثله زمناً طويلاً قليل يستغربه الناس، ولو نظروا إلىٰ تكرُّر وقوعه في الأعصار السابقة يرتفع الاستغراب[1].

وأقول: إنَّه في زماننا ونحن بدمشق جاء خبر بأنَّ طيّارة عثمانيَّة تريد المجيء إلىٰ دمشق، ولم تكن الناس رأت الطائرات، فلم يبقَ بدمشق أحد إلَّا خرج للنظر إليها، فلمَّا جاءت ثانياً وثالثاً قلَّ المتفرِّجون إلىٰ أنْ صارت الطائرات اليوم بمنزلة الطيور لا ينظر إليها أحد ولا يستغرب أمرها.

---

(١) راجع: كشف المحجَّة (ص ٥٥).



مائة سؤال وجواب حول الإمام المهدي

صاحب الزمان عليك السلام

السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين

السيد صدر الدين القبانچي



اسم الكتاب: ......الحركة الإصلاحية من الحسين (عليه السلام) إلى المهدي (عجل الله فرجه)

تأليف: ....السيد صدر الدين القبانجي

تقديم: .... مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي (عجل الله فرجه)

رقم الإصدار: ٢٤١

الطبعة: ....الخامسة (المحققة) ١٤٤٢هـ

عدد النسخ: .... طبعة محدودة

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

العراق- النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٩٧٤٤٤٧٤ - ٠٧٨١٦٧٨٧٢٢٦

www.m-mahdi.com

info@m-mahdi.com

مشكلة طول العمر:

لا توجد لدينا مشكلة عندما نُسئَل عن عمره الطويل.

نحن أُناس نؤمن بقدرة الله تعالىٰ وبالغيب ولا نحتاج أنْ نقف طويلاً عند

هذا السؤال أنَّ الإمام كيف يصبح عمره (١٢٠٠) سنة؟ ممكن أنْ يمتدَّ إلىٰ (٢٠٠٠) سنة، وهذه القضيَّة لا توجد فيها مشكلة علميَّة.

المسألة من الناحية العلميَّة هي مسألة المحافظة علىٰ الأنسجة والخلايا وما شاكل ذلك.

العنصر الغيبي موجود أصلاً في غيبة الإمام المنتظر ﷺ، هو غائب عن الأنظار مع أنَّ الروايات تقول: إنَّه يشهد الموسم (موسم الحجِّ)، أي إنَّه يحضر معكم لكنَّكم لا ترونه، ماذا نُسمّي هذا؟

نُسمّيه العنصر الغيبي، يعني كيف يكون هو معنا لكنَّا لا نراه؟

هذه الروايات تقول: إنَّه يشهد الموسم يعني الحجَّ.

الإمام المنتظر ﷺ في كلِّ سنة موجود في الحجِّ[1].

هذه القضيَّة تثبت أنَّه موجود ولا يُرىٰ، وهذا عنصر غيبي.

ولهذا نقرأ في دعاء الندبة: «بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنَّا»[2]، يعني هو غائب وهو حاضر.

ويستمرُّ العنصر الغيبي حتَّىٰ نصل إلىٰ ساعة ظهوره ﷺ وبيعة جبرئيل مع ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وهذا عنصر غيبي أيضاً.

---

(١) عن عبيد بن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «يفقد الناس إمامهم، يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه» (الكافي: ج ١/ ص ٣٣٧ و٣٣٨/ باب في الغيبة/ ح ٦).

وعن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنَّ للقائم غيبتين، يرجع في إحداهما، وفي الأُخرىٰ لا يُدرىٰ أين هو، يشهد المواسم، يرىٰ الناس ولا يرونه» (الغيبة للنعماني: ص ١٨١/ باب ١٠/ فصل ٤/ ح ١٥).

وعن محمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه، قال: (والله إنَّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلَّ سنة، يرىٰ الناس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه) (كمال الدِّين: ص ٤٤٠/ باب ٤٣/ ح ٨).

(٢) مفاتيح الجنان (ص ٧٧٢).



محاضرات حول المهدي

سماحة السيد علي الحسيني الصدر



إعداد وتحقيق

مركز الدراسات التخصصية

في الامام المهدي (عليه السلام)

مركز الدراسات التخصصية
في الإمام المهدي عليه السلام
النجف الأشرف _ شارع الصادق _ محلة البراق ٢١٠ الزقاق٣ رقم الدار ٣٨
هاتف: ٣٧٠٩٥٠ و ٣٣٢٨١١
ص.ب ٥٨٨
www.montazar.net
www.derasat@montazar.net

محاضرات حول الإمام المهدي عليه السلام

سماحة السيد علي الحسيني الصدر

إعداد وتحقيق

مركز الدراسات التخصصية
في الإمام المهدي عجل الله فرجه
الطبعة الأولى ـــ جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ.
السعر: ١٢٠٠ دينار
النجف الأشرف
جميع الحقوق محفوظة
العدد: ٣٠٠٠ نسخة



المحاضرة الرابعة

طول عمر الإمام عجل الله فرجه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على أحب خلقه وسيد بريته، سيدنا ومولانا وحبيب قلوبنا وطبيب نفوسنا أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين المنتجبين الغرّ الميامين، لاسيما بقية الله في الأرضين الحجة بن الحسن المهدي أرواحنا فداه.

واللعنة الدائمة على أعدائهم وظالميهم وقاتليهم ومنكري فضائلهم ومناقبهم وجاحدي حقوقهم قاطبة إلى يوم الدين.. آمين رب العالمين.

موضوع بحثنا بعون الله تعالى في عمر الإمام المهدي أرواحنا فداه وتحليل طول العمر، لأنه من المباحث الأساسية التي أثير حولها الشبهات والأقوال، فياحبذا لوكنا نطفئ الشبهات ونستسيغ البحث بشكل يكون مستنداً إلى أدلة قطعية وبراهين علمية.

إشكالات المخالفين:

في مقابل القول الحق بطول عمر الإمام المهدي رعاه الله ووقاه من كل سوء إن شاء الله أقوال للمخالفين، جمعها المرحوم الكراجكي في كنز الفوائد.

إنها أقوال ثلاثة، أو آراء ثلاثة، أو إيرادات ثلاثة على طول عمر الإمام المهدي أرواحنا فداه.

يقول في كنز الفوائد:

اعلم أيدك الله أن المخالفين.

منهم: من ينطق بلسان الفلاسفة فيقول: إن طول العمر من المستحيل في العقول، ولم يثبت على جوازه دليل.

ومنهم: من ينطق بلسان المنجمين فيقول: إن الكواكب لا تعطي أحداً من العمر أكثر من مائة وعشرين.

ومنهم: من ينطق بلسان الأطباء وأصحاب الطبائع ويقول: إن العمر الطبيعي هو مائة وعشرون سنة، فإذا انتهى إليها، فقد بلغ غاية ما يمكن فيه الصحة وتخرج عن العادة.[1]

ولعل أغلب الشبهات الأخيرة، بالنسبة إلى طول عمر الإمام عليه السلام هي الجهة الأخيرة، لأنهم يشككون من حيث عدم الإمكان طبياً، وعدم الإمكان في هذا العرف وفي هذا الزمان.

أجوبة الشبهات

فيجاب على هذا الإشكال بجميع جوانبه من وجوه خمسة نتطرق إليها إن شاء الله.

[1] ـ كنز الفوائد للكراجكي، ص: ٣٤٤.

أولاً: على صعيد القرآن الكريم، نتكلم بذلك.

ثانياً: على صعيد الروايات المتواترة المتفقة بين الطرفين أو الفريقين.

ثالثاً: على صعيد الدليل الوجداني، الذي هو يكفي عن البيان.

رابعاً: على صعيد الطبيعة البشرية، التي قيل: إن طول الأعمار خرج عن العادة فيها.

خامساً: على صعيد الأصول العلمية، وعلى سبيل الأمور الطبية.

الإعجاز الإلهي:

لكن اسمحوا لي قبل أن أبدأ بهذه الأمور الخمسة، أن أبين بخدمتكم مقدمة تمهيديه تحليلية، ولعلها تكفينا إذا استكفينا بها في تحليل طول عمر الإمام المهدي عليه السلام وبقائه في هذه المدة رعاه الله، لأنه ولد في سنة ٢٥٥ وهذه السنة التي نعيش فيها سنة ١٤٢٣، فقد مرّ تقريباً ١٢ قرناً على الإمام المهدي رعاه الله.

بداية نقول وكمقدمة تحليلية: إن طول عمر الإمام المهدي عليه السلام إعجاز إلهي، وذلك بإبقائه شاباً متمتعاً بجميع أنحاء الصحة والسلامة بحمد الله، من دون عوارض الشيب، من دون بوادر الدهر، من دون موارد الخطر، محفوظاً بإعجاز الله وإرادته وعزمه وحفظه ورعايته.

حيث أراد عزوجل أن يظهره على الدين كله، أراد أن يحفظ وليّه إلى أن يظهره، وإلى أن تكون ساعة ظهوره على الكون، وعلى الدين.

فكان الحفظ عن جميع هذه العوارض، بحيث يدفع المستحيل، كما أشكل، أو يدفع خلاف المتعارف كما قيل، أو يدفع عدم الملائمة مع الأمور الطبية كما زُعم. الذي يدفعه بنحو جزمي وقطعي.

فإعجاز الله تبارك وتعالى حفظ وليّه للغاية القصوى، والنهاية العظمى التي جعلها له، وهذا الحفظ والصون من جهة الإعجاز ليس بأمر عجيب.

قد يقال بأنه خلاف المتعارف، نحن نقول: كل إعجاز خلاف المتعارف، وأي إعجاز كان وفق الطبيعة والمتعارف؟! تحويل العصا إلى حية تسعى هل هذا متعارف؟! تحويل العصا إلى أمور أخرى، التي كان يستعملها موسى هل كان متعارفاً؟ تحويل الحصى في يد رسول إلى لسان ينطق هل هذا متعارف؟ كله غير متعارف.

فطول عمر الإمام المهدي الذي نثبت أنه بنحو الإعجاز الإلهي تندفع به جميع الشبهات ولانحتاج إلى استدلال إطلاقاً، إعجاز إلهي سبق مثله ودل الدليل عليه كما سنبنيه، لذلك لا ينافي بأن يكون الحفظ الإلهي إعجازاً ربانياً في طول عمره، حتى بالرغم من كونه خلاف الطبائع البشرية.

فكيف أنه سيتلائم مع طبيعة البشر؟ سنقول بملائمته للطبيعة البشرية، ولا ضير ولا عجب في أن يحفظ الله وليه.

وليست هذه هي المرة الأولى التي يظهر فيها مثل هذا الإعجاز، فقد سبق حفظ الله لأوليائه، لرسول الله، ولأمير المؤمنين، فقد حفظ الله أمير المؤمنين من الأخطار القطعية مائة بالمائة، ولا بأس فمن المناسب ــ وهذه أيام الأمير (عليه السلام) ــ أن نتعرض إلى ذكر علي فإنها عبادة[1].

أمير المؤمنين روحي فداه إذا راجعنا السير والتواريخ والروايات نرى أن الله تعالى نجّاه وحفظه من الأخطار القطعية والقتل الجزمي من ابتداء هجرته من مكة إلى المدينة، بل في نفس مكة ليلة المبيت كانت خطراً على علي بن أبي طالب.

كذلك هجرته إلى المدينة وملاحقة المشركين له ليقتلوه، ثم في المدينة غزوات وسرايا وحروب مع النبي روحي فداه وكلها خطر قطعي عليه.

ثم بعيد هجرته إلى الكوفة في واقعة صفين وواقعة النهروان خطر قطعي عليه، حفظه الله من غير أن يصاب بشيء أبداً، بالرغم من تلك الإصابات التي أصابته.

حفظ إلهي لاريب في ذلك.. أتذكر عبارة ابن أبي الحديد المعتزلي في أول نهج البلاغة، يذكر في مناقب علي (عليه السلام) يقول: «ما أقول في رجل وقف لصلاته في ليلة الهرير والسهام تترى عليه أو تمر من صماخه»[2]، هذا أليس

---

[1]- راجع مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣: ٦، والجامع الصغير للسيوطي ج ١: ٦٦٥، وتاريخ دمشق لابن عساكر ج ٤٢: ٣٥٦.

[2]- راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١: ٢٧، وفيه: وأما العبادة... وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده ان يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلي... والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه...

خطراً قطعياً؟ تترى السهام معناه توالي السهام عليه والمرور من (صماخه) موضع الخطر منه حفظه الله تعالى منه.

أو تلاحظون في خطبة الزهراء عليها السلام: «كلما أوقدوا ناراً أطفأها الله...قذف أخاه في لهواتها»[1] أي أن أمير المؤمنين يقذفه رسول الله في فم الموت في لهوات الموت، كلها مخاطر قطعية، مع ذلك حفظه الله تعالى.

وابن دأب له عبارة لطيفة في رسالته: سبعون منقبة لعلي لم يشاركه فيها أحد، أتذكر هذه العبارة، ولعله عين ما ذكره ابن دأب في هذه الرسالة يقول: انصرف علي سلام الله عليه من أحد وبه ثمانون جراحة تنزف الدم، وكانت تصنع له الفتائل لتقيه الدماء فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فرآه جالساً على نطع (البساط الجلدي) وهو كاللّحمة الممدودة المنضودة ــ تفكروا في هذه العبارة: (لحمة ممدودة) من آثار السيوف والسهام والرماح حتى صار كاللّحمة ــ بكى رسول الله، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله بأبي أنت وأمي الحمد لله الذي لم يرني ولّيت عنك ولا فررت، لكن كيف حرمت الشهادة؟ ــ هو يتعجب هكذا حاله شهادة قطعية ــ كيف حرمت الشهادة؟ قال: هي من ورائك يا علي، يقتلك أشقى الأشقياء وتهد مصيبتك الأرض والسماء، ثم يقول: عُدَّ ما بعلي من

[1]- راجع الاحتجاج للطبرسي ج ١: ١٣١.

الجراحات الباقية عليه من قرنه إلى قدمه، فكانت ألف جراحة باقية، ابن دأب يقول ذلك.[١]

الفاصل الزماني بين شهادة الأمير روحي فداه، ووقاء الرسول في المدينة ثلاثون أو أكثر من ثلاثين سنة. كيف كانت الجروح حتى بقي منها ألف جراحة ولم يصبه شيء من جهة منظره، من جهة جماله، من جهة روحه. أبداً لم يشنها شيء.

حفظ الإله حتماً وقطعاً، إذا أراد الله أن يحفظ أحداً يحفظه، وقد رأينا أنه حفظ الأمير من هذه الأخطار القطعية، فكيف لايحفظ ابنه ولا يحفظ ولده الذي أراد أن يظهره على الدين ويملأ به الأرض عدلاً؟! ليس هذا بغريب.

ويدلنا على كونه إعجازاً بالنسبة إلى الإمام الحجة وطول عمره، الروايات الثابتة في المقام بالأسانيد المعتبرة:

منها: حديث الحسين بن حمدان عن الإمام العسكري (عليه السلام) في قول الله بالنسبة إلى الإمام المهدي، هكذا نص العبارة: (فإنه في ضماني وكنفي وبعيني إلى أن أُحقَّ به الحق وأزهق به الباطل).[٢]

ضمان الله هل يمكن فيه التخلف؟ تأمين إلهي وضمان إلهي ورعاية إلهية، ومعها هل يصعب طول لعمر الإمام.

[١]- الاختصاص للشيخ المفيد ص ١٥٨.

[٢]- بحار الأنوار: ٢٧/٥١.

ومنها: الحديث المعتبر بأسناد كذلك، حديث أبي سعيد، يعني إسناد الصدوق أعلى الله مقامه حديث أبي سعيد عن الإمام المجتبى أرواحنا فداه قال: «التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الإماء يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره في صورة شاب دون أربعين سنة»... وطول العمر مع سن الشباب لا يوافق الطبيعة ولكنه إعجاز.«ليعلم ان الله على كل شيء قدير».[١]

الإرادة الإعجازية في الإمام المهدي تحكيه روايات متعددة، للتبرك قرأنا اثنتين فقط من الروايات المتعددة المستفيضة التي يستفاد منها أن طول عمر الإمام المهدي أرواحنا فداه بنحو الإعجاز، وإذا كان إعجازاً حكم على جميع القوانين، وعلى جميع الأمور، ولم يرد هناك إشكال واحد.

لكن من أجل تكميل الاستدلال وإتمام الحجة لابد أن نستدل بالآيات الشريفة وبالأحاديث من طريق الفريقين.

القرآن الكريم

أما على ضوء القران الكريم، فبعد أن قالوا بأن طول العمر مستحيل، أو أنه خلاف العادة، فنقول: كيف يكون مستحيلاً أو مخالفاً للعادة وقد أخبر الله عن ذلك لا في مورد واحد، بل في موارد متعددة في كلامه الصادق،

[١]- إكمال الدين إتمام النعمة: ٣١٦ الحديث ٢ من الباب ٢٩.

بالنسبة إلى نوح على نبينا وآله وعليه السلام تلاحظون في الآية الشريفة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً﴾.[١]

تسعمائة وخمسون سنة بصريح القرآن، إذا كان مستحيلاً فالمستحيل لا يمكن أن يوجد مرة واحدة، كالجمع بين النقيضين الذي هو مستحيل فلا يحدث في العالم ولو لمرة واحدة، والجمع بين المتضادين مستحيل، فلا يمكن أن يحدث في العالم.

إذا كان طول العمر مستحيلاً كيف حصل وأخبر عنه الله تعالى؟! تسعمائة وخمسون عاماً هي مدّة التبليغ، وإلاّ فعمره (٢٥٠٠) سنة، عدّة روايات بينت هذا المعنى. من جملتها حديث منصور بن حازم في أحاديث متعددة عن الإمام الصادق عليه السلام عمر نوح ألفان وخمسمائة سنة ثم أتاه ملك الموت وهو في الشمس فقال له: السلام عليك فردّ الجواب، فقال له: ما جاء بك يا ملك الموت؟ قال جئت لأقبض روحك، قال: تدعني أخرج من الشمس إلى الظل؟ قال: نعم، فتحول نوح من الشمس إلى الظل، ثم قال: يا ملك الموت كأنما مرّ بي من الدنيا (٢٥٠٠) مثل تحولي من الشمس إلى الظل، فامض لما أمرت به، فقبض روحه على هذه الصفة.[٢]

الإمام المهدي روحي فداه لم يبلغ هذا العمر، كيف يكون مستحيلاً؟!

---

[١]- العنكبوت (٢٩): ١٤.
[٢]- إكمال الدين وإتمام النعمة: ٥٢٣.

بل البقاء الأبدي إلى يوم القيامة أخبر الله عنه في القرآن الكريم، كيف؟ أيكون مستحيلاً؟! هذا نبي الله يونس أخبر الله في كتابه عنه ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1] إلى يوم القيامة، كم ألف سنة؟ آلاف من السنين، الله يخبر بأنه لولا هذا التسبيح لكان لابثاً والظاهر من معنى الآية والله العالم، للبث حياً كما فسره العامة والخاصة.

أما من الخاصة، كنز الدقائق المجلد ١١ صفحة ١٨٤ فسره وفسر عن علماء الشيعة للبث حياً.

وأما من العامة، الكشاف للزمخشري المجلد ٤ صفحة ١٦٠ للبث حياً،

يفسرون (اللبث) اللبث حيّاً، بل قد يقال: إن نفس كلمة لبث في العربية لعلها توافق الحياة لا الموت.

وفسره الراغب في المفردات اللبث لغة الإقامة بالمكان أو الملازمة له[2]، من الذي يقيم؟ فإن الميت لا يقيم في مكان ولا يلازم مكاناً، المناسب للإقامة والملازمة هو الحياة.

اللبث في اللغة الإقامة في المكان والملازمة له، ويناسبه أن يكون اللبث حياً لغة وتفسيراً ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ﴾ يعني حياً.

---

[1]- الصافات، الآية: ١٤٢.

[2]- مفردات غريب القرآن: ٤٤٦.

إذاً يمكن أن يلبث يونس، وهو من البشر، في بطن الحوت بدون هواء ولا غذاء ولا ماء وفي أجواء غير طبيعية يلبث إلى يوم يبعثون، يونس يلبث في بطن الحوت، وهو ولي الله ومختار لا يلبث في عالم الدنيا. فهل يمكن أن يقال في مثل هذه الحالة بالاستحالة وعدم العادة، وقد وقعت في الخارج أكثر من مرّة، فلا يمكن أن تكون أمراً مستحيلاً أو مخالفاً للعادة.

فإمكان طول العمر قال به القرآن الكريم ليس فقط لأولياء الله، وإنما وقع في الخارج لأعداء الله أيضاً ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾[1] أعداء الله يمكن أن يبقوا فكيف الأولياء؟ لذا الشيخ الصدوق رحمة الله يقول: إن مخالفينا يقولون بطول العمر في أعداء الله ولا يقولونه في أحبائه[2]، إنه يعترض عليهم .

وعلى هذا فمسألة طول العمر في القرآن الكريم، في الكلام الإلهي، شيء موجود وليس بمستحيل.

بل أخبرت بطول العمر ـــ خصوصاً طول عمر نوح ـــ الكتب المقدسة السابقة، مثلاً: في التوراة، سفر التكوين الإصحاح خمسة في ثلاث آيات ٥، ٨، ١١، وردت الإشارة إلى طول عمره، فما يؤيد مدعانا موجود في الكتب المقدسة أيضاً.

---

[1]- الحجر، الآية: ٣٦ ـ ٣٧.
[2]- كمال الدين للصدوق: ٥٥١، أنظر تعليق الشيخ اعلى الله مقامه على الحديث ١ من الباب ٥٣.

لذلك أصبحت مخالفة الإمكان والاستحالة غير العقلية مما يرده القرآن الكريم أصراحة.

السنة النبوية

وأما من السنة المباركة، فالأحاديث متظافرة، بل متواترة ونحن اخترنا عشرة من الأحاديث بالأسانيد الصحيحة ليحصل بها العلم. لكن رواية واحدة للتبرك فقط متواترة من طريق الخاصة ومن طريق العامة، أويشهد به نفس العامة، وسنقرأ نصوصهم التي يشهدون بها، فكيف يقال بالاستحالة أو بعدم الإمكان؟!

أما من أحاديث الخاصة فصريح حديث سدير الصيرفي: المفضل عن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه.. (وأما العبد الصالح أعني الخضر) الذي أعطاه الله من العمر ما يقارب أربعة آلاف سنة لأنه حفيد نوح إلياس بن أروخش بن سام بن نوح، حفيد نوح النبي، لعل ما يستفاد من بعض التواريخ أنه عمّر إلى الآن ما يقارب أو أكثر من أربعة آلاف سنة... «وأما العبد الصالح أعني الخضر عليه السلام فإن الله تبارك وتعالى ما طوّل عمره لنبوّة قدّرها له، ولا لكتاب ينزله عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله، ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بل إن الله تبارك وتعالى لما كان في سابق علمه أن يقدر من عمر المهدي في أيام غيبته ما

يقدر، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، طوّل عمر العبد الصالح الخضر». [١]

فالاستدلال بغاية خلقه الله خضر استدلال على عمر المهدي ليقطع بذلك حجة المعاندين لئلاّ يكون للناس على الله حجة يقبلونها، فكيف يمتنعون ويقولون باستحالتها؟!

هذا من الخاصة.

وعرضت بخدمتكم روايات متواترة في هذا المقام .

وكذلك من العامة روايات متظافرة في الكتب المعتبرة منهم بألفاظ مختلفة: أنه يعود شاباً وهو شيخ، يعود وفيه سنة التعمير، يعود وهو مثل الخضر، ألفاظ مختلفة في رواياتهم.

ينقل تلك الروايات ويعترف بصحتها وصراحتها في كتاب البيان لصاحب الزمان، الكنجي الشافعي يقول:

«أما بقاء المهدي، فقد جاء في الكتاب والسنة: أما الكتاب فقد قال سعيد بن جبير في تفسير قوله عز وجل ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [٢] المهدي من عترة فاطمة». [٣]

[١]- إكمال الدين وإتمام النعمة: ٣٨٦ الحديث ٥٠.
[٢]- التوبة (٩): ٣٣.
[٣]- البيان للكنجي الشافعي ص ٢٨. وراجع كشف الغمة للأربلي ج ٣: ٢٩٠.

بإشارة هذه الآية، إشارة لطيفة يتنبه لها هذا الشخص، لاحظوا الله تعالى يقول: ليظهره، وليس ليبعثه، لو كان ليبعثه يمكن بعد الموت، البعث يكون بعد الموت، لكن الظهور بعد الخفاء، فالمهدي خفي يظهره الله على الكون.

وسعيد بن جبير يفسر ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ بظهور الإمام المهدي بعد أن كان له من العمر والحياة .

وأما السنة فما تقدم من الأحاديث التي بينتها بخدمتكم من جهة ألفاظها، وهي صريحة صحيحة في هذا المقام.

وكذلك ما يقرب من هذا البيان والتعبير بيّنه القندوزي في ينابيع المودة.

وعبد الوهاب الشعراني في اليواقيت والجواهر.

ومحمد في فصل الخطاب.

وابن حجر في القول المختصر.

وشهاب الدين الهندي في هداية السعداء

كما أحصى الأقوال والقائلين والروايات في إحقاق الحق المجلد ١٩ صفحة ٦٩٨.

فمن جهة الروايات من الفريقين لا استحالة فيها لطول العمر.

لذلك مما لا يكاد ينقضي التعجب عنه، أن بعض المخالفين المنحرفين ادعى شيئاً سفسطة ظاهراً وكذباً، فقد جاء في بعض كتب المنحرفين: الشيعة تدعي طول عمر الإمام المهدي ورواياتهم تكذب طول عمر المهدي،

وتقول لو مدّ الله في أجل أحد من بني آدم لـمّد الله في أجل رسول الله، في رواية من رواياتهم.

نحن نقول بأن الإمام المهدي طويل العمر روحي فداه، وإمامنا يقول: لا، ويكذب هذا المعنى، أي أن المهدي ليس بطويل العمر ولو مدّ الله في أجل أحد لمدّ الله في أجل رسول الله، سفسطة ظاهرة، أخي العزيز لماذا؟!

الرواية التي يشير إليها هذا الشخص موجودة في بحار الانوار[1]، وهي من روايات محمد بن أبي عمير الأزدي رضوان الله عليه صاحب المراثي المعتبرة،يرويها عن الإمام الرضا عليه السلام دققوا في الحديث:

قلت للرضا عليه السلام جعلت فداك قوم قد وقفوا على أبيك ــ يعني الواقفة علي بن أبي حمزة البطائني وأمثاله ــ قوم قد وقفوا على أبيك يزعمون أنه لم يمت، قال الرضا روحي فداه: كذبوا وهم كفار بما أنزل الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وآله، ولو كان الله يمد في أجل أحد من بني آدم لحاجة الخلق إليه لـمّد الله في أجل رسول الله صلى الله عليه وآله.

الرواية في صدد النقد على قول الواقفية، وترد قول الواقفية، ولا ترد طول عمر الإمام المهدي، كما ادعى وحرّف وزوّر في سفسطة له. هذا أولاً.

ثم الحديث بمتنه حتى لو لم يكن في هذا المقام بهذه القرينة، لا يحتمل أن يكون ردّاً على طول عمر الإمام المهدي روحي فداه، لماذا؟

---

[1]- بحار الأنوار: ٤٨/ ٢٦٥ الباب ٤٤ الحديث ٢٥.

لو كان الله يمد في أجل أحد من بني آدم لحاجة الخلق إليه، لا منافاة أن لا يمد في الأجل لحاجة الخلق، يمده لإظهار دينه، يمده لانتشار عدله، لظهور دولته.

التعليل في هذا الحديث يحصل بموردين، المد في الأجل لاحتياج الخلق لو كان لكان في رسول الله، نحن نقول: هذا المد في أجل الإمام المهدي (عليه السلام) لأجل أن يظهره على الكون كله لا لأجل احتياج الخلق إليه هذا ثانياً.

ثم ثالثاً إن الرواية أجنبية عن الاستدلال بهذا المقام لأن الرواية قالت: لو كان الله يمد في أجل أحد ... وليس في عمر أحد، وهناك فرق بين الأجل وبين العمر، فالشخص له أجل في يوم كذا يمد الله في أجله، يؤجل أجله في اليوم الآتي أو بعده، أو في سنة وراءها أو في مائة سنة وراءها يمد في الأجل.

لكن مسألة المد في العمر غير المد في الأجل، الله تبارك وتعالى جعل أجل الإمام المهدي بعد الظهور، من أول الأمر أجله مؤجل أجله ممدد، لم يمد في أجله، بل قدّر له أجلاً وعمراً طويلاً بدون أن يطيل عمره، بدون أن يمد في أجله.

لم يجعل الله تعالى أجل المهدي في وقت قريب من ولادته ثم يمد في أجله حتى يردوا هذا الحديث، أبداً وإنما قدر الله له من أول الأمر، من قبل ولادته قدر له أن يموت ويستشهد بعد ظهوره وبعد دولته، لم يمد في أجله حتى يردوا هذا الحديث.

كلام عربي صحيح فصيح (لو كان الله يمد في أجل) ليس في العمر، والله لا يمد في أجل المهدي، وإنما مد في عمره، والأجل كان مدّ من أول الأمر وقبل خلقته، لا يرتبط الحديث بهذا المعنى، كيف يسوق الكلام بأنه هذا إمامهم أو رواياتهم ترد على هذا المعنى؟!

لذلك فالأحاديث من الفريقين لا تحتمل أي شبهة إنصافاً، بل هي تثبت طول عمر الإمام المهدي أرواحنا فداه بدون أي شك وبدون أي دغدغة في المقام.

الوجدان:

ويمكن الاستدلال به على طول عمر الإمام (عليه السلام) بعد القرآن والسنة النبوية المباركة، فسليم الوجدان الذي لا يخالف فطرة الإنسان يشهد بطول عمر الإمام المهدي، بعد تظافر وتواتر نقل مشاهدته في الغيبة الكبرى والذين رأوه من مقدّسي العلماء من الصلحاء ومن الأبرار ومن الصادقين ومن العدول، رأوه وشهدوا وأخبروا برؤيته في الغيبة الكبرى.

لابد أن يحس الوجدان أنه باقٍ فيرى، وليس هناك خبر واحد أو عشرة، بل أكثر، وكلها شهادات في رؤية الإمام المهدي من قبل الصالحين، من قبل الطيبين، من قبل الصادقين في هذا المقام.

لاحظوا بحار الأنوار المجلد ٥٢ صفحة ١ إلى ٩٠، فقد أحصى من شاهدوا الإمام (عليه السلام) في زمن الغيبة الكبرى.

تبصرة الولي في مواضيع المهدي للسيد الجليل البحراني رحمه الله.

دار السلام فيمن فاز بالإمام للشيخ الميثمي العراقي.

بدائع الكلام فيمن اجتمع بالإمام للسيد اليزدي الطباطبائي.

البهجة فيمن فاز بلقاء الحجة للميرزا الألماسي.

العبقري الحسان في تواريخ صاحب الزمان للشيخ النهاوندي.

إلزام الناصب للشيخ اليزدي.

هذه الكتب تذكر من شاهد الإمام وهم ممن شهد بوثاقتهم وعدلهم، بل عرفوا بذلك، أمثال العلامة الحلي، أمثال السيد بحر العلوم رحمه الله، ممن لا يحتمل في حقهم الكذب وخلاف الواقع أبداً.

فثبت وجوده عياناً ووجداناً، وليس بعد العيان بيان.

الطبيعة البشرية:

ثم الدليل الرابع بالنسبة إلى طول عمر الإمام المهدي أرواحنا فداه على صعيد الطبيعة البشرية، ولعل بعض الشبهات تثار الآن على هذا الصعيد، فيدّعون أن طبيعة البشر لا تتحمل طول العمر بهذه المثابة وهذا المقدار.

وهذا مردود، لأن الطبيعة البشرية تحتمل طول العمر بكل سعة، وبدون أي امتناع وأي غرابة، ويشهد بذلك إحصاء من عمروا وطال عمرهم فوق الألف.

في كتاب (المعمرون) لأبي حاتم السجستاني من أبناء العامة، شهد وأخبر عمن طال عمرهم، أحصينا من هذا الكتاب ومن كتاب الإمامة والمهدوية وإلزام الناصب والكتب التي ذكرت من طال عمرهم، نبذة قليلة ممن طال عمرهم ممن يشهد لهم بذلك وصدقت شهاداتهم، يعني الأخبار بطول عمر هؤلاء ممّا هو متيقّن قطعاً مثلاً:

يستفاد من الروايات والتأريخ الصحيح أن آدم عمّر ٩٣٠ سنة.

شيت بن آدم عمّر ٩١٢ سنة.

إدريس عمّر ٩٦٠ سنة.

ذوالقرنين عمّر ٣٠٠٠ سنة.

لقمان عمّر ٣٥٠٠ سنة.

عوج بن عناق عمّر ٣٠٠٠ سنة.

الضحاك عمّر ١٠٠٠ سنة.

الفارسي عمّر ٧٥٠ سنة.

فريدون عمّر ١٠٠٠ سنة.

ليس المعمّرون عشرة أو عشرين فقط حتى تكون الطبيعة البشرية عاجزة عن ذلك.

وإليك ما أخبر به أبو الصلاح الحلبي رحمة الله عليه تلميذ السيد المرتضى قدس الله روحه في تقريب المعارف[1] قال: أما استبعاد ذلك ــ طول عمر الإمام

[1] ـ تقريب المعارف: ٤٤٩.

الحجة عليه السلام ــ فالمعلوم خلافه، وذكر الإجماع على طول عمر جماعة مثل: نوح والخضر ولقمان، بل غير الصالحين أيضاً، ثم قال: وإذا كان ما ذكرنا من أعمار هؤلاء معلوماً لكل سامع للأخبار، وفيهم أنبياء صالحون، وكفار معاندون، وفساق معلنون، سقط دعوى خصومنا.

هل كان عمر الغائب خارقاً للعادة؟ كلاّ، لقد عمروا كثيراً فحصلت بهم العادة لثبوت أضعاف عمر الإمام الحجة الحالي، أربعة آلاف سنة عمر الخضر، هل ذلك أكثر أم عمر الإمام المهدي؟

لذلك فإن الطبيعة البشرية التي أشكل بها على طول عمر الإمام المهدي هي تؤيد طول عمر الإمام المهدي أرواحنا فداه.

الأصول العلمية:

وأما على صعيد الأصول العلمية، وأتذكر قبل ليلتين سأل بعض الاخوان على الانترنيت: هل يمكن إثبات طول عمر الإمام المهدي بحسب الأصول الطبية، أو بحسب الموازين الطبية؟

مسألة التحقيقات التجريبية والمطالعات العلمية في علم الحديث تؤيد مائة بالمائة طول عمر الإمام روحي فداه، بل تؤيد طول عمر البشر عامّة بعد بيان ما يلزم في طول العمر.

نص واحد ننقله من خبراء هذا الفن من الجراحين والأطباء المشتغلين في الجراحة من مجلة المقتطف المصرية العدد ٣ السنة ١٩٥٩ صفحة ٢٨٣، أنا

صورت ثلاث صفحات من هذه المجلة، أقرأ بعض النصوص وبعض العبارات، لتعلموا أنه على الصعيد الطبي يمكن، بل يعلم إمكان طول العمر، بل هو محقق فعلاً، يقول العلماء الموثوق بعلمهم:

إن كل الأنسجة الرئيسية من جسم الحيوان تقبل البقاء إلى مالا نهاية، بل والإنسان أيضاً يقبل البقاء حياً ألوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تقصر حبل حياته.

وقولهم هذا ليس فقط نظرية، بل عملية مؤيدة بالامتحانات.

فقد تمكن أحد الجراحين من قطع جزء من الحيوان وإبقائه حياً أكثر من السنين التي يحياها، وهذا الجراح الدكتور لكسي كارل من المشتغلين في معهد (روفلر) امتحن ذلك في قطعة من جنين الدجاج، فبقيت تلك القطعة حية نامية أكثر من ثمان سنوات، وهو وغيره امتحنا قطعاً من أعضاء جسم الإنسان من أعضائه وعضلاته وقلبه وجلده وكليته، فكانت تبقى حية نامية مادام الغذاء اللازم لها موفوراً في زمان طويل.

حتى قال الأستاذ بيمندورول من أساتذة جامعة هوبنز: إن كل الأجزاء الخلوية الرئيسية من جسم الإنسان قد ثبت أن خلودها بالقوة، بل هو مثبت بالامتحان، ثم أخبر الدكتور ورون لويس أنه يمكن وضع أجزاء خلوية صناعية في جسم الإنسان، وتوالت التجارب فظهر أن الأجزاء الخلوية في أي حيوان، وأي إنسان يمكن أن يعيش، بل يمكن أن يتكاثر مادام له الغذاء المناسب.

ثم شرع في بيان تجاربه إلى أن حصل على عدة نتائج:

أ ــ إن هذه الأجزاء الخلوية تبقى حية ما لم يعرضها عارض يميتها.

ب ــ إنها لا تكتفي بالبقاء حية بل تنمو خلاياها وتتكاثر، بخلاف الشبهات المطروحة طبياً من أن الخلايا تموت، بل يمكن تجديد وتكاثر الخلايا.

جـ ــ يمكن نموها وتكاثرها ومعرفة ارتباطها بالغذاء.

د ــ لا تأثير للزمن عليها حتى أنها تشيخ وتضعف بمرور الزمن، فشيخوخة الأحياء ليست سبباً بل هي نتيجة.

وذكر الاستدلال على ذلك والاستناد إلى التجارب التي وصلته من أطباء وجراحين عدّة في هذا المقام.

على صعيد الأصول الطبية، الأصول العلمية لا تنفي، بل تؤيد مسألة طول العمر.

فطول عمر الإمام المهدي أرواحنا فداه بالإضافة إلى الاستدلال الرئيسي الذي عرضته بخدمتكم وهو الأعجاز، يمكن الاستدلال له بالأمور الخمسة، ويثبت طول العمر، وهو واقع، ورعاه الله تعالى من كل سوء إن شاء الله.

اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً، برحمتك يا أرحم الراحمين.



عميد المنبر الحسيني

الشيخ الدكتور أحمد الوائلي

إعداد وتحقيق

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

٧٤



اسم الكتاب: ....محاضرات حول الإمام المهدي عليه السلام

تأليف: ....عميد المنبر الحسيني الشيخ الدكتور أحمد الوائلي رحمه الله

إعداد وتقديم: ..... مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

رقم الإصدار: ٢٥٩

الطبعة: ....الثانية (المحققة) ١٤٤٢هـ

عدد النسخ: ....(طبعة محدودة)

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

العراق- النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٩٧٤٤٤٧٤ - ٠٧٨١٦٧٨٧٢٢٦

www.m-mahdi.com

info@m-mahdi.com

السؤال الثالث: هل يمكن أنْ يتمتَّع بشر بهذا المقدار الطويل من العمر؟ وما فائدته وهو غائب عنَّا؟

الجواب:

أنَّ طول العمر ممكن، وفعلاً إجماع المسلمين هو أنَّ الخضر حيٌّ، ولا يقولون طبعاً: إنَّ الخضر حيٌّ بشكل طبيعي، يعني نحن لا نتكلَّم في نطاق طبيعي، بل في نطاق المعجزة، فلا يوجد إشكال فعندما نأتي إلىٰ بعض المعاجز التي حدثت، مثلاً النطق الذي هو من سمات الإنسان ولا يُنتَظر من الجذع أو الشجرة أنْ تتكلَّم ويخرج منها الكلام، بينما نقرأ في القرآن أنَّ الكلام كان يخرج إلىٰ النبيِّ موسىٰ عليه السلام عن الشجرة[2]. المسلمون كلُّهم يروون حنين

(٢) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ في سورة (القَصص: ٣٠): ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

الجذع لوفاة النبيِّ صلى الله عليه وآله[1]، كلُّهم يروون لا نرويها نحن فقط، بل المذاهب الإسلاميَّة كلُّها ترويها.

حينما يحنُّ الجذع ويتكلَّم لا تعتبره إشكالاً لأنَّه معجزة، لكن أنْ يطول عمر إنسان تعتبره إشكالاً لماذا؟ صحيح أنَّ طول العمر غير طبيعي، ونحن لا نقول: إنَّه طبيعي، بل معجز. إنَّ كثرة الأحاديث التي تلزمنا بوجود الإمام المهدي عليه السلام تلزمنا بأنْ نُوجِّهها وليس أنَّنا نشتهي ونأتي برواية خياليَّة ونبحث لها حلولاً. كلَّا، إنَّ الروايات عن النبيِّ صلى الله عليه وآله تأخذ بعنقي وتجبرني علىٰ الاعتراف بوجود الإمام المهدي عليه السلام وتوجيهها، وليس لها توجيه إلَّا هذا، وهو أنْ يكون طول العمر علىٰ الإعجاز ليس إلَّا، وعادةً لا يُعمّر الإنسان أكثر من العمر الطبيعي، فإذا عمّر أكثر منه فلا بدَّ أنْ يكون وضعه غير طبيعي ومعجزة ويعني خروج عن الحدِّ المألوف وكلُّ المعجزات هي خروج عن الوضع الطبيعي فإمَّا أنْ نُنكِر المعجزات كلَّها وإمَّا أنْ نعترف بالبعض دون البعض الآخر فيصبح تحكُّماً.

إنَّ طول العمر بالنسبة للإمام إذن معجزة وليس أمراً طبيعيًّا فإذا كان معجزة فلا يوجد إشكال إطلاقاً كما اعتقد المسلمون بوجود الخضر وعيسىٰ عليه السلام وأنَّه رُفِعَ إلىٰ الله ولم يمت، فكذلك الإمام المهدي عليه السلام.

---

(١) أي حنين الجذع لـمَّا تحوَّل صلى الله عليه وآله إلىٰ المنبر، وكان الجذع أُسطوانة في المسجد، وكان يستند إليه إذا خطب، ولـمَّا تحوَّل إلىٰ المنبر صدر عنه حنين، فلمَّا جاء إليه والتزمه سكن، وهو من معاجزه صلى الله عليه وآله؛ وقد روته مصادر المسلمين، راجع: صحيح البخاري (ج ٦/ ص ٤٤/ ح ٣٢٠٧)، وسُنَن ابن ماجة (ج ١/ ص ٤٥٤ و٤٥٥/ باب ما جاء في بدء شأن المنبر)، وسُنَن الترمذي (ج ٢/ ص ٨/ ح ٥٠٣، وج ٥/ ص ٢٥٤/ ح ٣٧٠٦)، إلىٰ غير ذلك من المصادر.

وللإجابة عن التساؤل الآخر عن مردود فكرة الإمام المهدي عليه السلام علىٰ الأُمَّة وكونها تشلُّ حركة الأُمَّة نقول: كلَّا، بل العكس، لأنَّ الذي جاءت الروايات وقالت: إنَّ المهدي موجود لم تقل: اترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أبداً واترك الجهاد. إنَّ المسلمين بصورة عامَّة يرون أنَّ الأمر بالجهاد قائم فإذا توفَّرت شروط الجهاد يتعيَّن عليهم أنْ يجاهدوا وهكذا شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا توفَّرت يتعيَّن عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذن فكرة الإمام المهدي عليه السلام لا تشلُّ حركتي ولا تقول لي: إذا أردت أنْ تبني مصنعاً لا تبني ولا إذا أردت أنْ تحرث أرض لا تحرثها أو تزرعها ولا إذا داهمك عدوٌّ انتظره إلىٰ أنْ يدخل بلدك أبداً، القرآن يأمرني باستثمار الطاقات ويأمرني في الوقت نفسه بالدفاع عن مقدَّساتي يأمرني بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إذن فكرة الإمام المهدي عليه السلام ليس فيها إشلال لحركة الأُمَّة كما يتصوَّر البعض أبداً. هذه كُتُب الإماميَّة انظر باب الجهاد، هل نُسِخَ باب الجهاد من كُتُب الإماميَّة؟ هل يقول فقهاؤنا اليوم: إنَّ الجهاد معطَّل أو أنَّ حكمه قائم؟ طبعاً إنَّ حكمه قائم، يعني إذا كان هناك شخص يظلمك فهل تقول رواياتنا: إذا خرج صاحب الزمان يأخذ لك حقَّك؟ يقول القرآن الكريم: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤).

إذن دعوىٰ أنَّ فكرة الإمام المهدي عليه السلام تشلُّ طاقات الأُمَّة وتُحوِّلها إلىٰ كيان مسلوب الإرادة ينتظر أنْ يأتي شخص فيحلَّ له مشاكله مغالطة صريحة ولا توجد هذه الفكرة عندنا نهائيًّا.

حول
رؤية المهدي المنتظر

الشيخ حسين كوراني

❋ ثانياً ــ العمر الطويل:

❋ أول ما يواجهنا في الحديث عن الإمام المنتظر ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ مسألة العمر الطويل. . . فهل يعقل أن يعيش إنسان أكثر من أحد عشر قرناً من الزمن؟!

ولولا إنشدادنا للمألوف. . وابتعادنا عن تحكيم العقل. . أو سعة الاطّلاع في هذا الصدد لما كان يوجد أي مبرر لطرح هذا التساؤل والإجابة عنه!

وبالنسبة للمسلمين الشيعة والسنّة يكفينا التذكير بنبيّ الله عيسى عليه السلام حيث إنه بإجماع المسلمين حيّ يرزق، وعمره عليه السلام قارب الألفين من السنين، ولا يزال حياً إلى الآن، وكذلك إدريس النبي وقد رفعه الله إليه. .

فكيف إذا تخطينا ذلك إلى نبيّ الله نوح عليه السلام الذي ورد في حديث معتبر أنه عاش ألفين وخمسمائة سنة، ثمانمائة وخمسين منها قبل النبوة. وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم، وسبعمائة عام بعدما نزل من السفينة ونضب الماء فمصّر الأمصار وأسكن أولاده البلدان[1].

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق عليه الرحمة/ ٥٢٣، البحار ٦/ ٣١٤، =

والسامريّ.. وقول الله سبحانه: ﴿فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس﴾[1].

وكذلك الخضر عليه السلام، وكل هذه الشواهد مما أجمع عليه المسلمون، بل هي من صلب المسلّمات لديهم.. وجزء من معتقدهم حيث انها وردت في القرآن الكريم إجمالاً.

والشواهد على مسألة طول لعمر لا تنحصر بما تقدم.. فالمعمرون المبثوثة أخبارهم في كتب التاريخ كثيرون جداً، منهم من عاش ألفي سنة أو ألفاً أو ستمائة سنة أو أكثر أو أقل.

بل ذكر في بعض المصادر الشيعية والسنية من عاش ألفين وخمسمائة سنة أو أربعة آلاف سنة.

ولست هنا بصدد ذكر المعمّرين وأخبارهم، وإنما أريد التنبيه على أن هذه الحقيقة مفروغ منها، تناقلتها الكتب عبر القرون[2].

والمسلمون يجمعون على عمره الطويل عليه السلام، نعم قد يختلفون في تحديد سنيّه التي هي ألف على أقل تقدير رأيت، كما في المعارف لابن قتيبة/ ٢٤.

(١) سورة طه الآية ٩٧.

(٢) من هذه الكتب على سبيل المثال:

أ ـ المعارف لابن قتيبة، فقد ورد فيه ص٤٣ أن فرعون موسى هو فرعون يوسف عليهما السلام عمّر أكثر من أربعمائة سنة وأن نمرود عمّر خمسمائة سنة ص٢٨ وأن آدم عليه السلام عاش ألف سنة ص١٩، وبحسب التوراة تسعمائة وثلاثين سنة، وأن شيث بن آدم عليهما السلام عاش تسعمائة واثني عشر عاماً

وينبغي أن نفرّق بين أمرين:

أ ـ أن طول عمر إنسان أمر غير معقول.

ب ـ أنه أمر غير اعتيادي.

أما الأول فلا سبيل إلى الاعتقاد به.. باعتبار أن طول العمر وقع للكثيرين، وكفى بذلك دليلاً ومعقوليّة.

وأما الثاني فلا ننكره.. إلا أن الأمور غير العادية ملء السمع والبصر.. ولا يقول أحد من العقلاء إن كون أمر ما غير اعتيادي دليل على عدم وجوده أو عدم صحته. والقرآن الكريم يحدثنا بكثير من الأمور التي تزيد غرابة عن طول عمر إنسان آلاف السنين، ونحن نعتقد بها ونجزم بصحّتها.. أوليس الإعتقاد بأن الله يبعث جميع من في القبور ويحشرهم على صعيد

ص٢٠، وأن الحارث الرائش يقال أنه عاش ألفين وأربعمائة ونيّفا وخمسين عاما ص٦٢٧، وأن «جم» الملك الايراني المعروف ملك تسعمائة وستين عاما ص٦٥٢.

ب ـ وقد أورد المحدث الكراجكي في «كنز الفوائد» ٢٤٨ ـ ٢٦٧ أسماء حوالي أربعين معمرا تتراوح أعمارهم بين المائتين والآلاف.

جـ ـ كما تجد قوائم بأسماء المعمّرين في «إعلام الورى بأعلام الهدى»/ ٤٧٢ وما بعدها، وتذكرة الخواص لسبط بن الجوزي/ ٣٦٤، والغيبة للشيخ الطوسي ٧٦ ـ ٨٧، وأمالي السيد المرتضى، وفي منتخب الأثر ٢٧٦ ـ ٤٧٧ استقصاء مما جاء في التوراة حول أعمار آدم وشيث عليهما السلام وغيرهما من المعمّرين. كما تجد في «منتخب حقيقي» فارسي/ ٢٧٥ قائمة بأكثر من خمسين معمّرا تتراوح أعمارهم بين المائة والخمسين والأربعة آلاف عاما.

واحد. أشد غرابة من بقاء إنسان حياً آلاف السنين؟! وغير ذلك مما يزخر به القرآن الكريم[1].

فهل ترانا نتوقف في هذه الأمور لغرابتها أم أننا نقبلها لأن الغرابة والاستبعاد لا يقويان على مواجهة الدليل؟ بل يرى بعض علمائنا أن لا استبعاد في ذلك أصلا.

قال الشيخ الطوسي عليه الرحمة: «لا استبعاد في طول حياة القائم عليه السلام لأن غيره من الأمم السالفة عاش ثلاثة آلاف سنة كشعيب النبي ولقمان عليهما السلام، ولأن ذلك أمر ممكن، والله تعالى قادر عليه»[2].

❊ **وتقول:**

لا نرفض أن يطيل الله سبحانه عمر نبيّ من أنبيائه لمصلحة يريدها، وما عدا ذلك مرفوض.

❊ **والجواب:**

إن تحديد طول العمر بالأنبياء خطأ دون شك، والدليل عليه بقاء إبليس عليه اللعنة حياً إلى الوقت المعلوم[3].

فإطالة العمر إذاً وهي من الله تعالى قد تحصل للنبي ولغيره

---

(١) يأتي مزيد ايضاح لذلك تحت عنوان «في ظلال الغيب» في هذه المقدمة.

(٢) الرسائل العشر للشيخ الطوسي/ ٩٩.

(٣) النقض بابليس ذكره الكراجكي في كنز الفوائد/ ٢٤٤، والصدوق في «كمال الدين وتمام النعمة»/ ٥٣٠. وذكره الكنجي في «البيان» كما حكاه عنه الشبلنجي صاحب «نور الأبصار» راجع موسوعة الإمام المهدي (ج١/ ٣٨٣).

وللمؤمن ولغيره، للمسيح النبي وللدجّال أيضاً كما هو المشهور بين المسلمين سنّة وشيعة.

بل جاء في بعض النصوص أن طول عمر الخضر سببه علم الله سبحانه بما سيكون من إنكار عمر الإمام المهدي عليه السلام: «ولذلك طوّل الله عمر العبد الصالح الخضر من غير سبب يوجب ذلك إلا لعلة الإستدلال به على عمر القائم، وليقطع بذلك حجة المعاندين لئلا يكون للناس على الله حجة»[1].

نستنتج مما تقدّم أن بقاء إنسان حياً إلى يوم القيامة أمر يجمع عليه المسلمون كافة.

وأما وقوع ذلك ـ العمر الطويل ـ فهو أيضاً لا خلاف فيه، حيث لا يعتبر مسلماً من لا يؤمن بطول عمر النبي عيسى على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام.

فلا مجال إذاً للنقاش في الإمكان والوقوع بشكل عام.. إنما لك أن تسأل هل وقع ذلك لصاحب الأمر عجّل الله تعالى فرجه؟

* **والجواب**:

* **أولاً**: يجمع علماء الشيعة على ولادته، ويقدمون أدلة موضوعية تثبت ذلك وكلّ من تصدّى للنقاش فيها لم يدل بحجة

---

(1) كمال الدين وتمام النعمة/ ٣٥٧، وغيبة الشيخ/ ١٠٨، ومنتخب الأثر/ ٢٦١.

مقنعة.. بل اعتمد على الإستبعاد والاستغراب، وقد عرفت الأمر فيهما.

* **ثانياً**: يصرّح أكثر من ثمانين من علماء السنّة بولادته عليه السلام[1]، وفيهم العلماء الكبار المعترف بعلمهم وزهدهم وفضلهم، واذكر هنا بعض النماذج من كلامهم، محيلاً في سواها إلى المصادر التي استوفت الحديث في الموضوع:

أ ـ قال الشعراني في كتابه «اليواقيت والجواهر»: فهناك يترقّب خروج المهديّ عليه السلام، وهو من أولاد الحسن العسكري. ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام، فيكون عمره إلى وقتنا هذا وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة.. سبعمائة سنة وستاً وستين، هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي (...) ووافقه على ذلك شيخنا سيد علي الخواص[2].

---

(١) انظر «كشف الأستار» للمحدث النوري صاحب «مستدرك الوسائل» ومقدمة السيد علي الميلاني على الكتاب (٨ ـ ١٢)، وقد بلغ عدد من أحصاهم السيد الميلاني من علماء السنة المصرّحين بولادته عليه السلام ثلاثة وثمانين شخصاً، وفي مقدمة موسوعة الإمام المهديّ/ ١٧ أن عدد المصرّحين بولادته من علماء السنّة يفوق المائة والعشرين عالماً.

(٢) موسوعة الإمام المهديّ عليه السلام ج١ وهي تحوي صورا لفصول من كتب علماء سنّة يتحدثون فيها عن الإمام المهديّ، ومنها صورة للمبحث الخامس والستين من «اليواقيت والجواهر» ومنه أخذ هذا النص، وراجع «كشف الأستار» =

ب ـ عقد الشبلنجي في «نور الأبصار» فصلاً في أخبار المهديّ مصرحاً بولادته ونسبه الشريف من الإمام العسكري إلى الإمام أمير المؤمنين عليهم السلام جاء فيه:

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي في كتابه: «البيان في أخبار صاحب الزمان»:

«من الأدلة على كون المهديّ حيًا باقيا بعد غيبته وإلى الآن وأنه لا امتناع في بقائه، بقاء عيسى بن مريم والخضر والياس من أولياء الله تعالى، وبقاء الأعور الدجّال وإبليس اللعين من أعداء الله تعالى، وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنّة الخ..»[1].

(٤٧ ـ ٥٢) تجد ترجمة للشعراني والعراقي والخواص تدل على سمو قدرهم بين العلماء السنّة، وتجد حديثا مسهبا حول تهافت القول بعدم ولادته في «كشف الأستار» أيضا ص١٠٢ وما بعدها. وقد أورد الصافي في «منتخب الأثر/ ٣٢٤» نص الكنجي هكذا: الباب الخامس والعشرون في الدلالة على جواز بقاء المهديّ عليه السلام منذ غيبته، ولا امتناع في بقائه بدليل.. إلى آخر ما ورد هنا، ويلاحظ أن الصافي يذكر أن الباب الخامس والعشرين من «البيان» هو المخصص لذلك، وسيأتي عن المحدث النوري أنه الباب الرابع والعشرون.

(١) موسوعة الإمام المهدي ج١/ ٣٨٣ وفيها صور هذا الفصل من كتاب «نور الأبصار» للشبلنجي. وقد أورد المحدث النوري في «كشف الأستار»/ ٤٣ بعض نصوص الكنجي في كتابه «البيان» منها قوله عن الإمام العسكري: «وابنه وهو الإمام المنتظر»، كما ذكر ان الباب الرابع والعشرين من «البيان» مخصص للإستدلال على جواز بقاء المهديّ منذ غيبته. (الكنجي من كبار الحفاظ والعلماء السنة توفي عام ٨٥٨ هـ. كما في «كشف الأستار»/ ٤٢. كما أورد

جـ ـ قال العالم الكبير محمد بن طلحة في كتابه «مطالب السؤول» الباب الثاني عشر في أبي القاسم محمد بن الحسن الخالص بن علي المتوكل بن محمد القانع بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الزكي بن علي المرتضى أمير المؤمنين بن أبي طالب، المهديّ الحجّة، الخلف الصالح، المنتظر عليهم السلام ورحمة الله وبركاته[1].

※ وقال في الباب الحادي عشر من كتابه في معرض ترجمة الإمام العسكري عليه السلام:

«اسمه الحسن وكنيته أبو محمد ولقبه الخالص. وأما مناقبه فاعلم أن المنقبة العليا والمزية الكبرى التي خصّه الله عزّ وجلّ بها (. . .) وجعلها صفة دائمة لا يبلي الدهر جديدها، ولا تنسى الألسن تلاوتها وترديدها أن المهديّ محمداً نسله المخلوق منه، وولده المنتسب اليه (و) بضعته المنفصلة عنه، وسيأتي في الباب الذي يلي هذا الباب شرح مناقبه وتفصيل أحواله إن شاء الله»[2].

د ـ الفضل بن روزبهان صاحب الرد على كتاب العلاّمة

بعض نصوص «البيان» الشيخ الصافي في «منتخب الأثر»/ ٣٢٤ منها: «وخلف ابنه وهو الإمام المنتظر».

(١) «كشف الأستار»/ ٤١، وتجد مدح بعض كبار علماء السنّة لابن طلحة في المصدر نفسه/ ٤٠، ومنتخب الأثر/ ٣٢٥.

(٢) منتخب الأثر.

الحلي «نهج الحق» والذي سماه: «إبطال الباطل»، وهو مع شدة تعصبه وإنكاره لجملة من الأخبار الصحيحة الصريحة، بل بعض ما هو كالمحسوس، وافق الإمامية في ولادة الإمام المهديّ فقال تعليقاًعلى ما ذكره العلاّمة من فضائل الزهراء والأئمة عليهم السلام.

قال الفضل: «أقول: ما ذكر عن فضل فاطمة صلوات الله على أبيها وعليها وعلى سائر آل محمد السلام أمر لا ينكر، فإن الإنكار على البحر برحمته، وعلى البر بسعته، وعلى الشمس بنورها، وعلى الأنوار بظهورها، وعلى السحاب بجوده، وعلى الملك بسجوده إنكار لا يزيد المنكر إلا الإستهزاء به». إلى أن يورد أبياتاً نظمها في مدحهم عليهم السلام، أولها:

سـلام علـى المصطفـى المجتبـى
سـلام علـى السيـد المـرتضـى

ثم يذكر الزهراء والأئمّة واحداً بعد واحد إلى أن يقول:

سـلام علـى الأريحـيّ النقـي
علـى الكـريـم هـادي الـورى
سـلام علـى السيـد العسكـري
إمـام يجهـز جيـش الصفـا
سـلام علـى القـائـم المنتظـر
أبـي القـاسـم العـزم نـور الهـدى

سيطلـــع كـــالشمـــس مـــن غـــاســـق

ينجّيـــه مـــن سيفـــه المنتقـــى

تـــرى يمـــلأ الأرض مـــن عـــدلـــه

كمـــا ملئـــت جـــور أهـــل الهـــوى

ســـلام عليـــه وآبـــائـــه

وأنصـــاره مـــا تـــدوم السمـــا[1]

وهو منه في غاية الغرابة.. والأهمية.. وهذه النماذج تكفي لإثبات ما أنا بصدده الآن.

* **ثالثاً**: وأوضح دليل علمي على وجوده عليه السلام رؤيته عبر القرون.

ومن الطريف أن نجد بعض علماء السنّة الكبار يصرّحون بتشرفهم برؤيته صلوات الله وسلامه عليه.

* **رابعاً**: لا بأس بالإشارة إلى أن علم الطبّ يؤكد إمكان بقاء الإنسان حيّاً أحقاباً طويلة، بل أكثر من ذلك، ففي الإنسان قابلية البقاء، وإنما يعرّضه للموت ما يلحقه من أسبابه، بمعنى أنه لا وجود لحتميّة طبيعية تقول إن الإنسان إذا عمّر مائة عام أو أكثر أو أقل لا بد وأن يموت، ولذا قال بعض الأطباء: إن الموت ينشأ من المرض لا من الشيخوخة، وقد نجحت

---

(1) كشف الأستار (٧٤ ـ ٧٥) ومن أراد المزيد فليرجع إلى المصادر التي أوردت منها هذه النماذج.

التجارب في إطالة عمر بعض الأحياء تسعمائة ضعف عمرها الطبيعي[1].

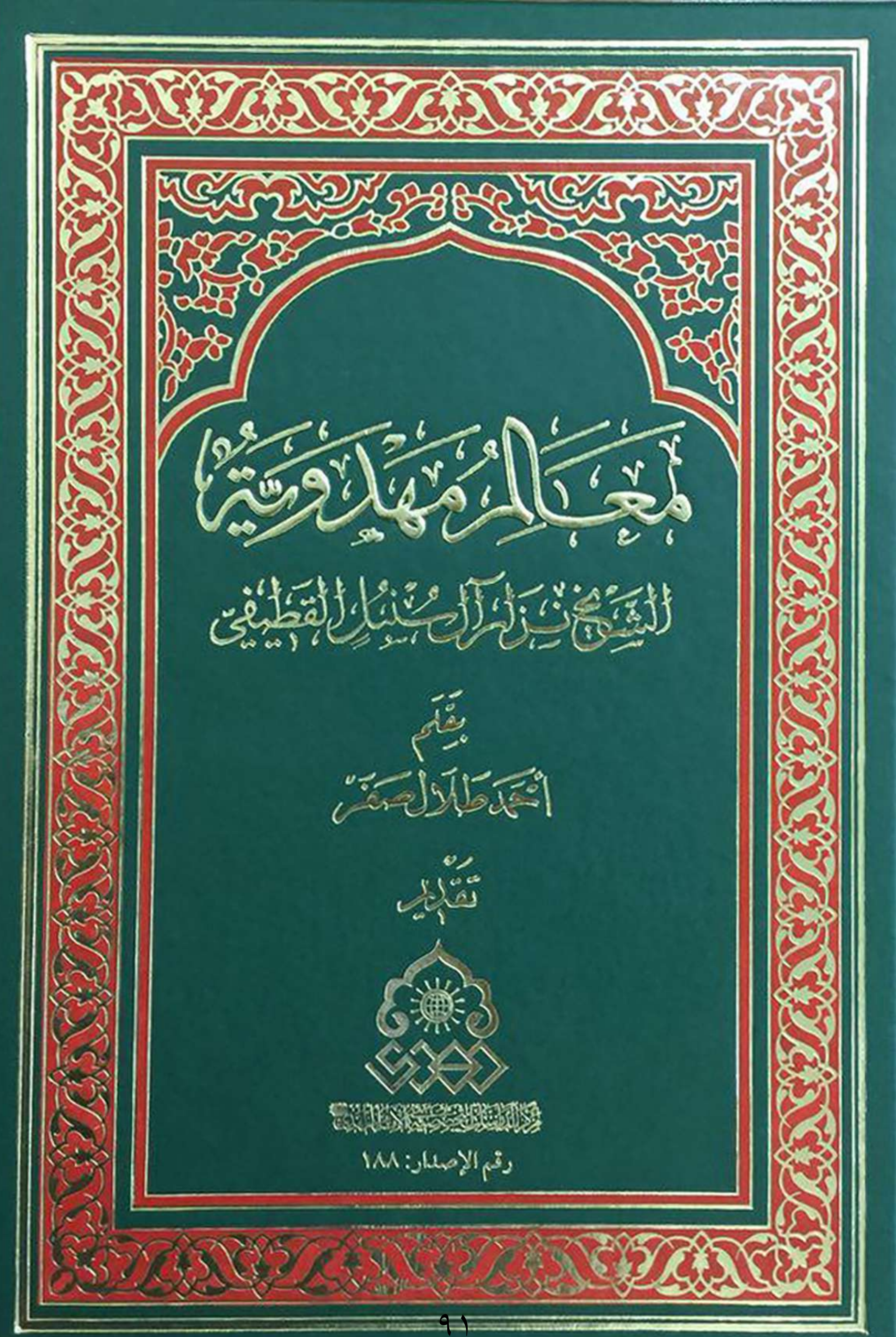
إن طول عمر إنسان ما آلاف السنين - رغم غرابته - أمر ممكن. . بل لا داعي للنقاش فيه أبداً لمن يؤمن بالقرآن الكريم، يقول السيد ابن طاووس رضوان الله عليه مخاطباً المعتقدين بأن نبي الله عيسى يصلي خلف المهديّ ويستغربون في نفس الوقت بقاءه حياً. . يقول لهم: «. . وقد شهدتم أيضاً له أن عيسى بن مريم النبي المعظم عليهما السلام يصلي خلفه مقتدياً به في صلاته، وتبعاً له، ومنصوراً به في حروبه وغزواته، وهذا أيضاً أعظم مما استبعدتموه من طول حياته»[2].

ويقول الشيخ الطوسي عليه الرحمة والرضوان: «وكيف ينكر ذلك - طول عمر الإمام المنتظر عليه السلام - من يقرّ بأن الله تعالى يخلّد المثابين في الجنة شباناً لا يبلون»؟[3]

(١) تجد بحثاً مسهباً حول رأي الطب في العمر الطويل في «منتخب الأثر» (٢٧٧ - ٢٨٣) اعتمد فيه المؤلف على ما جاء في مجلات «المقتطف» و«الهلال» وما نقله الطنطاوي في الجزء ١٧ من تفسيره الجواهر عن مجلة «كل شيء». وراجع «منتقم حقيقي» فارسي/ ٢٧٧، و«معاد وجهان بس از مرك» فارسي/ ١٧٠ - ١٧١.

(٢) منتخب الأثر/ ٢٧٥ نقلا عن كشف المحجة للسيد ابن طاووس، الفصل ٧٩.

(٣) الغيبة/ ٨٧.


معالم مهدوية
الشيخ نزار آل سنبل القطيفي
بقلم
أحمد طلال آل صفر
تقديم
رقم الإصدار: ١٨٨

مركز الدراسات التخصّصية
في الإمام المهدي عليه السلام
النجف الأشرف - شارع السور - قرب جبل الحويش
الموبايل: ٠٧٨١٦٧٨٧٢٢٦ و٠٧٨١٢١٤١١١١
www.m-mahdi.com
info@m-mahdi.com

معالم مهدوية
الشيخ نزار آل سنبل القطيفي
بقلم
أحمد طلال صفر
تقديم
مركز الدراسات التخصّصية
في الإمام المهدي عليه السلام
الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٨هـ
النجف الأشرف
رقم الإصدار: ١٨٨
عدد النسخ: ٣٠٠٠
جميع الحقوق محفوظة للمركز

المبحث الخامس
طول العمر

بعدما قدَّمناه من البحوث، نصل إلىٰ شبهة لطالما يتساءل عنها البعض وشنَّع بها المخالفون واتَّخذوا بذلك آيات الله هزواً، وهي كيف أنَّ الإمام المهدي عليه السلام يبقىٰ كلَّ هذه الفترة الطويلة من الزمن حيّاً دون أن يموت؟ وقد يُعَدُّ ذلك من المحال إمَّا عقلاً أو عادةً.

والجواب عليه من وجهين:

الوجه الأوَّل: عدم دلالة العقل علىٰ امتناع البقاء مدَّة طويلة في الحياة. فإنَّ الحقَّ أنَّه ليس بمحال عقلاً أن يعيش هذه المدَّة الطويلة، فليس ما نحن فيه من قبيل اجتماع النقيضين في آنٍ واحدٍ وفي وقتٍ واحدٍ، وكيف لأحد أن يدَّعي ذلك مع ثبوت مثل ذلك لبعض الأنبياء عليهم السلام كما سيأتي تفصيله؟ والوقوع أدلُّ دليل علىٰ الإمكان.

الوجه الثاني: عدم دلالة غير العقل علىٰ امتناعه. وممَّا يدلُّ علىٰ عدم استحالته عادةً، إثبات القرآن الكريم لطول عمر نبيِّ الله نوح عليه السلام، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَهُمْ ظالِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ (العنكبوت:١٤)، فإنَّ الآية المباركة صرَّحت بأنَّ مدَّة الدعوة تسع مائة وخمسون عاماً، وهي مدَّة طويلة جدّاً، ولم تتعرَّض لعمر نبيِّ الله نوح عليه السلام، فلم تُبيِّن عمره قبل الإرسال إلىٰ قومه ومدَّة بقائه بعد الطوفان.

حتَّىٰ إنَّ أصحاب التفاسير ذكروا أقوالاً عديدة في طول عمره الشريف، منها:

قال السمعاني في تفسيره: (وقوله: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً﴾، روي عن ابن عبّاس أنَّه قال: بُعِثَ نوح وهو ابن أربعين سنة، ومكث بعد خروجه من السفينة ستّين سنة، وتوفّاه الله تعالىٰ وهو ابن ألف وخمسين سنة. وفي رواية: أنَّ عمر نوح كان ألف وأربعمائة وخمسين سنة، بُعِثَ وهو ابن مائتي وخمسين سنة، وقد قيل غير هذا، والله أعلم)[1].

وقال الزمخشري: (كان عمر نوح عليه السلام ألفاً وخمسين سنة، بُعِثَ علىٰ رأس أربعين، ولبث في قومه تسعمائة وخمسين، وعاش بعد الطوفان ستّين. وعن وهب أنَّه عاش ألفاً وأربعمائة سنة)[2].

وذكر السيوطي حديثاً في عمر نبيِّ الله نوح عليه السلام: (وأخرج عبد بن حميد، عن عكرمة رضي الله عنه، قال: كان عمر نوح عليه السلام قبل أن يُبعَث إلىٰ قومه وبعدما بُعِثَ ألفاً وسبعمائة سنة)[3].

فنصَّ القرآن والمحدِّثين وأصحاب التفاسير أنَّ طول العمر ليس بمحال عادةً، إذ إنَّ القرآن الكريم أثبت لنا في آياته أنَّ نبيَّ الله نوح عليه السلام

(١) تفسير السمعاني ٤: ١٧١.

(٢) تفسير الكشّاف للزمخشري ٣: ٤٤٥.

(٣) الدرُّ المنثور ٦: ٤٥٦.

وذُكِرَ ذلك في غيره من المصادر التي ذكرت الأقوال في طول عمره الشريف كـ: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣: ٤٠٢؛ وتفسير القرطبي ١٣: ٣٣٢؛ وفتح القدير للشوكاني ٤: ٢٣٠.

بُعِثَ لقومه لمدَّة طويلة من الزمن، ولا قائل من المفسِّرين باستحالة ذلك وعدم إمكانه، فلو أمكن تحقّقه لنبيِّ الله نوح عليه السلام لأمكن للإمام المهدي عليه السلام.

يقول الشيخ المفيد قدس سره: (وهذا ما لا يدفعه إلَّا الملحدة من المنجِّمين وشركاؤهم في الزندقة من الدهريين، فأمَّا أهل الملل كلّها، فعلىٰ اتِّفاق منهم علىٰ ما وصفناه. والأخبار متناصرة بامتداد أيّام المعمِّرين، من العرب والعجم والهند وأصناف البشر، وأحوالهم التي كانوا عليها مع ذلك، والمحفوظ من حِكَمهم، مع تطاول أعمارهم، والمأثور من تفصيل قضاتهم من أهل أعصارهم وخطبهم وأشعارهم، لا يختلف أهل النقل في صحَّة الأخبار عنهم بما ذكرناه وصدق الروايات في أعمارهم وأحوالهم كما وصفناه)[1].

وذكر الشيخ المفيد قدس سره بعد بيان طول عمر نبيِّ الله آدم ونوح عليهما السلام طول عمر عدَّة معمِّرين منهم:

(لقمان بن عاد الكبير، وربيع بن ضبيع، والمستوغر بن ربيعة، وأكثم بن صيفي، وصيفي بن رياح، وضبيرة بن سعيد، ودريد بن الصمة، ومحصن بن عتبان، وعمرو بن حممة الدوسي، والحرث بن مضاض، والملك الذي استحدث المهرجان، وسلمان الفارسي)[2].

وحتَّىٰ إنَّ أهل السُّنَّة ذكروا عدَّة أشخاص معمِّرين، منهم الخضر عليه السلام، قال القنوجي البخاري:

(قيل في إلياس والخضر: إنَّهما حيّان، وقيل: إلياس وُكِّل بالفيافي

---

(١) الفصول العشرة: ٩٣ و٩٤.

(٢) من أراد التفصيل فليراجع: الفصول العشرة: ٩٤ - ١٠٢.

كما وُكِّل الخضر بالبحار، قال السيوطي في الإتقان: قال وهب: إنَّ إلياس عمَّر كما عمَّر الخضر، وإنَّه يبقىٰ إلىٰ آخر الدنيا)[1].

وكذلك ذكروا لقمان بن عاد، فكان من أطول الناس عمراً من بعده، قال أبو محمّد عبد الملك بن هشام الحميري:

(حدَّثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن محمّد بن إسحاق المطلبي، قال: كان عمر لقمان بن عاد أربعة آلاف عام، عاشت ستَّة نسور كلُّ نسر خمسمائة عام، وذلك ثلاثة آلاف عام، وعاش لبد وكان آخرها ألف عام)[2].

طول العمر وفق الطبّ الحديث:

وأمَّا رأي الطبِّ الحديث، فقد بيَّنوا لنا أنَّه من الممكن للإنسان أن يعيش مدَّة طويلة من خلال النظرية والتطبيق، وكتبوا في ذلك بحوثاً ودراسات، ولعلَّ من أقدمها ما كُتِبَ في مجلَّة المقتطف، في بعض أعدادها سنة (١٩٥٩م)، وحاصل ما ذُكِرَ:

أنَّه من الممكن للإنسان من حيث المبدأ والنظرية، أن يعيش مدَّة طويلة من الزمن، في ظرف وبيئة معيَّنة، فعندما نُهيِّئ له الظرف الخاصّ، والغذاء الخاصّ السليم، ونرفع عنه موانع طول العمر، كإبعاد المكروبات عنه، فإنَّه يمكن له أن يعيش مدَّة طويلة.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي البخاري ١١: ٤١٨. وأمَّا من خالف هذا القول فإنَّما خالفه لادِّعائه القصور في الأدلَّة، لا من حيث استحالة طول عمره، فإنَّ ذلك لا يمكن أن يتفوَّه به مسلم.

(٢) التيجان في ملوك حمير ١: ٨٤ لعبد الملك بن هشام بن أيّوب الحميري المتوفّى سنة (٢١٣هـ).

وأخرجت إحدىٰ الباحثات الغربيات في عام (٢٠١١م)، الأمر من دائرة النظرية إلىٰ التطبيق والتجربة، فأثبتت أنَّ الكائن الحيَّ يمكن أن تُهيَّئ له ظروف خاصَّة مناسبة يعيش فيها، فيعيش ضعف المدَّة التي له أن يعيشها خارج هذا الإطار، وطبَّقت هذه التجربة علىٰ أقرب كائن للإنسان بحسب كلامهم وهم الجرذان، لمحاولة إطالة عمره، وأثبتوا ذلك بالتجربة.

وقفتان:

الوقفة الأُولىٰ: وقفة مع بقاء نبيِّ الله يونس إلىٰ يوم يبعثون:

وقال الله سبحانه في يونس عليه السلام: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ (الصافّات: ١٤٢ - ١٤٤)، و(لبث) بمعنىٰ يعيش، وليس معناه أنَّه يموت ويبقىٰ داخل الحوت، فالظاهر منه أنَّه يعيش في بطن الحوت.

وهذا ممَّا تُؤيِّده بعض التفاسير من الطرفين أنَّه لبث مع كونه حيّاً، فهذه قضيَّة قرآنية مسلَّمة[1].

الوقفة الثانية: وقفة مع الدجّال:

إنَّ المخالفين المنكرين للإمام الحجَّة عليه السلام والمثبتين للشبه المذكورة، والمحاججين فيها، والساعين لإبطالها، لا ينفعهم ذلك أبداً؛ إذ ثبت أنَّ طول العمر، والغيبة عن الأنظار، والاستتار، ليس بممنوع عقلاً، ولا شرعاً، ونضيف إلىٰ ذلك أنَّهم في أحاديثهم أثبتوا ذلك

(١) من الخاصَّة: جوامع الجامع للشيخ الطبرسي ٣: ١٧٥. وأمَّا من العامَّة: الكشّاف ٤: ٦٢؛ تفسير النسفي ٣: ١٧٣.

للدجّال[1]، فلنا أن نتساءل: لِـمَ يكون المانع من غيبة الإمام المهدي عليه السلام هو استبعاد واستحالة طول العمر، ويرتفع هذا المانع في الدجّال؟!

ألـيس وليُّ الله وحجّته والمهدي من آل محمّد عليهم السلام أولىٰ من الدجّال؟ فلا يُعقَل أنَّ المسلم يُجوِّز ذلك في عدوِّ الله ورسوله، ويمنعه مطلقاً عن وليّه ووليِّ رسوله صلى الله عليه وآله، والميزان العلمي لا يُفرِّق بينهما؛ إذ كما يجوز لغير المهدي عليه السلام يجوز له أيضاً.

وإن قلتم: هناك دليل أثبت وجود الدجّال، وأنَّه حيٌّ إلىٰ آخر الزمان؛ ولكن لم يرد من الأدلَّة شيء يُثبِت أنَّ الإمام المهدي عليه السلام موجود وحيٌّ.

فنقول: ثبوت ولادة الإمام المهدي عليه السلام ووجوده وغيبته أوضح من وجود الدجّال، وعمدنا بذكر شيء من الأدلَّة فيما سبق من البحوث، وبيّنّا أنَّ مقتضىٰ الأدلَّة الصحيحة المتواترة، والفهم الصحيح الدقيق لها، يُثبِت وجود الإمام المهدي عليه السلام، منها حديث الثقلين، وحديث الاثني عشر خليفة، وحديث من مات وليس في عنقه بيعه مات ميتةً جاهليةً، وغيرها من الأدلَّة النقلية والعقلية علىٰ ضرورة وجوده[2].

فوجود المعمَّرين أمر لا يخفىٰ علىٰ أحد من قرّاء التاريخ عند الشيعة والسُّنَّة، وبهذا الجواب ندفع الاستحالة العادية كما دفعنا الاستحالة العقلية.

---

(١) في صحيح مسلم باب قصَّة الجساسة ٤: ٢٢٦٢.

(٢) مع تلك الدلائل العقلية والنقلية الدالّة علىٰ وجوده عليه السلام جدير بالإشارة إلىٰ أنَّ العقل يقتضي وجود الإمام والهادي وعديل القرآن المبيِّن لآياته وأحكامه، وأمَّا العقل لا يقتضي وجود الدجّال بالضرورة، فكان عقلاً الأولىٰ بالوجود هو الإمام المهدي عليه السلام. وأيضاً الدلائل النقلية علىٰ وجود الإمام المهدي عليه السلام كثيرة ومتواترة وصحيحة، كما مرَّ في سابق المطالب، والدلائل علىٰ وجود الدجّال لا تضاهيها.

والحاصل: أنَّ المناط هو قدرة الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ أن يُعمِّر من شاء، ولا يقول أحد من المسلمين: إنَّ الله سبحانه وتعالىٰ غير قادر علىٰ ذلك؛ لأنَّه من المقولات التي يكفر بها القائل، ولا غرابة من طول عمره، وحفظ الله سبحانه وتعالىٰ له، وخصوصاً أنَّ الأمر متعلِّق بقيام الدولة الإلهية علىٰ الأرض، التي تملؤها قسطاً وعدلاً.

❊ ❊ ❊


المهدي المنتظر عجل الله فرجه
في الفكر الإسلامي
السيد ثامر هاشم العميدي
تقديم وتحقيق
مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي



اسم الكتاب: ....المهدي المنتظر عجل الله فرجه في الفكر الإسلامي

تأليف: ....السيد ثامر العميدي

نشر: .مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه /مركز الرسالة

رقم الإصدار: ٢٧٢

الطبعة: ....الأولى ١٤٤٣هـ

عدد النسخ: ....طبعة محدودة

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

العراق- النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٩٧٤٤٤٧٤ - ٠٧٨١٦٧٨٧٢٢٦

www.m-mahdi.com

info@m-mahdi.com

السؤال الثاني: طول العمر:

إنَّ أهمّ ما يثيرونه في هذا المجال، ويُروِّجون له باستمرار قديماً وحديثاً، هو قولهم: إذا كان المهدي يُعبِّرُ عن إنسانٍ حيٍّ عاصرَ الأجيال المتعاقبة منذ أكثر من أحد عشر قرناً، فكيف تأتّىٰ له هذا العمر الطويل؟ وكيف نجا من القوانين الطبيعيَّة التي تُحتِّم مروره بمرحلة الشيخوخة[2]؟!

ومن الجائز أنْ نطرح الشُّبهة بصورة سؤالٍ كأنْ يقال: هل بالإمكان أنْ يعيش الإنسانُ قروناً طويلة؟

وللإجابة عن هذا السؤال لا بدَّ من التمهيد ببحث مسألة الإمكان هنا، فهناك ثلاثة أنواع متصوَّرة للإمكان:

الأوَّل: ما يُصطلَح عليه بالإمكان العملي، ويُراد به ما هو ممكن فعلاً وواقعاً، أي له تحقُّق ووجود ظاهر ومتعيّن.

والثاني: ما يُصطلَح عليه بالإمكان العلمي، ويُراد به ما هو غير ممتنع من الناحية العلميَّة الصِّرفة، أي إنَّ العلم لا يمنع وقوعه وتحقُّقه ووجوده فعلاً.

---

(١) وقد مرَّ في الفصل الثاني برقم (٥) و(٨) اعتراف أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي، وأحمد بن يوسف القرماني الحنفي بأنَّ المهدي ﷺ أُعطي الحكمة وهو صبيٌّ، فراجع.

(٢) هذه الشُّبهة مطروحة في كُتُب العقائد منذ القرون البعيدة، وقد ذكرها وتصدّىٰ للإجابة عنها كبار علماء الإماميَّة، بوجوه عديدة ومن أبعاد مختلفة، ونحن نتعرَّض لبعضها فقط.

والثالث: ما يُصطلَح عليه بالإمكان المنطقي، ويُراد به ما ليس مستحيلاً عقلاً، أي إنَّ العقل لا يمنع وقوعه وتحقُّقه.

واستناداً إلىٰ هذا نعرض المسألة كالآتي مبتدئين بالإمكان المنطقي، فنقول:

هل إنَّ امتداد عمر الإنسان مئات السنين ممكن منطقيًّا، أي ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقليَّة؟

والجواب: نعم بكلِّ تأكيد، فقضيَّة امتداد العمر فوق الحدِّ الطبيعي أضعافاً مضاعفةً ليست في دائرة المستحيل، كما هو واضح بأدنىٰ تأمُّل. نعم هو ليس مألوفاً ومشاهداً، ولكن هناك حالات نقلها أهل التواريخ وتناقلتها بعض النشرات العلميَّة تجعل الإنسان لا يستغرب ولا يُنكِر، علىٰ أنَّ الغرابة ترتفع تماماً عندما يقرع سمعَ المسلم صوتُ الوحي ومنطوق القرآن في النبيِّ نوح عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾ (العنكبوت: ١٤).

ولتقريب مسألة الإمكان بهذا المعنىٰ نضربُ مثالاً كالآتي: لو أنَّ أحداً قال لجماعةٍ: إنِّي أستطيع أنْ أعبرَ النهر ماشياً، أو أجتاز النارَ دون أنْ أُصابَ بسوء، فلا بدَّ أنْ يستغربوا ويُنكِروا، لكنَّه لو حقَّق ما قاله بالفعل فعبر النهر ماشياً أو اجتاز النار بسلام، فإنَّ انكارهم واستغرابهم سيزول عند ذلك. فلو جاء آخر وقال مثلَ مقالة الأوَّل، فإنَّ درجة الاستغراب ستقلُّ، وهكذا لو جاء ثالث ورابع وخامس، فإنَّ ما وقع منهم من الاستغراب أوَّل مرَّة سوف لا يبقىٰ علىٰ حالته وقوَّته في المرَّة الخامسة، بل يضعف جدًّا إلىٰ أنْ يزول.

وهكذا نقول في مسألتنا، فإنَّ القرآن قد أخبر أنَّ نوحاً عليه السلام لبثَ في قومه ألف سنةٍ إلَّا خمسين عاماً، وهذا غير عمره قبل النبوَّة! وأنَّ عيسىٰ عليه السلام لم يمت وإنَّما رفعه الله إليه كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ

رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿١٥٨﴾﴾ (النساء: ١٥٧ و١٥٨).

وأيضاً فقد جاء في روايات الصحيحين (البخاري ومسلم) أنَّه سينزل إلىٰ الأرض، وكذلك جاء فيهما أنَّ الدجَّال موجود حيٌّ[١].

وعليه فعندما تتحدَّث الروايات الصحيحة، ويشهد الشهود، وتتوالىٰ الاعترافات بوجود (المهدي) من عترة الرسول الأكرم، من ولد فاطمة، نجل الحسن العسكري الذي وُلِدَ سنة (٢٥٥هـ)، فسوف لا يبقىٰ عند ذلك وجه للاستغراب والإنكار إلَّا عناداً واستكباراً.

وقد جاء في تفسير الرازي: (قال بعض الأطبَّاء: العمر الإنساني لا يزيد علىٰ مائة وعشرين سنة، والآية تدلُّ علىٰ خلاف قولهم، والعقل يوافقها، فإنَّ البقاء علىٰ التركيب الذي في الإنسان ممكن لذاته وإلَّا لما بقي، ودوام تأثير المؤثِّر فيه ممكن؛ لأنَّ المؤثِّر فيه إنْ كان واجب الوجود فظاهر الدوام، وإنْ كان غيره فله مؤثِّر، وينتهي إلىٰ الواجب وهو دائم، فتأثيره يجوز أنْ يكون دائماً. فإذن البقاء ممكن في ذاته، فإنْ لم يكن فلعارض، لكن العارض ممكن العدم، وإلَّا لما بقي هذا المقدار، لوجوب وجود العارض المانع. فظهر أنَّ كلامهم علىٰ خلاف العقل والنقل)[٢].

هكذا برهن الرازي علىٰ جواز طول عمر الإنسان بخلاف المعتاد كما هو

---

(١) فصَّلنا الحديث عن أحاديث نزول عيسىٰ وأحاديث خروج الدجَّال في الصحيحين (البخاري ومسلم)، وذكرنا من اعتبرها عقيدة ثابتة لأهل السُّنَّة، مع تصريحهم ببقاء الدجَّال حيًّا إلىٰ آخر الزمان، وأنَّ عيسىٰ عليه السلام سينزل في آخر الزمان ليساعد الإمام المهدي عليه السلام علىٰ قتله، راجع: الفصل الثالث: التذرُّع بخلوِّ الصحيحين من أحاديث المهدي عليه السلام.

(٢) تفسير الرازي (ج ٢٥/ ص ٤٢).

الثابت في طول عمر عيسىٰ عليه السلام، والبرهان نفسه يصحُّ الاستدلال به علىٰ طول عمر المهدي عليه السلام، ويُقرِّب هذا الاستدلال اتِّفاق الصحاح وغيرها علىٰ نزول عيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان لمساعدة المهدي عليه السلام علىٰ قتل الدجَّال، وقد عرفت الجواب عن سؤال: من هو الإمام المهدي عليه السلام؟ مفصَّلاً.

وننقل الكلام إلىٰ الإمكان العملي، ونتساءل: هل إنَّ الإمكان العملي بالنسبة إلىٰ نوع الإنسان متاحٌ الآن، وتساعد عليه التجربة أم لا؟

والجواب:

أنَّ التجارب المعاصرة في ضوء الإمكانات المتاحة والظروف الموجودة لم تنجح لحدِّ الآن في تحقيق مثل هذه الحالة، أي إطالة عمر الإنسان إلىٰ حدٍّ أكثر من ضعفٍ أو ضعفي العمر الطبيعي، وهذا أمرٌ مشهود لا يحتاج إلىٰ برهان.

وهذا لا يدلُّ علىٰ عدم طول عمر الإنسان؛ لأنَّ الإمكان العملي ينحصر بمحاولات إطالة العمر الطبيعي للإنسان بيد الإنسان نفسه، إلَّا أنَّ الأعمار بيد الله عزَّ وجلَّ، إذن تدخُّل الإنسان في إطالة العمر علىٰ خلاف التقدير غير ممكن.

نعم، إنَّه سبحانه يُوفِّر الأسباب الكفيلة بإدامة حياة المعمَّرين إلىٰ حين أجلهم، ودور العلم هنا اكتشاف تلك الأسباب لا أكثر؛ إذ ليس بمقدوره إبداع الأسباب لانحصارها بيده عزَّ وجلَّ بلا خلاف.

وعلىٰ هذا يُفسَّر الإمكان العلمي الآتي الذي ننقل الكلام إليه، فنتساءَل: هل إنَّ زيادة عمر إنسان أكثر من الحدِّ الطبيعي المعتاد ممكن علميًّا أم لا؟

والجواب:

أوَّلاً: نعم هي في دائرة الإمكان العلمي، ولدينا شواهد وأرقام كثيرة تُؤكِّد إمكانها علميًّا، منها:

١ - أنَّ التجارب العلميَّة آخذةٌ بالازدياد لإطالة عمر الإنسان أكثر من

المعتاد، وهذه التجارب حثيثة وجادَّة لتعطيل قانون الشيخوخة، فقد جاء في مجلَّة المقتطف المصريَّة (الجزء الثاني من المجلَّد ٥٩/ الصادرة في آب (أغسطس) ١٩٢١م، الموافق ٢٦/ ذي القعدة/ سنة ١٣٣٩هـ/ ص ٢٠٦) تحت عنوان (خلود الإنسان علىٰ الأرض) ما هذا لفظه:

قال الأُستاذ (ريمند بول) أحد أساتذة جامعة جونس هبكنس بأمريكا: (إنَّه يظهر من بعض التجارب العلميَّة أنَّ أجزاء جسم الإنسان يمكن أنْ تحيا إلىٰ أيِّ وقتٍ أُريد، وعليه فمن المحتمل أنْ تطول حياة الإنسان إلىٰ مائة سنة، وقد لا يوجد مانع يمنع من إطالتها إلىٰ ألف سنة).

وذكرت هذه المجلَّة في العدد الثالث من المجلَّد (٥٩) الصادر في أيلول من نفس العام (ص ٢٣٩): (إنَّه في الإمكان أنْ يبقىٰ الإنسان حيًّا أُلوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبلَ حياته، وقولهم هذا ليس مجرَّد ظنٍّ، بل نتيجة عمليَّة مؤيَّدة بالامتحان).

ونكتفي بهذا القدر في تأييد ما ذكرناه من الإمكان العلمي، الذي يسعىٰ العلماء جاهدين لتحويله إلىٰ إمكان عملي واقعي فعلي.

٢ - وفي كتاب صدر حديثاً بعنوان حقائق أغرب من الخيال (الجزء الأوَّل/ ص ٢٤/ نشر مؤسَّسة الإيمان/ بيروت، ودار الرشيد/ دمشق)، جاء فيه: (تُوفِّي (بيريرا) في عام (١٩٥٥م) في وطنه الأُمِّ مونتريا في سنِّ (١٦٦) عاماً، وقد شهد علىٰ عمره أصدقاؤه، وسجلَّات مجلس البلديَّة، وبيريرا نفسه الذي استطاع أنْ يتذكَّر بوضوح كبير معركة كاراجينا (حدثت في عام ١٨١٥م)! وفي نهاية حياته أُحضر إلىٰ نيويورك حيث فحصه جمع من الأطبَّاء المختصِّين، ومع أنَّهم وجدوه محتفظاً بضغط دم رجل شابٍّ، ونبض شرياني صحيح، وقلب جيِّد، وعقل شابٍّ، فقد قرَّروا أنَّه رجل عجوز جدًّا أكثر من (١٥٠) عاماً).

وجاء في (ص ٢٣) أنَّ توماس بار عاش (١٦٢) عاماً.

علىٰ أنَّ السجستاني صاحب (السُّنَن) قد ألَّف كتاباً باسم (المعمَّرون) ذكر فيه الكثير من المعمَّرين، وفيهم من تجاوزت أعمارهم خمسمائة سنة.

٣ - أنَّ مجرَّد إجراء التجارب من قِبَل الأطبَّاء للتعرُّف علىٰ مرض الشيخوخة، وأسباب الموت، والمحاولات الدائبة من قِبَلهم ونجاحها ولو بقدر محدود لإطالة عمر الإنسان، لهو دليل علىٰ الإمكان، وإلَّا لكان تصرُّفهم عبثاً، خلاف العقل.

وفي ضوء ذلك كلِّه لا يبقىٰ مبرِّر منطقي للاستغراب والإنكار بخصوص (قضيَّة المهدي)، اللَّهُمَّ إلَّا أنْ يسبق (المهدي) العلمَ نفسه، فيتحوَّل الإمكان النظري (العلمي) إلىٰ إمكان عملي في شخصه، قبل أنْ يصلَ العلمُ في تطوُّره إلىٰ مستوىٰ القدرة الفعليَّة. وهذا أيضاً لا يوجد مبرِّرٌ عقليٌّ لاستبعاده وإنكاره؛ إذ هو نظير من يسبق العلمَ في اكتشاف دواءٍ للسرطان أو غيره مثلاً. ومثل هذا السَّبق في الفكر الإسلامي قد حصل في أكثر من مفردةٍ وعنوانٍ، فقد سجَّلَ القرآن الكريم نظائر ذلك حين أوردَ وأشارَ إلىٰ حقائق علميَّة تتعلَّق بالكونِ وبالطبيعةِ وبالإنسانِ، ثمّ جاءت التجارب العلميَّة الحديثة لتزيحَ عنها الستار أخيراً. ثمّ لماذا نذهب بعيداً وأمامنا القرآن الكريم يُصرِّح بـ (الإمكان العملي) فيما يتعلَّق بعمر نوح عليه السلام[1]؟

وكذلك صرَّحت الآثار النبويَّة بوجود أشخاص أحياء منذ قرون متطاولةٍ، كالخضرِ، والنبيِّ عيسىٰ عليه السلام، والدجَّال علىٰ ما نقله مسلمٌ في (صحيحه) من حديث الجسَّاسة، فلماذا نؤمن بمثل هذه الوجودات المشخَّصة، مع أنَّهم ليس لهم من دورٍ أو أهمّيَّةٍ فيما يتعلَّق بمستقبل الإسلام إلَّا المسيح عليه السلام

(١) راجع: بحث حول المهدي ﷺ (ص ٣٧).

الذي سيكون وزيراً ومساعداً للمهدي عليه السلام وقائداً لجيوشه كما في الكثير من روايات الظهور؟!

ولماذا يُنكِر البعض حياة المهدي عليه السلام الذي سيكون له ذلك الدور الأعظم «يملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً...» وينزل عيسىٰ ليُصلِّي خلفه[1]؟!

ثانياً: لو افترضنا قانون الشيخوخة قانوناً صارماً، وإطالة عمر الإنسان أكثر من الحدِّ الطبيعي والمعتاد هو خلاف القوانين الطبيعيَّة التي دلَّنا عليها الاستقراء، فالأمرُ بالنسبةِ للمهدي عليه السلام يكون حينئذٍ من قبيل المعجزة، وهي ليست حالة فريدة في التاريخ.

ثمّ إنَّ الأمرَ بالنسبة للمسلم الذي يستمدُّ عقيدتَه من القرآن الكريم والسُّنَّة المشرَّفة ليس منكراً أو مستغرباً؛ إذ هو يجدُ أنَّ القانون الطبيعي الذي هو أكثر صرامةً قد عُطِّلَ، كالذي حَدَثَ بالنسبةِ للنبيِّ إبراهيم عليه السلام عندما أُلقي في النار العظيمة فأنجاه الله تعالىٰ بالمعجزة، كما صرَّح القرآن قائلاً: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝٦٩﴾ (الأنبياء: ٦٩).

وهذه المعجزة وأمثالها من معاجز الأنبياء، والكرامات التي اختصَّ اللهُ بها أولياءَه، قد أصبحت بمفهومها الدِّيني أقرب إلىٰ الفهم بدرجةٍ أكبر بكثير في ضوء المعطيات العلميَّة الحديثة والإنجازات الكبيرة التي حقَّقها العلماء بوسائلهم المادّيَّة. فلقد بدأنا نشهدُ من الاختراعات والاكتشافات التي لو حُدِّثنا عنها سابقاً لأنكرناها غايةَ الإنكار، ثمّ ها هي بأيدينا الآن نستخدمها ونلهو بها أحياناً، فمثلاً (التلفزيون)، فلقد كنَّا نقرأ في الروايات في أبواب الملاحم (أنَّه سيكون في آخر الزمان يَرىٰ ويسمع مَنْ في المشرق مَنْ هو في المغْرِب)، وربَّما عَدَّ بعضُهم ذلك ضرباً من اللَّامعقول، ثمّ ها نحن نشهده ونشاهده.

---

(١) اعترف بهذا خمسة من شارحي صحيح البخاري كما مرَّ مفصَّلاً في أوَّل الفصل الثالث، فراجع.

واستناداً إلىٰ ذلك نقول: إنَّ استبعاد أمرٍ وإنكاره لمجرَّد عدم وجودِ حالةٍ مماثلة أو مقاربة نشاهدها، ليس مقبولاً منطقيًّا، وليس مبرِّراً علميًّا، إذا كان الأمرُ يقع في دائرة الإمكان العلمي والمنطقي، وقامت عليه الشواهد والأدلَّة.

ونظير تلك الأخبار المنبئة في تراثنا عن بعض الاكتشافات العلميَّة الباهرة، الأخبار الأُخرىٰ المنبئة بإعجاز عن ظهور الإمام المهدي ﷺ بما ينطبق تمام الانطباق مع معطيات الحضارة المعاصرة.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «إِنَّ قَائِمَنَا إِذَا قَامَ مَدَّ اللهُ ﷻ لِشِيعَتِنَا فِي أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَائِمِ بَرِيدٌ، يُكَلِّمُهُمْ فَيَسْمَعُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْه وَهُوَ فِي مَكَانِه»[١].

السؤال الثالث: لماذا هذه الغيبة الطويلة؟

قالوا: لماذا كلُّ هذا الحرص علىٰ إطالة عمر المهدي ﷺ إلىٰ هذا الحدِّ، فتُعطَّل القوانين لأجله، أو نضطرُّ إلىٰ المعجزة؟! ولماذا لا نقبل الافتراض الآخر الذي يقول: إنَّ قيادة البشريَّة في اليوم الموعود يمكن أنْ تُترَك لشخصٍ آخر يُولَد في ذلك الزمان، ويعيش الظروف الموضوعيَّة، لينهض بمهمَّته التغييريَّة؟!

والجواب عنه - بعد الإحاطة بالمطالب المذكورة في البحث - واضح جدًّا، فإنَّ الله ﷻ قد أبقىٰ أشخاصاً في هذا العالم أو غيره أحياءً أطول بكثير ممَّا انقضىٰ من حياة المهدي ﷺ، وذلك لحِكَم وأسرار لا نهتدي إليها، أو علمنا ببعضها، وعلىٰ كلِّ حالٍ نؤمن بها إيماناً قطعيًّا، فليكن الأمر كذلك بالنسبة إلىٰ المهدي؛ لأنَّا - كما أشرنا من قبل - بصفتنا مسلمين نؤمن بأنَّ الله تعالىٰ لا يفعل عبثاً، وأيضاً نؤمن بمغيَّبات كثيرةٍ عنَّا قامت عليها البراهين المتينة من العقل

---

(١) الكافي (ج ٨/ ص ٢٤٠ و٢٤١/ ح ٣٢٩).

والنقل، فلا يضرُّنا إذا لم نعلم بالحكمة في معتَقدٍ من معتقداتنا، وكذلك الحال في الأحكام الشرعيَّة والأعمال العباديَّة، فقد لا نهتدي إلىٰ سرٍّ حكمٍ من الأحكام وفلسفة قانونٍ من القوانين الإلهيَّة، لكن التعبُّد بالنصر أمر لا بدَّ منه خصوصاً بعد ثبوته بنحو اليقين.

وعليه نقول: إنْ كانت الأدلَّة التي أقمناها في الفصول السابقة علىٰ ضرورة الإيمان بالمهدي ﷺ، مع تلك المواصفات الخاصَّة، وأنَّه الحجَّة بن الحسن العسكري، وأنَّه وُلِدَ وكان إماماً بعد أبيه - وفي الخامسة من عمره الشريف -، وأنَّه حيٌّ موجود علىٰ طول عمره المبارك. فإنَّ النتيجة الحتميَّة هي القول بهذه الغيبة الطويلة، سواء علمنا - مع ذلك - بسرٍّ من أسرارها أو لم نعلم. وإنْ كان بالإمكان أنْ نتصوَّر لها بعض الأسرار بقدر أفهامنا القاصرة وعقولنا المحدودة. فأمَّا من لا يطيق من المسلمين الالتزام بالمعجزة في طول عمر الإمام والفوائد المترتِّبة علىٰ وجوده - مع كونه غائباً - وجب عليه تصحيح اعتقاده من الأصل، وفي ضوء الأدلَّة من العقل والنقل.

وعلىٰ هذا الأساس أيضاً لا يمكننا قبول الافتراض الآخر، لأنَّ المفروض أنَّ الأدلَّة قادتنا إلىٰ استحالة (خلوِّ الأرض من حجَّةٍ لله ولو آناً واحداً)، وبعد الإيمان بذلك - سواء علمنا بشيء من الحِكَم في ذلك، ممَّا جاء في الكُتُب العلميَّة المفصَّلة في الباب أو لم نعلم -، فلا مناص من القول بوجود الإمام منذ ولادته، وأنَّه لا مجال لفرض الافتراض الآخر أبداً.

الشيخ عادل الحريري

المهدي المنتظر عج

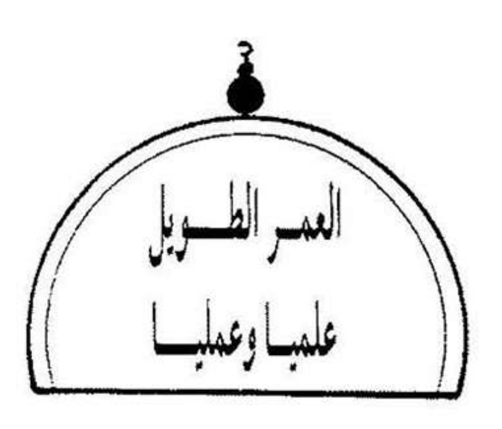
في حديث السنة المعتبر

مؤسسة المعارف للمطبوعات
ص. ب: ٢٤-١٠٦
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

مؤسسة المعارف للمطبوعات
ص.ب: ٢٤-١٠٦
بيروت - لبنان



هل يمكن لانسان ان يعيش قروناً كثيرة حيث يتجاوز عمره عمر الانسان العادي اضعاف الاضعاف؟

ان المؤمن اذا أتينا له بدليل قرآني أو روائي فانه يسلِّم بذلك ؟ ولكن بعض من ـ في قلوبهم مرض وبعض من لم يؤمن بالكتاب والسنَّة ـ يحتاج الى دليلٍ من نوع آخر وهو ما يطلقون عليه اسم الدليل العلمي ، ونرى لزوماً علينا من باب اكمال الحجة والبرهان ان نذكر بعض ما يطلبوه فنقول : لقد اثبت الأطباء امكانية بقاء الانسان حياً لفترة طويلة من الزمن وكمثال على ذلك فلقد اجريت

بعض التجارب على بعض الحيوانات فامتد عمرها اكثر باضعاف عن عمرها الطبيعي ، والى هذا اشار الاطباء اصحاب مجلة المقتطف قائلين :

. . . العلماء الموثوق بعلمهم يقولون : ان كل الانسجة الرئيسية في جسم الحيوان يقبل البقاء الى ما لا نهاية له ، وانه بالامكان ان يبقى الانسان الوفاً من السنين اذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته ، وقولهم هذا ليس مجرد ظن ، بل هو نتيجة علمية مؤيدة بالامتحان . . .

وغايةُ ما ثبت الآن (اي قبل ٣٤ عاماً) من التجارب المذكورة ان الانسان لا يموت بسبب بلوغ عمره الثمانين او مائة سنة بل لان العوارض[1]

---

(١) كالصدمات التي تحصل للانسان بسبب فقد حبيب على نفسه من مال ، او اخ ، او زوج ، او . . . او . . .

تنتاب بعض اعضائه فتتلفها ، ولارتباط اعضائه ، بعضها ببعض تموت كلها ، فاذا استطاع العلم ان يزيل هذه العوارض ، او يمنع فعلها لم يبق مانع من استمرار الحياة مئات السنين . . . [1] .

وعليه فالامكانية العلمية موجودة ومجربة ولا مانع منها سوى عدم استطاعة العلم لحد الآن ان يزيل تلك العوارض، هذا من ناحية العلم .

وأما من ناحية الواقع العملي ، فان العمر الطويل لم يكن مستهجناً في العصور السالفة بل كان امراً عادياً طبيعياً ، ولهذا نرى الشيخ ابو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي[2] يستدل على كون المهدي ابن الامام الحسن العسكري وبالتالي فهو مولود وهو لا يزال حياً حيث يقول :

---

(١) مجلة المقتطف المصرية من المجلد ٥٩ ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ طبع عام ١٣٧٩ هـ .

(٢) في كتابه البيان في اخبار صاحب الزمان .

من الادلة على كوْن المهدي حياً باقياً بعد غيبته والى الآن ، وانـه لا امتناع في بقـائـه : بقـاء عيسىٰ بن مـريـم ، والـخضـر ، والـيـاس من اولـيـاء الله تعـالى ، وبقاء الاعـور الدجـال وابليس اللعين ، من اعـداء الله تعالى ، وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنّة .

اما عيسى : فالدليل على بقـاءه قولـه تعـالى : ﴿ وإنَّ مِنْ أهـل الكتـاب إلاَّ ليؤمنن به قبل موته ﴾[1] ولم يؤمن به مذ نزول هذه الآية الى يومنا هذا أحد ، فلا بدَّ أن يكون في آخر الزمان . . .

وأما الخضر والياس (ع) ، فقال ابن جرير الطبري : الخضـر والياس بـاقيان يسيران في الارض . . .

واما الدجـال: فقـد روى مسلم في

(١) سورة النساء آية ١٥٩ .

صحيحه عن ابي سعيد الخدري حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما حدَّثنا انه قال : يأتي (الدجال) وهو مُحَرَّمٌ عليه ان يدخل عتبات المدينة ، فينتهي الى بعض السِباخ التي تلي المدينة فيخرج اليه رجل هو خير الناس . . . فيقول الدجال : ان قتلتُ هذا ثم احييته أتشكوا في الأمر ، فيقولون لا ، فيقتله ثم يحييه ، فيقول (المقتول) حين يحييه : والله ما كنت فيك قط اشد بصيرةً مني الآن ، فيريد الدجال ان يقتله ، فلن يسلط عليه ، قال ابراهيم ابن سعيد : يقال ان هذا الرجل هو الخضر . . .

واما الدليل على بقاء اللعين ابليس ، فالكتاب وهو قوله تعالى : ﴿ انك من المنظرين ﴾ واما بقاء المهدي ، فقد جاء في تفسير الكتاب عن سعيد بن جبير

في تفسير قوله تعالى : ﴿ **ليُظهره على الدين كلهِ ولو كره المشركون** ﴾[1] قال : هو المهدي من ولد فاطمة رضي الله عنها ، واما من قال انه عيسى ، فلا منافات بين القولين ، اذ هو مساعد المهدي ، وقد قال مقاتل بن سليمان ومن تابعه من المفسرين في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وإنه لعلمٌ للساعةِ** ﴾[2] قال هو المهدي يكون في آخر الزمان ، وبعد خروجه تكون امارات الساعة وقيامها[3] .

وكمثال آخر ما ذهب اليه العلامة سبط ابن الجوزي حيث قال :

وفي التوراة : ان ذا القرنين عاش

---

(١) سورة الصف/آية ٩ .

(٢) سورة الزخرف/آية ٦١ .

(٣) نور الابصار للسيد مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي .

ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة ، ولد في حجر آدم وعناق امه ، وقتله موسى بن عمران ، وابوه سيحان ، وعاش الضحاك وهو (بيورسب) الف سنة ، وكذلك (طهمورث) واما من الانبياء فخلق كثير بلغوا الألف ، وزادوا عليها ، كآدم ، ونوح ، وشيت ، ونحوهم . . . [1] .

وبقي ان نذكر بعض الآيات القرآنية الحاكية عن نوح عليه السلام وعن يونس عليه السلام :

يقول الله تعالى : ﴿**ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاماً ، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون**﴾[2] .

فهذه الآية تشير ان دعوة نوح لقومه كانت (٩٥٠) عام

---

(١) تذكرة الخواص ص ٣٦٤ طبعالنجف ١٩٦٤ م .

(٢) سورة العنكبوت/آية ١٤ .

فكم كـان عمره قبـل البعثة ؟ وكم عـاش بعد الـطوفان ؟ فعن الامـام جعفر بن محمـد الصادق بسنـد صحيـح انـه قال :

(ان نوحاً عاش الفي وثلاثمائة سنة ،
منهـا ثمنامـائـة وخمسـون قبـل البعثـة ،
والف الا خمسين مـع قومـه يدعـوهم ،
وخمسمائة بعد نزوله من السفينة) .

ويقول الله تعالى حكاية عن وضع يونس (ع) :

﴿ ولولا انه كـان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ﴾(١) .

فيـونس عليـه السـلام لـو لم يكن من المسبحين لله تعـالى وهو في جـوف ذلك الحـوت لبقي حيـاً كمـا قـال تعالى الى يوم البعث وهو يوم القيامة .

وعليـه فان كـان هـذا العمـر الـطويـل طبيعيـاً فلمـاذا نستغربه في المهدي المخلِّص .

---

(١) سورة الصافات/آية ١٤٣ .

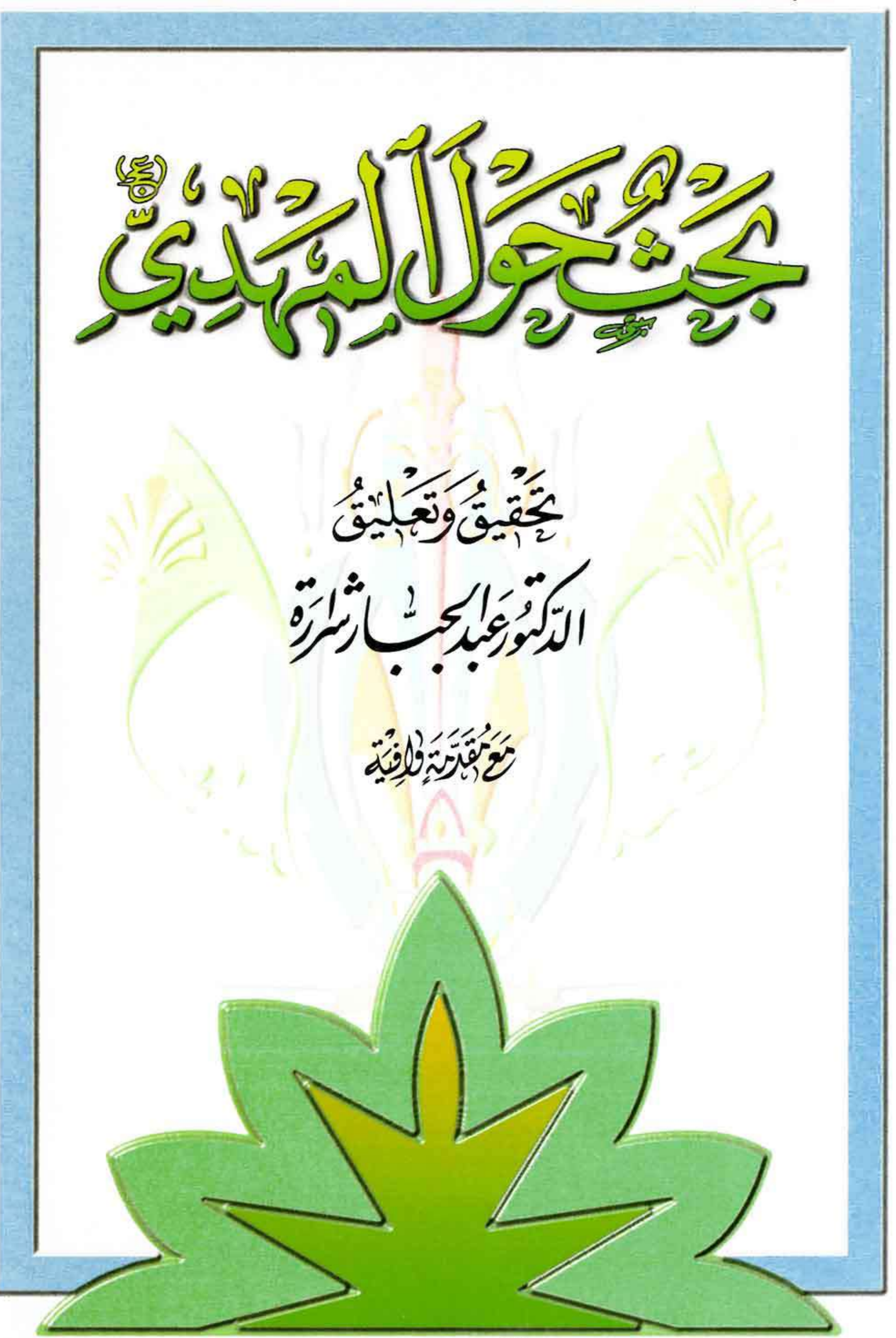
وفوق كل ما تقدم من دليل نقول :

ان العظمة الإلهية ، والقدرة التي لا يردها شيء، الذي يقول للشيء كن فيكون ، والذي قال للنار كوني برداً وسلاماً فكانت كذلك لابراهيم (ع) والذي نصر دينه مع قلة الناصر وكثرة العدو . . اليس بقادر ان يمد في عمر المهدي ؟ بلى ، انه لقادر على كل شيء .

وبعد هذا يتبادر السؤال عن غيبة المهدي عن امته ترى ما هي اسباب غيبته عنا ؟

وهذا ما سنجيب عليه في البحث القادم انشاء الله تعالى .

الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره



الغدير
بيروت - لبنان

جميـع الحقـوق محفوظـة

الطبعة الثانية المحققة

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م



حارة حريك - بناية البنك اللبناني - السويسري

هاتف: ٦٤٤٦٦٢(٠٣) — ص.ب ٥٠/ ٢٤ بيروت - لبنان

كيف تأتّى للمهدي هذا العمر الطويل؟

هل بالإمكان أن يعيش الإنسان قروناً كثيرة كما هو المفترض في هذا القائد المنتظر لتغيير العالم، الذي يبلغ عمره الشريف فعلاً أكثر من ألف ومائة وأربعين سنة، أي حوالي(١٤) مرة بقدر عمر الإنسان الاعتيادي الذي يمرُّ بكل المراحل الاعتيادية من الطفولة إلى الشيخوخة؟

كلمة الإمكان هنا تعني أحد ثلاثة معانٍ: الإمكان العملي، والإمكان العلمي، والإمكان المنطقي أو الفلسفي.

وأقصد بالإمكان العملي: أن يكون الشيء ممكناً على نحو يتاح لي أو لك، أو لإنسان آخر فعلاً أن يحققه، فالسفر عِبر المحيط، والوصول إلى قاع البحر، والصعود إلى القمر، أشياء أصبح لها إمكان عملي فعلاً. فهناك من يمارس هذه الأشياء فعلاً بشكل وآخر[1].

وأقصد بالإمكان العلمي: أنّ هناك أشياء قد لا يكون بالإمكان عملياً لي أو لك، أن نمارسها فعلاً بوسائل المدنية المعاصرة، ولكن لا يوجد لدى العلم ولا

(١) ولم تكن مثل هذه الأُمور بمتصورة سابقاً قبل وقوعها، ولو حُدّثَ بها أحدُ من الناس قبلَ تحققها فعلاً لَعُدّ الحديث مجرد تخيلات وأوهام.

تشير اتجاهاته المتحركة إلى ما يبرر رفض إمكان هذه الأشياء ووقوعها وفقاً لظروف ووسائل خاصة، فصعود الإنسان إلى كوكب الزهرة لا يوجد في العلم ما يرفض وقوعه، بل إنّ اتجاهاته القائمة فعلاً تشير إلى إمكان ذلك، وإن لم يكن الصعود فعلاً ميسوراً لي أو لك؛ لأنّ الفارق بين الصعود إلى الزهرة والصعود إلى القمر ليس إلّا فارق درجة، ولا يمثل الصعود إلى الزهرة إلّا مرحلة تذليل الصعاب الإضافية التي تنشأ من كون المسافة أبعد، فالصعود إلى الزهرة ممكن علمياً وإن لم يكن ممكناً عملياً فعلاً[1]. وعلى العكس من ذلك الصعود إلى قرص الشمس في كبد السماء فإنّه غير ممكن علمياً، بمعنى أنّ العلم لا أمل له في وقوع ذلك، إذ لا يُتصوّر علمياً، وتجريبياً إمكانية صنع ذلك الدرع الواقي من الاحتراق بحرارة الشمس، التي تمثل أتوناً هائلاً مستعراً بأعلى درجة تخطر على بال إنسان.

وأقصد بالإمكان المنطقي أو الفلسفي: أن لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قَبْلية ـ أي سابقة على التجربة ـ ما يبرر رفض الشيء والحكم باستحالته.

فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوي وبدون كسر إلى نصفين ليس له إمكان منطقي؛ لأنّ العقل يدرك ـ قبل أن يمارس أي تجربة ـ أنّ الثلاثة عدد فردي وليس زوجاً، فلا يمكن أن تنقسم بالتساوي؛ لأنّ انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً، فتكون فرداً وزوجاً في وقت واحد، وهذا تناقض، والتناقض مستحيل منطقياً. ولكن دخول الإنسان في النار دون أن يحترق، وصعوده للشمس دون أن تحرقه الشمس بحرارتها ليس مستحيلاً من الناحية المنطقية، إذ لا تناقض في

---

(١) الكلام في وقته دقيق علمياً، فهو يقول: إنه ممكن علمياً، ولكنه لم يكن قد تحقق فعلاً، والواقع أنّ كثيراً من الإنجازات في عالم الفضاء، وتسيير المركبات الفضائية إلى كواكب وتوابع الأرض وغيرها قد أصبح حقائق في أواخر القرن العشرين.

افتراض أنّ الحرارة لا تتسرب من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة، وإنّما هو مخالف للتجربة التي أثبتت تسرب الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة إلى أن يتساوى الجسمان في الحرارة.

وهكذا نعرف أنّ الإمكان المنطقي أوسع دائرة من الإمكان العلمي، وهذا أوسع دائرة من الإمكان العملي.

ولا شكّ في أنّ امتداد عمر الإنسان آلاف السنين ممكن منطقياً؛ لأنّ ذلك ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقلية تجريدية، ولا يوجد في افتراض من هذا القبيل أي تناقض؛ لأنّ الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع، ولا نقاش في ذلك.

كما لا شكّ أيضاً ولا نقاش في أنّ هذا العمر الطويل ليس ممكناً إمكاناً عملياً، على نحو الإمكانات العملية للنزول إلى قاع البحر أو الصعود إلى القمر، ذلك لأنّ العلم بوسائله وأدواته الحاضرة فعلاً، والمتاحة من خلال التجربة البشرية المعاصرة، لا تستطيع أن تمدد عمر الإنسان مئات السنين، ولهذا نجد أنّ أكثر الناس حرصاً على الحياة وقدرة على تسخير إمكانات العلم، لا يتاح لهم من العمر إلّا بقدر ما هو مألوف.

وأما الإمكان العلمي فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرر رفض ذلك من الناحية النظرية[1]. وهذا بحث يتصل في الحقيقة بنوعية التفسير الفسلجي لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الإنسان، فهل تعبّر هذه الظاهرة عن قانون طبيعي يفرض على أنسجة جسم الإنسان وخلاياه ـ بعد أن تبلغ قمة نموها ـ أن تتصلب بالتدريج

---

(١) نعم، لا يوجد مبرر علمي واحدٌ يرفض هذه النظرية، بل إنّ علماء الطبّ منشغلون فعلاً بمحاولات حثيثة لإطالة عمر الإنسان، وإنّ هناك عشرات التجارب التي تتمُّ في هذا المجال، وذلك وحده ينهض دليلاً قوياً على الإمكان النظري أو العلمي.

وتصبح أقل كفاءة للاستمرار في العمل، إلى أنْ تتعطل في لحظة معينة، حتى لو عزلناها عن تأثير أي عامل خارجي؟ أو أنّ هذا التصلب وهذا التناقص في كفاءة الأنسجة والخلايا الجسمية للقيام بأدوارها الفسيولوجية، نتيجة صراع مع عوامل خارجية كالميكروبات أو التسمم الذي يتسرب إلى الجسم من خلال ما يتناوله من غذاء مكثّف؟ أو ما يقوم به من عمل مكثف أو أي عامل آخر؟

وهذا سؤال يطرحه العلم اليوم على نفسه، وهو جاد في الإجابة عنه، ولا يزال للسؤال أكثر من جواب على الصعيد العلمي.

فإذا أخذنا بوجهة النظر العلمية التي تتجه إلى تفسير الشيخوخة والضعف الهرمي، بوصفه نتيجة صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية معينة، فهذا يعني أنّ بالإمكان نظرياً، إذا عُزلت الأنسجة التي يتكون منها جسم الإنسان عن تلك المؤثرات المعيّنة، أن تمتد بها الحياة وتتجاوز ظاهرة الشيخوخة وتتغلب عليها نهائياً.

وإذا أخذنا بوجهة النظر الأُخرى، التي تميل إلى افتراض الشيخوخة قانوناً طبيعياً للخلايا والأنسجة الحيّة نفسها، بمعنى أنها تحمل في أحشائها بذرة فنائها المحتوم، مروراً بمرحلة الهرم والشيخوخة وانتهاءً بالموت.

أقول:

إذا أخذنا بوجهة النظر هذه، فليس معنى هذا عدم افتراض أي مرونة في هذا القانون الطبيعي، بل هو ـ على افتراض وجوده ـ قانون مرن؛ لأننا نجد في حياتنا الاعتيادية؛ ولأنّ العلماء يشاهدون في مختبراتهم العلمية، أنّ الشيخوخة كظاهرة فسيولوجية لا زمنية، قد تأتي مبكرة، وقد تتأخر ولا تظهر إلّا في فترة متأخرة، حتى إنّ الرجل قد يكون طاعناً في السن ولكنه يملك أعضاء لينة، ولا

تبدو عليه أعراض الشيخوخة كما نصّ على ذلك الأطباء[1]. بل إنّ العلماء استطاعوا عملياً أن يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعي المفترض، فأطالوا عمر بعض الحيوانات مئات المرات بالنسبة إلى أعمارها الطبيعية؛ وذلك بخلق ظروف وعوامل تؤجل فاعلية قانون الشيخوخة.

وبهذا يثبت علمياً أنّ تأجيل هذا القانون بخلق ظروف وعوامل معيّنة أمر ممكن علمياً، ولئن لم يتح للعلم أن يمارس فعلاً هذا التأجيل بالنسبة إلى كائنٍ معقد معيّن كالإنسان، فليس ذلك إلّا لفارق درجة بين صعوبة هذه الممارسة بالنسبة إلى الإنسان وصعوبتها بالنسبة إلى أحياء أُخرى. وهذا يعني أنّ العلم من الناحية النظرية وبقدر ما تشير إليه اتجاهاته المتحركة لا يوجد فيه أبداً ما يرفض إمكانية إطالة عمر الإنسان، سواء فسّرنا الشيخوخة بوصفها نتاج صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية أو نتاج قانون طبيعي للخليّة الحيّة نفسها يسير بها نحو الفناء.

ويتلخص من ذلك: أنّ طول عمر الإنسان وبقاءه قروناً متعددة أمر ممكن منطقياً وممكن علمياً، ولكنه لا يزال غير ممكن عملياً، إلّا أنّ اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الإمكان عبر طريق طويل.

وعلى هذا الضوء نتناول عمر المهدي عليه الصلاة والسلام وما أُحيط به من استفهام أو استغراب، ونلاحظ:

إنه بعد أن ثبت إمكان هذا العمر الطويل منطقياً وعلمياً، وثبت أنّ العلم

---

(١) يؤكد الأطباء والدراسات الطبية على هذه الملاحظة، وأنّ لديهم مشاهدات كثيرة في هذا المجال، ولعلّ هذا هو الذي دفعهم إلى إجراء محاولات وتجارب لإطالة العمر الطبيعي للإنسان، وكالمعتاد كان مسرح التجربة في البداية هي الحيوانات لميسورية ذلك، وعدم وجود محاذير أُخرى تمنع إجراء مثل تلك التجارب على الإنسان.

سائر في طريق تحويل الإمكان النظري إلى إمكان عملي تدريجاً، لا يبقى للاستغراب محتوىً إلّا استبعاد أن يسبق المهدي العلم نفسه، فيتحول الإمكان النظري إلى إمكان عملي في شخصه قبل أن يصل العلم في تطوره إلى مستوى القدرة الفعلية على هذا التحويل، فهو نظير من يسبق العلم في اكتشاف دواء ذات السحايا أو دواء السرطان.

وإذا كانت المسألة هي أنه كيف سبق الإسلام ـ الذي صمّم عمر هذا القائد المنتظر ـ حركة العلم في مجال هذا التحويل؟

فالجواب: أنه ليس ذلك هو المجال الوحيد الذي سبق فيه الإسلام حركة العلم.

أوَليست الشريعة الإسلامية ككل قد سبقت حركة العلم والتطور الطبيعي للفكر الإنساني قروناً عديدة؟[1]

أوَلَمْ تنادِ بشعارات طرحت خططاً للتطبيق لم ينضج الإنسان للتوصل إليها في حركته المستقلة إلّا بعد مئات السنين؟

أوَلَمْ تأت بتشريعات في غاية الحكمة، لم يستطع الإنسان أن يدرك أسرارها ووجه الحكمة فيها إلّا قبل برهة وجيزة من الزمن؟

أوَلَمْ تكشف رسالة السماء أسراراً من الكون لم تكن تخطر على بال إنسان، ثمّ

---

(١) هذه التساؤلات التي يثيرها السيد الشهيد ﵀ تهدفُ إلى ترسيخ حقيقة مهمة، هي أنّ الرسول الأعظم ﷺ عندما بشّر (بالمهدي)، وهو حالة غير اعتيادية في سياق البشرية، تنبئُ في جملتها عن تسجيل سبقٍ في الإمكانية العملية، بعد تأكيد الإمكانية العلمية، أى لبقاء الإنسان مدةً أطول بكثير من المعتاد، فإنّ مثل هذا السبق في التنبيه على حقائق في هذا الوجود كان قد سجّله القرآن والحديث الشريف في موارد كثيرة جداً في مسائل الطبيعة والكون والحياة. راجع: القرآن والعلم الحديث/ الدكتور عبدالرزاق نوفل.

جاء العلم ليثبتها ويدعمها؟

فإذا كنا نؤمن بهذا كله، فلماذا نستكثر على مرسل هذه الرسالة ـ سبحانه وتعالى ـ أن يسبق العلم في تصميم عمر المهدي؟[1] وأنا هنا لم أتكلم إلّا عن مظاهر السبق التي نستطيع أن نحسّها نحن بصورة مباشرة، ويمكن أن نضيف إلى ذلك مظاهر السبق التي تحدّثنا بها رسالة السماء نفسها.

ومثال ذلك أنها تخبرنا بأنّ النبي ﷺ قد أُسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهذا الإسراء[2] إذا أردنا أن نفهمه في إطار القوانين الطبيعية، فهو يعبّر عن الاستفادة من القوانين الطبيعية بشكل لم يتح للعلم أن يحققه[3] إلّا بعد مئات السنين، فنفس الخبرة الربانية التي أتاحت للرسول ﷺ التحرك السريع قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك، أتاحت لآخر خلفائه المنصوصين العمر المديد، قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك.

نعم، هذا العمر المديد الذي منحه الله تعالى للمنقذ المنتظر يبدو غريباً في

---

(١) إشارة إلى أنّ هذا من قبيل الإعجاز أيضاً، وهو إفاضة ربانية خاصة، وهذا أمرٌ لا يسعُ المسلمُ إنكاره، بعد أن أخبرت بأمثاله الكتب السماوية، وبالأخص القرآن، كالذي ورد في شأن عمر النبي نوح عليه السلام، وكذا ما أخبر به القرآن من المغيبات الأُخرى، على أنّ كثيراً من أهل السُنّة ومن المتصوفة وأهل العرفان يؤمنون بوقوع الكرامات وما يشبه المعجزات للأولياء والصلحاء والمقرّبين من حضرة المولى تعالى. راجع: التصوف والكرامات/ الشيخ محمد جواد مغنية. وراجع: التاج الجامع للأُصول ٥ : ٢٢٨/كتاب الزهد والرقائق ـ الذين تكلموا في المهد.

(٢) إشارة إلى الآية المباركة: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى... ﴾ الإسراء: ١.

(٣) إشارة إلى تصميم المركبات الفضائية، وركوب الفضاء والتوغل إلى مسافات بعيدة عن أرضنا، وقطعها في ساعات أو أيام معدودة، وقد أضحت هذه حقائق في حياتنا المعاصرة في أواخر القرن العشرين.

حدود المألوف حتى اليوم في حياة الناس، وفي ما أنجز فعلاً من تجارب العلماء.

ولكن!

أوَليس الدور التغييري الحاسم الذي أُعدّ له هذا المنقذ غريباً في حدود المألوف في حياة الناس، وما مرّت بهم من تطورات التاريخ؟

أوَليس قد أُنيط به تغيير العالم، وإعادة بنائه الحضاري من جديد على أساس الحق والعدل؟

فلماذا نستغرب إذا اتّسم التحضير لهذا الدور الكبير ببعض الظواهر الغريبة والخارجة عن المألوف كطول عمر المنقذ المنتظر؟ فإنّ غرابة هذه الظواهر وخروجها عن المألوف مهما كان شديداً، لا يفوق بحال غرابة نفس الدور العظيم الذي يجب على اليوم الموعود إنجازه. فإذا كنا نستسيغ ذلك الدور الفريد[1] تاريخياً على الرغم من أنه لا يوجد دور مناظر له في تاريخ الإنسان، فلماذا لا نستسيغ ذلك العمر المديد الذي لا نجد عمراً مناظراً له في حياتنا المألوفة؟

ولا أدري!

هل هي صدفة أن يقوم شخصان فقط بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد وبنائها من جديد، فيكون لكلّ منهما عمر مديد يزيد على أعمارنا الاعتيادية أضعافاً مضاعفة؟

أحدهما مارس دوره في ماضي البشرية وهو النبي نوح، الذي نصّ القرآن

---

(١) إشارة إلى ما أُعدّ للإمام المهدي المنتظر من دور ومهمةٍ تغييرية على مستوى الوجود الإنساني برمته كما يشير الحديث الصحيح: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً».
وهذا الدور وهذه المهمة عليها الإجماع بين علماء الإسلام، والاختلاف حصل في أُمور فرعية.
ومن هنا كان التساؤل الذي أثاره السيد الشهيد (رحمه الله) له مبرر منطقي قوي.

الكريم[1] على أنه مكث في قومه ألف سنةٍ إلّا خمسين عاماً، وقُدّر له من خـلال الطوفان أن يبني العالم من جديد.

والآخر يمارس دوره في مستقبل البشرية وهو المهدي الذي مكث في قومه حتى الآن أكثر من ألف عام وسيقدّر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد.

فلماذا نقبل نوح الذي ناهز ألف عام على أقل تقدير ولا نقبل المهدي ؟[2]

---

(١) في الآية المباركة: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً ﴾ العنكبوت: ١٤.

(٢) السؤال موجّه إلى المسلمين المؤمنين بالقرآن الكريم وبالحديث النبوي الشريـف، وقـد روى علماء السُنّة لغير نوح ما هو أكثر من ذلك. راجع تهذيب الأسماء واللغات/ النووي ١: ١٧٦، ولا يصحُّ أن يُشْكلَ أحدٌ بأنّ ذاك أخبر به القرآن فالنصّ قطعي الثبوت، وهو يتعلق بـالنبي المرسل نوح عليه السلام، أما هنا فليس لدينا نصّ قطعي، ولا الأمر متعلق بنبيّ.

والجواب: أنّ المهمة أولاً واحدة، وهي تغيير الظلم والفساد، وأنّ الوظيفة كما أُوكلت إلى النبي، فقد أُوكلت هنا إلى من اختاره الله تعالى أيضاً كما هو لسان الروايات الصحيحة. قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً...» التاج الجامع للأُصول ٥: ٣٤٣.

وأما من جهة قطعية النص، فأحاديث المهدي بلغت حدّ التواتر، وهو مُوجب للقطع والعلم، فلا فرق في المقامين. راجع: التاج الجامع للأُصول ٥: ٣٤١ و ٣٦٠ فقد نقل التواتر عن الشوكاني، وانتهى المحققون من علماء الفريقين إلى القول بأنّ من كفر بالمهدي فقد كفر بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم وليس ذلك إلّا بلحاظ أنه ثبت بالتواتر، وأنه من ضرورات الديـن، والمنكر لذلك كافر إجماعاً. وراجع: الإشاعة لأشراط الساعة/ البرزنجي في بحثه حول المهدي. وقد نقلنا حكاية التواتر في المقدمة أيضاً.

المعجزة والعمر الطويل

وقد عرفنا حتى الآن أنّ العمر الطويل ممكن علمياً ، ولكن لنفترض أنه غير ممكن علمياً ، وأنّ قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم لا يمكن للبشرية اليوم ، ولا على خطها الطويل أن تتغلب عليه ، وتغير من ظروفه وشروطه ، فماذا يعني ذلك ؟ إنه يعني أنّ إطالة عمر الإنسان ـ كنوحٍ أو كالمهدي ـ قروناً متعددة ، هي على خلاف القوانين الطبيعية التي أثبتها العلم بوسائل التجربة والاستقراء الحديثة ، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطلت قانوناً طبيعياً في حالة معينة للحفاظ على حياة الشخص الذي أُنيط به الحفاظ على رسالة السماء ، وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها ، أو غريبة على عقيدة المسلم المستمدة من نصّ القرآن والسُنّة[1] ، فليس قانون الشيخوخة والهرم أشدّ صرامة من قانون انتقال الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة حتى يتساويا ، وقد عُطّل هذا القانون لحماية حياة إبراهيم عليه السلام حين كان الأُسلوب الوحيد للحفاظ عليه تعطيل ذلك القانون . فقيل للنار حين أُلقي فيها إبراهيم ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ الأنبياء : ٦٩ ، فخرج منها كما دخل سليماً لم يصبه أذىً ، إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عُطّلت

(١) أي أنّ الأمر يصبح من قبيل المعجز ، وهو ما نطق به القرآن ، وجاء في صحيح السُنّة المطهرة ، والإعجاز حقيقة رافقت دعوة الأنبياء ، وادّعاء سفارتهم عن الحضرة الإلهية ، وهو ما لا يسع المسلم إنكاره أو الشك فيه ، بل إنّ غير المسلم يشارك المسلم في الاعتقاد بالمعجزات .

لحماية أشخاص من الأنبياء وحجج الله على الأرض، فَفُلِق البحر لموسى[١]، وشُبّه للرومان أنهم قبضوا على عيسى[٢] ولم يكونوا قد قبضوا عليه، وخرج النبي محمد ﷺ من داره وهي محفوفة بحشود قريش التي ظلّت ساعات تتربص به لتهجم عليه، فستره الله تعالى عن عيونهم وهو يمشي بينهم[٣]. كلّ هذه الحالات تمثل قوانين طبيعية عُطّلت لحماية شخص، كانت الحكمة الربانية تقتضي الحفاظ على حياته، فليكن قانون الشيخوخة والهرم من تلك القوانين.

وقد يمكن أن نخرج من ذلك بمفهوم عام وهو أنه كلّما توقف الحفاظ على حياة حجة لله في الأرض على تعطيل قانون طبيعي، وكانت إدامة حياة ذلك الشخص ضرورية لإنجاز مهمته التي أُعِدّ لها، تدخلت العناية الربانية في تعطيل ذلك القانون لإنجاز ذلك، وعلى العكس إذا كان الشخص قد انتهت مهمته التي أُعِدّ لها ربانياً فإنه سيلقى حتفه ويموت أو يستشهد وفقاً لما تقرره القوانين الطبيعية.

ونواجه عادة بمناسبة هذا المفهوم العام السؤال التالي: كيف يمكن أن يتعطل القانون[٤]؟ وكيف تنفصم العلاقة الضرورية التي تقوم بين الظواهر الطبيعية؟ وهل هذه إلّا مناقضة للعلم الذي اكتشف ذلك القانون الطبيعي، وحدّد هذه العلاقة

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ الشعراء: ٦٣.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ... ﴾ النساء: ١٥٧.

(٣) راجع: سيرة ابن هشام ٢: ١٢٧، فقد نقل هذه الحادثة وهي مُجمعٌ عليها.

(٤) قد يقال: إنّ القانون بصفته قانوناً لا بدّ أن يَطّرِد، ولا يُتصور التعطيل والانخرام، وقد لاحظ بعضهم أنّ الانخرام إنّما هو بقانون آخر، كما هو الأمر بالنسبة إلى قانون الجاذبية، الذي يستلزم جذب الأشياء إلى المركز، ومع ذلك فإنّ الماء يصعد بعملية الامتصاص في النباتات من الجذر إلى الأعلى بواسطة الشعيرات، وهذا بحسب قانون آخر هو(الخاصية الشعرية). راجع: القرآن محاولة لفهم عصري/ الدكتور مصطفى محمود.

الضرورية على أسس تجريبية واستقرائية ؟!

والجواب: أنّ العلم نفسه قد أجاب عن هذا السؤال بالتنازل عن فكرة الضرورة في القانون الطبيعي، وتوضيح ذلك: إنّ القوانين الطبيعية يكتشفها العلم على أساس التجربة والملاحظة المنتظمة، فحين يطّرد وقوع ظاهرة طبيعية عقيب ظاهرة أُخرى يُستدل بهذا الاطّراد على قانون طبيعي، وهو أنّه كلّما وُجِدَت الظاهرة الأولى وُجِدَت الظاهرة الثانية عقيبها، غير أنّ العلم لايفترض في هذا القانون الطبيعي علاقة ضرورية بين الظاهرتين نابعة من صميم هذه الظاهرة وذاتها، وصميم تلك وذاتها؛ لأنّ الضرورة حالة غيبية، لا يمكن للتجربة ووسائل البحث الاستقرائي والعلمي إثباتها، ولهذا فإنّ منطق العلم الحديث يؤكد أنّ القانون الطبيعي ـ كما يعرّفه العلم ـ لا يتحدث عن علاقة ضرورية، بل عن اقتران مستمر بين ظاهرتين[1]، فإذا جاءت المعجزة وفصلت إحدى الظاهرتين عن الأُخرى في قانون طبيعي لم يكن ذلك فصماً لعلاقة ضرورية بين الظاهرتين.

والحقيقة أنّ المعجزة بمفهومها الديني، قد أصبحت في ضوء المنطق العلمي الحديث مفهومة بدرجة أكبر مما كانت عليه في ظلّ وجهة النظر الكلاسيكية إلى علاقات السببية.

فقد كانت وجهة النظر القديمة تفترض أنّ كلّ ظاهرتين اطّرد اقتران إحداهما بالأُخرى فالعلاقة بينهما علاقة ضرورة، والضرورة تعني أنّ من المستحيل أن تنفصل إحدى الظاهرتين عن الأُخرى، ولكن هذه العلاقة تحولت في منطق العلم الحديث إلى قانون الاقتران أو التتابع المطّرد[2] بين الظاهرتين دون افتراض تلك الضرورة الغيبية.

---

(١) وقد بسط الشهيد الصدر القول في هذه المسألة في كتابه فلسفتنا فراجع ص٢٩٥ و ٢٩٩.

(٢) راجع فلسفتنا: ص٢٨٢ وما بعدها.

وبهذا تصبح المعجزة حالة استثنائية لهذا الاطّراد في الاقتران أوالتتابع دون أن تصطدم بضرورة أو تؤدي إلى استحالة.

وأما على ضوء الأُسس المنطقية للاستقراء[1] فنحن نتفق مع وجهة النظر العلمية الحديثة، في أنّ الاستقراء لا يبرهن على علاقة الضرورة بين الظاهرتين، ولكنّا نرى أنّه يدلّ على وجود تفسير مشترك لاطّراد التقارن أو التعاقب بين الظاهرتين باستمرار، وهذا التفسير المشترك كما يمكن صياغته على أساس افتراض الضرورة الذاتية، كذلك يمكن صياغته على أساس افتراض حكمة دعت منظم الكون إلى ربط ظواهر معينة بظواهر أُخرى باستمرار، وهذه الحكمة نفسها تدعو أحياناً إلى الاستثناء فتحدث المعجزة.

---

(١) راجع بسط وشرح النظرية في «الأُسس المنطقية للاستقراء» حيث توصل الإمام الشهيد الصدر ﷺ إلى اكتشاف مهم وخطير على صعيد نظرية المعرفة بشكل عام.

لماذا كل هذا الحرص على إطالة عمره؟

ونتناول الآن السؤال الثاني، وهو يقول:

لماذا كلّ هذا الحرص من الله سبحانه وتعالى على هذا الإنسان بالذات، فتُعطّل من أجله القوانين الطبيعية لإطالة عمره؟ ولماذا لا تترك قيادة اليوم الموعود لشخص يتمخض عنه المستقبل، وتنضجه إرهاصات اليوم الموعود فيبرز على الساحة ويمارس دوره المنتظر.

وبكلمة أخرى: ما هي فائدة هذه الغيبة الطويلة وما المبرّر لها؟

وكثير من الناس يسألون هذا السؤال وهم لا يريدون أن يسمعوا جواباً غيبياً، فنحن نؤمن بأنّ الأئمة الاثني عشر مجموعة فريدة[1] لا يمكن التعويض عن

(١) إشارة إلى معتقد الإمامية الاثني عشرية المستند إلى أدلة المعقول والمنقول، وبالأخص إلى حديث الثقلين المتواتر «إني تركتُ فيكم ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي». راجع: صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣ وراجع الصواعق المحرقة لابن حجر: ص٨٩، قال: ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسّك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً.

وكذلك إلى قوله ﷺ «لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض..» وإلى قوله ﷺ: «الخلفاء بعدي اثنا عشر كلهم من قريش». ومفاد ذلك كله تقرير هذا المعنى.

أي واحد منهم، غير أنّ هؤلاء المتسائلين يطالبون بتفسير اجتماعي للموقف، على ضوء الحقائق المحسوسة لعملية التغييرالكبرى نفسها والمتطلبات المفهومة لليوم الموعود.

وعلى هذا الأساس نقطع النظر مؤقتاً عن الخصائص التي نؤمن بتوفرها في هؤلاء الأئمة المعصومين[1] ونطرح السؤال التالي:

إننا بالنسبة إلى عملية التغيير المرتقبة في اليوم الموعود، بقدر ما تكون مفهومة على ضوء سنن الحياة وتجاربها، هل يمكن أن نعتبر هذاالعمر الطويل لقائدها المدّخر عاملاً من عوامل إنجاحها، وتمكنه من ممارستها وقيادتها بدرجة أكبر؟

ونجيب عن ذلك بالإيجاب، وذلك لعدة أسباب منها ما يلي:

إنّ عملية التغيير الكبرى تتطلب وضعاً نفسياً فريداً في القائد الممارس لها، مشحوناً بالشعور.. بالتفوق والإحساس بضآلة الكيانات الشامخة التي أُعِدّ للقضاء عليها، وتحويلها حضارياً إلى عالم جديد.

فبقدر ما يعمر قلب القائد المغيّر من شعور بتفاهة الحضارة التي يصارعها، وإحساس واضح بأنها مجرد نقطة على الخط الطويل لحضارة الإنسان، يصبح أكثر

---

(١) تحدّث النبي الأكرم محمد ﷺ كثيراً عن خصائصهم وأدوارهم، ووظيفتهم ومهماتهم، وأنهم حملة الشريعة، وسفن النجاة، وأمان الأُمّة، وعصمتها من الضلال، كما إليه الإشارة في حديث الثقلين، وحديث لن يفترقا وكلاهما يؤكدان عصمتهم، إذ لا يعقل أنهم عصمة الأُمّة من الضلال، وأنهم لن يفترقا عن القرآن المعصوم، وهم غير معصومين!!

راجع في هذا المطلب: الأُصول العامة للفقه المقارن/العلّامة محمد تقي الحكيم/ مبحث حجية السُنّة: ص١٦٩ وما بعدها.

قدرة من الناحية النفسية[1] على مواجهتها والصمود في وجهها ومواصلة العمل ضدها حتى النصر.

ومن الواضح أنّ الحجم المطلوب من هذا الشعور النفسي يتناسب مع حجم التغيير نفسه، ومايُراد القضاء عليه من حضارة وكيان، فكلما كانت المواجهة لكيان أكبر ولحضارة أرسخ وأشمخ تطلّبت زخماً أكبر من هذا الشعور النفسي المفعم.

ولما كانت رسالة اليوم الموعود تغيير عالم مليء بالظلم وبالجور، تغييراً شاملاً بكل قيمه الحضارية وكياناته المتنوعة، فمن الطبيعي أن تفتش هذه الرسالة عن شخص أكبر في شعوره النفسي من ذلك العالم كله، عن شخص ليس من مواليد ذلك العالم الذين نشأوا في ظل تلك الحضارة التي يُراد تقويضها واستبدال حضارة العدل والحق بها؛ لأنّ من ينشأ في ظل حضارة راسخة، تعمر الدنيا بسلطانها وقيمها وأفكارها، يعيش في نفسه الشعور بالهيبة تجاهها؛ لأنّه ولد وهي قائمة، ونشأ صغيراً وهي جبارة، وفتح عينيه على الدنيا فلم يجد سوى أوجهها المختلفة.

وخلافاً لذلك، شخص يتوغل في التاريخ عاش الدنيا قبل أن ترى تلك الحضارة النور، ورأى الحضارات الكبيرة سادت العالم الواحدة تلو الأُخرى ثمّ تداعت وانهارت[2]، رأى ذلك بعينيه ولم يقرأه في كتاب تاريخ..

---

(١) أن يكون القائد التاريخي مُهيّئاً نفسياً ومعدّاً إعداداً مناسباً لأداء المهمة، أمرٌ مفروغ منه، ولو رجعنا إلى القرآن الكريم لوجدناه يتحدث عن هذه المسألة في تاريخ الأنبياء بصورة واضحة جداً، وبخاصة فيما يتعلق بالنبي نوح عليه السلام، وهو أمرٌ يلفت الانتباه والنظر، وربما يكون للتشابه والاتفاق في الدور والمهمة التي أُوكلت لهما، كما نبّه الشهيد الصدر رضي الله عنه إليه.

راجع: مع الأنبياء/ عفيف عبدالفتاح طبارة.

(٢) ويمكن أن تقرّب هذا المعنى بما عشناه وشاهدناه من صعود الاتحاد السوفيتي وترقيه حتى صار

ثمّ رأى الحضارة التي يقدّر لها أن تكوّن الفصل الأخير من قصة الإنسان قبل اليوم الموعود، رآها وهي بذور صغيرة لا تكاد تتبين..

ثمّ شاهدها وقد اتخذت مواقعها في أحشاء المجتمع البشري تتربص الفرصة لكي تنمو وتظهر..

ثمّ عاصرها وقد بدأت تنمو وتزحف وتصاب بالنكسة تارة ويحالفها التوفيق تارة أُخرى..

ثمّ واكبها وهي تزدهر وتتعملق وتسيطر بالتدريج على مقدّرات عالم بكامله، فإنّ شخصاً من هذا القبيل عاش كلّ هذه المراحل بفطنة وانتباه كاملين ينظر إلى هذا العملاق ـ الذي يريد أن يصارعه ـ من زاوية ذلك الامتداد التاريخي الطويل الذي عاشه بحسّه لا في بطون كتب التاريخ فحسب، ينظر إليه لا بوصفه قدراً محتوماً، ولا كما كان ينظر (جان جاك روسو)[1] إلى المَلَكيّة في فرنسا، فقد جاء عنه أنه كان يرعبه مجرد أن يتصور فرنسا بدون ملك، على الرغم من كونه من الدعاة الكبار فكرياً وفلسفياً إلى تطوير الوضع السياسي القائم وقتئذٍ؛ لأنّ (روسو) هذا نشأ في ظل المَلَكيّة، وتنفس هواءها طيلة حياته، وأما هذا الشخص المتوغل في التاريخ، فله هيبة التاريخ، وقوة التاريخ، والشعور المفعم بأنّ ما حوله من كيان وحضارة وليد يوم من أيام التاريخ، تهيأت له الأسباب فَوُجِد، وستتهيأ

القطب الثاني في العالم، وتقاسم هو وأمريكا النفوذ الحضاري والهيمنة السياسية، وركبا معاً أجواء الفضاء، ثمّ شهدنا انهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك أوصاله بمثل تلك السرعة القياسية في الانهيار، فكم كان لذلك من أثر؟ وكم كان فيه من عبرة؟ وكم فيه من دلالة عميقة؟

(١) جان جاك روسو (١٧١٢ ـ ١٧٧٨م) كاتب وفيلسوف فرنسي اعتبره بعض النقاد الوجه الأبعد نفوذاً في الأدب الفرنسي الحديث والفلسفة الحديثة، وقد مهدت كتاباته ومقالاته للثورة الفرنسية، وأشهر مؤلفاته العقد الاجتماعي. راجع: موسوعة المورد/ منير البعلبكي ٨: ١٦٩.

الأسباب فيزول، فلا يبقى منه شيء كما لم يكن يوجد منه شيء بالأمس القريب أو البعيد، وأنّ الأعمار التاريخية للحضارات والكيانات مهما طالت فهي ليست إلّا أياماً قصيرة في عمر التاريخ الطويل.

هل قرأت سورة الكهف؟

وهل قرأت عن أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى[1]؟ وواجهوا كياناً وثنياً حاكماً، لا يرحم ولا يتردد في خنق أي بذرة من بذور التوحيد والارتفاع عن وحدة الشرك، فضاقت نفوسهم ودبّ إليها اليأس وسدّت منافذ الأمل أمام أعينهم، ولجأوا إلى الكهف يطلبون من الله حلاً لمشكلتهم بعد أن أعيتهم الحلول، وكبر في نفوسهم أن يظل الباطل يحكم ويظلم ويقهر الحق ويُصفّي كلّ من يخفق قلبه للحق.

هل تعلم ماذا صنع الله تعالى بهم؟

إنه أنامهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين[2] في ذلك الكهف، ثمّ بعثهم من نومهم ودفع بهم إلى مسرح الحياة، بعد أن كان ذلك الكيان الذي بهرهم بقوته وظلمه قد تداعى وسقط، وأصبح تاريخاً لا يُرعِبُ أحداً ولا يُحرك ساكناً، كلّ ذلك لكي يشهدَ هؤلاء الفتية مصرع ذلك الباطل الذي كبر عليهم امتداده وقوته واستمراره، ويروا انتهاء أمره بأعينهم ويتصاغر الباطل في نفوسهم.

ولئن تحققت لأصحاب الكهف هذه الرؤية الواضحة بكلّ ما تحمل من زخم وشموخ نفسيّيْن من خلال ذلك الحدث الفريد الذي مدّد حياتهم ثلاثمائة سنة، فإنّ

---

(١) إشارة إلى الآية القرآنية المباركة: ﴿ إِنَّهُم فِتْيَةٌ آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً . . . ﴾ الكهف: ١٣، وراجع تفسيرها في الكشاف/الزمخشري ٢: ٧٠٦، نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٢) إشارة إلى الآية: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُواْ تِسْعاً . . . ﴾ الكهف: ٢٥.

الشيء نفسه يتحقق للقائد المنتظر من خلال عمره المديد الذي يتيح له أن يشهد العملاق وهو قزم والشجرة الباسقة وهي بذرة، والإعصار وهو مجرد نسمة[1].

أضف إلى ذلك، أن التجربة التي تتيحها مواكبة تلك الحضارات المتعاقبة، والمواجهة المباشرة لحركتها وتطوراتها لها أثر كبير في الإعداد الفكري وتعميق الخبرة القيادية لليوم الموعود؛ لأنها تضع الشخص المدّخَر أمام ممارسات كثيرة للآخرين بكلّ ما فيها من نقاط الضعف والقوة، ومن ألوان الخطأ والصواب، وتعطي لهذا الشخص قدرة أكبر على تقييم الظواهر الاجتماعية بالوعي الكامل على أسبابها، وكلّ ملابساتها التاريخية.

ثمّ إنّ عملية التغيير المدّخرة للقائد المنتظر تقوم على أساس رسالة معينة هي رسالة الإسلام، ومن الطبيعي أن تتطلب العملية في هذه الحالة قائداً قريباً من مصادر الإسلام الأُولى، قد بُنيت شخصيته بناءً كاملاً بصورة مستقلة ومنفصلة عن مؤثرات الحضاره التي يُقدّر لليوم الموعود أن يحاربها.

وخلافاً لذلك، الشخص الذي يولد وينشأ في كنف هذه الحضارة وتتفتح أفكاره ومشاعره في إطارها، فإنّه لا يتخلص غالباً من رواسب تلك الحضارة ومرتكزاتها، وإن قاد حملة تغييرية ضدها.

فلكي يُضمن عدم تأثر القائد المدّخر بالحضارة التي أُعدّ لاستبدالها، لا بدّ أن تكون شخصيته قد بُنيت بناءً كاملاً في مرحلة حضارية سابقة هي أقرب ما

---

(١) وكلٌّ ذلك له مدخلية في تربيته وإعداده الإعداد الخاص، بما في ذلك امتلاكه النظرة الشمولية العميقة، فضلاً عن شهوده بنفسه ضآلة أُولئك المتعملقين الذين يملؤون الدنيا ضجيجاً وصخباً، ويسترهبون الناس، وهذا الشهود يؤهله أكثر فأكثر لأداء مهمته الكونية في التغيير، أي ملئه للأرض عدلاً بعدما ملئت ظلماً، هذا بغمض النظر عن مؤهلاته الذاتية، والعناية الربانية الخاصة.

تكون في الروح العامة ومن ناحية المبدأ إلى الحالة الحضارية التي يتجه اليوم الموعود إلى تحقيقها بقيادته[1].

(١) ولا ينبغي أن يُشكِلَ أحدٌ بأنّ النبي محمد ﷺ مع عالمية رسالته ومهمته التغييرية الكبرى إلّا أنه عاش في كنف الحضارة الجاهلية، ولم يتأثر بها، وكذا الأنبياء السابقون، فما هو الوجه في هذا الرأي؟

فجوابه:

أ - إنّ النبي ﷺ قد أُخضع فعلاً إلى حالة عزلة تامة عن الحضارة الجاهلية، وأنه كما ورد في السيرة النبوية قد حُبّبَ إليه الخلاء، وكان يذهب إلى غار حراء يتحنث فيه وكذا الأنبياء كانوا يتنزّهون عما عليه مجتمعهم، وكانوا يعتزلون، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ﴾ مريم: ٤٩.

ب - إنّ النبي المرسل يُوحى إليه، ويُسدّد مباشرة من السماء، ويُبلّغ بالأعمال والخطوات التي يتخذها خطوةً خطوةً، والإمام عليه السلام لا يُوحى إليه - كما هو عقيدة الإمامية - ولا يُبلّغ بالأُمور مباشرةً من السماء، نعم يكون مُسدّداً وتحت العناية الربانية، ولذلك فهو يحتاج إلى إعدادٍ خاص. ففي نفس الوقت الذي يكون فيه قريباً ومتصلاً بالحضارة الإسلامية، مستمداً من آبائه عليهم السلام الأصالة والمعرفة والعلم، يكون مطّلعاً على التجارب البشرية والحضارات في صعودها وعوامل تكوّنها وقوتها، وكذلك إخفاقاتها وعوامل ضعفها وانهيارها، فيستمد الخبرة والقدرة والإحاطة بالأُمور جميعاً، هذا مع اعتقادنا بقدرات الإمام العلمية الذاتية التي وهبها الله تعالى له، وبكونه مسدداً من السماء، كما سيتوضح في المبحث الرابع.

حسن موسى الصفار

الإمام المهدي عليه السلام

أمل الشعوب

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٣٩٩هـ - ١٣٧٩م

عمره الآن ١١٤٣ سنة؟

يتاح للإنسان أن يعيش في هذه الحياة فترة محدودة، يغادر الدنيا بعدها، وينتقل عبر جسر الموت إلى عالم آخر.

ومتوسط عمر الفترة التي يقضيها أي إنسان في هذه الدار الدنيا يتراوح ما بين ستين إلى سبعين سنة، وفي بعض الحالات القليلة قد يتجاوزها إلى المائة سنة، أما إذا تخطّى المائة سنة وبدأ يصارع عقود المائة الثانية فهذا يعتبر حالة استثنائية نادرة قد يسجلها التاريخ تحت عنوان: المعمرين.

بناءً على ذلك كيف صح لنا إذن أن نؤمن بوجود الإمام القائد المهدي الذي ولد سنة ٢٥٥هـ ونحن الآن في سنة ١٣٩٧هـ فيكون عمره الشريف ١١٤٣ سنة، فهل يمكن للإنسان أن يعيش هذا العمر الطويل؟

في الواقع لكي نستطيع التعرف على إمكانية هذه الحياة الطويلة يجب أن نتساءل ونبحث عن سبب الموت، فلماذا الموت؟

« هناك ما يقرب من مائتي إجابة عن هذا السؤال

الخطير الذي كثيراً ما يطرح في المجالس العلمية، منها: (فقدان الجسم لفاعليته)، (انتهاء عملية الأجزاء التركيبية)، (تجمد الأنسجة العصبية)، (حلول المواد الزلالية القليلة الحركة، محل الكثيرة الحركة منها)، (ضعف الأنسجة الرابطة)، (انتشار سموم بكتريا الأمعاء في الجسم).. وما إلى ذلك من الإجابات التي تتردد كثيراً حول ظاهرة الموت.

إن القول بفقدان الجسم لفاعليته جذاب للعقل.. فإن الآلات الحديدية والأحذية والأقمشة كلها تفقد فاعليتها بعد أجل محدود، فأجسامنا أيضاً تبلى وتفقد فاعليتها كالجلود التي نلبسها في موسم الشتاء. ولكن العلم الحديث لا يؤيدنا، لأن المشاهدة العلمية للجسم الإنساني تؤكد: أنه ليس كالجلود الحيوانية والآلات الحديدية، وليس كالجبال.. وإن أقرب شيء يمكن تشبيهه به هو ذلك (النهر) الذي لا يزال يجري منذ آلاف السنين على ظهر الأرض، فمن ذا الذي يستطيع القول بأن النهر الجاري يبلى ويهن ويعجز؟! بناء على هذا الأساس يعتقد الدكتور «لنس بالنج» (وهو حائز على جائزة نوبل للعلوم): إن الإنسان أبدي إلى حد

كبير، نظرياً، فإن خلايا جسمه تقوم بإصلاح ما فيه من الأمراض ومعالجتها تلقائياً! وبرغم ذلك فإن الإنسان يعجز ويموت، ولا تزال علل هذه الظاهرة أسراراً تحير العلماء.

إن جسمنا هذا في تجدد دائم، وإن المواد الزلالية التي توجد في خلايا دمائنا تتلف كذلك ثم تتجدد، ومثلها جميع خلايا الجسم، تموت وتحل مكانها خلايا جديدة، اللهم إلا الخلايا العصبية، وتفيد البحوث العلمية إن دم الإنسان يتجدد تجدداً كلياً خلال ما يقرب من أربع سنوات كما تتغير جميع ذرات الجسم الإنساني في بضع سنين. ونخرج من هذا بأن الجسم الإنساني ليس كهيكل، وإنما كالنهر الجاري، أي أنه « عمل مستمر » ومن ثم تبطل جميع النظريات القائلة بأن علة الموت هي وهن الجسم وفقده لقوته، فإن الأشياء التي فسدت أو تسممت من الجسم أيام الطفولة أو الشباب قد خرجت من الجسم منذ زمن طويل، ولا معنى لأن نجعلها سبب الموت، فسبب الموت موجود في مكان آخر، وليس في الأمعاء والأنسجة البدنية والقلب.

ويدعي بعض العلماء أن الأنسجة العصبية هي سبب

الموت لأنها تبقى في الجسم إلى آخر الحياة ولا تتجدد، ولو صح هذا التفسير القائل بأن النظام العصبي هو نقطة الضعف في الجسم الإنساني فمن الممكن أن نزعم أن أي جسم خال من (النظام العصبي) لابد أن يحيا عمراً أطول من الأجسام ذات النظام العصبي، ولكن المشاهدة العلمية لا تؤيدنا، فإن هذا النظام لا يوجد مثلاً في الأشجار، وبعضها يعيش لأطول مدة، ولكن شجرة القمح التي لا يوجد بها هذا النظام العصبي لا تعيش أكثر من سنة، وليس في كائن «الأميبا» أكثر من نصف ساعة، ومقتضى هذا التفسير أيضاً أن تلك الحيوانات التي تعد من (نسل أعلى) والتي تتمتع بنظام عصبي أكمل وأجود، لابد أن تعيش مدة أطول من تلك التي هي أحقر نسلاً وأضعف نظاماً ولكن الحقائق لا تؤيدنا في هذا أيضاً، فإن السلحفاة والتمساح وسمكة «باتيك» أطول عمراً من أي حيوان آخر. وكلها من النوع الثاني حقير النسل ضعيف النظام»[٤٤].

وما دام في جسم الإنسان استعداداً للبقاء والخلود،

---

(٤٤) الإسلام يتحدى، ص٨٠.

وليس فيه أي مكمن مبدئياً للموت، وما دام الإنسان أبدياً على الصعيد النظري والعلمي، فلماذا يموت الإنسان السليم الذي لا يعترضه عارض خارجي يسبب له الموت والفناء؟

إن الجواب الوحيد والواقعي هو أن الموت يأتي بقرار من اللّه خالق الإنسان والذي يحدد للإنسان أجله وإقامته في الحياة {وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا}[٤٥].

ولما كانت مسألة الموت متعلقة بقرار اللّه سبحانه وتعالى ومشيئته، فإن حكمته هي التي تحدد مسافة عمر كل فرد حسب الحكمة والمصلحة.

فقد تقتضي حكمة اللّه تعالى مصادرة حياة شخص وإنهاء إقامته في الدنيا وهو في عهد الطفولة أو ريعان الشباب...

وقد تقتضي حكمته جلّ وعلا استمرار حياة شخص ما لمئات السنين والأعوام.. كما يتحدث القرآن عن حياة نبي اللّه نوح عليه السلام فيقول: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

---

(٤٥) سورة المنافقون، الآية ١١.

نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا}[٤٦] أي ٩٥٠ سنة.

من هنا تبدو لنا قضية الإمام المهدي بعيدة عن الغرابة والاستنكار منسجمة مع النظرة العلمية مؤيدة بشواهد التاريخ.

وحتى لو لم تسعفنا النظرية العلمية بأدلة مقنعة، أو لم يقدم لنا التاريخ نماذج مشابهة، فيمكننا أن نلجأ في تفسير هذه الظاهرة (إطالة عمر الإمام المهدي) إلى قانون الإعجاز الإلهي والذي تنسحب أمامه جميع القوانين الطبيعية المألوفة ونترك له المجال ليتصرف بحرية لإنجاز أي قضية تتعلق بها حكمة السماء وتصطدم معها سنن الحياة المعروفة.

وهذه حقيقة لا يناقش فيها المؤمن بشرائع السماء فحماية إبراهيم الخليل من النار المضطرمة التي أُلقي في أتونها، وولادة مريم بعيسى، وتصلب ماء البحر لموسى لها قضايا تؤكد الكتب السماوية حدوثها مع تعارضها المبدئي للقوانين الثابتة.

---

(٤٦) سورة العنكبوت، الآية ١٤.

الشيخ حسين كوراني

آدابُ عصرِ الغيبَة



المركز الإسلامي
بيـروت

١٥٢

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة االثانية

١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م

نسخة مزيدة ومنقحة

* العــمر الطــويل

كيف يمكن لإنسان أن يعيش كل هذا العمر الطويل ؟

وهو سؤال طبيعي، وإجاباته طريفة يشار هنا إلى بعضها باختصار :

١ ـ أن النصارى واليهود مجمعون على طول عمر نبي الله آدم عليه السلام مثلاً

وأنه عاش ٩٣٠ سنة.(وهو جواب لهم)[1].

٢ ـ في تاريخ مختلف الأمم والشعوب حديث عن معمرين يذكر أن بعضهم عاش الآف السنين.

٣ـ المسلمون مجمعون على طول عمر النبي نوح والخضر وغيرهما.

٤ ـ يجمع المسلمون أيضاً على أن نبي الله عيسى ينزل ويصلي خلف المهدي، فأيهما أطول عمراً؟

٥ ـ وعلى من يقول إن طول عمر النبي عيسى والأنبياء الآخرين إنما هو باعتبارهم أنبياء، أن يتذكر ما أجاب به على هذا الاعتراض بعض العلماء السنة والشيعة فقالوا :

هذا خطأ، بدليل طول عمر إبليس والدجال لعنهماالله.

٦ ـ إن يكن طول العمر غريباً، فأكثر منه غرابة أن ينكره مسلم يؤمن بالخلود في الجنة أو النار!

---

(١) دافع الكثير من علماء السنة عن مسألة طول عمر الإمام المهدي منهم العلامة سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص ومما قاله «وفي التوراة أن ذا القرنين عاش ثلاثة آلاف سنة والمسلمون يقولون ألفاً وخمسمائة» التذكرة/ ٣٦٤.

منتخب

الأنوار المضيئة

[في ذكر القائم الحجة عليه السلام]

الأصل

للعلامة النسابة السيد بهاء الدين
علي بن عبد الكريم بن عبد الحميد النيلي النجفي
كان حياً سنة ٨٠٣ هـ

تحقيق

مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام

بهاءالدين نيلى، على بن عبدالكريم، - ۸۰۳؟ ق .
منتخب الانوار المضيئة [في ذكر القائم الحجةعليه‌السلام] / الاصل بهاءالدين علي بن عبدالكريم بن عبدالحميد النيلي النجفي: تحقيق مؤسسة الامام الهاديعليه‌السلام . ــ قم: مؤسسة الامام الهاديعليه‌السلام ، ۱۴۲۰ ق. = ۱۳۷۸ .
۶۵، ۴۱۵ ص.: نمونه .
ISBN 964 - 90069 - 4 - x : ۲۰۰۰۰ ريال
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عربى.
كتابنامه: ص. ۴۳۸ ـ ۴۵۰ .
۱. محمد بن حسن(عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ ق. ـ ۲. مهدويت. ۳. بهاءالدّين نيلى، على بن عبدالكريم، ـ ۸۰۳؟ ق. ــ سرگذشتنامه .
الف. موسسه امام هادىعليه‌السلام . ب. عنوان.
۸ م۹ ب / BP۵۱ ۲۹۷ / ۹۵۹
كتابخانه ملى ايران ۲۶۰۵۷ ـ ۷۸م

باهمكارى معاونت پژوهشى و آموزشى
وزارت فرهنگ وارشاد اسلامى

اسم الكتاب :	منتخب الأنوار المضيئة
المؤلف : الأصل للسيّد بهاءالدين علي بن عبدالكريم بن عبدالحميد النيلي النجفي	
التحقيق:	لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة الإمام الهاديعليه‌السلام
الناشر :	مؤسسة الإمام الهاديعليه‌السلام
الطبعة :	الاولى ـ ذوالقعدة ۱۴۲۰ - اسفند ۷۸
المطبعة :	اعتماد ـ قم
الكمية :	۳۰۰۰
الصف والإخراج :	مؤسسة الإمام الهاديعليه‌السلام
السعر :	[illegible] تومان

شابك x ـ ۴ ـ ۹۰۰۶۹ ـ ۹۶۴
ISBN 964 - 90069 - 4 - x

حقوق الطبع محفوظة للناشر

توزيع
مؤسسة الإمام الهاديعليه‌السلام
قم شارع بهار ـ زقاق آية‌الله النجفي، رقم ۴۸
☎ ۷۴۲۵۷۴ ـ فاكس ۷۴۱۵۷۴ ـ ص. ب ۵۱۴ ـ ۳۷۱۸۵

في ذكر طول تعميره

وليس تعميره عليه السلام أمراً لم يحصل لغيره من الأنام حتّى ينكره الأفهام، أو يعترض فيه الشّكّ والأوهام؛ بل قد حصل للأنبياء والأولياء ولكثير من الأمم والأشقياء، وقد ورد بذلك أخبار الأمم الماضين، وتضمّنت ذلك التّواريخ والكتب، من جملتها: «كتاب المعمّرين»[1].

فمن ذلك: ما صحّ لي روايته عن الشّيخ الصّدوق محمّد بن عليّ بن بابويه، يرفعه إلى هشام بن سالم[2]، عن الصّادق عليه السلام قال: عاش نوح ألفي سنة وخمسمائة سنة؛ منها

---

١ ـ ذكر العلاّمة الطّهراني في الذّريعة: ٢٦٨/٢١ ـ تحت رقم ٤٩٨٧ ورقم ٤٩٨٨ ـ كتابين بهذا العنوان: أحدهما لأبي مخنف (المتوفّى ١٥٧) وقال: نقل عنه في عدّة مواضع من «الإصابة»؛ وثانيهما لأبي المنذر هشام بن محمّد بن السّائب الكلبي النسّابة، المتوفّى سنة ٢٠٥. ولعلّه المراد هنا.

وقال ابن طاووس في الطّرائف: ١٨٦: رأيت تصنيفاً لأبي حاتم سهل بن محمّد السّجستاني من أعيان الأربعة المذاهب، سمّاه «كتاب المعمّرين» وذكرهم بأسمائهم.

٢ ـ هشام بن سالم الجواليقي من أصحاب الصّادق والكاظم عليهما السلام، قال النّجاشي في رجاله: ٤٣٤ رقم ١١٦٥: «هشام بن سالم الجواليقي، مولى بشر بن مروان، أبو الحكم، كان من سبي الجُوزجان؛ روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، ثقة ثقة، له كتاب يرويه جماعة».

⇦

ثمانمائة سنة[1] وخمسون سنة قبل أن يُبعث، وألف سنة إلاّ خمسين سنة وهو في قومه يدعوهم، وسبعمائة عام بعد ما نزل من السّفينة ونَضَبَ[2] الماء ومَصَّر الأمصار وأسكن ولده في البلدان.

ثمّ إنّ ملك الموت جاءه ـ وهو في الشّمس ـ فقال: السّلام عليك.

فردّ عليه، السّلام فقال: ماجاء بك يا ملك الموت؟

فقال: جئتك لأقبض روحك.

فقال له: تدعني حتى أدخل من الشّمس إلى الظّلّ؟

فقال: نعم.

قال: فتحوّل نوح عليه السلام ثمّ قال: يا ملك الموت كأنّ مامرّ بي من الدّنيا مثل تحوّلي من الشّمس إلى الظّلّ، فامض لما أمرت به.

قال: فقبض روحه عليه السلام.[3]

⇨

وذكره الشّيخ في رجاله: ٣٢٩ رقم ١٧ في أصحاب الصّادق عليه السلام وأيضاً في ص ٣٦٣ رقم٢ في أصحاب الكاظم عليه السلام.

وعدّه الشّيخ المفيد رحمه الله في رسالته العدديّة من الرّؤساء الأعلام، المأخوذ منهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام، الّذين لايطعن عليهم بشيء، ولا طريق إلى ذمّ واحد منهم، على ما في معجم رجال الحديث: ٢٩٧/١٩.

١ ـ «وستة» ب، ح. والظّاهر أنّه مصحّف من «سنة».

٢ ـ نَضَبَ الماء، يَنْضُب بالضّمّ، نُضُوباً، ونَضَّب: إذا ذهب في الأرض. «لسان العرب: ٧٦٢/١ ـ نضب ـ».

٣ ـ كمال الدّين: ٥٢٣ ح١ مثله؛ وكذا الأمالي: ٤١٣ م٧٧ ح٧، وروضة الواعظين: ٤٤٥، ومجمع البيان: ٤٣٥/٢، وقصص الأنبياء: ٨٧ ح٨ إلاّ أنّ فيها بدل «وسبعمائة»: «ومائتا سنة في عمل السّفينة، وخمسمائة». عن معظمها البحار: ٢٨٥/١١ ح٢.

وبالطّريق المذكور، قال: كانت أقلّ أعمار قوم نوح ثلاثمائة سنة[١]. [٢]

ومن ذلك، بالطّريق المذكور، يرفعه إلى محمّد بن يوسف التّميمي[٣]، عن الصّادق (عليه السّلام)[٤]، عن أبيه، عن جدّه، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: عاش آدم أبو البشر تسعمائة سنة وثلاثين سنة[٥]. وعاش إبراهيم مائة[٦] وسبعين سنة، وإسماعيل مائة وعشرين سنة، وإسحاق مائة وثمانين، ويعقوب (مائة وخمسة وأربعين)[٧]، ويوسف مائة وعشرين، وكذا موسى[٨]، وهارون مائة وثلاثة وثلاثين، وداود مائة سنة ملك منها أربعين، وسليمان سبعمائة واثني عشر سنة.[٩]

---

١ ـ ليس في «ب».

٢ ـ كمال الدّين: ٥٢٣ ح٢ عن أبي عبدالله عليه السلام، عنه البحار: ٢٨٩/١١ ح١٢؛ ولفظ الحديث فيهما: «كانت أعمار قوم نوح عليه السلام: ثلاثمائة سنة ثلاثمائة سنة».
وفي قصص الأنبياء: ٩٠ صدر ح٨٤ عن أبي عبدالله عليه السلام: «كانت أعمار قوم هود صلوات اللّه عليه أربعمائة سنة»، عنه البحار: ٣٥٩/١١ صدر ح١٧.

٣ ـ في معجم رجال الحديث: ٦٧/١٨ رقم ١٢٠٤٧ اقتصر على ذكره بهذا العنوان والإشارة إلى روايته عن محمّد بن جعفر، ورواية الحسن بن عليّ بن أبي حمزه عنه في موضعين من الكافي (٣٣٠/٥ ح٥) و(٢٢٣/٦ ح٢).

٤ ـ ما بين القوسين ليس في «ب» و«ح».

٥ ـ بزيادة «وعاش نوح عليه السلام ألفي سنة وأربعمائة سنة، وخمسين سنة» كمال الدّين.

٦ ـ «مائة وخمساً» كمال الدّين.

٧ ـ بدل ما بين القوسين: «مائة وعشرين» كمال الدّين، «مائة سنة وأربعين سنة» الخرائج.

٨ ـ في كمال الدّين: «وعاش موسى مائة وستّاً وعشرين سنة».

٩ ـ كمال الدّين: ٥٢٣ ح٣، والخرائج: ٩٦٤/٢ بتفاوت يسير، عن كمال الدّين: البحار: ٦٥/١١ ح١٠؛ وفي ص٢٦٨ ح١٩ صدره برمز كامل الزّيارات، ولم يوجد فيه، وظاهر سنده متّحد مع ⇦

ومن المعمّرين، الدّجّال:

بالطّريق المذكور، قال ابن [سَبْرة][1]: خطبنا أمير المؤمنين(عليه‌السلام)[2] فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النّبيّ(صلى‌الله‌عليه‌وآله)[3] وصلّى عليه ثمّ قال:

سلوني يا أيّها النّاس قبل أن تفقدوني ـ ثلاثاً ـ فقام صَعصَعة بن صُوحان[4] فقال: يا أمير المؤمنين متى يخرج الدّجّال؟

فقال له عليه‌السلام: اقعد فقد سمع الله كلامك وعلم ما أردت. والله والله ما المسؤول عنه بأعلم من السّائل، ولكن لذلك علامات وهيئات يتبع بعضها بعضاً كحذو النّعل

⇨

سند مثله في كمال الدّين؛ فلعلّه سهو وهو من الكمال. وقِطع منه في ج١١/٢٨٩ ح١٣، وج١٢/١٠ ح٢٧، وص١١٣ ح٤٢، وص٢٩٨ ح٨٥، وج١٣/٣٧٠ ح١٧، وج١٤/٨ ح١٧ وص١٤٠ ح٨ عن كمال الدّين.

١ ـ أثبتناه من كمال الدّين والخرائج، وهوالصّواب؛ وفي النّسخ: «سمره».

هو النزّال بن سَبْرة الهلاليّ الّذي ذكره ابن الأثير في أُسد الغابة: ٣١٤/٥ رقم ٥٢٠٢ وقال: «من بني هلال بن عامر بن صعصة، ذكروه فيمن رأى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولا تعلم له رواية إلاّ عن عليّ وابن مسعود، وهومعدود في كبار التّابعين وفضلائهم». وذكره أيضاً ابن حجر في الإصابة في تمييز الصّحابة: ٥٨٤/٣ رقم ٨٨٥٦ وقال: «روى عنه الشّعبي وعبدالملك ابن ميسرة والضحّاك بن مزاحم وآخرون».

٢ ـ ليس في «ب» و«ح».

٣ ـ ما بين القوسين ليس في «ب» و«ح».

٤ ـ صَعْصَعَة بن صُوحان: ذكره العلاّمة في الخلاصة ١٧١ رقم ٥٠٢ و قال: «عظيم القدر من أصحاب أميرالمؤمنين عليه‌السلام، رُوي عن الصّادق عليه‌السلام أنّه قال: ما كان مع أميرالمؤمنين عليه‌السلام من يعرف حقّه إلاّ صعصعة و أصحابه». رواها الكشّي في رجاله: ٦٨ رقم ١٢٢.

و قال النّجاشي في رجاله: ٢٠٣ رقم ٥٤٢: «صعصعة بن صوحان العبديّ، روى عهد مالك بن الحارث الأشتر...».

بالنّعل، فإن شئت أنبأتك بها .

قال: نعم يا أمير المؤمنين .

فقال عليّ عليه السلام: احفظ، فإنّ علامة ذلك: إذا أمات النّاس الصّلاة، وأضاعوا[١] الأمانة، واستحلّوا الكذب، وأكلوا الرّبا، وأخذوا الرّشا، وشيّدوا البناء[٢]، وقطعوا الأرحام، واتّبعوا الأهواء، واستخفّوا بالدّماء، وكان الحلم ضعفاً، والظّلم فخراً، وكانت الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة، والقرّاء فسقة.

وظهرت شهادة الزّور، واستعلن الفجور وقول البهتان، والإثم والطّغيان، وحليت المصاحف، وزخرفت[٣] المساجد، وطوّلت المنابر[٤]، وأكرم الأشرار، وازدحمت الصّفوف، واختلفت القلوب، ونقضت العهود، واقترب الموعود، وشارك النّساء أزواجهنّ في التّجارة حرصاً على الدّنيا، وعلت أصوات الفسّاق وسُمع[٥] منهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، واتُّقي الفاجر مخافة شرّه، وصُدّق الكاذب، وائتمن

---

١ ـ «و ابتاعوا» ب، ح .

٢ ـ بدل «البناء» في كمال الدّين والخرائج: «البنيان» بزيادة: «وباعوا الدّين بالدّنيا، واستعملوا السّفهاء، وشاوروا النّساء» .

٣ ـ «وزخرف» أ .

في لسان العرب: ١٣٢/٩ ـ زخرف ـ: «الزُّخْرُف: الزّينة». وفيه أيضاً نقلاً عن ابن سيدة: «الزّخرف: الذّهب، هذا الأصل، ثمّ سمّي كلّ زينة زخرفاً، ثمّ شبّه كلّ مُموَّه مزور به» .

قال الشّهيد الثّاني في الرّوضة البهيّة في شرح اللّمعة الدّمشقيّة: ٢١٧/١ ـ في أحكام المساجد ـ عند بيان قول الشّهيد: «ويحرم زَخْرَفتها»: «وهو نقشها بالزُّخرُف وهو الذّهب، أو مطلق النّقش» .

٤ ـ «المنارات» كمال الدّين .

٥ ـ «و استمع» كمال الدين .

الخائن، واتّخذت القيان[١] والمعازف[٢]، ولعن آخر هذه الأمّة أوّلها، وركب ذوات الفروج السّروج، وتشبّه الرّجال بالنّساء، والنّساء بالرّجال، وشهد الشّاهد من غير أن يستشهد، وشهد الآخر قضاءاً لذمام بغير حقّ عرفه، وتفقّه لغير الدّين، وآثروا عمل الدّنيا على الآخرة، ولبسوا جلود الضّأن على قلوب الذّئاب، وقلوبهم أنتن من الجيفة وأمرّ من الصَّبِر[٣].

فعند ذلك الوحا، الوحا[٤]. ثمّ العجل العجل.

خير المساكن حينئذٍ بيت المَقْدس[٥]؛ ليأتينّ على النّاس زمان يتمنّى أحدهم أنّه

---

١ ـ القَيْنة: الأمة المغنيّة، والجمع القَيْنات، وتجمع على قِيان أيضاً. انظر «لسان العرب: ٣٥١/١٣ وص٣٥٢ ـ قين ـ» .

٢ ـ المَعازِف: الملاهي كالعود والطُّنْبور، الواحد عُزْفٌ أومِعْزف. «القاموس: ٢٥٤/٣ ـ عزفت ـ».

٣ ـ الصَّبِر، ككَتِف ـ ولايُسكن إلاّ في ضرورة الشّعر ـ : عُصارة شجرمُرّ. «القاموس: ٩٥/٢ ـ صبره ـ» .

٤ ـ الوَحىٰ: العجلة، يقولون: الوحىٰ الوحى، والوَحاء الوَحاء: يعني البِدارَ البدارَ، والوَحاء الوَحاء يعني الإسراع، فيمدّونهما ويَقصرونهما إذا جمعوا بينهما، فإذا أفردوه مدّوه ولم يقصروه. «لسان العرب: ٣٨١/١٥ ـ ٣٨٢ ـ وحى ـ» .

٥ ـ في معجم البلدان: ١٦٦/٥: «المَقْدِس في اللّغة المنزه، قال المفسّرون في قوله تعالى: ﴿ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك﴾، قال الزّجّاج: معنى ﴿نقدّس لك﴾ أى نطهرّ أنفسنا لك، وكذلك نفعل بمن أطاعك نقدّسه أى نطهّره، قال ومن هذا قيل للسّطل: القَدَس، لِأنّه يُتَقدّس منه أي يُتطهّر، قال: ومن هذا بيت المَقْدِس ـ كذا ضَبطه، بفتح أوّله وسكون ثانيه وتخفيف الدّال وكسرها ـ أي البيت المقدّس المطهّر الّذي يُتطهّر به من الذّنوب» .

قال اللّه تعالى: ﴿سبحان الّذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الّذي باركنا حوله ـ الآية ـ﴾ سورة بني إسرائيل: ١ .

⇦

من سكّانه .

فقام إليه الأصْبَغ بن نُباتة[1] فقال: يا أميرالمؤمنين من الدّجّال ؟

فقال: إنّ الدّجّال: الصّائد بن الصّيد[2] . [3] فالشّقيّ من صدّقه، والسّعيد من كذّبه؛ يخرج من بلدة يقال لها إصبهان، من قرية تعرف بـ«اليهوديّة»[4]؛ عينه اليمنى

⇦

قال الطّبرسي في مجمع‌البيان: ٣٩٦/٣ في تفسير الآية : ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ يعني بيت المقدس، وإنّما قال: «الأقصى» لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام، ﴿الّذي باركنا حوله﴾ أي جعلنا البركة فيما حوله من الأشجار والأثمار والنّبات والأمن والخصب حتّى لا يحتاجوا إلى أن يجلب إليهم من موضع آخر. وقيل: ﴿باركنا حوله﴾ أي جعلنا البركة في ما حوله بأن جعلناه مقرّ الأنبياء ومهبط الملائكة .

١ ـ الأصْبَغ بن نُباتة المجاشعيّ من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام: قال الشّيخ في الفهرست: ٣٧: «كان الأصبغ من خاصّة أميرالمؤمنين عليه السلام، وعُمِّر بعده، وروى عهد مالك الأشتر، الّذي عهده إليه أميرالمؤمنين عليه السلام لمّا ولاّه مصر، وروى وصيّة أميرالمؤمنين عليه السلام إلى ابنه محمّد بن الحنفيّة». ومثله قال النّجاشي في رجاله: ٨ رقم ٥. وعدّه الشّيخ في رجاله: ٦٦ رقم ٢ من أصحاب الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام أيضاً .

٢ ـ «صائد بن الصّائد» بدل «الصّائد بن الصّيد» الخرائج .

٣ ـ انظر مسند أحمد: ٣٨٠/١ وص٤٥٧، وج٧٩/٣ وص٨٢ وص٩٧، وج٤٠/٥، وص١٤٨، وج٢٨٣/٦ وص٢٨٤، وصحيح مسلم: ١٨٩/٨ ـ ١٩٤، وسنن التِّرمذي: ٥١٦/٤ ـ ٥١٩ (باب ما جاء في ذكر ابن صائد)، وسنن أبي داود: ١٢٠/٤ وص١٢١، وعقد الدّرر: ٢٨١ـ٢٩١ (الفصل الثالث فيما يستدلّ به على أنّ الدّجّال هوابن صيّاد)، والعمدة لابن البطريق: ٤٣٩ (باب ما جاء في بقاء الدّجّال من متون الصّحاح) .

٤ ـ في معجم البلدان: ٤٥٣/٥: اليهوديّة، نسبة إلى اليهود: في موضعين: أحدهما محلّة بجرجان، والآخر بإصبهان، قال أهل السّير: لمّا أخرجت اليهود من البيت المقدس في أيّام بخت نصّر

⇦

ممسوحة[١]، والأخرى في جبهته كأنّها كوكب الصّبح، فيها علقة كأنّها ممزوجة بالدّم، بين عينيه مكتوب: «كافر» يقرأه كلّ كاتب وأمّيّ؛ يخوض البحار وتسير[٢] معه الشّمس، بين يديه جبل من دخان، وخلفه جبل أبيض يرى النّاس أنّه طعام. يخرج حين يخرج في[٣] قحط شديد، تحته حمار أقمر[٤]. خطوة حماره مِيل[٥]. تطوى له الأرض منهلاً[٦] منهلاً. لايمرّ بماء إلاّ غار الى يوم القيامة. ينادي بأعلى صوته يسمع ما بين

⇨

وسيقوا إلى العراق، حملوا معهم من تراب البيت المقدس ومن مائه. فكانوا لاينزلون منزلاً ولايدخلون مدينة إلاّ وزنوا ماءها وترابها، فما زالوا كذلك حتّى دخلوا إصبهان، فنزلوا بموضع منها يقال له: بنجار ـ وهي كلمة عبرانيّة معناها: انزلوا ـ فنزلوا، ووزنوا الماء والطّين الّذي في ذلك الموضع، فكان مثل الّذي معهم من تراب البيت المقدس ومائه، فعنده اطمأنّوا، وأخذوا في العمارات والأبنية، وتوالدوا وتناسلوا، وسمّي المكان بعد ذلك «اليهوديّة»، وهوموضع إلى جنب «جَيّ» مدينة إصبهان، وكانت العمارات متّصلة والآن خرب ما بين «جي» واليهوديّة وبقيت «جيّ» محلّة برأسها مفردة، مستولياً عليها الخراب إلاّ أبياتاً؛ ومدينة إصبهان العظمى هي اليهوديّة .

١ ـ الشّيء الممسوح: القبيح المشؤوم، المغيّر عن خلقته. «تاج العروس: ١٣٢/٧ ـ مسح ـ» .

٢ ـ «ويسير» أ .

٣ ـ «من» أ .

٤ ـ القُمْرَة، بالضّمّ: لون إلى الخُضرة أو بياض فيه كُدْرةٌ، حمار أقمر، وأتان قَمراء. «القاموس: ١٧١/٢» .

٥ ـ الميل، بالكسر: قدر مدّ البصر، ومنارٌ يبنى للمسافر، أومسافة من الأرض متراخية بلاحدّ، أومائة ألف إصبَع إلاّ أربعة آلاف إصبع، أوثلاثة أو أربعة آلاف ذراع بحسب اختلافهم في الفرسخ: هل هوتسعة آلاف بذراع القدماء، أو اثنا عشر ألف ذراع بذراع المحدّثين. «القاموس: ٧٢/٤ ـ مال ـ» .

٦ ـ المَنْهَل: المورد، وهوعين ماء ترِده الابل في المراعي، وتُسمّى المنازل الّتي في المفاوز على طرق السُّفّار مناهل، لأنّ فيها ماءاً . «الصّحاح: ١٨٣٧/٥ ـ نهل ـ» .

الخافقين[١] من الجنّ والإنس والشّياطين، يقول: إليّ أوليائي! أنا الّذي خلق فسوّى، وقدّر فهدى أنا ربّكم الأعلى. وكذب عدوّ اللّه، إنّه أعور يطعم الطّعام ويمشي في الأسواق؛ وإنّ ربّكم ليس بأعور، ولا يَطعَم الطّعام ولا يمشي في الأسواق.

ألا إنّ أكثر أتباعه يومئذٍ أولاد زنا وأصحاب الطّيالسة[٢] الخُضر. يقتله اللّه عزّوجلّ بالشّام على عقبة تعرف بعقبة أَفِيق[٣] لثلاث ساعات من يوم الجمعة، على يدي من يصلّي المسيح عيسى بن مريم خلفه. ألا إنّ بعد ذلك الطّامّة الكبرى.[٤]

قلنا: وما ذاك يا أميرالمؤمنين؟

قال: خروج دابّة[٥] من الأرض من عند الصّفا، معها خاتم سليمان وعصا موسى،

---

١ ـ الخافقان: المشرق والمغرب، أو أفقاهما لِأنّ اللّيل والنّهار يختلفان فيهما، أو طَرَفا السّماء والأرض، أو منتهاهما. «القاموس: ٣/٣٣٢ ـ ٣٣٣».

٢ ـ جمع الطّيلسان وهوفارسيّ معرّب: من لباس العجم. انظر «المصباح المنير: ٥١٣ ـ طلس ـ».

٣ ـ في معجم البلدان: ١/٢٣٣: «أفيق ـ بالفتح ثمّ الكسر وياء ساكنة وقاف ـ: قرية من حَوْران في طريق الغَوْر في أوّل العقبة المعروفة بعقبة أفيق، والعامّة تقول: فيق، تنزل من هذه العقبة إلى الغور وهوالأُردُن، وهي عقبة طويلة نحو ميلين».

٤ ـ قال الطّبرسي في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿فإذا جاءت الطّامّة الكبرى﴾ (النّازعات: ٣٤): «هي القيامة لأنّها تطمّ على كلّ داهية هائلة؛ أي تعلو وتغلب، ومن ذلك يقال: ما من طامّة إلاّ وفوقها طامّة، والقيامة فوق كلّ طامة فهي الدّاهية العظمى». مجمع البيان: ٥/٤٣٥.

٥ ـ قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّةً من الأرض تكلّمهم أنّ النّاس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾(النّمل: ٨٢). روى القمي في تفسيره: ٢/١٣٠ عن أبي عبداللّه عليه السلام عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وفي ص١٣١ عن أبي عبداللّه عليه السلام عن عمّار بن ياسر؛ وكذا العيّاشي عن أبي ذرّ رحمه الله ـ على مافي مجمع البيان: ٤/٢٣٤ ـ: أنّ المراد منها أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام. وانظر تفسير فرات: ٣٧٣، والمناقب: ٢/١١٨، وج٣/١٠٠ وص١٠٢ وص٢٨٤، وتأويل الآيات: ٣٩٩ ـ ٤٠١ وص ٤١٥ وص٤٣٧ وص٨٣٣، والبحار: ٣٩/٢٤٢ ـ ٢٤٤ ح ٣٠ـ٣٣.

تضع[١] الخاتم على وجه كلّ مؤمن فيطبع فيه: «هذا مؤمن حقّاً»، وتضعه[٢] على وجه كلّ كافر فيكتب فيه: «هذا كافر حقّاً»، حتّى أنّ المؤمن ينادي: الويل لك يا كافر، وأنّ الكافر لينادي[٣]: طوبى لك يا مؤمن وددت أنّي اليوم مثلك فأفوز فوزاً عظيماً.

ثمّ ترفع الدّابّة رأسها فيراها من[٤] بين الخافقين بإذن اللّه عزّوجلّ، وذلك بعد طلوع الشّمس من مغربها؛ فعند ذلك ترفع التّوبة، فلا توبة تقبل، ولا عمل يرفع، و**﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت في إيمانها خيراً﴾**[٥].

ثمّ قال عليه السلام: لا تسألوني عمّا بعد ذلك، فإنّه عهد إليّ حبيبي ألاّ أخبر به غير عترتي.

قال ابن [سبرة][٦]: فقلت لصعصعة: ما عنى أمير المؤمنين بهذا القول؟

قال: يا ابن [سبرة] إنّ الّذي يصلّي خلفه عيسى هو الثّاني عشر من العترة، التّاسع من ولد الحسين عليه السلام، وهو الشّمس الطّالعة من مغربها، يظهر (من بين)[٧] الرّكن والمقام، (فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً)[٨].[٩]

وهذا الدّجّال وظهوره ووجوده وتعميره، اتّفق عليه كافّة المسلمين، العامّة[١٠]

---

١ ـ «يضع» أ. ٢ ـ «ويضعه» أ. ٣ ـ «ينادي» أ.

٤ ـ «ما» أ. ٥ ـ سورة الأنعام: ١٥٨.

٦ ـ أثبتناه من كمال الدّين وكذا مابعده؛ وفي النّسخ: «سمرة». انظر ص١٦٤، الهامش رقم ١.

٧ ـ بدل ما بين القوسين: «عند» كمال الدّين والخرائج.

٨ ـ بدل ما بين القوسين: «فيطهّر الأرض، ويضع ميزان العدل، فلا يظلم أحد أحداً» كمال الدّين، والخرائج ومختصر البصائر.

٩ ـ كمال الدّين: ٥٢٥/٢ ح١، والخرائج: ١١٣٣/٣ ح٥٣، ومختصر البصائر: ٣٠ ـ ٣٢؛ عن كمال الدّين البحار: ١٩٢/٥٢ ح٢٦. وفي مستدرك الوسائل: ٣٢٦/١٢ ح١ صدره عن المختصر.

١٠ ـ انظر ص١٦٧، الهامش رقم ٣.

والخاصّة. فيا عجباً ممّن يصدّق بقاء هذا الكافر الفاجر الّذي يملأ الأرض ظلماً وجوراً، ويمنع بقاء مثل الإمام القائم عليه السلام (المعصوم، ابن المعصومين)[١] الّذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، (ويستبعد طول تعمير مثل هذا الإمام، ولا يستبعد طول تعمير مثل هذا الفاجر أكفر الكفّار، ويسلّمون الأخبار الواردة الشّاهدة بوجود هذا اللّعين، ويدفعون الأخبار الواردة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين، الشّاهدة بوجود الإمام المهديّ عليه السلام إمام المتّقين.

وهل دفعُهم الرّوايات الواردة بوجوده وطولِ تعميره عليه السلام إلاّ مثل دفع البراهمة[٢] والمشركين وجودَ النّبيّ صلى الله عليه وآله، وإنكارهم صحّة الإسلام؟

فإنّهم يقولون للمسلم: ما صحّ عندنا شيء [من][٣] معجزات الرّسول، ولا يثبت عندنا صحّة ما يقول.

وكذلك هؤلاء يقولون: ما نعرف شيئاً من فضائل الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ولا نعرف صحّة الأخبار الواردة بتعمير الإمام القائم عليه السلام.

فلو صحّ ما يقول هؤلاء لنا، لصحّ لزوم قول الكفرة والمشركين)[٤].

---

١ ـ ما بين القوسين ليس في «ب» و«ح».

٢ ـ قال الشّهرستاني في الملل والنّحل: ٢٥٨/٢: انّ الهند أُمّة كبيرة، وملّة عظيمة، وآراؤهم مختلفة؛ فنهم: «البراهمة» وهم المنكرون للنّبوّات أصلاً، ومنهم من يميل إلى الدّهر... من النّاس من يظنّ أنّهم سمّوا براهمة لانتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام وذلك خطأ، فإنّ هؤلاء القوم هم المخصوصون بنفي النّبوّات أصلاً ورأساً، فكيف يقولون بإبراهيم عليه السلام؟... وهؤلاء البراهمة إنّما انتسبوا إلى رجل منهم يقال له: «براهم» وقد مهّد لهم نفي النّبوّات أصلاً، وقرّر استحالة ذلك في العقول بوجوه...».

٣ ـ أثبتناه من الأنوار المضيئة (مخطوط). «عن» أ.

٤ ـ ما بين القوسين، أي من قوله «ويستبعد طول تعمير» إلى «والمشركين»، ليس في «ب» و«ح».

(وأعجب منه)[١] أنّهم يعترفون بوجود إبليس (وتعميره من قبل آدمعليه السلام إلى يوم القيام، وهوالضّالّ رئيس الضّالّين)[٢]، ويمنعون بقاء مثل هذا الإمام الهادي من الهداة الأئمّة[٣] المعصومين.

(وكيف يصحّ لهم إنكار تعمير مثل هذا الإمام مع اعترافهم بتعمير كثير ممّن سلف من الأنبياء قبل ملّة الإسلام، مع أنّهم يقولون بصحّة قول النّبيّصلى الله عليه وآله: «يحذوأمّتي حذو من تقدّمهم حذوالنّعل»[٤] وقد شهد بذلك أيضاً الكتاب المبين: **﴿لتركبُنّ طبقاً عن طبق﴾**[٥]، وهم يقصّون[٦] آثارهم ويفعلون أفعالهم إلى يوم الدّين. فهل أنكارهم للتّعمير في حقّه إلاّ عناد مبين.

أما نطق القرآن المجيد أيضاً بتعمير أهل الكهف، وغيبتهم في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً.[٧]

وإذا جرى ذلك في حقّ الأشقياء مثل الدّجّال، وفي حقّ الأنبياء مثل نوح وآدم وسليمان وغيرهم، وفي الأولياء مثل الخضر وأصحاب الكهف، فما المانع منه في مثل الأئمّة المعصومين الّذين يترتّب على بقائهم بقاء الدّين، إذ هم لطف في حقّ المكلّفين؟

---

١ ـ «وأبلغ من هذا» أ.

٢ ـ بدل ما بين القوسين: «رئيس الضّالّين من قبل آدمعليه السلام إلى يوم القيام» ب، ح.

٣ ـ ليس في «ب» و«ح».

٤ ـ راجع ص٢٣.

٥ ـ سورة الانشقاق: ١٩.

٦ ـ قَصَّ أثره: أي تتبّعه. قال الله تعالى: **﴿فارتدّا على آثارهما قصصاً﴾**. «الصّحاح: ١٠٥١/٣ ـ قصص ـ».

٧ ـ قال الله تعالى: **﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً﴾** سورة الكهف: ٢٥.

ولكن طبع اللّه على قلوبهم فأصمّهم وأعمى أبصارهم)[١]. [٢]

ومن العجائب: أنّ مخالفينا يروون في كتبهم، وينقلون في أحاديثهم عن مشايخهم أنّ عيسى عليه السلام مرّ في بعض سياحاته بكربلاء ومعه الحواريّون، فجلس هناك وبكى بكاءاً كثيراً، وأبكى[٣] من كان معه، وقال: هذا موضع يقتل فيه سبط نبيّ أمّه كأمّي، سيّد شباب أهل الجنّة، وإنّ هذه التّربة الّتي يلحد فيها، ريحها أطيب من ريح المسك، وإنّ هذه الظّباء[٤] ترعى فيها وتسرح وتروح إليها، وهي تلعن قاتليه[٥] وتستغفر لناصريه، ثمّ ضرب بيده إلى بعر تلك الظّباء فشمّه وقال: اللّهمّ أبقه حتّى يشمّه أبوه فيكونَ له عزاء[٦] وسَلوة[٧]؛ وأنّ تلك البعرات بقيت إلى زمان أميرالمؤمنين عليه السلام، وأنّه مرّ بها فنزل هناك، فبكى وأبكى وأخذ البَعَرات فشمّها، وأخبر من كان معه بمقالة عيسى.

وهذا الخبر عندنا أيضاً مشهور، وفي كتبنا مسطور[٨].

---

١ ـ بدل ما بين القوسين ـ أي من قوله: «وكيف يصحّ لهم» إلى هنا ـ: «وهل مَثَل من يدفع ذلك إلاّ كَمثل البراهمة والمشركين في دفع وجود النّبيّ صلى الله عليه وآله». ب، ح.

٢ ـ انظر كمال الدّين: ٥٢٩ ـ ٥٣١.

٣ ـ «وبكى» أ.

٤ ـ الظَّبْيُ: الغزال، والجمع أَظْبٍ وظِباءٌ وظُبِيّ. «لسان العرب: ١٥/٢٣ ـ ظبا ـ».

٥ ـ «على قاتليه» أ.

٦ ـ العزاء: الصّبر أو حُسنه. «القاموس: ٤/٥٢٣ ـ العزاء ـ».

٧ ـ سلاه وعنه ـ كدعاه ورَضِيه ـ سَلْواً وسُلواناً وسُلِيّاً: نَسِيَه، وأسلاه عنه فتسلّى؛ والاسم السَّلْوَة ويُضمّ. «القاموس: ٤/٤٩٧ ـ سلاه ـ».

٨ ـ انظر كمال الدّين: ٥٣١ ـ ٥٣٢، وص٥٣٤ ضمن ح١، والأمالي: ٤٧٩ ـ ٤٨٠ م ٨٧ ضمن ح٥، والخرائج: ٣/١١٤٣ ذيل رقم ٥٥. عن كمال الدّين والأمالي إثبات الهداة: ١/١٧٨ ح٥٨، والبحار: ٤٤/٢٥٣ ضمن ح٢ وص٢٥٥ ح٣.

فهم مصدّقون جازمون[1] بأنّ بعر الظّباء يبقى نحواً من خمسمائة سنة[2] وأزيد[3] لم تغيّره الشّموس والأمطار والرّياح والأعصار، وينكرون بقاء القائم عليه السلام: «إنّها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتي في الصّدور»[4]. [5]

وبالطّريق المذكور حديث حبابة الوالبيّة[6] قالت: رأيت أميرالمؤمنين عليه السلام في شرطة الخميس[7]، ومعه دِرَّة يضرب بها بيّاعي الجِرِّيّ[8] والمار ماهي والزِّمّير[9] والطّافي[10] ويقول لهم: يا بيّاعي مسوخ بني إسرائيل وجند بني مروان!

قالت: فقام إليه فرات بن أحنف فقال: يا أمير المؤمنين وما مسوخ

---

١ ـ ليس في «ب» و«ح».

٢ ـ «سنين» أ.

٣ ـ «وما ينيف عنها» بدل: «وأزيد» أ.

٤ ـ اقتباس من الآية: ٤٦ من سورة الحجّ.

٥ ـ انظر كمال الدّين: ٥٣٢.

٦ ـ أمّ النّدى بنت جعفر، حبابة الوالبيّة الأسديّة، من أسد بن خزيمة بن مدركة. قاله في الثّاقب في المناقب: ٥٦٢.

وقال الشّيخ الحرّ العاملي رحمه الله في الوسائل: ٣٣٧/٣٠ (الخاتمة): «حبابة الوالبيّة: روى الكشّيّ وغيره مدحها وحسن حالها، وأنّها بقيت من زمان أميرالمؤمنين إلى زمان الرّضا عليهما السلام، وروت عنهم جميعاً، واطّلعت على معجزاتهم».

٧ ـ انظر ص١٣٩ الهامش رقم ٣ ورقم ٤. روى المفيد رحمه الله في الاختصاص: ٢ عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: كانوا شرطة الخميس ستّة آلاف رجل أنصاره. و في ص٦٥ عن رجل عن الأصبغ قال: قلت له كيف سُمّيتم شرطة الخميس يا أصبغ؟

فقال: إنّا ضمنّا له الذّبح، وضمن لنا الفتح.

٨ ـ الجِرِّيّ بالكسر: سمك طويل أملس، وليس عليه فصوص. انظر «القاموس: ٧٢٢/١».

٩ ـ زِمّير كسِكّيت: نوع من السّمك. «القاموس: ٥٩/٢ ـ زمر ـ».

١٠ ـ طفا الشّيء فوق الماء، يطفو طَفواً وطفوّاً: ظهر وعلا ولم يَرسُبْ... ومنه الطّافي من السّمك، لأنّه يعلو ويظهر على رأس الماء. «لسان العرب: ١٠/١٥ ـ طفا ـ».

بني إسرائيل[١]؟

فقال: أقوام حلقوا اللّحى وفتلوا[٢] الشّوارب[٣]. فلم أر ناطقاً أحسن نطقاً منه. ثمّ اتّبعته فلم أزل أقفو أثره حتى قعد في رَحبة[٤] المسجد، فقلت له: يا أمير المؤمنين ما دلالة الإمامة رحمك اللّه؟ قالت:

فقال: ايتيني بتلك الحصاة ـ وأشار بيده إلى حصاة ـ فأتيته بها، فطبع بخاتمه فيها ثمّ قال: يا حبابة! إذا ادّعى مدّع الإمامة فقدر أن يطبع كما رأيت، فاعلمي أنّه إمام مفترض الطّاعة، والإمام لا يعزب عنه شيء يريده.

قالت: ثمّ انصرفت حتّى قُبض أميرالمؤمنين عليه السلام، فجئت إلى الحسن عليه السلام وهو في مجلس أميرالمؤمنين (عليه السّلام)[٥] والنّاس يسألونه. فقال لي: يا حبابة هات مامعك. فأعطيته الحصاة فطبع فيها كما طبع[٦] أميرالمؤمنين عليه السلام.

قالت: ثمّ أتيت الحسين عليه السلام وهو في مسجد الرّسول (عليه السّلام)[٧]، فقرب ورحّب ثمّ قال لي[٨]: أتريدين دلالة الإمامة؟

فقلت: نعم.

فقال[٩]: هات ما معك. فناولته الحصاة فطبع فيها.

---

١ ـ «فما جند بنى مروان» بدل «وما مسوخ بني إسرائيل» كمال الدّين، والكافي.

٢ ـ الفَتْل: لَيُّ الشّيء كَلَيِّك الحبل وكفَتل الفتيلة، وفَتَل الشّيء يفتِله فتْلاً، فهو مفتول وفتيل، وفتّله: لواه. انظر «لسان العرب: ٥١٤/١١ ـ فتل ـ».

٣ ـ بزيادة «فمسخوا» الكافي.

٤ ـ رَحَبة المكان ـ و تُسكّن ـ: ساحته ومُتّسعه. «القاموس: ٢٠٩/١ ـ الرّحب ـ».

٥ ـ ليس في «ب» و«ح».
٦ ـ ليس في «ب» و«ح».
٧ ـ ليس في «أ».

٨ ـ ليس في «ب».
٩ ـ «قال» ح.

قالت: ثمّ أتيت عليّ بن الحسين عليهما السلام وقد بلغ بي الكبر إلى أن أعييت[١] وأنا أعدّ يومئذٍ مائة وثلاثة وعشرين[٢] سنة. فرأيته راكعاً ساجداً مشغولاً بالعباده، فيئست من الدّلالة؛ فأومى إليّ بالسّبّابة فعاد إليّ شبابي.

قالت: فقلت يا سيّدي كم مضى من الدّنيا وكم بقي؟

فقال: أمّا ما مضى فنعم، وأمّا ما بقي فلا.

قالت: ثمّ قال: هات ما معك. فأعطيته الحصاة فطبع فيها[٣].

ثمّ أتيت أبا جعفر عليه السلام فطبع فيها.

ثمّ أتيت أبا عبدالله عليه السلام فطبع فيها.

ثمّ أتيت أباالحسن موسى بن جعفر عليهما السلام فطبع فيها.

ثمّ أتيت الرّضا عليه السلام فطبع فيها.

وعاشت حبابة بعد ذلك تسعة أشهر.[٤]

وبالطّريق المذكور، يرفعه إلى محمّد[٥] بن إسماعيل بن موسى بن جعفر [عن أبيه،

---

١ ـ «أرعشت» الكافي.

٢ ـ «ثلاث عشرة» بدل: «ثلاثة وعشرين» كمال الدّين والكافي.

٣ ـ ليس في «ب».

٤ ـ الكافي: ٣٤٦/١ ح٣، وكمال الدّين: ٥٣٦ ح١، والثّاقب في المناقب: ١٤٠ ح١٣٢ مثله. وفي إعلام الورى: ٤٠٨/١، وكشف الغمّة: ١٦٠/٢ صدره باختصار. عن معظمها وعن الخرائج: إثبات الهداة: ٤٠٢/٢ ح٦، وفي البحار: ١٧٥/٢٥ ح١ عن كمال الدّين؛ وعنه في ج١١٢/٧٦ ح١١ صدره. وأشار الشيخ الطّوسي رحمه الله أيضاً في الغيبة: ٥٠ إلى مضمون هذا الحديث.

٥ ـ في تنقيح المقال: ٨٣/٢ رقم ١٠٤١١: «محمّد بن إسماعيل بن موسى بن جعفر أبوعلي، روى في الكافي عن عليّ بن محمّد، عنه وقال: كان أسنّ شيخ من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله بالعراق فقال: رأيته ـ يعني الصّاحب أرواحنا فداه ـ بين السّجدتين وهوغلام». ثمّ قال صاحب التّنقيح: «أقول: رؤيته له عليه السلام يعدّ مدحاً ملحقاً له بالحسان، وقد أكثر الرّاوندي في نوادره الرّواية عنه...».

عن أبيه موسى بن جعفر][1]، عن أبيه جعفر، عن أبيه محمّد بن عليّ عليهم السلام أنّ حبابة الوالبيّة دعا لها عليّ بن الحسين عليه السلام فردّ اللّه عليها شبابها، فأشار إليها بإصبعه فحاضت لوقتها، ولها يومئذٍ مائة (وثلاثة وعشرون)[2] سنة.[3]

وإذا أثّرت نفس الإمام زين العابدين عليه السلام في ردّ شباب حبابة بعد الهرم والهزال، (حتّى رجعت)[4] بعد الميل إلى الاعتدال، فكيف ينكر المنكر[5] تأثير نفس الإمام[6] القائم عليه السلام في دفع الهرم عن بدنه الكريم، (ليدوم تعميره عن التّغيير سليم)[7]، [8] وهل نفوسهم صلوات اللّه[9] عليهم إلاّ كنفس واحدة في إبداء المعجزات وإظهار البيّنات[10]، (وهل ينكر من ذلك إلاّ من عاند، وأوجب له الإنكار دخول النّار)[11].

(ومن ذلك)[12] حديث أبي الدّنيا المعمّر المغربيّ:

بالطّريق المذكور، يرفعه إلى محمّد بن أبي الفتح الرّكيّ[13] قال: لقينا بمكّة رجلاً

---

١ ـ ما بين المعقوفين أثبتناه من كمال الدّين.

٢ ـ «وثلاث عشرة» كمال الدّين.

٣ ـ كمال الدّين: ٥٣٧/٢ ح٢، وإعلام الورى: ٤٠٩/١ ـ ٤١٠، وكشف الغمّة: ١٦١/٢ بتفاوت يسير في ذيله؛ عن كمال الدّين والخرائج: إثبات الهداة: ١٠/٣ ح١٢، وفي البحار: ١٧٨/٢٥ ح٢، وج٤٦/٢٧ ح١٣ عن كمال الدّين.

٤ ـ «فرجعت» أ.

٥ ـ ليس في «ب» و«ح».

٦ ـ ليس في «أ».

٧ ـ ما بين القوسين ليس في «ب» و«ح».

٨ ـ انظر كمال الدّين: ٥٣٧ ذيل ح٢.

٩ ـ «صلّى اللّه» أ.

١٠ ـ «الآيات» أ.

١١ ـ مابين القوسين ليس في «ب» و«ح».

١٢ ـ ما بين القوسين ليس في «ب» و«ح».

١٣ ـ رواه في كمال الدّين عن أبي بكر محمّد بن الفتح الرّقي، وأبي الحسن عليّ بن الحسن بن الأشكي ختن أبي بكر، قالا: ...

من أهل المغرب[١]، فدخلنا عليه مع جماعة من أصحاب الحديث ممّن حضر الموسم في تلك السّنة ـ وهي سنة تسع وثلاثمائة ـ قال: فرأينا رجلاً أسود الرّأس واللّحية كأنّه شنّ[٢] بالٍ، وحوله جماعة من أولاد أولاده (وأولاد أولاد لأولاده)[٣]، ومشايخ من أهل بلده[٤]، وشهد المشايخ أنّا سمعنا آباءنا يحكون عن آبائهم أنّهم عهدوا هذا الشّيخ المعمّر[٥] المسمّى بأبي الدّنيا، واسمه عليّ بن عثمان بن خطاب بن مرّة بن يزيد[٦].

قال: ففاتحناه وسائلناه عن حاله وقصّة سبب طول تعميره، فوجدناه ثابت العقل، يفهم ما يقال له، ويجيب عنه بلبّ وعقل. فذكر أنّه كان والده قد نظر في كتب الأوائل فوجد فيها ذكر نهر الحياة، وأنّه يجري في بلاد الظّلمات، وأنّه من شرب منه عُمّر. فحمله الحرص على طول الحياة على دخول الظّلمات، فتحمّل وتزوّد حسب ما قدّر أنّه يكتفي به، وأخرجني معه وأخرج معنا خادمين وعدّة جمال لبون[٧]. فسار بنا إلى أن وافينا طرف[٨] الظّلمات، ثمّ دخلنا فيها فسرنا نحوستّة أيّام بلياليها، وكنّا نميز بين اللّيل والنّهار بأنّ النّهار أضوأ قليلاً وأقلّ ظلمةً من اللّيل. فنزلنا بين جبال

---

١ ـ في معجم البلدان: ١٦١/٥: «المغرب بالفتح: ضدّالمشرق، وهي بلاد واسعة كثيرة، و وَعثاء شاسعة. قال بعضهم: حدّها من مدينة مليانة وهي آخر حدود إفريقيّة إلى آخر جبال السّوس الّتي وراءها البحر المحيط، وتدخل فيه جزيرة الأندلس وإن كانت إلى الشّمال أقرب ماهي، وطول هذا في البرّ مسيرة شهرين».

٢ ـ الشّنّ والشّنَّة: الخَلَق من كلّ آنية صُنعت من جلد، والشّنّ: القِربة الخَلَق، والشّنّة أيضاً. انظر «لسان العرب: ٢٤١/١٣ ـ شنن ـ».

٣ ـ ما بين القوسين ليس في «ب» و«ح».

٤ ـ بزيادة «وذكروا أنّهم من أقصى بلاد المغرب بقرب باهرت العليا» كمال‌الدّين.

٥ ـ ليس في «ب» و«ح».

٦ ـ «مؤيّد» كمال‌الدّين.

٧ ـ بزيادة «[عليها] روايا وزاد وأنا يومئذٍ ابن ثلاثة عشر سنة» كمال‌الدّين.

٨ ـ «طرق» ب، ح.

وأودية وذكوات[١]، وقد كان والدي[٢] وجد في الكتب الّتي قرأها أنّ مجرى النّهر في ذلك الموضع، فأقمنا في تلك البقعة أيّاماً حتّى فني الماء الّذي كان[٣] معنا وأسقيناه جمالنا. ولولا اللّبن الّذي نحلبه من الجمال لهلكنا. وكان والدي يطوف في تلك البقعة في طلب النّهر[٤]، ويأمرنا أن نوقد ناراً ليهتدي بها إذا أراد الرّجوع إلينا .

فمكثنا على ذلك أيّاماً، ووالدي يطلب النّهر فلايجده[٥]؛ فبعد الإياس عزم على الانصراف خوف التّلف، وألحّ من كان معنا عليه حذراً على أنفسهم، فقمت[٦] من الرّحل لحاجتي فتباعدت من الرّحل مقدار رمية سهم، فعثرت بنهرماء أبيض اللّون، عذب الطّعم، طيّب الرّائحة، لذيذ، لابالصّغير من الأنهار ولا بالكبير، يجري جرياناً لَيناً، فدنوت منه وغرفت منه بيدي غرفتين أوثلاثة فشربتها؛ ثمّ بادرت مسرعاً إلى الرّحل وبشّرت الخدم بأنّي قد وجدت الماء .

فحملوا ما كان معنا من القِرَب والأدوات لنملأها، وذهلت لفرحتي[٧] بوجود الماء والخوف من التلف عن أنّ ذلك مطلوب أبي، وكان أبي في ذلك الوقت غائباً عن الرّحل مشغولاً بالطّلب.

فقمنا وسرنا إلى النّهر فلم نجده؛ فاجتهدنا وطُفنا واستقصينا في الطّلب فلم نره. فكذّبوني الخدم وقالوا: لم تجد شيئاً. فانصرفنا إلى الرّحل، وأقبل والدي وأخبرته

---

١ ـ «ودكوات» كمال‌الدّين، «وركوات» البحار . ولعلّ الصّواب: «دكّاوات» بمعنى تِلال؛ في لسان‌العرب: ١٠/٤٢٥ ـ دكك ـ : «الدّكاوات: تِلال خلقة.... قال الأصمعي: الدّكّاوات من الأرض، الواحدة دكّاء: و هي رواب من طين ليست بالغلاظ» .

٢ ـ بزيادة «رضي اللّه عنه يطوف في تلك البقعة في طلب النّهر، لأنّه» كمال‌الدّين .

٣ ـ ليس في «أ» .　　٤ ـ «الماء» ح .　　٥ ـ «ولايجده» أ .

٦ ـ «فقمت يوماً» كمال‌الدّين .　　٧ ـ «لفرجي» أ .

بالقصّة. فقال: قم معي. فقمت معه واجتهدنا في الطّلب، فلم نقع له على أثر. فقال: يا بنيّ الّذي أخرجني إلى هذا المكان وتحمّل الأذى والخطر، كان ذلك النّهر الّذي رأيته، ولم أُرزقه وقد رُزقته أنت، وسوف تعمّر حتّى تملّ الحياة.

ورحلنا منصرفين حتّى رجعنا إلى بلدنا، وعاش والدي بعد ذلك سنيات ثمّ توفّي.

فلمّا بلغ سنّي ثلاثين سنة اتّصل بنا وفاة النّبيّ ﷺ ووفاة الخليفتين بعده، وخرجت حاجّاً فلحقت آخر أيّام عثمان.

فمال[1] قلبي من بين جماعة أصحاب النّبيّ (صلّى الله عليه وآله)[2] إلى عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام)[3]، فأقمت معه أخدمه، وشهدت معه وقائعه، وأصابني هذه الشّجّة[4] من دابّة في أيّام صفّين. ومازلت معه مقيماً على خدمته إلى أن مضى لسبيله. (ثمّ رجعت إلى بلادي)[5]، وخرجت أيّام مروان[6] حاجّاً (ثمّ رجعت إلى أهلي)[7]، وكنت أتمنّى وأشتهي أن أحجّ مرّة أخرى، فحملني هؤلاء، حفدتي وأسباطي الّذين ترونهم حولي، وأقدموني للحجّ.

---

١ ـ «مال» أ، «قال» ب، وتصحيفه ظاهر.

٢ ـ «عليه السّلام» ب.

٣ ـ ليس في «أ» و«ب».

٤ ـ شَجَّ رأسه، يَشِجُّ: كَسره. «القاموس: ١/٤٠٧ ـ شجّ ـ».

٥ ـ بدل ما بين القوسين: «فألحّ أولاده وحرمه أن أقيم عندهم، فلم أقم وانصرفت إلى بلدي» كمال الدّين.

٦ ـ «بني مروان» كمال الدّين.

٧ ـ بدل ما بين القوسين: «وانصرفت مع أهل بلدي إلى هذه الغاية ماخرجت في سفر إلاّ ما كان [إلى] الملوك في بلاد المغرب، يبلغهم خبري وطول عمري فيشخصوني إلى حضرتهم ليروني ويسألوني عن سبب طول عمري وعمّا شاهدت» كمال الدّين.

وذكر أنّه قد سقطت أسنانه مرّتين أو ثلاثاً، وعادت .[١]

فسألناه أن يحدّثنا ممّا سمعه[٢]، فذكر عدّة أحاديث رويت[٣] عنه،[٤] وكتبها المصريّون والشّاميّون والعراقيّون ومن سائر الأمصار، ممّن حضر الموسم وبلغه خبره .[٥]

ومن أعاجيب هذا الشّيخ أنّ عنفقته[٦] ـ إذا جاع فكلّما اشتدّ جوعه ـ أخذت في البياض حتّى تعود كالقطنة البيضاء؛ فإذا أكل وشبع أخذت في السّواد حتّى تعود إلى حالتها[٧] الأولى،[٨] وهو يذكر أنّه يعمّر إلى أن يدرك الإمام القائم عليه السلام.[٩]

وإذا كان رجل من بعض الأمّة قدّر اللّه تعالى أنّه شرب شربة من نهر فعمّر هذا الزّمان الطّويل، فما المانع من تعمير رجل جعله اللّه تعالى[١٠] حجّة على العالمين، وواسطة بينه وبين عباده المخلوقين، (وله ـ كما كان لآبائه المعصومين ـ التّصرّف في عالم الكون والفساد، وتغيير ما شاء من أحوال العباد والبلاد. فما المانع أن يسخّر اللّه

---

١ ـ كمال الدّين: ٥٣٨ ـ ٥٤١ ح١ بتفاوت يسير وزيادة؛ عنه البحار: ٥١/٢٢٥ ـ ٢٢٧ ح١. وانظر كنز الفوائد للكراجكي: ٢٦٢ ـ ٢٦٥، والبحار: ٥١/٢٦٠ ـ ٢٦١ .

٢ ـ بزيادة: «من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام» كمال الدّين .

٣ ـ «دونت» ح، وكذا «ب» ظاهراً .

٤ ـ كمال الدّين: ٥٤١ ـ ٥٤٢ ح٢ ـ ح٧، عنه البحار: ٥١/٢٢٧ ـ ٢٢٩ .

٥ ـ كمال الدّين: ٥٤٣ ذيل ح٨ .

٦ ـ العَنفَقَة: شُعيرات بين الشّفة السّفلى والذّقن. انظر «القاموس: ٣/٣٨٩» .

٧ ـ «حالها» أ .

٨ ـ انظر كمال الدّين: ٥٤٤ ذيل ح٩، وص٥٤٧، وكنز الكراجكي: ٢٦٥ .

٩ ـ في كمال الدّين: ٥٤٦ ذيل حديث عنه: «وأنا مقيم بالمغرب انتظر خروج المهديّ وعيسى ابن مريم عليه السلام» .

١٠ ـ ليس في «ب» و«ح» .

مثل هذه الأنهار، أو يجعل له خاصّة يختصّ به فيحصل له بذلك الدّوام والاستمرار، إذ في تعميره نظام أمر المسلمين، وبقاء الدّنيا والدّين)[١].

ومن ذلك حديث القلاقل:

روى الجدّ السّعيد عبدالحميد، يرفعه إلى الرّئيس أبي الحسن الكاتب البصري ـ وكان من الأسداء الأدباء ـ قال: في سنة اثنتين[٢] وتسعين وثلاثمائة أسْنَتَ[٣] البرّ سنين عدّة[٤]، وبعثت السّماء درّها وخصّ الحيا[٥] أكناف البصرة، وتسامع العرب بذلك فوردوها من الأقطار البعيدة والبلاد الشّاسعة[٦]، على اختلاف لغاتهم وتباين فِطَرهم[٧].

فخرجت مع جماعة من الكتّاب ووجوه التّجار، نتصفّح[٨] أحوالهم ولغاتهم، ونلتمس فائدة ربما وجدناها عند أحدهم، فارتفع لنا بيت عالٍ فقصدناه، فوجدنا في كسره[٩] شيخاً جالساً قد سقط حاجباه على عينيه (كِبَراً، وحوله جماعة من عبيده)[١٠] وأصحابه، فسلّمنا عليه فردّ التّحيّة وأحسن التّلقية، فقال له رجل منّا: هذا السّيّد ـ وأشار إليّ ـ هو النّاظر في معاملة الدّرب، وهو من الفصحاء وأولاد العرب،

---

١ ـ ما بين القوسين ليس في «ب» و«ح». ٢ ـ «اثنين» ب، ح.

٣ ـ أَسْنَتَ، فهو مُسْنِتٌ: إذا أجْدَبَ. وأَسْنَتُوا فهم مسنتون: أصابتهم سَنَةٌ وقحط، وأجدبوا. انظر «لسان العرب: ٤٧/٢ ـ سنت ـ».

٤ ـ كذا في النّسخ والبحار؛ وفي المستدرك: «عديدة».

٥ ـ «الحياء» ح. الحيا: الخِصب والمطر، ويُمَدّ. «القاموس: ٤٦٥/٤ ـ الحي ـ».

٦ ـ شَسَع المنزل ـ كمنع ـ شَسْعاً وشسوعاً: بَعُد. «تاج العروس: ٢٧٢/٢١ ـ شسع ـ».

٧ ـ «قطرهم» المستدرك. ٨ ـ «بتصفح» أ.

٩ ـ «كبيره» ح. الكَسْر والكِسْر: جانب البيت. «لسان العرب: ١٤٠/٥ ـ كسر ـ».

١٠ ـ ما بين القوسين ليس في «أ».

وكذلك الجماعة ما منهم إلاّ من ينتسب[١] إلى قبيلة ويختصّ بسداد وفصاحة، وقد خرج وخرجنا معه حين[٢] وردتم[٣] نلتمس[٤] الفائدة المستطرفة من أحدكم، حين شاهدناك[٥] رجونا ما نبغيه عندك لعلو سنّك.

فقال الشّيخ: والله يا بني أخي ـ حيّاكم الله ـ إنّ الدّنيا شغلتنا عمّا تبتغون منّي، فإن أردتم الفائدة فاطلبوها عند أبي وها بيته ـ وأشار إلى خِباء[٦] كبير بإزائه ـ.

فقلنا: النّظر إلى مثل والد هذا الشّيخ الهِمّ[٧] فائدة تتعجّل[٨]، فقصدنا ذلك البيت فوجدنا في كسره[٩] شيخاً منضجعاً[١٠]، وحوله من الخدم، والأمر أوفى ممّا شاهدناه أوّلاً، ورأينا عليه من آثار السّنّ ما يجوز له أن يكون والد ذلك الشّيخ.

فدنونا منه وسلّمنا[١١] عليه، فأحسن الرّدّ وأكرم الجواب. فقلنا له مثل ما قلنا لابنه وما كان من جوابه، وأنّه دلّنا عليك فعرجنا[١٢] بالقصد إليك.

فقال: يا بني أخي ـ حيّاكم الله ـ إنّ الّذي شغل ابني عمّا التمستموه منه[١٣] هو الّذي شغلني عمّا هذه سبيله، ولكنّ الفائدة تجدونها عند والدي وها هوبيته ـ وأشار

---

١ ـ «ينسب» ب، ح. ٢ ـ «حتّى» أ. ٣ ـ «ورد» المستدرك.

٤ ـ «يلتمس» ب. ٥ ـ «شاهدنا» أ.

٦ ـ الخباء: من الأبنية. «لسان العرب: ٦٣/١ ـ خبأ ـ». وفي المصباح المنير: ٢٢٣ ـ خبا ـ: «الخباء: ما يعمل من وبر أو صوف وقد يكون من شعر والجمع أخبية، غير همز، مثل كساء وأكسية، ويكون على عمودين أو ثلاثة وما فوق ذلك فهو بيت».

٧ ـ الهِمّ والهِمّة ـ بكسرهما ـ: الشّيخ الفاني. «القاموس: ٢٧٢/٤ ـ الهمّ ـ».

٨ ـ «يتعجل» أ. ٩ ـ «كبيره» ح.

١٠ ـ ضَجَع ـ كمنع ـ ضجعاً وضجوعاً: وضع جنبه بالأرض، كانْضَجَعَ. «القاموس: ٧٨/٣ ـ الضجع ـ».

١١ ـ «فسلّمنا» ح. ١٢ ـ «فخرجنا» أ (خ ل). ١٣ ـ «عنه» ح.

إلى بيت منيف[١] ينحوه[٢] منه .

فقلنا فيما بيننا: حسبنا من الفوائد مشاهدة والد هذا الشّيخ الفاني، فإن كانت منه فائدة فهي ربح لم يحتسب، وقصدنا ذلك الخباء فوجدنا حوله عدداً كثيراً[٣] من الإماء والعبيد .

فحين رأونا تسرّعوا إلينا وبدؤوا بالسّلام علينا وقالوا: ما تبغون حيّاكم اللّه؟

فقلنا: نبغي السّلام على سيّدكم وطلب الفائدة من عنده ببركتكم[٤] .

فقالوا: الفوائد كلّها عند سيّدنا، ودخل منهم من يستأذن ثمّ خرج بالإذن لنا.

فدخلنا[٥] فإذا سرير في صدر البيت، وعليه مخادّ من جانبيه ووسادة في أوّله، وعلى الوسادة رأس شيخ قد بلي وطار شعره (والإزار على المخادّ الّتي من جانبي السّرير ليستره ولا يثقل منه عليه)[٦]. فجهرنا بالسّلام، فأحسن[٧] الرّدّ، وقال قائلنا مثل ما قال (لولد ولده)[٨]، وأعلمناه[٩] أنّه أرشدنا (إلى أبيه، فحججنا بما احتجّ به وأنّ أباه أرشدنا)[١٠] إليك وبشّرنا بالفائدة منك .

ففتح الشّيخ عينين قد غارتا في أمّ رأسه[١١] وقال للخدم: أجلسوني. فلم تزل

---

١ ـ ناف وأناف على الشّيء: أشرف. «القاموس: ٢٩٣/٣» .

٢ ـ «بنحوه» أ، ب، «بنجوة» المستدرك . نحاه ينحوه وينحاه: قصده . «القاموس: ٥٧١/٤ ـ النحو ـ» . وفي القاموس: ٥٧٠/٤ ـ نجا ـ: «النّجا: ما ارتفع من الأرض، كالنّجوة» .

٣ ـ «كبيراً» المستدرك .

٤ ـ ليس في «ب» و«ح» .

٥ ـ «فدخلت» أ .

٦ ـ ما بين القوسين ليس في «ب» و«ح» .

٧ ـ «فأخر» أ (ن خ) .

٨ ـ «لولده» ب، ح .

٩ ـ «وأعلمنا» ب .

١٠ ـ ما بين القوسين ليس في «ب» و«ح» .

١١ ـ قال الجوهري في الصّحاح: ١٨٦٤/٥ ـ أمم ـ: «أمّ الدّماغ: الجلدة الّتي تجمع الدّماغ، ويقال ⇦

أيديهم تتهاداه[١] بلطف إلى أن أجلس[٢] (وستر بالازر الّتي طرحت على المحادّ)[٣]، ثمّ قال لنا: يابني أخي لأحدّثنّكم بخبر تحفظونه عنّي وتفيدون منه ما يكون فيه ثواب لي:

كان والدي لا يعيش له ولد، ويحبّ أن يكون له عاقبة، فولدتُ له على كِبَر، ففرح بي وابتهج بموردي ثمّ قضى ولي سبع سنين.

فكفلني عمّي بعده وكان مثله في الحذر عليّ، فدخل بي يوماً على رسول اللّه ﷺ فقال له: يا رسول اللّه إنّ هذا ابن أخي، وقد مضى أبوه لسبيله وأنا كفيل بتربيته، وإنّني أنْفَس[٤] به على الموت، فعلّمني عوذة أُعوّذه بها ليسلم ببركتها.

فقال ﷺ: أين أنت عن ذات القلاقل!

فقال: يا رسول اللّه وما ذات القلاقل؟

قال[٥]: أن تعوّذه فتقرأ عليه سورة الجحد وهي[٦]: **﴿قل يا أيّها الكافرون * (لاأعبد ما تعبدون)﴾**[٧] إلى آخرها، وسورة الإخلاص **(﴿قل هواللّه أحد * اللّه الصّمد﴾** إلى آخرها)[٨] وسورة الفلق وهي[٩] **﴿قل أعوذ بربّ الفلق * (من شرّ ما**

⇨

أيضاً: أمّ الرّأس». وفي لسان العرب: ١٢/٣٣ ـ أمم ـ نقلاً عن التّهذيب: «اعلم أنّ كلّ شيء يُضمّ إليه سائر ما يليه، فإنّ العرب تسمّي ذلك الشّيء أمّاً، من ذلك أمّ الرأس وهوالدّماغ».

١ ـ تَهادَى تهادياً: إذا مشى وحده مشياً غير قويّ متمايلاً. وقد يقال تهادَى بين اثنين، ومعناه: يعتمد هوعليهما في مشيه. انظر «المصباح المنير: ٨٧٤ ـ ٨٧٥».

٢ ـ «جلس» ب، ح.

٣ ـ ما بين القوسين ليس في «ب» و«ح».

٤ ـ نَفِسْتُ عليه الشّيء، أنْفَسُه نفاسة: إذا ضَنِنت به ولم تحبّ أن يصل إليه. «لسان العرب: ٦/٢٣٨ ـ نفس ـ».

٥ ـ «فقال» ب.

٦ ـ «وهي» ليس في «أ».

٧ ـ الآية ليست في «ب» و«ح».

٨ ـ ما بين القوسين ليس في «ب» و«ح».

٩ ـ «وهي» ليس في «أ».

خلق)[1]﴾ إلى آخرها، وسورة النّاس ﴿قل أعوذ بربّ النّاس * ملك النّاس﴾[2] إلى آخرها.

وأنا إلى اليوم أتعوّذ بها كلّ غداة فما أصبت بولد[3]، ولا أصيب لي[4] مال، ولامرضت ولا افتقرت، وقد انتهى بي السّنّ إلى ماترون. فحافظوا عليها واستكثروا من التّعوّذ بها (فسمعنا ذلك منه)[5] ثمّ انصرفنا من عنده.[6]

وإذا كان شخص من بعض أمّة النّبيّ صلى الله عليه وآله[7] دلّه على التّعوّذ (بأربع سور من قصيرات أحد أجزاء القرآن، فعمّر هذا العمر الطّويل وبلغ ببركتها ما بلغ كما قيل، فما ظنّك بولد النّبيّ صلى الله عليه وآله، الّذي قد انتهى إليه هذا القرآن وحكمه وفهمه وفوائده وعلمه إليه، وهو القائم بإيضاحه وبيانه. أليس هو وليّ المسلمين والإسلام وصاحب زمانه)[8]، فما المانع من[9] أن يكون قد أعطاه اللّه تعالى (من الخاصّة وجعل له من المزيّة طول التّعمير والبقاء على مرّ الدّهور والأعوام ليقوم بما وجب في القرآن على المكلّفين من شرايع الإسلام وملّة جدّه الرّسول صلى الله عليه وآله)[10]. وهل

---

١ ـ الآية ليست في «ب» و«ح».

٢ ـ الآيتان ليستا في «ب» و«ح».

٣ ـ ليس في «ب» و«ح».

٤ ـ «في» أ.

٥ ـ ما بين القوسين ليس في «ب» و«ح».

٦ ـ البحار: ٢٥٨/٥١ ـ ٢٦٠، والمستدرك: ٣٨٩/٤ ح٢٦ عن الأنوار المضيئة مثله. وفي الدّعوات للرّاوندي: ٨٥ ح٢١٦ ذيله باختصار، عنه البحار: ٣٤١/٩٢ ح٦.

٧ ـ بزيادة «وسلّم» ح.

٨ ـ بدل ما بين القوسين: «بهذه السّور فعمّر العمر الطّويل، فما ظنّك بولد النّبيّ صلى الله عليه وآله الّذي قد انتهى إليه هذا القرآن و حكمه و فهمه و فوائده، و هو القائم بإيضاحه و بيانه» ب، ح.

٩ ـ ليس في «أ».

١٠ ـ بدل ما بين القوسين: «من المزيّة طول التّعمير، ليقوم بملّة جدّه رسول اللّه صلى الله عليه وآله» ب، ح.

ينكر[١] ذلك إلاّ من طُبع على قلبه فكان من أصحاب الشّيطان وحزبه (أولئك الّذين طبع اللّه على قلوبهم فأصمّهم وأعمى أبصارهم).[٢]

ومن المعمّرين: عبيد بن سويد[٣] الجرهميّ[٤]، عاش ثلاثمائة وخمسين سنة، فأدرك النّبيّ ﷺ وحسن إسلامه، وعمّر بعد ما قبض النّبيّ ﷺ حتّى أدرك معاوية أيّام تغلّبه وملكه، فقال له معاوية: أخبرني يا عبيد عمّا رأيت وسمعت وأدركت، وكيف رأيت الدّهر؟

فقال: أمّا الدّهر فرأيت ليلاً يشبه ليلاً، ونهاراً يشبه نهاراً، ومولوداً يولد [وميّتاً يموت][٥]، ولم أدرك أهل زمان إلاّ وهم يذمّون زمانهم، وأدركت من قد عاش ألف سنة فحدّثني عمّن عاش ألفي سنة.[٦]

(ومنهم: الرّبيع بن ضبع الفزاري، لمّا وفد النّاس على عبدالملك بن مروان كان فيمن وفد عليه الرّبيع بن ضبع، وكان معه ابنه من ابنه وهب بن عبداللّه [بن الرّبيع][٧]

---

١ ـ «وهل يجحد» أ.
٢ ـ ما بين القوسين ليس في «ب» و«ح».
٣ ـ كذا في النّسخ؛ وفي كمال الدّين: «شرية». قال ابن حجر في الإصابة في تمييز الصّحابة: ١٠١/٣ رقم ٦٣٩٥: «عبيد بن شريّة، بمعجمة وزن عطيّة: أحد المعمّرين، روى أبوموسى من طريق معاوية سليم عن هشام بن محمّد عن أبيه محمّد بن السّائب الكلبي قال: عاش عبيد بن شريّة الجرهمي مائتين وأربعين سنة وقيل ثلاثمائة سنة، وأسلم...». وفي ج١٦٧/٢ رقم ٣٩٧٨: شرية بن عبيد ـ بتقديم وتأخير ـ وقال: «قال عمر بن شبة: حدّثنا عبداللّه بن محمّد بن حكيم قال: عاش شرية بن عبيد ثلاثمائة سنة وأدرك الإسلام». وفي نفس الصفحة رقم ٣٩٧٩: شرية الجرهمي...
٤ ـ «الجراهيمي» أ.
٥ ـ ما بين المعقوفين أثبتناه من كمال الدّين. «ساموت» أ، «سانوت» ب، ح.
٦ ـ كمال الدّين: ٥٤٧ ح١، عنه البحار: ٢٣٣/٥١ ح٣. وانظر كنز الفوائد: ٢٦١.
٧ ـ أثبتناه من الأنوار المضيئة (مخطوط).

شيخاً فانياً قدسقط حاجباه على عينيه قدعصبهما بعصابة، فلمّا رآه الآذن[١] ـ وكانوا يأذنون للنّاس على أسنانهم ـ قال: ادخل أيّها الشّيخ. فدخل يدِبّ[٢] على العصا يقيم بها صلبه ولحييه[٣] على ركبتيه.

فلمّا رآه عبدالملك رقّ له وقال: اجلس أيّها الشّيخ.

فقال: يا أميرالمؤمنين أيجلس الشّيخ وجدُّه على الباب؟

قال: فأنت إذن من ولد الرّبيع بن ضبع الفزاري.

قال: نعم أنا وهب بن عبدالله بن الرّبيع.

فقال للآذن: ارجع فأدخل الرّبيع. فخرج الآذن فلم يعرفه حتّى نادى: أين الرّبيع؟

فقال الرّبيع: ها أنا ذا. فقام يتطرّق[٤] في مشيته، فلمّا دخل [على][٥] عبدالملك سلّم، فقال عبدالملك لجلسائه: وأبيكم[٦] [إنّه لأشبّ][٧] الرّجلين. يا ربيع أخبرني عمّا أدركت من العمر والمدى ورأيت من الخطوب الماضية.

---

١ ـ الآذن: الحاجب. «لسان العرب: ١٠/١٣ ـ أذن ـ».

٢ ـ دبّ الصّغير، يدبّ ـ من باب ضرب ـ دبيباً؛ ودبّ الجيش دبيباً أيضاً: ساروا سيراً ليناً. «المصباح المنير: ٢٥٥ ـ دبّ ـ».

٣ ـ كذا في النّسخ. وفي كمال الدّين: «وكشحيه». في لسان العرب: ٥٧١/٢ ـ ٥٧٢ ـ كشح ـ: «الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضِّلَع الخَلف، وهومن لدن السرّة إلى المتن...، قال الأزهري: هما كشحان وهوموضع السّيف من المتقلّد... وقيل: الكشحان: جانبا البطن من ظاهر وباطن».

٤ ـ «يهرول» كمال الدّين. تطرّق إلى الأمر: ابتغى إليه طريقاً. كذا في لسان العرب: ٢٢١/١٠ ـ طرق ـ. وفيه أيضا ـ ص٢١٧ ـ نقلاً عن خالد بن جنبة أنّ الطَّرْق: هوسرعة المشي.

٥ ـ أثبتناه من كمال الدّين.

٦ ـ «ويلكم» كمال الدّين.

٧ ـ أثبتناه من كمال الدّين. «لأنّه لأثبت» أ.

قال: أنا الّذي أقول:

ها أنا ذا آمل [الخلود][١] وقد أدرك أيّام[٢] مولدي حجرا

أنا امرؤالقيس [قد][٣] سمعت به هيهات هيهات طال إذ[٤] عمرا

فقال عبدالملك: قد رويت هذا من شعرك وأنا صبيّ.

قال: وأنا القائل:

إذا عاش الفتى مائتين عاماً فقد ذهب اللّذاذة والفتاء

فقال عبدالملك: قد رويت هذا[٥] أيضاً وأنا غلام، يا ربيع لقد طلبك جدّ غير عاثر[٦]؛ فصّل لي عمرك.

فقال: عشت مائتي سنة في الفترة بين عيسى ومحمّد صلّى اللّه عليهما، وعشرين ومائة سنة في الجاهليّة، وستّين في الإسلام.[٧]

وإذا كان شخص من آحاد النّاس عاش هذا العمر المديد، فهل ينكر تعمير الإمام القائم عليه السلام إلاّ غير رشيد.

ومنهم: سَطيح الكاهن، عاش ثلاثمائة سنة، وخبره مشهور لاينكره المخالف

---

١ ـ أثبتناه من كمال الدّين. «الخطوب» أ.

٢ ـ «عمري» كمال الدّين.

٣ ـ أثبتناه من كمال الدّين. «و» أ.

٤ ـ «ذا» كمال الدّين.

٥ ـ بزيادة «قد رويت هذا» أ.

٦ ـ قال المجلسي في البحار: ٢٣٧/٥١: «قوله: لقد طلبك جدّ غير عاثر: الجدّ بالفتح: الحظّ والبخت والغناء، أي طلبك بخت عظيم لم يعثر حتّى وصل إليك أولم يعثر بك، بل نعشك في كلّ الأحوال».

٧ ـ كمال الدّين: ٥٤٩ ح١ باختلاف يسير في بعض ألفاظه. عنه البحار: ٢٣٤/٥١ ح٤. وانظر كمال الدّين: ٥٦١، وكنز الفوائد: ٢٤٩، والغيبة للطّوسي: ٧٩ ـ ٨٠، وإعلام الورى: ٣٠٦/٢، والإصابة في تمييز الصّحابة: ٥٢٦/١ رقم ٢٧٢٨، والبحار: ٢٤١/٥١ وص٢٨٩.

والمؤالف)[١] .[٢]

ومنهم: شدّادبن عادصاحب المدينة إرم[٣] ذات العماد (الّتي لم يخلق مثلها في البلاد)[٤]، عمّر تسعمائة سنة. وردت بذلك الأخبار وشهد به أصحاب التّواريخ ورواة الآثار.

(وحكاية مدينته وبنائها العجيب مشهور[٥]، وكثير من شرّاح الكتاب العزيز الّذين ينكرون تعمير الإمام عليه السلام قد أثبتوا حكايته في تفاسيرهم وصدّقوا تعميره هذه المدّة في أساطيرهم، وإذا قيل المهدي حيّ موجود أنكره، وإذا سمعوا بتعميره

---

١ ـ ما بين القوسين ـ أي من قوله «ومنهم الرّبيع» إلى هنا ـ ليس في «ب» و«ح» .

٢ ـ في كمال الدّين : ٥٥١ ضمن ح ١ : «عاش شقّ الكاهن ثلاثمائة سنة» ، و في ص١٩٦ ذيل باب خبر سطيح الكاهن : «وكان سطيح ولد في سيل العرم ، فعاش إلى ملك ذي نواس وذلك أكثر من ثلاثين قرناً ، وكان مسكنه بالبحرين...» . وفي تاج العروس: ٤٧٣/٦ ـ سطح ـ: «سطيح: كاهن بني ذِئب، كان يتكهّن في الجاهليّة واسمه: ربيعة بن عديّ بن مسعود بن مازن ابن ذئب بن ... كان يخبِّر بمبعث نبيّنا صلّى اللّه عليه وسلّم عاش ثلاثمائة سنة، ومات في أيّام أنوشروان بعد مولده صلّى اللّه عليه و سلّم...» .

٣ ـ قال الطّبرسي في مجمع البيان: ٤٨٥/٥ ـ ٤٨٦ في تفسير قوله تعالى: **﴿ألم تر كيف فعل ربّك بعاد * إرم ذات العماد﴾** ـ الفجر: ٦ و٧ ـ:

«... وعاد: قوم هود، واختلفوا في إرم على أقوال: أحدها أنّه اسم لقبيلة... وثانيها: أنّ إرم اسم بلد، ثمّ قيل هودمشق... وقيل هومدينة بناها شدّاد بن عاد، فلمّا أتمّها وأراد أن يدخلها أهلكه اللّه بصيحة نزلت من السّماء. وثالثها: أنّه ليس بقبيلة ولا بلد، بل هولقب لعاد وكان عاد يعرف به...» .

٤ ـ ما بين القوسين ليس في «ب» و«ح» وهومقتبس من الآية: ٨ من سورة الفجر .

٥ ـ راجع كمال الدّين: ٥٥٢ ح١، ومجمع البيان: ٤٨٦/٥ ـ ٤٨٧، وقصص الأنبياء: ٩٣ ح٨٨، والبحار: ٣٦٧/١١ ح٢ .

استبعدوه: هل هذا إلاّ عناد مبين[١] ﴿إنّه لا يفلح الظّالمون﴾[٢].

ومنهم: أوس بن ربيعة الأسلمي، عاش مائة وأربعة عشر سنة.[٣]

ومنهم: نصر بن دهمان بن سليم[٤] بن أشجع بن رثب[٥] بن عطفان[٦]، عاش مائة وتسعين سنة)[٧].[٨]

ومنهم: لقمان العادي[٩]، عاش ثلاثة آلاف سنة وخمسمائة سنة[١٠]، وكان أحد وفّاد عاد الّذين بعثهم قومهم إلى الحرم ليستسقوا لهم، وأعطي عمر سبعة أنسر، وكان يأخذ الفرخ فيجعله في الجبل الّذي هو في أصله فيعيش النّسر مهما[١١] ما عاش، فإذا مات أخذ آخر فربّاه حتّى كان آخرها لُبَد، وكان أطولها عمراً، فقيل فيه: (طال الأبد على لُبد)[١٢].[١٣] وقد قيل فيه أشعار

---

١ ـ نحوه كلام الصّدوق في كمال الدّين: ٥٥١ ـ ٥٥٢ وص ٥٥٤ ـ ٥٥٥.

٢ ـ سورة الأنعام: ٢١.

٣ ـ كمال الدّين: ٥٥٥، وكنز الفوائد: ٢٥٣. عن كمال الدّين البحار: ٢٣٧/٥١. وفيها أنّه عاش مائتين وأربع عشرة سنة.

٤ ـ أثبتناه كما في الأنوار المضيئة (مخطوط) وكمال الدّين. «اسليم» أ.

٥ ـ «الرّيث» كمال الدّين.

٦ ـ «غطفان» كمال الدّين.

٧ ـ ما بين القوسين ـ أي من «وحكاية مدينته» إلى هنا ـ ليس في «ب» و«ح».

٨ ـ كمال الدّين: ٥٥٥ـ٥٥٦، وكنز الفوائد: ٢٥٢، وإعلام الورى: ٣٠٧/٢، والبحار: ٢٣٧/٥١ـ٢٣٨. وانظر الإصابة في تمييز الصّحابة: ٤٨٨/٢ رقم ٥٥٩٤.

٩ ـ «العاري» أ.

١٠ ـ هذا ثاني القولين في كمال الدّين، والأوّل: أنّه عاش خمسمائة وستّين سنة. وفي كنز الفوائد وإعلام الورى أنّه عاش ألف وخمسمائة سنة.

١١ ـ «منها» كمال الدّين.

١٢ ـ «طال على الأبد لبده» أ.

١٣ ـ انظر كمال الدّين: ٥٥٩، وكنز الفوائد: ٢٤٨، والغيبة للطّوسي: ٧٩، وحياة الحيوان: ٣٥٣/٢ـ٣٥٤، والبحار: ٢٤٠/٥١، وص ٢٨٨.

كثيرة،[١] وأعطي من القوّة والسّمع والبصر على قدر ذلك. وله أحاديث عزيزة[٢] إذا سمعها الّذين هم بمعزل عن هذه المقالة، أصغوا إليها واستزادوا منها وتمثّلوا بها وصدّقوها ووافقوا عليها؛ وإذا قيل لهم أنّ القائم حيّ موجود، ﴿**جعلوا أصابعهم في آذانهم** واستغشوا ثيابهم، وأصرّوا واستكبروا استكباراً﴾[٣] (صمّوا أسماعهم وعبسوا وجوههم وقَطَبوا[٤] في وجوه القائلين، واستضعفوا عقول المؤمنين)[٥]. وهل هذا إلاّ عناد خروج[٦] عن السّداد.

ومنهم: باني الأهرام[٧] والبرابي[٨] بمصر، وهو والد العزيز الّذي اشترى يوسف عليه السلام واسمه الوليد بن الرّيّان بن دومع[٩]، وعاش العزيز سبعمائة سنة، وعمّر

---

١ ـ قال الجاحظ في كتاب الحيوان: ٣٢٥/٦ تحت عنوان «نسر لقمان»: «وقد أكثر الشّعراء في ذكر النّسور، وأكثر ذلك قالوا في لُبَد». ثمّ أورد بعضها في كتابه.

٢ ـ كذا في النّسخ؛ ولعلّ الصّواب: «غزيرة» أي: الكثيرة، ليوافق ما في كمال الدّين: ٥٦٠: «وقد قيل فيه أشعار معروفة، وأعطي من القوّة والسّمع والبصر على قدر ذلك، وله أحاديث كثيرة».

٣ ـ سورة نوح : ٧.

٤ ـ القُطوب: تزوّي ما بين العينين عند العُبوس، يقال: رأيته غضبان قاطباً. «تاج العروس: ٥٤/٤ ـ قطب ـ».

٥ ـ ما بين القوسين ليس في «ب» و«ح».

٦ ـ «خارج» أ.

٧ ـ قال في معجم البلدان: ٢٨٣/١: «الأهرام جمع هَرَم: وهي أبنية عظيمة مربّعة الشّكل، كلّما ارتفعت دقّت، تشبه الجبل المنفرد». وقال في ج٣٩٩/٥: «الهَرَمان: هي أهرام كثيرة إلاّ أنّ **المشهور منها اثنان، واختلف النّاس في أهرام مصر اختلافاً جمّاً، وتكاد أن تكون حقيقة أقوالهم فيها كالمنام، إلاّ أنّا نحكي من ذلك ما يحسن عندنا». ثمّ أورد طرفاً ممّا قيل في الأهرام، فراجع.**

٨ ـ قال في معجم البلدان: ٣٦٢/١: «البَرابي ـ بالفتح وبعد الألف باء أخرى ـ وهو جمع بربا: كلمة قبطيّة، وأظنّه اسماً لموضع العبادة أو البناء المحكم أو موضع السّحر».

٩ ـ «دومغ» كمال الدّين.

والده الرّيّان ألف وسبعمائة سنة[١]، ودومع ثلاثة آلاف سنة،[٢] وخبره مشهور، في كتب التواريخ (مذكور، تركناه في هذا الباب تفادياً[٣] من إطالة الكتاب)[٤].

ومنهم: قسّ بن ساعدة الايادي، عاش ستّمائة سنة.[٥]

(ومنهم: [سربانك][٦] ملك الهند:

من طريق العامّة بالطّريق المذكور، يرفعه إلى إسحاق بن إبراهيم الطّوسي[٧] قال: رأيت [سربانك][٨] ملك الهند في بلدة تسمّى [قَنُّوج][٩] ـ ووصف عظم ملكه وشدّة سلطانه وسعة مملكته، تركنا ذكره خوف الإطالة ـ قال: فسألته كم أتى عليك من السّنين؟

---

١ ـ ليس في «ح». ٢ ـ كمال الدّين: ٥٦٣ ضمن حديث طويل؛ عنه البحار: ٢٤٣/٥١.

٣ ـ تفادى فلان من كذا: انزوى عنه. انظر «لسان العرب: ١٥٠/١٥ ـ فدى ـ».

٤ ـ ما بين القوسين ليس في «ب» و«ح».

٥ ـ كمال الدّين: ٥٧٥، وكنزالفوائد: ٢٥٤؛ عن كمال الدّين البحار: ٢٥٢/٥١.

وقال ابن حجر في الإصابة في تمييز الصّحابة: ٢٧٩/٣ رقم ٧٣٤٠: «قُسّ بن ساعدة بن جذامة بن زفر بن اياد بن نزار الإيادي، البليغ الخطيب المشهور... وصرّح ابن السّكن بأنّه مات قبل البعثة؛ وذكره أبوحاتم السّجستاني في المعمّرين ونسبه كما ذكرتُ، وقال انّه عاش ثلاثمائة وثمانين سنة، وقد سمع النّبيّ ﷺ... وقال المرزباني: ذكر كثير من أهل العلم أنّه عاش ستّمائة سنة وكان خطيباً حكيماً عاقلاً، له نباهة وفضل».

٦ و ٨ ـ أثبتناهما كما في كمال الدّين والأنوار المضيئة(مخطوط). «سرسانك» و«شرمابك» على التّوالي«أ».

٧ ـ «الطّرسوسي» كمال الدّين. ذكره ابن حجر في لسان الميزان: ٣٤٥/١ رقم ١٠٧٠ وقال: «لا يعرف».

٩ ـ أثبتناه كما في كمال الدّين والإصابة في تمييز الصّحابة. «فتوح» أ.

قال في معجم البلدان: ٤٠٩/٤: قَنّوج ـ بفتح أوّله و تشديد ثانيه، و آخره جيم ـ موضع في بلاد الهند، عن الأزهري. و قيل: إنّها أجمة».

فقال: تسعمائة وخمس وعشرون سنة، وهومسلم زعم أنّ النبيّ ﷺ نفّذ إليه عشرة من أصحابه، منهم: حذيفة [ابن][١] اليمان[٢]، وأُسامة بن زيد،[٣] وسفينة مولاه، وغيرهم فدعوه إلى الإسلام فأجاب[٤].

فقلت له: كيف تصلّي وأنت بهذا الضّعف ؟

فقال: أليس قد رخّص اللّه تعالى في القيام على لسان رسوله ﷺ: **﴿الّذين يذكرون اللّه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾**[٥].[٦]

وإذا جوّزوا أن يهب اللّه تعالى لشخص من ملوك الهند الملك العظيم، والعمر الطّويل المديد، فما وجه إنكارهم مثل هذا في حقّ الإمام القائم عليه السلام؟

والعجب أنّ مخالفينا يروون أخبار المعمّرين، ويجوّزون وقوع مثل هذه الأمور في نوع الآدميّين، وينكرون بقاء رجل هوخاتم عقد قلادة الأوصياء المعصومين، الّذي يملأ اللّه به الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً ! هل هذا إلاّ عناد مبين، ومجادلة لإطفاء نور الأئمّة الطّاهرين **﴿ويأبى اللّه إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون﴾**[٧].

---

١ ـ أثبتناه من الأنوار المضيئة (مخطوط)، وكمال الدّين .

٢ ـ بزيادة «وعمرو بن العاص» كمال الدّين .

٣ ـ بزيادة «وأبوموسى الأشعري وصهيب الرّومي» كمال الدّين .

٤ ـ بزيادة «وأسلم وقبّل كتاب النّبيّ ﷺ» كمال الدّين .

٥ ـ سورة آل عمران: ١٩١ .

٦ ـ كمال الدّين: ٦٤٢ ـ ٦٤٣، والبحار: ٢٥٣/٥١ بتفاوت يسير وزيادة. وانظر الإصابة في تمييز الصّحابة: ١٢٢/٢ رقم ٣٧٣٩، ولسان الميزان: ٣٤٥/١ رقم ١٠٧٠، وج٣/١٠ رقم ٣٦ .

٧ ـ سورة التّوبة : ٣٢ .

وأعجب من هذا، أنّك إذا قلت)[١] لهم: ألستم[٢] تقولون أنّ النّبيّ(صلّى الله عليه وآله)[٣] قال: تحذو أمّتي حذو الأمم السّالفة حذو النّعل بالنّعل والقذّة بالقذّة[٤]؟

فيقولون: بلى.

(ثمّ يقال لهم: أليس قد وقع مثل هذا التّعمير في الأمم المتقدّمة وقد نطق به القرآن، ورواه مشايخكم وسطرتموه في كتبكم؟

فيقولون: نعم)[٥].

فإذا قيل لهم: فما وجه إنكار طول تعمير الإمام القائم عليه السلام (مع وقوعه لمن ذكرنا، وتصديقكم به)[٦]؟ تبلبلوا[٧] في الخطاب وتلجلجوا[٨] في الجواب، ولا يدرون أين المفرّ ولا كيف الذّهاب، ﴿أفأنت تنقذ من في النّار﴾[٩].

ولعمري إنّا[١٠] لسنا معوّلين[١١] في إثبات[١٢] تعمير الإمام القائم[١٣] عليه السلام على ذكر المعمّرين، (بل الدّلالة القاطعة على وجوده وطول تعميره، هوما تقدّم ذكره من البراهين العقليّة والأدلّة الصّحيحة المتواترة النقليّة، الّتي بمثلها ثبت قواعد الإسلام،

---

١ ـ بدل ما بين القوسين ـ أي من «ومنهم سربانك» إلى هنا ـ: «فهذه نبذة في أخبار المعمّرين رووها وصدّقوا بها وإذا قيل» ب، ح.

٢ ـ «لستم» أ. ٣ ـ «عليه السّلام» أ. ٤ ـ انظر ص٢٣ الهامش رقم ٤.

٥ ـ ما بين القوسين ليس في «ب» و«ح».

٦ ـ ما بين القوسين ليس في «أ».

٧ ـ تبلبلت الألسن: اختلطت. «لسان العرب: ٦٨/١١ ـ بلل ـ».

٨ ـ التَّلَجْلُج: التردّد في الكلام. «لسان العرب: ٣٥٥/٢ ـ لجج ـ».

٩ ـ سورة الزّمر: ١٩. ١٠ ـ ليس في «أ».

١١ ـ «مكلّفين» أ. عَوَّل عليه: اتّكل واعتمد. «لسان العرب: ٤٨٤/١١ ـ عول ـ».

١٢ ـ «ثبوت» أ. ١٣ ـ ليس في «ب» و«ح».

وعليها الاعتماد في الإصدار والإيراد، وبها يتمّ النّظام؛ لكن في ذكر ذلك فوائد:

[أ][1] ـ أنّ السّامع إذا طرق سمعه أنّه قد وقع فيما تقدّم في هذا النّوع تعمير جماعة من الآدميّين، لا يستعظم تعمير خاتم الوصيّين.

[ب][2] ـ أنّ القائل بهذا المذهب يزداد بصيرة في دينه ويقيناً إلى يقينه بوقوع مثل هذه الأحوال في عدّة أشخاص من الرّجال، فيرى أنّ الإمام القائم عليه السلام أولى بهذا الحال.

[ج][3] ـ أنّ الشّاكّ في هذا المذهب، يدعوه الاطّلاع على هذه الأخبار إلى البحث في ذلك، وينتفي عنه تهويل هذا الأمر، ويمتنع عقله عن النّقار[4] وترك البحث، [والبحث قنطرة][5] التّحقيق، فربما أخرجه بحثه وتفحصّه عن هذا الأمر من ضيق الظّلمة إلى فضاء النّور وسواء الطّريق، فيكون من الفائزين القائلين بالحقّ على يقين)[6].

[د][7] ـ أنّ[8] الحقّ كلّما زاد البحث فيه أضاء نوره وسطع، والباطل كلّما زاد

---

١ ـ ٣ و ٧ ـ أثبتناها من الأنوار المضيئة (مخطوط).

٤ ـ «النّفار» الأنوار المضيئة (مخطوط).

بيني وبينه مناقَرة ونِقارٌ: أي كلام؛ والمناقرة: المنازعة ومراجعة الكلام. انظر «لسان العرب: ٢٢٩/٥ ـ نقر ـ».

٥ ـ ما بين المعقوفين أثبتناه من الأنوار المضيئة (مخطوط). «فنظرة» أ.

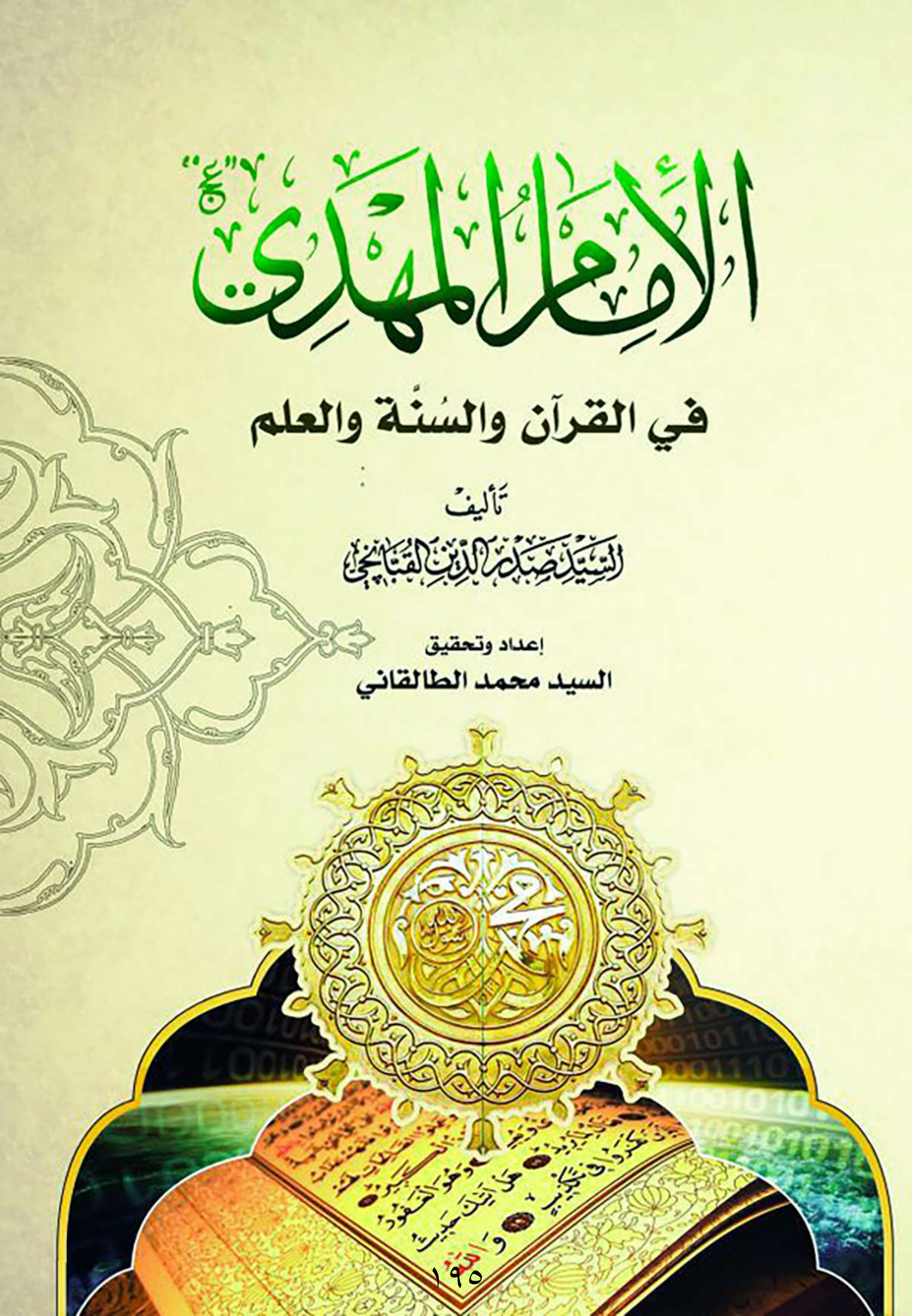
٦ ـ بدل ما بين القوسين ـ أي من قوله «بل الدّلالة» إلى هنا ـ: «بل على البراهين المأثورة عن آبائه الغرّ الميامين وقد أثبتنا بعضها في هذا الجمع اليسير، والعقل موافق على ما دلّت عليه فلايضرّنا ريب المرتابين، وإنّما ذكرناها توطية لمن داخله شكّ في ذلك فإنّه إذا اطّلع على مثل هذه الأخبار، أمكنه دفع شكّه به ودفع تهويل النّاكبين عن طريق ذلك بذلك» ب، ح.

٨ ـ «فإنّ» ب، ح.

البحث فيه أظلم وانقطع. فكان[١] في ذكر هذه الأخبار جلاء لبصائر أهل الاستبصار وعِمىً لأهل الضّلال والشّنار[٢].

١ ـ «وكان» ح.

٢ ـ الشَّنار: العيب والعار. «لسان العرب: ٤/٤٣٠ ـ شنر ـ».


الإمام المهدي عج
في القرآن والسُنّة والعلم
تأليف
السيد صدر الدين القبانجي
إعداد وتحقيق
السيد محمد الطالقاني
١٩٥

الإمام المهدي عليه السلام
في القرآن والسُّنَّة والعلم
تأليف
سماحة السيّد صدر الدين القبانچي
إعداد وتحقيق
السيّد محمّد الطالقاني
الناشر
مكتب إمام جمعة النجف الأشرف
الطبعة الأولىٰ: ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م
العدد: ٣٠٠٠ نسخة
جميع الحقوق محفوظة للناشر

السؤال السادس والأربعون: كم كان عمر الإمام المهدي عليه السلام عندما غاب الغيبة الصغرىٰ؟ وكم كان عمره في الغيبة الكبرىٰ؟ وكم سيكون عمره عندما يظهر؟

الجواب: كان عمره خمس سنوات، أي بعد خمس سنوات من

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٣٠٨، ورد عن الإمام علي عليه السلام: «أصحاب المهدي شباب لا كهول فيهم إلَّا مثل كحل العين والملح في الزاد، وأقلّ الزاد الملح».

(٢) ففي البصائر: ١٠٤، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: اللّهمّ لقِّني إخواني مرَّتين، فقال من حوله من أصحابه: أمَا نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقال: لا، إنَّكم أصحابي، وإخواني قوم من آخر الزمان آمنوا بي ولم يروني، لقد عرَّفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يُخرِجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أُمَّهاتهم، لأحدُهم أشدُّ بُقيَةً علىٰ دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض علىٰ جمر الغضا، أُولئك مصابيح الدجىٰ، ينجيهم الله من كلِّ فتنة غبراء مظلمة».

ولادته بدأت الغيبة الصغرىٰ، وذلك بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام. واستمرَّت الغيبة الصغرىٰ تسع وستّين عاماً تضاف إلىٰ عمره خمس سنوات فيكون عمره عند بدء الغيبة الكبرىٰ أربعاً وسبعين عاماً[1].

أمَّا عمره عند ظهوره فغير معلوم، لأنَّ وقت ظهوره غير معلوم.

(١) أعيان الشيعة ٤: ١٥، اختلف العلماء والمحدِّثون حول بداية الغيبة الصغرىٰ، وأنَّها هل بدأت من أوائل عمر الإمام المهدي عليه السلام وفي عهد والده الإمام العسكري عليه السلام أم بدأت بعد وفاة الإمام العسكري؟ المشهور هو القول الثاني، فتكون الغيبة الصغرىٰ للإمام في سامراء من عام (٢٦٠هـ ق) يوم وفاة أبيه الإمام العسكري إلىٰ عام (٣٢٩ هـ ق) الذي توفّیٰ فيه النائب الرابع للإمام المهدي أبو الحسن علي بن محمد السَّمري، وحينئذٍ تكون الغيبة الصغرىٰ (٦٩) عاماً.

ولعلَّ من الصحيح أن نقول: إنَّ الغيبة الصغرىٰ بدأت من أوائل عمر الإمام المهدي عليه السلام، لأنَّ حياته منذ الولادة كانت مقرونه بالاستتار والاختفاء عن الناس، فيمكن أن نعتبر السنوات الخمس التي قضاها الإمام المهدي عليه السلام مع والده الإمام العسكري عليه السلام من ضمن الغيبة الصغرىٰ تبعاً للشيخ المفيد وغيره، وحينئذٍ تكون غيبة الإمام (٧٤) عاماً من مبدأ ولادته إلىٰ وفاة النائب الرابع للإمام، وبعدها تبدأ الغيبة الكبرىٰ للإمام عليه السلام من عام (٣٢٩ هـ ق).

ولكن الثابت أنَّ الإمام العسكري عليه السلام كان يعرض نجله المبارك علىٰ خُلَّص أصحابه وثقاة الشيعة خلال حياته بين الحين والآخر، ويُعرِّفه بأنَّه الإمام الثاني عشر، وأنَّه المهدي الموعود المنتظر عليه السلام، فلذا يُرجَّح القول المشهور بعدم اعتبار هذه الفترة من عمر الإمام ضمن الغيبة الصغرىٰ، فتكون مدَّة الغيبة الصغرىٰ من وفاة الإمام العسكري إلىٰ وفاة النائب الرابع للإمام المهدي (٦٩) عاماً.

أمل الإنسان

الإمام المهديّ عليه السلام في الفكر الإسلامي الأصيل



الكتاب: **أمل الإنسان:** الإمام المهدي عجل الله فرجه في الفكر الإسلامي الأصيل

إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة

الناشر: جمعية المعارف الإسلاميّة الثقافية

الطبعة: الأولى 2014م - 1435 هـ

جميع حقوق الطبع محفوظة ©

الفصل الرابع

طول عمر الإمام المهديّ عجّل الله فرجه

محتويات الفصل:

- **المبحث الأوّل: الحاجة إلى الإمامة سببٌ من أسباب طول عمره عجّل الله فرجه.**
- **المبحث الثاني: تحليل دقيق لطول عمر الإمام المهديّ عجّل الله فرجه.**
  - 1 - كيف تأتّى للمهديّ هذا العمر الطويل؟
  - 2 - المعجزة والعمر الطويل.
  - 3 - العلم وعمر الإمام الحجّة عجّل الله فرجه.
  - 4 - إثبات طول عمره من حيث كونه حجّة.

تمهيد

«إنّ فلسفة طول العمر الذي منحَه الله تبارك وتعالى لهذا المعصوم كانت من أجل أنْ نفهم أنّ البشرية باتت تفتقر لمن يجدر به أنْ يقومَ بهذا الأمر، فالأنبياء لم يكتب لهم النجاح، ولم يكن هناك أحد بعد الأنبياء وكبار الأولياء وآباء الإمام الموعود، لم يكن أحد بعدهم، فلو كان المهديّ الموعود ذهب مثل سائر الأولياء إلى جوار ربه، فلم يبق في أوساط البشر أحد ليبسط العدل بهذا الشكل. وهذا الإنسان ادُّخِرَ للقيام بمثل هذا الأمر»[1]، وهو يشير إلى حقيقة الاشتباه والإشكال الذي يردُ على مسألة طول عمر الإمام ﷺ، وهو ما سوف نقوم بعرضه في هذا الفصل من الكتاب.

97

المبحث الأول: الحاجة إلى الإمامة سببٌ من أسباب طول عمره ﷺ

«يعترض مخالفو الشّيعة بأنّه وفقاً لاعتقاد هذه الطائفة، يجب أن يكون عمر الإمام الغائب ما يقرب من اثني عشر قرناً، في حين أنّ الإنسان لا يستطيع أن يعمّر هكذا.

الجواب: الاعتراض هذا مبنيّ على الاستبعاد، وأنّ العمر الطويل كهذا يستبعد، لكنّ الذي يطالع الأخبار الواردة عن الرسول الأعظم ﷺ في خصوص

(1) صحيفة الإمام، ج12، ص385.

الإمام الغائب، وكذا سائر أئمة أهل البيت عليهم السلام سيلاحظ أنّ نوع الحياة للإمام الغائب تتّصف بالمعجزة، خرقاً للعادة، وطبيعيّ أنّ خرق العادة ليس بالأمر المستحيل ولا يمكن نفي خرق العادة عن طريق العلم مطلقاً.

لذا لا تنحصر العوامل والأسباب التي تعمل في الكون في حدود مشاهدتنا والتي تعرّفنا عليها، ولا نستطيع نفي عوامل أخرى وهي بعيدة كلّ البعد عنا ولا علم لنا بها، أو أنّنا لا نرى آثارها وأعمالها، أو نجهلها، من هذا يتّضح إمكان إيجاد عوامل في فرد أو أفراد من البشر بحيث تستطيع تلك العوامل أن تجعل الإنسان يتمتّع بعمر طويل جداً قد يصل إلى الألف أو آلاف من السنوات، فعلى هذا فإن عالم الطب لم ييأس حتّى الآن من كشف طرق لإطالة عمر الإنسان.

وهذا الاعتراض من الذين يعتقدون بالكتب السماوية كاليهودية والمسيحية والإسلام وفقاً لكتبهم السماوية، ويقرّون المعجزات وخرق العادات التي كانت تتحقّق بواسطة أنبياء الله تعالى، بشكل يثير الإعجاب والاستغراب.

يعترض مخالفو الشّيعة من أنّ الشّيعة تعتبر لزوم وجود الإمام لبيان أحكام الدين وحقائقه، وإرشاد النّاس وهدايتهم، فإنّ غيبة الإمام تناقض هذا الغرض، لأنّ الإمام الذي قد غاب عن الأنظار ولا توجد أية وسيلة للوصول إليه، لا يترتب على وجوده أي نفع أو فائدة، وإذا كان الله سبحانه يريد إصلاح البشرية بواسطة شخص، فإنّه لقادر على خلقه عند اقتضاء الضرورة لذلك، ولا حاجة إلى خلقه قبل وقته وقبل الاحتياج إليه بآلاف السنوات.

الجواب: إنّ مثل هؤلاء لم يدركوا حقيقة معنى الإمامة، [...] إنّ وظيفة الإمام ومسؤوليته لم تنحصر في بيان المعارف الإلهية بشكلها الصوريّ، ولم يقتصر على إرشاد النّاس من الناحية الظاهرية، فالإمام فضلاً عن توليه إرشاد النّاس الظاهريّ، يتصف بالولاية والإرشاد الباطنيّ للأعمال أيضاً، وهو الذي ينظم الحياة المعنوية للناس، ويتقدّم بحقائق الأعمال إلى الله جلّ شأنه.

بديهيّ أن حضور أو غيبة الإمام الجسماني في هذا المضمار ليس له أيّ تأثير. والإمام عن طريق الباطن يتّصل بالنفوس ويشرف عليها، وإن بعد عن الأنظار وخفي عن الأبصار، فإن وجوده لازم دائماً، وإن تأخّر وقت ظهوره وإصلاحه للعالم»[1].

المبحث الثاني: تحليل دقيق لطول عمر الإمام المهديّ عليه السلام

1 - كيف تأتّى للمهديّ هذا العمر الطويل؟

«هل بالإمكان أن يعيش الإنسان قروناً كثيرة كما هو المفترض في هذا القائد المنتظر لتغيير العالم، الذي يبلغ عمره الشريف فعلاً أكثر من ألف ومئة وأربعين سنة، أي حوالي (14) مرة بقدر عمر الإنسان الاعتياديّ الذي يمرّ بكل المراحل الاعتيادية من الطفولة إلى الشيخوخة؟

كلمة الإمكان هنا تعني أحد ثلاثة معان: الإمكان العمليّ، والإمكان العلميّ، والإمكان المنطقيّ أو الفلسفيّ.

وأقصد بالإمكان العمليّ: أن يكون الشيء ممكناً على نحو يتاح لي أو لك، أو لإنسان آخر فعلاً أن يحقّقه، فالسفر عبر المحيط، والوصول إلى قاع البحر، والصعود إلى القمر، أشياء أصبح لها إمكان عمليّ فعلاً. فهناك من يمارس هذه الأشياء فعلاً بشكل وآخر[2].

وأقصد بالإمكان العلميّ: أنّ هناك أشياء قد لا يكون بالإمكان عملياً لي أو لك، أن نمارسها فعلاً بوسائل المدينة المعاصرة، ولكن لا يوجد لدى العلم ولا تشير اتّجاهاته المتحركة إلى ما يبرّر رفض إمكان هذه الأشياء ووقوعها وفقاً لظروف ووسائل خاصة، فصعود الإنسان إلى كوكب الزهرة لا يوجد في العلم ما يرفض وقوعه، بل إنّ

(1) العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره، الشّيعة في الإسلام، ص245 - 247.

(2) ولم تكن مثل هذه الأمور بمتصوّرة سابقاً قبل وقوعها، ولو حدّث بها أحدٌ من النّاس قبل تحقّقها فعلاً لعدّ الحديث مجرّد تخيّلات وأوهام.

اتّجاهاته القائمة فعلاً تشير إلى إمكان ذلك، وإن لم يكن الصعود فعلاً ميسوراً لي أو لك؛ لأنّ الفارق بين الصعود إلى الزهرة والصعود إلى القمر ليس إلاّ فارق درجة، ولا يمثّل الصعود إلى الزهرة إلاّ مرحلة تذليل الصعاب الإضافية التي تنشأ من كون المسافة أبعد، فالصعود إلى الزهرة ممكن علمياً وإن لم يكن ممكناً عملياً فعلاً[1]. وعلى العكس من ذلك الصعود إلى قرص الشمس في كبد السماء فإنّه غير ممكن علمياً، بمعنى أنّ العلم لا أمل له في وقوع ذلك، إذ لا يتصوّر علمياً وتجريبياً إمكانية صنع ذلك الدرع الواقية من الاحتراق بحرارة الشمس، التي تمثّل أتّوناً هائلاً مستعراً بأعلى درجة تخطر على بال إنسان.

وأقصد بالإمكان المنطقيّ أو الفلسفيّ: أن لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قبليّة - أي سابقة على التجربة - ما يبرّر رفض الشيء والحكم باستحالته.

فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوي وبدون كسر إلى نصفين ليس له إمكان منطقيّ؛ لأنّ العقل يدرك - قبل أن يمارس أي تجربة - أنّ الثلاثة عدد فرديّ وليس زوجاً، فلا يمكن أن تنقسم بالتساوي؛ لأنّ انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً، فتكون فرداً وزوجاً في وقت واحد، وهذا تناقض، والتناقض مستحيل منطقياً. ولكن دخول الإنسان في النار دون أن يحترق، وصعوده للشمس دون أن تحرقه الشمس بحرارتها ليس مستحيلاً من الناحية المنطقية، إذ لا تناقض في افتراض أنّ الحرارة لا تتسرّب من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة، وإنّما هو مخالف للتجربة التي أثبتت تسرّب الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقلّ حرارة إلى أن يتساوى الجسمان في الحرارة.

وهكذا نعرف أنّ الإمكان المنطقيّ أوسع دائرة من الإمكان العلميّ، وهذا أوسع دائرة من الإمكان العمليّ.

---

(1) الكلام في وقته دقيق علميّاً، فهو يقول: إنه ممكن علمياً، ولكنه لم يكن قد تحقّق فعلاً، والواقع أنّ كثيراً من الإنجازات في عالم الفضاء، وتسيير المركبات الفضائية إلى كواكب وتوابع الأرض وغيرها قد أصبح حقائق في أواخر القرن العشرين.

ولا شكّ في أنّ امتداد عمر الإنسان آلاف السنين ممكن منطقياً؛ لأنّ ذلك ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقلية تجريدية، ولا يوجد في افتراض من هذا القبيل أيّ تناقض؛ لأنّ الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع، ولا نقاش في ذلك.

كما لا شكّ أيضاً ولا نقاش في أنّ هذا العمر الطويل ليس ممكناً إمكاناً عملياً، على نحو الإمكانات العملية للنزول إلى قاع البحر أو الصعود إلى القمر، ذلك لأنّ العلم بوسائله وأدواته الحاضرة فعلاً، والمتاحة من خلال التجربة البشرية المعاصرة، لا يستطيع أن يُمدّد عمر الإنسان مئات السنين، ولهذا نجد أنّ أكثر النّاس حرصاً على الحياة وقدرة على تسخير إمكانات العلم، لا يتاح لهم من العمر إلاّ بقدر ما هو مألوف.

وأمّا الإمكان العلميّ فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرّر رفض ذلك من الناحية النظرية. وهذا بحث يتّصل في الحقيقة بنوعية التفسير الفسلجيّ لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الإنسان، فهل تعبّر هذه الظاهرة عن قانون طبيعيّ يفرض على أنسجة جسم الإنسان وخلاياه - بعد أن تبلغ قمّة نموّها - أن تتصلّب بالتدريج وتصبح أقلّ كفاءة للاستمرار في العمل، إلى أن تتعطّل في لحظة معيّنة، حتّى لو عزلناها عن تأثير أيّ عامل خارجيّ؟ أو أنّ هذا التصلّب وهذا التناقض في كفاءة الأنسجة والخلايا الجسمية للقيام بأدوارها الفسيولوجية، نتيجة صراع مع عوامل خارجية كالميكروبات أو التسمّم الذي يتسرّب إلى الجسم من خلال ما يتناوله من غذاء مكثّف، أو ما يقوم به من عمل مكثّف أو أيّ عامل آخر؟

وهذا سؤال يطرحه العلم اليوم على نفسه، وهو جادّ في الإجابة عنه، ولا يزال للسؤال أكثر من جواب على الصعيد العلميّ.

فإذا أخذنا بوجهة النظر العلمية التي تتّجه إلى تفسير الشيخوخة والضعف الهرميّ، بوصفه نتيجة صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية معيّنة، فهذا يعني أنّ بالإمكان نظريّاً، إذا عزلت الأنسجة التي يتكوّن منها جسم الإنسان عن تلك المؤثّرات

المعيّنة، أن تمتدّ بها الحياة وتتجاوز ظاهرة الشيخوخة وتتغلّب عليها نهائياً.

وإذا أخذنا بوجهة النظر الأخرى، التي تميل إلى افتراض الشيخوخة قانوناً طبيعيّاً للخلايا والأنسجة الحيّة نفسها، بمعنى أنّها تحمل في أحشائها بذرة فنائها المحتوم، مروراً بمرحلة الهرم والشيخوخة وانتهاءً بالموت.

أقول:

إذا أخذنا بوجهة النظر هذه، فليس معنى هذا عدم افتراض أيّ مرونة في هذا القانون الطبيعيّ، بل هو -على افتراض وجوده- قانون مرن؛ لأننا نجد في حياتنا الاعتيادية؛ ولأنّ العلماء يشاهدون في مختبراتهم العلمية، أنّ الشيخوخة كظاهرة فسيولوجية لا زمنيّة، قد تأتي مبكّرة، وقد تتأخر ولا تظهر إلاّ في فترة متأخرة، حتّى أنّ الرجل قد يكون طاعناً في السنّ ولكنه يملك أعضاء ليّنة، ولا تبدو عليه أعراض الشيخوخة كما نصّ على ذلك الأطباء. بل إنّ العلماء استطاعوا عمليّاً أن يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعيّ المفترض، فأطالوا عمر بعض الحيوانات مئات المرّات بالنسبة إلى أعمارها الطبيعية؛ وذلك بخلق ظروف وعوامل تؤجّل فاعلية قانون الشيخوخة.

وبهذا يثبت علمياً أنّ تأجيل هذا القانون بخلق ظروف وعوامل معيّنة أمر ممكن علمياً، ولئن لم يتح للعلم أن يمارس فعلاً هذا التأجيل بالنسبة إلى كائن معقّد معيّن كالإنسان، فليس ذلك إلاّ لفارق درجة بين صعوبة هذه الممارسة بالنسبة إلى الإنسان وصعوبتها بالنسبة إلى أحياء أخرى. وهذا يعني أنّ العلم من الناحية النظرية وبقدر ما تشير إليه اتجّاهاته المتحرّكة لا يوجد فيه أبداً ما يرفض إمكانية إطالة عمر الإنسان، سواء فسّرنا الشيخوخة بوصفها نتاج صراع واحتكاك مع مؤثّرات خارجية، أو نتاج قانون طبيعيّ للخليّة الحيّة نفسها يسير بها نحو الفناء.

ويتلخّص من ذلك: أنّ طول عمر الإنسان وبقاءه قروناً متعدّدة أمر ممكن منطقياً وممكن علمياً، ولكنّه لا يزال غير ممكن عملياً، إلاّ أنّ اتّجاه العلم سائر في طريق

تحقيق هذا الإمكان عبر طريق طويل.

وعلى هذا الضوء نتناول عمر المهديّ عليه الصلاة والسلام وما أحيط به من استفهام أو استغراب، ونلاحظ:

إنّه بعد أن ثبت إمكان هذا العمر الطويل منطقياً وعلمياً، وثبت أنّ العلم سائر في طريق تحويل الإمكان النظريّ إلى إمكان عمليّ تدريجاً، لا يبقى للاستغراب محتوىً إلاّ استبعاد أن يسبق المهديّ العلم نفسه، فيتحوّل الإمكان النظريّ إلى إمكان عمليّ في شخصه، قبل أن يصل العلم في تطوّره إلى مستوى القدرة الفعلية على هذا التحويل، فهو نظير من يسبق العلم في اكتشاف دواء ذات السحايا أو دواء السرطان.

وإذا كانت المسألة هي أنّه كيف سبق الإسلام - الذي صمّم عمر هذا القائد المنتظر - حركة العلم في مجال هذا التحويل؟

فالجواب: إنّه ليس ذلك هو المجال الوحيد الذي سبق فيه الإسلام حركة العلم.

أوَليست الشريعة الإسلامية ككلّ قد سبقت حركة العلم والتطوّر الطبيعيّ للفكر الإنسانيّ قروناً عديدة؟[1]

أولم تنادِ بشعارات طرحت خططاً للتطبيق لم ينضج الإنسان للتوصل إليها في حركته المستقلة إلاّ بعد مئات السنين؟

أولم تأتِ بتشريعات في غاية الحكمة، لم يستطع الإنسان أن يدرك أسرارها ووجه الحكمة فيها إلاّ قبل برهة وجيزة من الزمن؟

أولم تكشف رسالة السماء أسراراً من الكون لم تكن تخطر على بال إنسان، ثمّ جاء العلم ليثبّتها ويدعمها؟

فإذا كنا نؤمن بهذا كلّه، فلماذا نستكثر على مرسل هذه الرسالة - سبحانه وتعالى

---

(1) هـذه التساؤلات التي يثيرها السيد الشهيد ﷺ تهدف إلى ترسيخ حقيقة مهمة، هي أنّ الرسول الأعظم ﷺ عندما بشّر (بالمهديّ)، وهـو حالـة غير اعتيادية في سياق البشرية، تنبئ في جملتها عـن تسجيل سبق في الإمكانية العملية، بعد تأكيد الإمكانيّة العلمية، أي لبقاء الإنسان مدةً أطول بكثير من المعتاد، فإنّ مثل هذا السبق في التنبيه على حقائق في هذا الوجود كان قد سجّله القرآن الكريم والحديث الشريف في موارد كثيرة جداً في مسائل الطبيعة والكون والحياة، راجع: القرآن والعلم الحديث، الدكتور عبد الرزاق نوفل.

- أن يسبق العلم في تصميم عمر المهديّ؟[1] وأنا هنا لم أتكلم إلاّ عن مظاهر السبق التي نستطيع أن نحسّها نحن بصورة مباشرة، ويمكن أن نضيف إلى ذلك مظاهر السبق التي تحدّثنا بها رسالة السماء نفسها.

ومثال ذلك أنّها تخبرنا بأنّ النبيّ ﷺ قد أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهذا الإسراء[2] إذا أردنا أن نفهمه في إطار القوانين الطبيعيّة، فهو يعبّر عن الاستفادة من القوانين الطبيعية بشكل لم يُتح للعلم أن يحقّقه[3] إلاّ بعد مئات السنين، فنفس الخبرة الربانية أتاحت للرسول ﷺ التحرك السريع قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك، أتاحت لآخر خلفائه المنصوصين العمر المديد، قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك.

نعم، هذا العمر المديد الذي منحه الله تعالى للمنقذ المنتظر يبدو غريباً في حدود المألوف حتّى اليوم في حياة النّاس، وفي ما أنجز فعلاً من تجارب العلماء.

ولكن!

أوَليس الدور التغييريّ الحاسم الذي أعدّ له هذا المنقذ غريباً في حدود المألوف في حياة النّاس، وما مرّ بهم من تطورات التاريخ؟

أوَليس قد أنيط به تغيير العالم، وإعادة بنائه الحضاريّ من جديد على أساس الحقّ والعدل؟

فلماذا نستغرب إذا اتّسم التحضير لهذا الدور الكبير ببعض الظواهر الغريبة والخارجة عن المألوف، كطول عمر المنقذ المنتظر؟ فإنّ غرابة هذه الظواهر

(1) إشارة إلى أنّ هذا من قبيل الإعجاز أيضاً، وهو إفاضة ربانية خاصة، وهذا أمر لا يسع المسلم إنكاره، بعد أن أخبرت بأمثاله الكتب السماوية، وبالأخص القرآن، كالذي ورد في شأن عمر النبيّ نوح عليه السلام، وكذا ما أخبر به القرآن من المغيبات الأخرى، على أنّ كثيراً من أهل السنّة ومن المتصوّفة وأهل العرفان يؤمنون بوقوع الكرامات وما يشبه المعجزات للأولياء والصلحاء والمقرّبين من حضرة المولى تعالى. راجع: التصوّف والكرامات، الشيخ محمد جواد مغنيّة. وراجع: التاج الجامع للأصول 5: 228، كتاب الزهد والرقائق، الذين تكلّموا في المهد.

(2) إشارة إلى الآية المباركة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ سورة الإسراء، الآية: 1.

(3) إشارة إلى تصميم المركبات الفضائية، وركوب الفضاء والتوغّل إلى مسافات بعيدة عن أرضنا، وقطعها في ساعات أو أيام معدودة، وقد أضحت هذه حقائق في حياتنا المعاصرة في أواخر القرن العشرين.

وخروجها عن المألوف مهما كان شديداً، لا يفوق بحال غرابة نفس الدور العظيم الذي يجب على اليوم الموعود إنجازه. فإذا كنا نستسيغ ذلك الدور الفريد[1] تاريخياً على الرغم من أنه لا يوجد دور مناظر له في تاريخ الإنسان، فلماذا لا نستسيغ ذلك العمر المديد الذي لا نجد عمراً مناظراً له في حياتنا المألوفة؟

ولا أدري!

هل هي صدفة أن يقوم شخصان فقط بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد وبنائها من جديد، فيكون لكلّ منها عمر مديد يزيد على أعمارنا الاعتيادية أضعافاً مضاعفة؟

أحدهما مارس دور في ماضي البشرية وهو النبيّ نوح، الذي نصّ القرآن الكريم[2] على أنّه مكث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، وقدّر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد.

والآخر يمارس دوراً في مستقبل البشرية وهو المهديّ الذي مكث في قومه حتّى الآن أكثر من ألف عام، وسيقدّر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد.

فلماذا نقبل نوحاً الذي ناهز ألف عام على أقل تقدير ولا نقبل المهديّ؟[3]

(1) إشارة إلى ما أعدّ للإمام المهديّ المنتظر من دور ومهمة تغييرية على مستوى الوجود الإنساني برمّته كما يشير الحديث الصحيح: «**يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً**». وهذا الدور وهذه المهمة عليهما الإجماع بين علماء الإسلام، والاختلاف حصل في أمور فرعية. ومن هنا كان التساؤل الذي أثاره السيد الشهيد (رض) له مبرر منطقي قويّ.

(2) في الآية المباركة: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ سورة العنكبوت: الآية 14.

(3) السؤال موجّه إلى المسلمين المؤمنين بالقرآن الكريم وبالحديث النبوي الشريف، وقد روى علماء السنّة لغير نوح ما هو أكثر من ذلك. راجع تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ج1، ص176، ولا يصحّ أن يشكّل أحدٌ بأنّ ذاك أخبر به القرآن فالنص قطعيّ الثبوت، وهو يتعلق بالنبيّ المرسل نوح عليه السلام، أما هنا فليس لدينا نص قطعي، ولا الأمر متعلق بنبيّ.

والجواب: أنّ المهمة أولاً واحدة، وهي تغيير الظلم والفساد، وأنّ الوظيفة كما أوكلت إلى النبيّ، فقد أوكلت هنا إلى من اختاره الله تعالى أيضاً، كما هو لسان الروايات الصحيحة. قال الرسول الأعظم ﷺ: «**لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم الطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً**»، التاج الجامع للأصول، ج5، ص343.

وأما من جهة قطعيّة النص، فأحاديث المهديّ بلغت حدّ االتواتر، وهو موجب للقطع والعلم، فلا فرق في المقامين، راجع: التاج الجامع للأصول ج5، ص341 و360 فقد نقل التواتر عن الشوكاني، وانتهى المحقّقون من علماء الفريقين إلى القول بأنّ من كفر بالمهديّ فقد كفر بالرسول محمد ﷺ، وليس ذلك إلاّ بلحاظ أنه ثبت بالتواتر، وأنه من ضرورات الدين، والمنكر لذلك كافر إجماعاً. وراجع: الإشاعة لأشراط الساعة، البرزنجي في بحثه حول المهديّ. وقد نقلنا حكاية التواتر في المقدّمة أيضاً.

2 - المعجزة والعمر الطويل

وقد عرفنا حتّى الآن أنّ العمر الطويل ممكن علمياً، ولكن لنفترض أنه غير ممكن علمياً، وأنّ قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم لا يمكن للبشرية اليوم، ولا على خطّها الطويل أن تتغلّب عليه، وتغيّر من ظروفه وشروطه، فماذا يعني ذلك؟ إنّه يعني أنّ إطالة عمر الإنسان - كنوح أو كالمهديّ - قروناً متعدّدة، هي على خلاف القوانين الطبيعية التي أثبتها العلم بوسائل التجربة والاستقراء الحديثة، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطّلت قانوناً طبيعياً في حالة معيّنة للحفاظ على حياة الشخص الذي أنيط به الحفاظ على رسالة السماء، وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها، أو غريبة على عقيدة المسلم المستمدّة من نصّ القرآن والسنّة[1]، فليس قانون الشيخوخة والهرم أشدّ صرامة من قانون انتقال الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة حتّى يتساويا، وقد عطّل هذا القانون لحماية حياة إبراهيم عليه السلام، حين كان الأسلوب الوحيد للحفاظ عليه تعطيل ذلك القانون. فقيل للنار حين ألقي فيها إبراهيم ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[2]، فخرج منها كما دخل سليماً لم يصبه أذىً، إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عطّلت لحماية أشخاص من الأنبياء وحجج الله على الأرض، فَفُلق البحر لموسى[3]، وشبّه للرومان أنهم قبضوا على عيسى[4]ولم يكونوا قد قبضوا عليه، وخرج النبيّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم من داره وهي محفوفة بحشود قريش التي ظلّت ساعات تتربّص به لتهجم عليه، فستره الله تعالى عن عيونهم وهو يمشي بينهم[5].
كلّ هذه الحالات تمثل قوانين طبيعية عطّلت لحماية شخص، كانت الحكمة الربانية

---

(1) أي أنّ الأمر يصبح من قبيل المعجز، وهو ما نطق به القرآن، وجاء في صحيح السنّة المطهّرة، والإعجاز حقيقة رافقت دعوة الأنبياء، وادّعاء سفارتهم عن الحضرة الإلهيّة، وهو ما لا يسع المسلم إنكاره أو الشك فيه، بل إنّ غير المسلم يشارك المسلم في الاعتقاد بالمعجزات.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 69.

(3) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ سورة الشعراء، الآية 63.

(4) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ سورة النساء: الآية 157.

(5) راجع: سيرة ابن هشام، ج2، ص127، فقد نقل هذه الحادثة وهي مجمعٌ عليها.

تقتضي الحفاظ على حياته، فليكن قانون الشيخوخة والهرم من تلك القوانين.

وقد يمكن أن نخرج من ذلك بمفهوم عامّ وهو أنه كلّما توقّف الحفاظ على حياة حجّة لله في الأرض على تعطيل قانون طبيعيّ، وكانت إدامة حياة ذلك الشخص ضرورية لإنجاز مهمّته التي أعدّ لها، تدخّلت العناية الربانية في تعطيل ذلك القانون لإنجاز مهمته التي أعدّ لها، وعلى العكس إذا كان الشخص قد انتهت مهمته التي أعدّ لها ربانياً فإنه سيلقى حتفه ويموت أو يستشهد وفقاً لما تقرّره القوانين الطبيعية.

ونواجه عادة بمناسبة هذا المفهوم العام السؤال التالي: كيف يمكن أن يتعطّل القانون؟[1] وكيف تنفصم العلاقة الضرورية التي تقوم بين الظواهر الطبيعية؟ وهل هذه إلاّ مناقضة للعلم الذي اكتشف ذلك القانون الطبيعي، وحدّد هذه العلاقة الضرورية على أسس تجريبية واستقرائية؟

والجواب: أنّ العلم نفسه قد أجاب عن هذا السؤال بالتنازل عن فكرة الضرورة في القانون الطبيعيّ، وتوضيح ذلك: إنّ القوانين الطبيعية يكتشفها العلم على أساس التجربة والملاحظة المنتظمة، فحين يطّرد وقوع ظاهرة طبيعية عقيب ظاهرة أخرى يستدلّ بهذا الاطّراد على قانون طبيعيّ، وهو أنّه كلّما وجدت الظاهرة الأولى وجدت الظاهرة الثانية عقيبها، غير أنّ العلم لا يفترض في هذا القانون الطبيعيّ علاقة ضرورية بين الظاهرتين نابعة من صميم هذه الظاهرة وذاتها، وصميم تلك وذاتها؛ لأنّ الضرورة حالة غيبية، لا يمكن للتجربة ووسائل البحث الاستقرائي والعلمي إثباتها، ولهذا فإنّ منطق العلم الحديث يؤكد أنّ القانون الطبيعيّ - كما يعرّفه العلم - لا يتحدّث عن علاقة ضرورية، بل عن اقتران مستمر بين ظاهرتين[2]، فإذا جاءت المعجزة وفصلت إحدى الظاهرتين عن الأخرى في قانون طبيعيّ لم يكن

(1) قد يقال: إنّ القانون بصفته قانوناً لا بدّ يطّرد، ولا يتصور التعطيل والانخرام، وقد لا حظ بعضهم أنّ الانخرام إنّما هو بقانون آخر، كما هو الأمر بالنسبة إلى قانون الجاذبية، الذي يستلزم جذب الأشياء إلى المركز، ومع ذلك فإنّ الماء يصعد بعملية الامتصاص في النباتات من الجذر إلى الأعلى بواسطة الشعيرات، وهذا بحسب قانون آخر هو (الخاصيّة الشعريّة). راجع: القرآن محاولة لفهم عصري، الدكتور مصطفى محمود.

(2) وقد بسط الشهيد الصدر قدس سره القول في هذه المسألة في كتابه فلسفتنا فراجع، ص295 و299.

ذلك فصماً لعلاقة ضرورية بين الظاهرتين.

والحقيقة أنّ المعجزة بمفهومها الدينيّ، قد أصبحت في ضوء المنطق العلميّ الحديث مفهومة بدرجة أكبر مما كانت عليه في ظلّ وجهة النظر الكلاسيكية إلى علاقات السببيّة.

فقد كانت وجهة النظر القديمة تفترض أنّ كلّ ظاهرتين اطّرد اقتران إحداهما بالأخرى فالعلاقة بينهما علاقة ضرورة، والضرورة تعني أنّ من المستحيل أن تنفصل إحدى الظاهرتين عن الأخرى، ولكن هذه العلاقة تحوّلت في منطق العلم الحديث إلى قانون الاقتران أو التتابع المطّرد[1] بين الظاهرتين دون افتراض تلك الضرورة الغيبيّة.

وبهذا تصبح المعجزة حالة استثنائية لهذا الاطّراد في الاقتران أو التتابع دون أن تصطدم بضرورة أو تؤدّي إلى استحالة.

وأما على ضوء الأسس المنطقية للاستقراء[2]، فنحن نتّفق مع وجهة النظر العلمية الحديثة، في أنّ الاستقراء لا يبرهن على علاقة الضرورة بين الظاهرتين، ولكنّا نرى أنّه يدلّ على وجود تفسير مشترك لا اطّراد التقارن أو التعاقب بين الظاهرتين باستمرار، وهذا التفسير المشترك كما يمكن صياغته على أساس افتراض الضرورة الذاتية، كذلك يمكن صياغته على أساس افتراض حكمة دعت منظّم الكون إلى ربط ظواهر معيّنة بظواهر أخرى باستمرار، وهذه الحكمة نفسها تدعو أحياناً إلى الاستثناء فتحدث المعجزة.

3 - العلم وعمر الإمام الحجّة عجّل الله فرجه الشريف

يعالج العلامة الشهيد الشيخ مرتضى مطهريّ قدّس سرّه مسألة طول عمر الإمام عجّل الله فرجه الشريف

(1) راجع: فلسفتنا ص282 وما بعدها.

(2) راجـع بسط وشرح النظرية في «**الأسس المنطقيـة للاستقراء**» حيث توصّل الإمام الشهيد الصدر قدّس سرّه إلى اكتشاف مهمّ وخطير على صعيد نظرية المعرفة بشكل عام.

من حيث علاقة طول العمر بالقوانين العلمية التي تجري على البشر فيقول قدس سره:

«عندما يطرح موضوع الإمام الحجّة المنتظر ﷺ، فإنّ كثيراً من النّاس يتساءلون: هل من الممكن أن يعمّر الإنسان ألفاً ومائتي سنة؟ أليس ذلك مخالفاً لقانون الطبيعة؟

إنَّ هؤلاء يتصوّرون أنّ كلّ الأمور التي تحدث في هذه الدنيا تنطبق مائة بالمائة مع قوانين الطبيعة الاعتياديّة أي مع تلك القوانين التي توصّل إليها علم البشر.. في حين أنّ جميع التطوّرات الكبرى التي حدثت في تأريخ حياة جميع الموجودات الحيّة – من نبات وحيوان – لم تكن تطوّرات عاديّة. فهل أنّ انعقاد أوّل نطفة للحياة على وجه الأرض يتطابق مع أصول علم الحياة؟ كلّا، فلم يكن ذلك متطابقاً مع أي قانون طبيعيّ في الأرض.

واستناداً إلى النظريات العلمية المعتبرة اليوم فإنّ عمر أرضنا هذه يقدر بحوالي أربعين ملياراً من السنين، حيث كانت الأرض في بداية أمرها كتلة منصهرة ملتهبة يستحيل على أيّ كائن حيّ أن يعيش فيها. ثمّ مرّت ملياردات عديدة من السنين حتّى بردت هذه الكتلة وظهر على سطحها أول موجود حيّ.

والعلم اليوم يقرّر بأنّ أيّ كائن حيّ لا بدّ أن يتولّد أو ينشأ من كائن حيّ آخر، ولا يمكن أن يوجد كائن حيّ من كائن غير حيّ أبداً، إلّا أنّه لم يستطع إلى الآن أن يفسّر كيف وجد أوّل كائن حيّ على وجه الأرض، وكيف انعقدت أوّل نطفة للحياة فيها.

وعندما يتجاوز العلم هذه النقطة، فإنّه يقع في الحيرة مرّة أخرى.. ذلك أنّ العلم يقرّر بأنّ أوّل خلية حيّة وجدت على وجه الأرض أخذت تنقسم وتتكاثر وتنتقل من مرحلة إلى مرحلة في التكامل والتطوّر إلى أن جاء وقت تشعبت فيه إلى فرعين رئيسين، ونشأت من ذلك المملكة النباتية والمملكة الحيوانيّة.. فكيف حصل هذا التطوّر الكبير الذي أدّى إلى أن تنقسم الخلايا البدائيّة الأولى إلى فرع نباتي وفرع

حيواني يكمّل واحد منهما الآخر خصوصاً من ناحية امتصاص وإطلاق الغازات الموجودة في الجوّ؟؟

وهكذا يواصل العلم حيرته في المراحل الأخرى - وخصوصاً في المرحلة التي وجد فيها الإنسان، ذلك المخلوق العجيب الذي يتمتّع بالعقل والفكر والإرادة - ويبقى عاجزاً عن إعطاء تفسيرات مقنعة لكلّ هذه الأحداث.

ثمّ هل أنّ مسألة الوحي مثلاً أمر عاديّ لا يلفت النظر؟

هل أنّ مسألة وصول إنسان ما إلى درجة يكون مستعداً فيها لاستلام تعليمات آتية من عالم ما وراء الطبيعة، أقلّ شأناً من مسألة بقاء فرد من الأفراد حيّاً لمدة ألف ومائتي سنة أو أكثر من ذلك؟

كلّا، بل يمكننا القول بأنّ مسألة طول عمر الإنسان شيء طبيعيّ لا يخرج عن دائرة القوانين الطبيعيّة، بدليل أنّ العلم يسعى اليوم إلى ابتكار وسائل أو عقاقير تزيد في معدّل عمر الإنسان. فقانون الطبيعة لم يحدّد رقماً معيناً لحياة الإنسان على وجه الأرض.. صحيح أنّ خلايا بدن الإنسان لها دورة حياتية محدودة، ولكن هذا لا يكون إلا في ظروف معيّنة، وإذا اكتشف العلم في المستقبل العلاقة العلمية بين الظروف المحيطة، ومدة دورة حياة خلايا الجسم الإنسانيّ، فلا يستبعد أن يتمكّن الإنسان آنئذٍ أن يعيش خمسمائة سنة أو ألف سنة وربّما أكثر!

أضف إلى ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى قد بيّن عبر الكثير من آياته الكونيّة بأنّ هناك أشياء تحدث في هذه الدنيا وفي بعض المراحل المعيّنة، ويكون ذلك أشبه شيء بيد تخرج من وراء الغيب فتحدث تطوّرات خارقة في الحياة لا تنطبق مع قانون الطبيعة أصلاً ولا يمكن التنبؤ بها مسبقاً..

فسواء درسنا المسألة من الناحية العلمية أم من الناحية الغيبيّة، فإنّ موضوع طول عمر صاحب الزّمان عجل الله فرجه الشريف لا يحتاج إلى أيّ تشكيك أو ارتياب، خصوصاً بعد أن صرّحت الأحاديث والروايات الدينيّة بذلك. إنّ إحدى وظائف الدين هي أن يفتح

عقل الإنسان ويخرج تفكيره من الدائرة الضيّقة للأحداث العادية المألوفة التي يراها في حياته اليوميّة»[1].

4 - إثبات طول عمره من حيث كونه حجّة

نسمعهـم أحيانـاً يقولون: «**لـولا الإمـام**» أو «**لـولا الحجّـة لساخـت الأرض بأهلها**». وفي ذلك أقول: إذا صحّ هذا الحديث فمعنى الحجّة فيه كتاب الله. فلو لـم تكن بين النّاس مثل هذه الحجة الإلهية لانتهـى وجود الخليفة لانتفاء الغاية مـن وجودها. فالغاية من وجود النّاس هي الهدايـة والتكامل، فإذا انقطع سبيل الهدايـة بانتفاء وجود كتاب الله الذي هو حجـة الله على الخلق، لانتفى الغرض مـن الوجود واختفـت الخليفة. أمـا إذا كان المراد من الحجة فـي الحديث هو الإمام الغائب، فلا أدري ما هي الهداية المرجوة للناس مع اختفائه، حتى تسيخ الأرض بأهلها مع عدم وجوده وينهار الوجود؟».

الجـواب: هذا الإشكال مشترك كسابقه، بحيث يرتدّ بنفسه على الكاتب. فلو كان معنـى الحديـث أنّ «**الحجـة**» تحفظ من يؤمن ويتمسك بهـا، فلن يكون ثمة فرق في أن تتجلى هذه «**الحجة**» بالإمام الغائب أو بالقرآن أو بأي كتاب سماوي.

وهنـا نصل إلى مـا ذكره الكاتب فـي رسالته، حيث قال: لـو كانت «**الحجة**» ماثلة في الحدث بالإمـام الغائب، لكان هذا الإمام حَرس أهل خراسان وقزوين مـن الزلزلة المدمّـرة التي أصابتهم وحفظهـم من غائلتهـا خصوصاً وهو من مؤيديه والمؤمنين به!

فـي جوابه نقـول تأسيساً على ما ذكرنـاه قبل لحظة: لـو كان القرآن الكريم هـو المقصود بالحجـة في الحديث لوجب أن يحرس أهـل الأرض، ويحفظ أهل خراسان وقزوين من بلاء الزلزلة، خصوصاً ونحن نعلم يقيناً أن في بيوت هؤلاء

(1) العلامة الشهيد الشيخ مرتضى مطهري، أصالة الروح، ص212-214.

ساعة وقوع الزلزلة مئات بل آلاف من نسخ القرآن الكريم، ولكن مع ذلك انهارت المنازل وتهدمت على ساكنيها دون أن يحرسهم حجة الله - القرآن الكريم - وهم في بيوتهم!

وهكذا يتّضح أن «**ساخت الأرض بأهلها**» هو كناية عن انقراضٍ كامل لبني النوع البشري وفناء بساط الإنسانية. والطريف أن هذا التفسير هو الذي اعتمده الكاتب أولاً، بيد أنه غفل عنه فيما بعد[1].

(1) العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره، مقالات تأسيسية، ص268-269.



المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

في رحاب أهل البيت (عليهم السلام)

المهدوية (عجل الله فرجه)

عند أهل البيت (عليهم السلام)

لجنة البحوث والدراسات - قم المقدسة



الخصوصية الثالثة:

الغيبة المستلزمة لعمر مفتوح مع انفتاح الزمن

من مقتضيات وخصائص المفهوم المهدوي عند أهل البيت عليهم السلام، هو الاعتقاد بغيبة الإمام عليه السلام عن الأنظار، واستمراره على ذلك إلى حين يأذن الله سبحانه وتعالى له بالظهور، وإثبات هذه الخصوصية ننجزه في مرحلتين: ـ

الأولى: مرحلة إثبات إمكانية العمر الطويل الى آخر الزمان

إن المشكلة الأساسية التي تواجه المفهوم المهدوي عند أهل البيت عليهم السلام، تتمثل في ما يستلزمه هذا المفهوم من عمر مفتوح، مع انفتاح الزمن وممتد بامتداده، وقد عولجت هذه المشكلة بإجابات كثيرة نورد هنا إجابة السيد الشهيد الصدر عليها، فقد كتب يقول:

«هل بالإمكان أن يعيش الإنسان قروناً كثيرة كما هو المفترض في هذا القائد المنتظر لتغيير العالم، الذي يبلغ عمره الشريف فعلاً أكثر من ألف ومائة وأربعين سنة، أي حوالي (١٤) مرة بقدر عمر الإنسان الاعتيادي الذي يمر بكل المراحل الاعتيادية من الطفولة إلى الشيخوخة؟

كلمة الإمكان هنا تعني أحد ثلاثة معان: الإمكان العملي،

والإمكان العلمي ، والإمكان المنطقي أو الفلسفي .

وأقصد بالإمكان العملي : أن يكون الشيء ممكنا على نحو يتاح لي أو لك ، أو لإنسان آخر فعلاً أن يحققه ، فالسفر عبر المحيط ، والوصول إلى قاع البحر ، والصعود إلى القمر ، أشياء أصبح لها إمكان عملي فعلاً. فهناك من يمارس هذه الأشياء فعلاً بشكل وآخر.

وأقصد بالإمكان العلمي : أن هناك أشياء قد لا يكون بالإمكان عملياً لي أو لك ، أن نمارسها فعلاً بوسائل المدنية المعاصرة ، ولكن لا يوجد لدى العلم ولا تشير اتجاهاته المتحركة إلى ما يبرر رفض إمكان هذه الأشياء ووقوعها وفقاً لظروف ووسائل خاصة ، فصعود الإنسان إلى كوكب الزهرة لا يوجد في العلم ما يرفض وقوعه ، بل إن اتجاهاته القائمة فعلاً تشير إلى إمكان ذلك ، وإن لم يكن الصعود فعلاً ميسوراً لي أو لك ؛ لأن الفارق بين الصعود إلى الزهرة والصعود إلى القمر ليس إلّا فارق درجة ، ولا يمثل الصعود إلى الزهرة إلّا مرحلة تذليل الصعاب الإضافية التي تنشأ من كون المسافة أبعد ، فالصعود إلى الزهرة ممكن علمياً وإن لم يكن ممكناً عملياً فعلاً[1] . وعلى العكس من ذلك الصعود إلى قرص الشمس

---

(١) الكلام في وقته دقيق علمياً، فهو يقول: إنه ممكن علمياً، ولكنه لم يكن قد تحقق فعلاً،

في كبد السماء فإنه غير ممكن علمياً، بمعنى أن العلم لا أمل له في وقوع ذلك ، إذ لا يتصور علمياً وتجريبياً إمكانية صنع ذلك الدرع الواقي من الاحتراق بحرارة الشمس ، التي تمثل أُتوناً هائلاً مستعراً بأعلى درجة تخطر على بال إنسان .

وأقصد بالإمكان المنطقي أو الفلسفي : أن لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قبلية ـ أي سابقة على التجربة ـ ما يبرر رفض الشيء والحكم باستحالته .

فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوي وبدون كسر إلى نصفين ليس له إمكان منطقي ؛ لأن العقل يدرك ـ قبل أن يمارس أي تجربة ـ أن الثلاثة عدد فردي وليس زوجاً، فلا يمكن أن تنقسم بالتساوي؛ لأن انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً، فتكون فرداً وزوجاً في وقت واحد، وهذا تناقض ، والتناقض مستحيل منطقياً. ولكن دخول الإنسان في النار دون أن يحترق، وصعوده للشمس دون أن تحرقه الشمس بحرارتها ليس مستحيلاً من الناحية المنطقية ، إذ لا تناقض في افتراض أن الحرارة لا تتسرب من الجسم الأكثر حرارةً إلى الجسم الأقل حرارةً، وإنما هو

← والواقع أن كثيراً من الإنجازات في عالم الفضاء ، وتسيير المركبات الفضائية إلى كواكب وتوابع الأرض وغيرها قد أصبحت حقائق في أواخر القرن العشرين .

مخالف للتجربة التي أثبتت تسرب الحرارة من الجسم الأكثر حرارةً إلى الجسم الأقل حرارةً إلى أن يتساوى الجسمان في الحرارة .

وهكذا نعرف أن الإمكان المنطقي أوسع دائرة من الإمكان العلمي ، وهذا أوسع دائرة من الإمكان العملي .

ولا شك في أن امتداد عمر الإنسان آلاف السنين ممكن منطقياً؛ لأن ذلك ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقلية تجريدية ، ولا يوجد في افتراض من هذا القبيل أي تناقض ؛ لأن الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع ، ولا نقاش في ذلك .

كما لا شك أيضاً ولا نقاش في أن هذا العمر الطويل ليس ممكناً إمكاناً عملياً، على نحو الإمكانات العملية للنزول إلى قاع البحر أو الصعود إلى القمر ، ذلك لأن العلم بوسائله وأدواته الحاضرة فعلاً، والمتاحة من خلال التجربة البشرية المعاصرة، لا يستطيع أن يمدد عمر الإنسان مئات السنين ، ولهذا نجد أن أكثر الناس حرصاً على الحياة وقدرة على تسخير إمكانات العلم ، لا يتاح لهم من العمر إلّا بقدر ما هو مألوف.

وأما الإمكان العلمي فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرر رفضه من

الناحية النظرية[١] . وهذا بحث يتصل في الحقيقة بنوعية التفسير الفسلجي لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الإنسان ، فهل تعبر هذه الظاهرة عن قانون طبيعي يفرض على أنسجة جسم الإنسان وخلاياه ـ بعد أن تبلغ قمة نموها ـ أن تتصلب بالتدريج وتصبح أقل كفاءة للاستمرار في العمل ، إلى أن تتعطل في لحظة معينة ، حتى لو عزلناها عن تأثير أي عامل خارجي ؟ أو أن هذا التصلب وهذا التناقص في كفاءة الانسجة والخلايا الجسمية للقيام بأدوارها الفسيولوجية ، نتيجة صراع مع عوامل خارجية كالميكروبات أو التسمم الذي يتسرب إلى الجسم من خلال ما يتناوله من غذاء مكثف أو أي عامل آخر ؟

وهذا سؤال يطرحه العلم اليوم على نفسه ، وهو جاد في الإجابة عنه ، ولا يزال للسؤال أكثر من جواب على الصعيد العلمي .

فإذا أخذنا بوجهة النظر العلمية التي تتجه إلى تفسير الشيخوخة والضعف الهرمي ، بوصفه نتيجة صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية معينة ، فهذا يعني أن بالإمكان نظرياً، إذا عزلت الأنسجة

---

(١) نعم ، لا يوجد مبرر علمي واحد يرفض هذه النظرية ، بل إن علماء الطب منشغلون فعلاً بمحاولات حثيثة لإطالة عمر الإنسان، وأن هناك عشرات التجارب التي تتم في هذا المجال ، وذلك وحده ينهض دليلاً قوياً على الإمكان النظري أو العلمي .

التي يتكون منها جسم الإنسان عن تلك المؤثرات المعينة، أن تمتد بها الحياة وتتجاوز ظاهرة الشيخوخة وتتغلب عليها نهائياً.

وإذا أخذنا بوجهة النظر الأُخرى التي تميل إلى افتراض الشيخوخة قانوناً طبيعياً للخلايا والأنسجة الحية نفسها ، بمعنى أنها تحمل في أحشائها بذرة فنائها المحتوم ، مروراً بمرحلة الهرم والشيخوخة وانتهاءً بالموت .

أقول : إذا أخذنا بوجهة النظر هذه ، فليس معنى هذا عدم افتراض أي مرونة في هذا القانون الطبيعي ، بل هو ـ على افتراض وجوده ـ قانون مرن ؛ لأننا نجد في حياتنا الاعتيادية ؛ ولأن العلماء يشاهدون في مختبراتهم العلمية ، أن الشيخوخة كظاهرة فسيولوجية لا زمنية ، قد تأتي مبكرة ، وقد تتأخر ولا تظهر إلّا في فترة متأخرة ، حتى أن الرجل قد يكون طاعناً في السن ولكنه يملك أعضاء لينة ، ولا تبدو عليه اعراض الشيخوخة كما نص على ذلك الأطباء[١] . بل إن العلماء استطاعوا عملياً أن يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعي المفترض ، فأطالوا عمر بعض

(١) يؤكد الأطباء والدراسات الطبية على هذه الملاحظة ، وأن لديهم مشاهدات كثيرة في هذا المجال ، ولعل هذا هو الذي دفعهم إلى إجراء محاولات وتجارب لإطالة العمر الطبيعي للإنسان ، وكالمعتاد كان مسرح التجربة في البداية هي الحيوانات لميسورية ذلك، وعدم وجود محاذير أُخرى تمنع إجراء مثل تلك التجارب على الإنسان .

الحيوانات مئات المرات بالنسبة إلى أعمارها الطبيعية ؛ وذلك بخلق ظروف وعوامل تؤجل فاعلية قانون الشيخوخة .

وبهذا يثبت علمياً أن تأجيل هذا القانون بخلق ظروف وعوامل معينة أمر ممكن علمياً ، ولئن لم يتح للعلم أن يمارس فعلاً هذا التأجيل بالنسبة إلى كائن معقد معين كالإنسان ، فليس ذلك إلاّ لفارق درجة بين صعوبة هذه الممارسة بالنسبة إلى الإنسان ، وصعوبتها بالنسبة إلى أحياء أُخرى. وهذا يعني أن العلم من الناحية النظرية وبقدر ما تشير إليه اتجاهاته المتحركة لا يوجد فيه أبداً ما يرفض إمكانية إطالة عمر الإنسان ، سواءً فسرنا الشيخوخة بوصفها نتاج صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية أو نتاج قانون طبيعي للخليّة الحيّة نفسها يسير بها نحو الفناء .

ويتلخص من ذلك: أن طول عمر الإنسان وبقاءه قروناً متعددة أمر ممكن منطقياً وممكن علمياً ، ولكنه لا يزال غير ممكن عملياً، إلّا أن اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الإمكان عبر طريق طويل .

وعلى هذا الضوء تتناول عمر المهدي عليه السلام وما أُحيط به من استفهام أو استغراب . ونلاحظ:

إنه بعد أن ثبت إمكان هذا العمر الطويل منطقياً وعلمياً، وثبت

أن العلم سائر في طريق تحويل الامكان النظري إلى إمكان عملي تدريجاً ، لا يبقي للاستغراب محتوىً إلّا استبعاد أن يسبق المهدي العلم نفسه ، فيتحول الامكان النظري الى إمكان عملي في شخصه قبل أن يصل العلم في تطوره إلى مستوى القدرة الفعلية على هذا التحويل ، فهو نظير من يسبق العلم في اكتشاف دواء ذات السحايا أو دواء السرطان .

وإذا كانت المسألة هي أنه كيف سبق الإسلام ـ الذي صمم عمر هذا القائد المنتظر ـ حركة العلم في مجال هذا التحويل ؟

فالجواب: إنه ليس ذلك هو المجال الوحيد الذي سبق فيه الإسلام حركة العلم .

أوَليست الشريعة الإسلامية ككل قد سبقت حركة العلم والتطور الطبيعي للفكر الإنساني قروناً عديدة ؟[1]

أوَلم تناد بشعارات طرحت خططاً للتطبيق لم ينضج الإنسان

---

(١) هذه التساؤلات التي يثيرها السيد الشهيد رضي الله عنه تهدف إلى ترسيخ حقيقة مهمة ، هي أن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله عندما بشر (بالمهدي) ، وهو حالة غير اعتيادية في سياق البشرية، تنبئ في جملتها عن تسجيل سبق في الامكانية العملية ، بعد تأكيد الامكانية العلمية ، أي لبقاء الإنسان مدة أطول بكثير من المعتاد ، فإن مثل هذا السبق في التنبيه على حقائق في هذا الوجود كان قد سجله القرآن والحديث الشريف في موارد كثيرة جداً في مسائل الطبيعة والكون والحياة . راجع : القرآن والعلم الحديث ، الدكتور عبد الرزاق نوفل .

للتوصل إليها في حركته المستقلة إلّا بعد مئات السنين ؟

أوَلَم تأت بتشريعات في غاية الحكمة ، لم يستطع الإنسان أن يدرك أسرارها ووجه الحكمة فيها إلّا قبل برهة وجيزة من الزمن ؟

أو لم تكشف رسالة السماء أسراراً من الكون لم تكن تخطر على بال إنسان ، ثم جاء العلم ليثبتها ويدعمها ؟

فإذا كنا نؤمن بهذا كله ، فلماذا نستكثر على مرسل هذه الرسالة ـ سبحانه وتعالى ـ أن يسبق العلم في تصميم عمر المهدي؟[١] وأنا هنا لم أتكلم إلّا عن مظاهر السبق التي نستطيع أن نحسّها نحن بصورة مباشرة ، ويمكن أن نضيف إلى ذلك مظاهر السبق التي تُحدّثنا بها رسالة السماء نفسها .

ومثال ذلك: أنها تخبرنا بأن النبي صلى الله عليه وآله قد أُسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهذا الإسراء[٢] إذا أردنا ان

(١) إشارة إلى أن هذا من قبيل الاعجاز أيضاً ، وهو افاضة ربانية خاصة ، وهذا أمر لا يسع المسلم انكاره ، بعد أن أخبرت بامثاله الكتب السماوية ، وبالأخص القرآن ، كالذي ورد في شأن عمر النبي نوح عليه السلام ، وكذا ما أخبر به القرآن من المغيبات الأُخرى، على أن كثيراً من أهل السنة ومن المتصوفة وأهل العرفان يؤمنون بوقوع الكرامات ومايشبه المعجزات للأولياء والصلحاء والمقربين من حضرة المولى تعالى . راجع : التصوف والكرامات، الشيخ محمد جواد مغنية . وراجع التاج الجامع للأصول: ٥ / ٢٢٨،كتاب الزهد والرقائق .

(٢) إشارة إلى الآية المباركة: ﴿سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى ...﴾ الاسراء: ١ .

نفهمه في إطار القوانين الطبيعية ، فهو يعبر عن الاستفادة من القوانين الطبيعية بشكل لم يتح للعلم أن يحققه[1] إلّا بعد مئات السنين ، فنفس الخبرة الربانية التي أتاحت للرسول صلى الله عليه وآله التحرك السريع قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك ، أتاحت لآخر خلفائه المنصوصين العمر المديد ، قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك .

نعم ، هذا العمر المديد الذي منحه الله تعالى للمنقذ المنتظر يبدو غريباً في حدود المألوف حتى اليوم في حياة الناس ، وفي ما أنجز فعلاً من تجارب العلماء .

ولكن أوَ ليسَ الدور التغييري الحاسم الذي أُعد له هذا المنقذ غريباً في حدود المألوف في حياة الناس ، وما مرت بهم من تطورات التاريخ ؟

أوَ لَيسَ قد أُنيط به تغيير العالم ، وإعادة بنائه الحضاري من جديد على أساس الحق والعدل ؟

فلماذا نستغرب إذا اتّسم التحضير لهذا الدور الكبير ببعض الظواهر الغريبة والخارجة عن المألوف كطول عمر المنقذ

---

(١) إشارة إلى تصميم المركبات الفضائية ، وركوب الفضاء والتوغل إلى مسافات بعيدة عن أرضنا ، وقطعها في ساعات أو أيام معدودة ، وقد أضحت هذه حقائق في حياتنا المعاصرة في أواخر القرن العشرين .

المنتظر؟ فإن غرابة هذه الظواهر وخروجها عن المألوف مهما كان شديداً، لا يفوق بحال غرابة نفس الدور العظيم الذي يجب على اليوم الموعود إنجازه. فإذا كنا نستسيغ ذلك الدور الفريد[١] تاريخياً على الرغم من أنه لا يوجد دور مناظر له في تاريخ الإنسان، فلماذا لا نستسيغ ذلك العمر المديد الذي لا نجد عمراً مناظراً له في حياتنا المألوفة؟ ولا أدري! هل هي صدفة أن يقوم شخصان فقط بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد وبنائها من جديد، فيكون لكل منهما عمر مديد يزيد على أعمارنا الاعتيادية أضعافاً مضاعفة؟

أحدهما: مارس دوره في ماضي البشرية وهو النبي نوح، الذي نص القرآن الكريم[٢] على أنه مكث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً، وقدر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد.

والآخر: يمارس دوره في مستقبل البشرية وهو المهدي الذي

---

(١) إشارة إلى ما أُعد للإمام المهدي المنتظر من دور ومهمة تغييرية على مستوى الوجود الإنساني برمته كما يشير الحديث ـ الصحيح: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً». وهذا الدور وهذه المهمة عليها الاجماع بين علماء الإسلام، والاختلاف حصل في أُمور فرعية. ومن هنا كان التساؤل الذي أثاره السيد الشهيد رحمه الله له مبرر منطقي قوي.

(٢) في الآية المباركة: ﴿فلبث فيهم الف سنة إلّا خمسين عاماً﴾ العنكبوت: ١٤.

مكث في قومه حتى الآن أكثر من ألف عام وسيقدر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد.

فلماذا نقبل نوح الذي ناهز الف عام على أقل تقدير ولا نقبل المهدي؟[1]

وقد عرفنا حتى الآن أن العمر الطويل ممكن علمياً، ولكن لنفترض أنه غير ممكن علمياً، وأن قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم لا يمكن للبشرية اليوم، ولا على خطها الطويل أن تتغلب

---

(١) السؤال موجه إلى المسلمين المؤمنين بالقرآن الكريم وبالحديث النبوي الشريف، وقد روى علماء السنة لغير نوح ما هو أكثر من ذلك. راجع تهذيب الاسماء واللغات، النووي: ١ /١٧٦، ولا يصح أن يشكل أحد بأن ذاك أخبر به القرآن فالنص قطعي الثبوت، وهو يتعلق بالنبي المرسل نوح عليه السلام، أما هنا فليس لدينا نص قطعي، ولا الأمر متعلق بنبي.

والجواب: إن المهمة أولاً واحدة، وهي تغيير الظلم والفساد، وأن الوظيفة كما أوكلت إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقد أوكلت هنا إلى من اختاره الله تعالى أيضاً كما هو لسان الروايات الصحيحة. قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً...» التاج الجامع للاصول: ٥/ ٣٤٣.

وأما من جهة قطعية النص، فأحاديث المهدي بلغت حد التواتر، وهو موجب للقطع والعلم، فلا فرق في المقامين. راجع: التاج الجامع للأصول: ٥/ ٣٤١ و ٣٦٠ فقد نقل التواتر عن الشوكاني، وانتهى المحققون من علماء الفريقين إلى القول بأن من كفر بالمهدي فقد كفر بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وليس ذلك إلّا بلحاظ أنه ثبت بالتواتر، وأنه من ضرورات الدين، والمنكر لذلك كافر اجماعاً. وراجع: الإشاعة لاشراط الساعة، البرزنجي في بحثه حول المهدي. وقد نقلنا حكاية التواتر في المقدمة أيضاً.

عليه، وتغير من ظروفه وشروطه، فماذا يعني ذلك؟ إنه يعني أن إطالة عمر الإنسان ـ كنوح أو كالمهدي ـ قروناً متعددة، هي على خلاف القوانين الطبيعية التي أثبتها العلم بوسائل التجربة والاستقراء الحديثة، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطلت قانوناً طبيعياً في حالة معينة للحفاظ على حياة الشخص الذي أُنيط به الحفاظ على رسالة السماء، وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها، أو غريبة على عقيدة المسلم المستمدة من نص القرآن والسنة[1]، فليس قانون الشيخوخة والهرم أشد صرامة من قانون انتقال الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة حتى يتساويا، وقد عطل هذا القانون لحماية حياة إبراهيم عليه السلام حين كان الأُسلوب الوحيد للحفاظ عليه تعطيل ذلك القانون. فقيل للنار حين أُلقي فيها إبراهيم ﴿**قلنا يا ناركوني برداً وسلاماً على إبراهيم**﴾[2] فخرج منها كما دخل سليماً لم يصبه أذىً، إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عطلت لحماية أشخاص من الأنبياء وحجج الله على الأرض،

---

(١) أي أن الأمر يصبح من قبيل المعجز، وهو ما نطق به القرآن، وجاء في صحيح السنة المطهرة، والإعجاز حقيقة رافقت دعوة الأنبياء، وادعاء سفارتهم عن الحضرة الإلهية، وهو ما لا يسع المسلم إنكاره أو الشك فيه، بل إن غير المسلم يشارك المسلم في الاعتقاد بالمعجزات.

(٢) الأنبياء: ٦٩.

فـفلق البـحر لمـوسى عليه السلام[١] ، وشـبه للـرومان أنـهم قـبضوا عـلى عيسى[٢] ولم يكونوا قد قبضوا عليه ، وخرج النبي محمد صلى الله عليه وآله من داره وهي محفوفة بحشود قريش التي ظلت ساعات تـتربص بـه لتهجم عليه، فستره الله تعالى عن عيونهم وهو يمشي بينهم[٣] .كل هذه الحالات تمثل قوانين طبيعية عطلت لحماية شخص ،كـانت الحكـمة الربـانية تـقتضي الحـفاظ عـلى حياته ، فـليكن قـانون الشيخوخة والهرم من تلك القوانين .

وقد يمكن أن نخرج من ذلك بمفهوم عام وهو أنه كلما توقف الحفاظ على حياة حجة لله في الأرض على تعطيل قانون طبيعي ، وكانت إدامة حياة ذلك الشخص ضرورية لانجاز مهمته التي أعد لها، تدخلت العناية الربانية في تعطيل ذلك القانون لانـجاز ذلك ، وعلى العكس إذاكان الشخص قد انتهت مهمته التي أُعد لها ربانياً فـإنه سـيلقى حـتفه ويـموت أو يسـتشهد وفـقاً لمـا تـقرره القوانين الطبيعية .

ونواجه عادة بمناسبة هذا المفهوم العام السـؤال التـالي:كـيف

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كـل فرق كالطود العظيم﴾ الشعراء: ٦٣ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ...﴾ النساء: ١٥٧.

(٣) راجع : سيرة ابن هشام: ٢ / ٤٨٣ ، فقد نقل هذه الحادثة وهي مجمع عليها .

يمكن أن يتعطل القانون[١]؟ وكيف تنفصم العلاقة الضرورية التي تقوم بين الظواهر الطبيعية ؟ وهل هذه إلّا مناقضة للعلم الذي اكتشف ذلك القانون الطبيعي ، وحدد هذه العلاقة الضرورية على أُسس تجريبية واستقرائية ؟!

والجواب : أن العلم نفسه قد أجاب عن هذا السؤال بالتنازل عن فكرة الضرورة في القانون الطبيعي ، وتوضيح ذلك : أن القوانين الطبيعية يكتشفها العلم على أساس التجربة والملاحظة المنتظمة ، فحين يطرد وقوع ظاهرة طبيعية عقيب ظاهرة أُخرى يستدل بهذا الاطّراد على قانون طبيعي ، وهو أنه كلما وجدت الظاهرة الأُولى وجدت الظاهرة الثانية عقيبها ، غير أن العلم لا يفترض في هذا القانون الطبيعي علاقة ضرورية بين الظاهرتين نابعة من صميم هذه الظاهرة وذاتها ، وصميم تلك وذاتها؛ لأن الضرورة حالة غيبية، لا يمكن للتجربة ووسائل البحث الاستقرائي والعلمي اثباتها ، ولهذا فإن منطق العلم الحديث يؤكد أن القانون

(١) قد يقال: إن القانون بصفته قانوناً لا بد أن يطرد، ولا يتصور التعطيل والانخرام ، وقد لاحظ بعضهم أن الانخرام إنما هو بقانون آخر ،كما هو الأمر بالنسبة إلى قانون الجاذبية ، الذي يستلزم جذب الاشياء إلى المركز ، ومع ذلك فإن الماء يصعد بعملية الامتصاص في النباتات من الجذر إلى الاعلى بواسطة الشعيرات ، وهذا بحسب قانون آخر هو (الخاصية الشعرية) . راجع: القرآن محاولة لفهم عصري / الدكتور مصطفى محمود .

الطبيعي -كما يعرفه العلم- لا يتحدث عن علاقة ضرورية، بل عن اقتران مستمر بين ظاهرتين[1]، فإذا جاءت المعجزة وفصلت إحدى الظاهرتين عن الأُخرى في قانون طبيعي لم يكن ذلك فصماً لعلاقة ضرورية بين الظاهرتين.

والحقيقة أن المعجزة بمفهومها الديني، قد أصبحت في ضوء المنطق العلمي الحديث مفهومة بدرجة أكبر مماكانت عليه في ظل وجهة النظر الكلاسيكية إلى علاقات السببية.

فقد كانت وجهة النظر القديمة تفترض أن كل ظاهرتين اطّرد اقتران إحداهما بالأخرى فالعلاقة بينهما علاقة ضرورة، والضرورة تعني أن من المستحيل أن تنفصل إحدى الظاهرتين عن الأُخرى، ولكن هذه العلاقة تحولت في منطق العلم الحديث إلى قانون الاقتران أو التتابع المطرد[2] بين الظاهرتين دون افتراض تلك الضرورة الغيبية.

وبهذا تصبح المعجزة حالة استثنائية لهذا الاطّراد في الاقتران أو التتابع دون أن تصطدم بضرورة أو تؤدي إلى استحالة.

وأما على ضوء الأُسس المنطقية للاستقراء[3] فنحن نتفق مع

---

(١) وقد بسط الشهيد الصدر القول في هذه المسألة في كتابه فلسفتنا فراجع: ٢٩٥ و ٢٩٩.

(٢) راجع فلسفتنا: ٢٨٢ وما بعدها.

(٣) راجع بسط وشرح النظرية في «الاسس المنطقية للاستقراء» حيث توصل الإمام الشهيد الصدر رضي الله عنه إلى اكتشاف مهم وخطير على صعيد نظرية المعرفة بشكل عام.

وجهة النظر العلمية الحديثة ، في أن الاستقراء لا يبرهن على علاقة الضرورة بين الظاهرتين ، ولكنا نرى أنه يدل على وجود تفسير مشترك لاطّراد التقارن أو التعاقب بين الظاهرتين باستمرار، وهذا التفسير المشترك كما يمكن صياغته على أساس افتراض الضرورة الذاتية ،كذلك يمكن صياغته على أساس افتراض حكمة دعت منظم الكون إلى ربط ظواهر معينة بظواهر أُخرىٰ باستمرار ، وهذه الحكمة نفسها تدعو أحياناً إلى الاستثناء فتحدث المعجزة[1].

وهكذا يتّضح بنحو علمي منطقي مبرهن أن العمر الطويل أمر ممكن، ولا يلزم منه محذور علمي ولا فلسفي. وبهذا تنتهي المرحلة الأُولىٰ من البحث في خصوصية الغيبة.

الثانية ـ مرحلة إثبات تحقق ذلك فعلاً في الإمام المهدي عليه السلام

والبحث في هذه المرحلة يتم بطريقين: ١ ـ عقائدي. ٢ ـ تاريخي:

١ ـ الطريق العقائدي

ويمكن تقريره بثلاثة بيانات:

أ ـ إن هذه الخصوصية من اللوازم الذاتية للمفهوم المهدوي عند

---

(١) بحث مستفاد من كتاب بحث حول المهدي للسيد الشهيد الصدر قدس سره: ٦٥ ـ ٨٠ بتحقيق وتعليق الدكتور عبدالجبار شرارة.

أهل البيت عليهم السلام، فثبوت هذا المفهوم ـ بالنحو الذي مرّ آنفاً ـ ثبوتاً برهانياً قاطعاً، واتضاح بطلان ما سواه، يقودنا بنحو طبيعي إلى الاعتقاد بغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام. فما دام الأئمة اثني عشر فقط، وأنهم معينين من قبل الله سبحانه وتعالى، وليس للناس دور في اختيارهم، فليس بإمكاننا إلّا أن نتصور استمرار حياة الإمام الثاني عشر، ومواكبته للمسيرة البشرية وظهوره بعد ذلك في الشوط الأخير منها، ومن الطبيعي أن لا يتاح لإنسان يُقدّر له مثل هذا الهدف، وتقدر له مثل هذه الحياة الطويلة، أن يعيشها بصورة ظاهرة، ولابد له من أن يمارسها بنحو خفي غائب عن الأنظار، إلّا أن يفترض وفاة الإمام المهدي عليه السلام في الزمان الطبيعي لأمثاله، ثم عودته للحياة في زمن الظهور، ولكن هذا الافتراض يلزم منه انقطاع الحجة في الفترة الفاصلة من وفاته إلى ظهوره، وهو مخالف لحديث الثقلين الذي يدل على تلازم الكتاب والعترة، وعدم افتراقهما في زمن من الأزمان حتى قيام الساعة والورود على الحوض، كما يلزم منه الاعتقاد برجعة الإمام المهدي إلى الحياة بعد وفاته، وهو مما لا قائل به بين المسلمين.

ب ـ الروايات الدالة على اتصاف الإمام المهدي بالغيبة، وقد ذكرتها بعض مصادر أهل السنّة مثل: ينابيع المودّة، وفرائد السمطين.

ففي ينابيع المودة: عن كتاب فرائد السمطين عن الباقر عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المهدي من ولدي تكون له غيبة إذا ظهر يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[١].

وفيه عنه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أن علياً وصيي ومن ولده القائم المنتظر المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً أن الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر» فقام إليه جابر بن عبدالله، فقال: يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: «أي وربي ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ـ ثم قال: ـ يا جابر إن هذا أمر من أمر الله وسر من سرّ الله فإياك والشّك فإن الشّك في أمر الله عزّ وجل كفر».

وفيه في الصفحة المذكورة عنه عن الحسن بن خالد، قال: قال علي بن موسى الرضا ـ رضي الله عنهما ـ : «إن الرابع من ولدي ابن سيدة الإماء يطهّر الله به الأرض من كل جور وظلم وهو الذي يشكّ الناس في ولادته وهو صاحب الغيبة فإذا خرج أشرقت الأرض بنور ربّها»[٢].

وفيه: عنه عن أحمد بن زياد عن دعبل بن علي الخزاعي في حديث وروده على الرضا وانشاده قصيدته التائية، إلى أن قال: «إن

---

(١) ينابيع المودة: ٢٩٦/٣، الباب الثامن والسبعون.

(٢) المصدر السابق: ٢٩٧/٣، الباب الثامن والسبعون.

الإمام بعدي ابني محمد وبعد محمد ابنه علي وبعد علي ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجة القائم وهو المنتظر في غيبته والمطاع في ظهوره ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وأما متى يقوم؟ فإخبار عن الوقت، فقد حدثني أبي عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلا بغتة»[١].

وفيه: عن غاية المرام عن فرائد السمطين عن جابر بن عبدالله رفعه: «المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأُمم يقبل كالشهاب الثاقب يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً».

وفيه: عنه عن فرائد السمطين في الصفحة المذكورة عن الباقر عن آبائه عن علي بن أبي طالب ـ سلام الله عليهم ـ رفعهُ: «المهدي من ولدي تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم ـ إلى أن قال ـ ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[٢].

وفيه: عن المناقب عن أبي جعفر محمد الباقر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو يأتم به في غيبته قبل قيامه ويتولى أولياءه ويعادي أعداءه ذلك من رفقائي وذوي مودتي وأكرم أُمتي عليَّ يوم القيامة».

---

(١) ينابيع المودة: ٣/٣١٠، الباب الثمانون.

(٢) المصدر السابق: ٣/٣٨٦، الباب الرابع والتسعون.

وفيه: عنه عن أبي بصير عن الصادق جعفر بن محمد عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي وهو أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون له غيبة وحيرة في الأُمم حتى يضل الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**». وفيه: عنه مثل ذلك، غير أنه قال: «**فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب يأتي بذخيرة الأنبياء عليهم السلام**» ... الحديث[1].

وفيه: (ص ٤٩٤) عنه عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت جابر بن عبدالله الأنصاري يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا جابر إن أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف بالباقر ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام، ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم القائم اسمه اسمي وكنيته كنيتي ابن الحسن بن علي ذلك الذي يفتح الله تبارك وتعالى على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذلك الذي يغيب عن أوليائه غيبة لا يثبت على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان**».

ج ـ إن المهدي الموعود إن لم يكن إماماً معصوماً، وكان رجلاً

---

(١) ينابيع المودّة: ٣/٣٩٧.

عادياً من عامّة المسلمين، سوف لن يكون هناك تناسب بينه وبين ظهور المسيح عليه السلام معه، وهو نبي من أُولي العزم، ليؤيد المهدي ويدعو المسيحيين الى الإذعان بنبوّة النبي صلى الله عليه وآله، فلابد وأن يكون المهدي الموعود إماماً معصوماً، وحيث إن الإمامة المعصومة ليست أمراً قابلاً للادّعاء بل تحتاج الى تعيين سماوي ونص نبوي يكشف عنها، ولم يجرِ ذلك في غير الأئمة الإثني عشر عليهم السلام حتى على مستوى الادّعاء فضلاً عن الدليل والبرهان، وقد ثبتت وفاة الأئمة المتقدمين ودفنت أجسادهم في أماكن معلومة، وبقي الإمام الثاني عشر لم تُعلم له وفاة حتى الآن. فلابد من الاعتقاد باستمرار حياة هذا الإمام من حين ولادته الى حين ظهوره في آخر الزمان، ليكون مؤهلاً لتأييد المسيح عليه السلام له . يقول السيد سامي البدري في ذلك:

«فإن ظهور عيسى سوف يكون بحاجة إلى استيعاب علمي وقيادي من قبل المهدي الموعود ، باعتباره يقوم شاهداً له وللرسالة التي يرفع شعارها وكتابها وتابعاً له. والمهدي على التصور السنّي لن يكون قادراً على استيعاب المسيح، بل هو غير قادر على استيعاب طوائف المسلمين.

لن يكون قادراً على استيعاب المسيح ، لأن المسيح نبي ورسول معصوم ومؤيد إلهياً بالمعجزات، ومثله لا يمكن أن

يستوعبه إنسان غير مؤيد بالمعجزات والعصمة والعلم التام.

ولن يكون قادراً على استيعاب الأمة المسلمة بلا تأييد إلهي بالمعجزة والعصمة والعلم التام[١]

٢ ـ الطريق التأريخي

ويمكن تقريره بثلاثة بيانات:

أ ـ إن التاريخ ـ وكما مرّ ـ قد شهد بولادة الإمام المهدي عليه السلام ولم يشهد بوفاته؛ مما يدل على استمرار حياته، وحيث لا نتحسس وجوده، ولا نشخّص أحداً من الناس بعنوان أنه المهدي ابن الإمام الحسن العسكري، فلابد وأن تكون له حياة خفية غير ظاهرة للناس.

ب ـ إن التاريخ قد شهد بحصول مشاهدات عينية متكررة للإمام المهدي عليه السلام في زمان غيبته، وقد اُلّفت في ذلك كتب مثل كتاب (تبصرة الولي فيمن رآى القائم المهدي) للسيد هاشم البحراني، وذكر الشيخ أبو طالب التجليل التبريزي في كتابه[٢] ٢٦٦ شخصاً ممن رأى الإمام المهدي في غيبته الصغرى مع ذكر قصص أكثرهم، وخصص فصلاً لمن رأى الإمام في غيبته الكبرى، وذكر

(١) شبهات وردود، الحلقة الرابعة: ٣٢.

(٢) من هو المهدي: ٤٦٠.

عشرين كتاباً أورد أصحابها فيها القصص والأخبار التأريخية في ذلك، وها نحن نذكر قصة أوردها السيد صدر الدين الصدر في كتابه «المهدي» نقلاً عن الشيخ عبدالوهاب الشعراني في كتابه «طبقات العرفاء» في أحوال الشيخ حسن العراقي:

قال: «ترددت اليه مع سيدي أبي العباس الحريثي فقال: أتأذن لي أن أحكي لك حكايتي من مبتدأ أمري إلى وقتي هذا كأنك كنت رفيقي من الصغر؟ فقلت له: نعم، فقال: كنت شاباً من دمشق، وكنت صانعاً، وكنا نجتمع يوماً في الجمعة على اللهو واللعب والخمر، فجاءني التنبيه من الله تعالى يوماً ألهذا خلقت؟! فتركت ماهم فيه وهربت منهم فتبعوا ورائي فلم يدركوني، فدخلت جامع بني أُمية فوجدت شخصاً يتكلم على الكرسي في شأن المهدي عليه السلام فاشتقت إلى لقائه، فصرت لا أسجد سجدة إلا وسألت الله تعالى أن يجمعني معه، فبينما أنا ليلة بعد صلاة المغرب أُصلي صلاة السنة وإذا بشخص جلس خلفي ومسح على كتفي، وقال لي: قد استجاب الله تعالى دعاءك يا ولدي! مالك أنا المهدي. فقلت: تذهب معي إلى الدار، فقال: نعم، فذهب معي وقال: اخل لي مكاناً انفرد به فأخليت مكاناً فأقام عندي سبعة أيام بلياليها»[1].

---

(١) المهدي: ١٤٩ صدر الدين الصدر.

وقال الشيخ علي بن عيسى الأربلي في كشف الغمة: «إن الناس ينقلون قصصاً وأخباراً في خوارق العادات للإمام المهدي عليه السلام يطول شرحها ، وأنا أذكر من ذلك قصتين قريب عهد بزماني وحدثني بها جماعة من ثقاة اخواني.

الأُولى: إنّه كان في بلد الحلة بين الفرات ودجلة رجل اسمه إسماعيل بن الحسن، قال: اخواني حكى لنا إسماعيل، أنه خرج على فخذي الأيسر توثة[1] مقدار قبضة الإنسان فعجزت الأطباء عن علاجها فجاء بغداد ورآه أطباء الأفرنج، فقالوا: لا علاج لها، فتوجه إلى سامراء وزار الإمامين علي الهادي والحسن العسكري - رضي الله عنهما - ونزل السرداب ودعا الله تعالى تضرعاً ، واستغاث بالإمام المهدي عليه السلام ثم مضى إلى دجلة فاغتسل ثم لبس ثوبه ، فرأى أربعة فرسان خارجين من باب سور البلد وواحد شيخ بيده رمح وشاب آخر عليه فرجية ملونة، فصاحب الرمح يمين الطريق والشابان يسار الطريق والشاب صاحب الفرجية على الطريق، فقال له صاحب الفرجية: أنت تروح غداً إلى أهلك، فقال له: نعم، فقال صاحب الفرجية له: تقدم اليّ حتى أبصر ما يوجعك، فقدم إليه ومد يده إليه فعصر التوثة بيده فأوجعه ثم

---

(١) التوثة: بثرة متقرحة .

استوى على سرجه، فقال الشيخ صاحب الرمح: أفلحت يا إسماعيل، هذا الإمام، ثم ذهبوا وهو يمشي معهم، فقال الإمام: ارجع فقال: لا أُفارقك أبداً، فقال الإمام: المصلحة في رجوعك، فقال: لا أُفارقك أبداً، فقال الشيخ: يا اسماعيل ما تستحي! يقول لك الإمام ارجع مرتين فتخالفه! فوقف وتقدم الإمام خطوات، ثم التفت إليه وقال: يا إسماعيل إذا وصلت إلى بغداد فلابد أن يطلبك أبو جعفر، يعني الخليفة المستنصر بالله، فإذا حضرت عنده وأعطاك شيئاً فلا تأخذه، وقل لولدنا الرضا ليكتب لك إلى علي بن عوض فإنني أُوصيه يعطيك الذي تريد، ثم سار مع أصحابه فلم يزل قائماً يبصرهم حتى غابوا، ثم قعد على الأرض ساعة متأسفاً محزوناً وباكياً عن مفارقتهم، ثم جاء إلى سامراء فاجتمع القوم حوله، وقالوا: نرى وجهك متغيراً فما أصابك ؟ فقال: هل عرفتم الفرسان الذين خرجوا من البلد وساروا ساحل الشط، قالوا: هم الشرفاء أرباب الغنم، فقال لهم: بل هم الإمام وأصحابه، الشاب وصاحب الفرجية هو الإمام مس بيده المباركة مرضي، فقالوا: أرنيه، فكشف فخذه فلم يروا له أثراً فمزقوا ثيابه وأدخلوه في خزانة ومنعوا الناس عنه لكيلا يزدحموا عليه، ثم إن الناظر من طرف الخليفة جاء الخزانة وسأله عن هذا الخبر وعن اسمه ونسبه ووطنه وعن خروجه من بغداد أول هذا الأُسبوع ثم ذهب عنه. فبات إسماعيل

في الخزانة وصلى الصبح وخرج مع الناس إلى أن بعُد من سامراء فرجع القوم وودعوا ، فسار منفرداً حتى وصل الى موضع، فرأى الناس مزدحمين على القنطرة العتيقة يسألون عمن ورد عليهم عن اسمه ونسبه وموضع مجيئه، فلما لاقوه عرفوه بالعلامات المذكورة فمزقوا ثيابه وأخذوها تبركاً وكان الناظر كتب إلى بغداد وعرفهم الحال ، وكان الوزير طلب السعيد رضي الدين ليعرفه صحة الخبر فخرج رضي الدين الذي هو كان من أصدقاء إسماعيل وكان ضيفه قبل خروجه إلى سامراء ، فلما رآه رضي الدين وجماعة معه فنزلوا عن دابتهم وأراهم فخذه فلم يروا شيئاً فغشي على رضي الدين ساعة، ثم أخذه بيده وأدخله على الوزير وهو يبكي ويقول: هذا أخي وأقرب الناس إلى قلبي، فسأله الوزير عن القصة فحكاها له فأحضر الأطباء الذين رأوا مرضه، وسألهم متى رأيتموه قالوا منذ عشرة أيام فكشف الوزير فخذ إسماعيل فليس فيها أثر، قالوا: هذا عمل المسيح عليه السلام فقال الوزير: نحن نعرف من عملها ثم أحضره الوزير عند الخليفة فسأله عن القصة، فحكى له ما جرىٰ فأعطى له الف دينار، فقال: ما أجسر أن آخذ منه ذرّة فقال الخليفة ممن تخاف؟ فقال: من الذي فعل بي هذا، قال لي: لا تأخذ من أبي جعفر شيئاً. فبكى الخليفة، ثم قال علي بن عيسى: كنت احكي هذه القصة لجماعة عندي وكان شمس الدين ولده حاضراً عندي لا أعرفه،

قال: أنا ابنه من صلبه فقلت: هل رأيت فخذ أبيك وهي مجروحة؟ قال: إني كنت صبياً في وقت جراحة فخذه، ولكن سمعت القصة من أبي وأُمي وأقربائي وجيراني ورأيت فخذه بعدما صلحت ولا أثر فيها ونبت في موضعها شعر. وقال أيضاً: سألت السيد صفي الدين محمد بن محمد ونجم الدين حيدر ابن الأيسر، أخبراني بصحة هذه القصة وإنهما رأيا إسماعيل في مرضه وصحته ، وحكى لي ولده أن أباه ذهب إلى سامراء بعد صحته أربعين مرة، طمعاً أن يعود له الوقت الذي رآه.

الثانية: حكى لي السيد باقي بن عطوة العلوي الحسني أن أباه عطوة لا يعترف بوجود الإمام محمد المهدي عليه السلام ويقول: إذا جاء الإمام فيبرئني من هذا المرض اصدق قولهم ؟ ويكرر هذا القول فبينما نحن مجتمعون وقت العشاء الأخيرة ، صاح أبونا فأتيناه سراعاً فقال: إلحقوا الإمام في هذه الساعة خرج من عندي، فخرجنا فلم نر أحداً ، فجئنا إليه وقال: انه دخل اليّ شخص وقال: يا عطوة فقلت: لبيك ، قال: أنا المهدي قد جئت إليك أن اشفي مرضك ، ثم مد يده المباركة وعصر وركي وراح فصار مثل الغزال، قال علي بن عيسى: سألت هذه القصة من غير ابنه فأقرّ بها»[1].

(١) ينابيع المودّة: ٣/٣١٥ ـ ٣١٧.

ومن هنا فقد آمن بعض الأعلام من أهل السنّة بحياته وبقائه أو هو لازم كلامهم. وقد ذكر السيد صدر الدين الصدر بعضهم فقال: «منهم: الشيخ محيي الدين ابن العربي في الفتوحات على رواية الشيخ عبدالوهاب الشعراني في كتابه (اليواقيت والجواهر) الذي تقدم عيناً نقله عن كتاب (اسعاف الراغبين)، فإن كون المهدي بن الحسن العسكري بلا فصل كما هو صريح كلامه مع وفاة الإمام الحسن العسكري في سنة مائتين وستين لازمه حياة المهدي وبقاؤه حتى يظهر أو أنه يموت ثم يحييه الله تعالى بقدرته. ولا أظن أن الشيخ محيي الدين يرضى بأن ينسب إليه الاحتمال الأخير.

ومنهم: الشيخ عبدالوهاب الشعراني في كتابه (اليواقيت والجواهر) على ما في اسعاف الراغبين حيث قال: المهدي بن الإمام الحسن العسكري ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم، هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي عن الإمام المهدي حين اجتمع به ووافقه على ذلك سيدي علي الخواص »[(١)].

ومنهم: الشيخ أبو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي في كتابه (البيان في أخبار صاحب الزمان) على ما نقله اسعاف

(١) اسعاف الراغبين: ١٥٧.

الراغبين ، قال: ومن الأدلة على أن المهدي حي باق بعد غيبته إلى الآن، وأنه لا امتناع في بقائه: بقاء عيسى بن مريم، والخضر، وإلياس من أولياء الله تعالى، وبقاء الأعور الدجال وابليس اللعين من أعداء الله تعالى، وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنّة(١).

ومنهم: الشيخ العارف الفاضل الخواجه محمد بارسا في كتابه (فصل الخطاب) على ما في ينابيع المودّة بعد أن ذكر ولادة المهدي المنتظر ، وأن الله تعالى آتاه الحكمة وفصل الخطاب في سن الطفولة ،كما منّ على يحيى وعيسى بذلك، قال: وطوّل الله تبارك وتعالى عمره كما طوّل عمر الخضر عليه السلام(٢).

ومنهم: الشيخ صدر الدين القونوي في بعض وصاياه لتلامذته عند موته على ما في ينابيع المودة، حيث قال: إن الكتب التي كانت لي من كتب الطب وكتب الحكماء وكتب الفلاسفة فبيعوها وتصدقوا بثمنها للفقراء، وأما كتب التفسير والأحاديث والتصوف فاحفظوها في دار الكتب، واقرأوا كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) سبعين ألف مرة في الليلة، وبلّغوا مني سلاماً إلى المهدي عليه السلام(٣).

---

(١) اسعاف الراغبين: ٢٢٧ .

(٢) ينابيع المودّة: ٣٠٤/٣، الباب التاسع والسبعون.

(٣) المصدر السابق: ٣٤٠/٣، الباب الرابع والثمانون.

أقول: يمكن أن يقال أن قوله ذلك لا يدل على وجود المهدي وحياته، إذ ربما قال ذلك، برجاء أن يدركوا ظهوره، ولكن الأول أظهر.

ومنهم: الشيخ سعد الدين الحموي على ما في ينابيع المودّة، نقلاً عن كتاب الشيخ عزيز بن محمد النسفي، عند كلامه في ترتيب الأولياء ، وأن الله تعالى اختار في هذه الأُمة اثني عشر ولياً من أهل البيت فجعلهم خلفاء نبيّه المعظم صلى الله عليه وآله ، إلى أن قال: وأما آخر الأولياء، الذي هو آخر خلفاء النبي والولي والنائب الثاني عشر وخاتم الأولياء، فهو المهدي صاحب الزمان[1].

ومنهم: الشيخ شهاب الدين الهندي المعروف بملك العلماء في كتابه (هداية السعداء على ما في الدرر الموسوية)، قال عند ذكره الأئمة الاثني عشر: التاسع يعني من ولد الحسين الإمام حجة الله القائم المهدي، وهو غائب، وله عمر طويل كما في المؤمنين عيسى وإلياس والخضر وفي الكافرين الدجال والسامري.

ومنهم الشيخ الكامل الشيخ محمد المعروف بخواجه بارسا في حاشية له على كتاب (فصل الخطاب) مضافاً إلى ما تقدم عنه على ما في (الدرر الموسوية)، حيث قال: وبه (يعني بالمهدي) ختمت

(١) ينابيع المودّة: ٣٥٢/٣، الباب السابع والثمانون.

الخلافة والإمامة، وهو إمام منذ وفاة أبيه إلى يوم القيامة، وعيسى يصلي خلفه ويصدقه ويدعو الناس إلى ملته وهي ملة النبي صلى الله عليه وآله.

... ومنهم: غير واحد من الفضلاء والعرفاء فإن الذي يظهر من أشعارهم العربية والفارسية المذكورة في ينابيع المودّة وغيره من بعض كتب المناقب ، أنهم يرون حياة المهدي المنتظر ، وأنه حي يرزق لوصفهم له بالولاية والإمامة والخلافة والنيابة عن النبي صلى الله عليه وآله وأنه الواسطة في الفيوضات الإلهية»[١].

ج ـ ونعتمد في تقرير البيان الثالث على ماكتبه السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله حيث كتب يقول:

«إن الغيبة تجربة عاشتها أُمّة من الناس فترة امتدت سبعين سنة تقريباً، وهي فترة الغيبة الصغرى، ولتوضيح ذلك نمهد بإعطاء فكرة موجزة عن الغيبة الصغرى[٢].

إن الغيبة الصغرى تُعبّر عن المرحلة الأُولىٰ من إمامة القائد المنتظر عليه الصلاة والسلام، فقد قُدّر لهذا الإمام منذ تسلّمه للإمامة أن يستتر عن المسرح العام ويظلُّ بعيداً باسمه عن الأحداث، وإن كان قريباً منها بقلبه وعقله، وقد لُوحِظَ أن هذه الغيبة، إذا جاءت مفاجئة حققت صدمة كبيرة للقواعد الشعبية للإمامة في الأُمة الإسلامية؛ لأن هذه القواعد كانت معتادة على الاتصال بالإمام

(١) المهدي: ١٤٦ ـ ١٤٨.

(٢) راجع: الغيبة الصغرى، السيد محمد الصدر، فقد توسّع في بحثها.

في كلّ عصر، والتفاعل معه والرجوع إليه في حلّ المشاكل المتنوعة، فإذا غاب الإمام عن شيعته فجأة وشعروا بالانقطاع عن قيادتهم الروحية والفكرية، سببت هذه الغيبة[١] المفاجئة الاحساس بفراغ دفعي هائل قد يعصف بالكيان كلّه ويشتت شمله، فكان لابدّ من تمهيد لهذه الغيبة؛ لكي تألفها هذه القواعد بالتدريج، وتكيّف نفسها شيئاً فشيئاً على أساسها، وكان هذا التمهيد هو الغيبة الصغرى التي اختفى فيها الإمام المهدي عن المسرح العام، غير أنه كان دائم الصلة بقواعده وشيعته عن طريق وكلائه ونوابه والثقات من أصحابه الذين يشكلون همزة الوصل بينه وبين الناس المؤمنين بخطه الإمامي[٢]. وقد شَغَلَ مركز النيابة عن الإمام في هذه الفترة أربعة ممن أجمعت تلك القواعد على تقواهم وورعهم ونزاهتهم التي عاشوا ضمنها وهم كما يلي:

١ ـ عثمان بن سعيد العمري .

٢ ـ محمد بن عثمان بن سعيد العمري.

٣ ـ أبو القاسم الحسين بن روح .

٤ ـ أبو الحسن علي بن محمد السمري .

---

(١) إشارة الى الغيبة الكبرى.

(٢) راجع: تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي، السيد هاشم البحراني، دفاع عن الكافي، السيد ثامر العميدي: ١/ ٥٦٨ وما بعدها.

تاريخ وفاة السفير الأوّل حدوداً ٢٨٠ هـ، والثاني ٣٠٥ هـ، والثالث ٣٢٦ هـ، والرابع ٣٢٨ هـ.

وقد مارس هؤلاء الأربعة[١] مهام النيابة بالترتيب المذكور، وكلما مات أحدهم خلفه الآخر الذي يليه بتعيين من الإمام المهدي عليه السلام.

وكان النائب يتصل بالشيعة ويحمل أسئلتهم إلى الإمام، ويعرض مشاكلهم عليه، ويحمل إليهم أجوبته شفهية أحياناً وتحريرية[٢] في كثير من الأحيان، وقد وجدت الجماهير التي فقدت رؤية إمامها العزاء والسلوة في هذه المراسلات والاتصالات غير المباشرة. ولاحظت أن كلّ التوقيعات والرسائل كانت ترد على الإمام المهدي عليه السلام بخط واحد وسليقة واحدة[٣] طيلة نيابة النواب الأربعة التي استمرت حوالي سبعين عاماً، وكان السمري هو آخر النواب، فقد أعلن عن انتهاء مرحلة الغيبة الصغرى التي تتميز بنواب معينين، وابتداء الغيبة الكبرى التي لا يوجد فيها أشخاص معينون بالذات للوساطة بين الإمام القائد والشيعة، وقد

---

(١) راجع ترجمة هؤلاء الأربعة في كتاب الغيبة الصغرى للسيد محمد الصدر، الفصل الثالث: ٣٩٥ وما بعدها، نشر دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ١٩٨٠.

(٢) وهذه تعرف بالتوقيعات، وهي الأجوبة التحريرية والشفوية التي نقلت عن الإمام المهدي عليه السلام. راجع: الاحتجاج، الطبرسي: ٢/ ٥٢٣ وما بعدها.

(٣) مما استقر في الأوساط الأدبية وعند نقاد الأدب قديماً وحديثاً أن الأسلوب هو الرجل، وهذه المقولة صحيحة. ومن هنا رأينا وسمعنا أن كثيراً من الأدباء وقارئي الأدب يميزون بمجرد قراءة النص شعرياً كان أم نثرياً أنه لفلان أو لفلان، وما ذلك إلا لأن الأسلوب هو الرجل، وأن لكلّ كاتبٍ سمةً وطابعاً خاصاً في كتابته يمكن تمييزه عن غيره. هذا فضلاً على تميز خطّه الشريف من غيره من الخطوط.

عبّر التحول من الغيبة الصغرى إلى الغيبة الكبرى عن تحقيق الغيبة الصغرى لأهدافها وانتهاء مهمتها؛ لأنها حصّنت الشيعة بهذه العملية التدريجية عن الصدمة والشعور بالفراغ الهائل بسبب غيبة الإمام، واستطاعت أن تكيّف وضع الشيعة على أساس الغيبة، وتعدّهم بالتدريج لتقبل فكرة النيابة العامة عن الإمام، وبهذا تحولت النيابة من أفراد منصوصين[١] إلى خط عام[٢]، وهو خط المجتهد العادل البصير بأُمور الدنيا والدين، تبعاً لتحول الغيبة الصغرى إلى غيبة كبرى.

والآن بإمكانك أن تقدّر المواقف في ضوء ما تقدم، لكي تدرك بوضوح أن المهدي حقيقة عاشتها أُمة من الناس، وعبّر عنها السفراء والنواب طيلة سبعين عاماً من خلال تعاملهم مع الآخرين، ولم يلحظ عليهم أحدٌ، كل هذه المدة تلاعب في الكلام، أو تحايلاً في التصرف أو تهافتاً في النقل. فهل تتصور ـ بربّك ـ أن بإمكان أُكذوبة أن تعيش سبعين عاماً، ويمارسها أربعة على سبيل الترتيب كلهم يتفقون عليها، ويظلون يتعاملون على أساسها وكأنها قضية يعيشونها بأنفسهم ويرونها بأعينهم، دون أن يبدر منهم أي شيء يثير الشك، ودون أن يكون بين الأربعة علاقة خاصة متميزة تتيح لهم نحواً من التواطؤ، ويكسبون من خلال ما يتصف به سلوكهم

---

(١) إشارة إلى النواب الأربعة المذكورين.

(٢) وهو ما اصطلح عليه (بالمرجعية الدينية)، ويلاحظ هنا الصفات التي يرى الإمام الشهيد لزوم توفرها في المرجعية.

من واقعية ثقة الجميع، وإيمانهم بواقعية القضية التي يدّعون أنهم يحسونها ويعيشون معها؟!

لقد قيل قديماً: إنّ حبل الكذب قصير، ومنطق الحياة يثبت أيضاً أن من المستحيل عملياً بحساب الاحتمالات أن تعيش أُكذوبة بهذا الشكل، وكل هذه المدة، وضمن كلّ تلك العلاقات والأخذ والعطاء، ثم تكسب ثقة جميع من حولها.

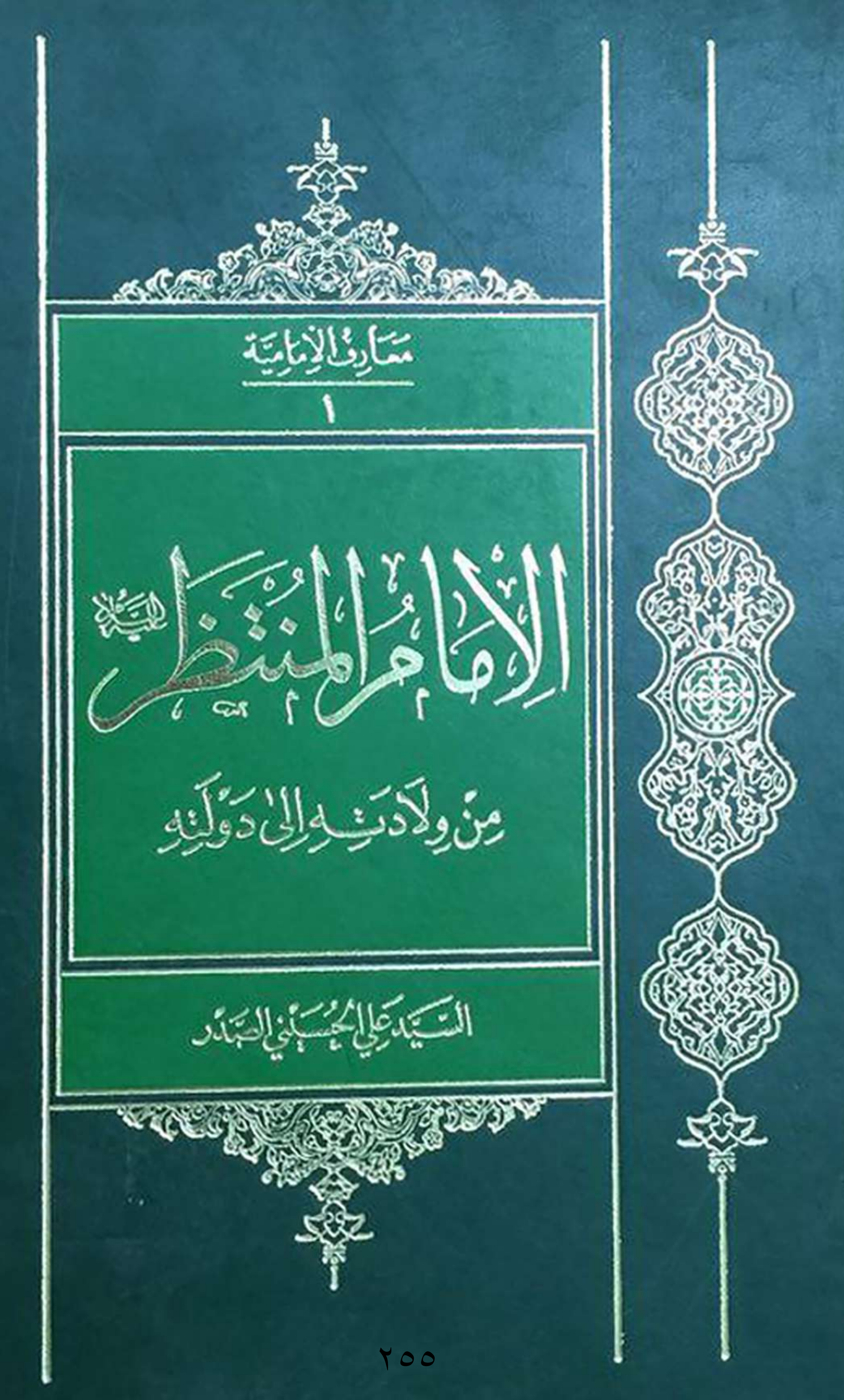
وهكذا نعرف أن ظاهرة الغيبة الصغرى يمكن أن تعتبر بمثابة تجربة علمية لإثبات مالها من واقع موضوعي، والتسليم بالإمام القائد، بولادته وحياته وغيبته[1]، وإعلانه العام عن الغيبة الكبرى التي استتر بموجبها عن المسرح ولم يكشف نفسه لأحد[2]»[3].

---

(١) إن اتصال الإمام القائد المهدي بقواعده الشيعية عن طريق نوابه ووكلائه، أو بأساليب أُخرى متنوعة واقع تاريخي موضوعي ليس من سبيل إلى إنكاره، كما في السفارة، فضلاً عن الدلائل الأُخرى الكثيرة المستندة إلى إخبار من يجب تصديقه، ثم هو مقتضى الأحاديث المتواترة، كحديث: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» وغير ذلك. إنّ كل ذلك جموعاً ـ وهو محل اتفاق أكثر طوائف الملة الإسلامية ـ يدحض وبشكل قاطع ما يثيره المتشككون حول وجود الإمام واستمرار حياته المباركة الشريفة، راجع: الغيبة الصغرى، السيّد محمد الصدر: ٥٦٦.

(٢) ورد التوقيع الشريف عن الإمام القائد المهدي عليه السلام بعدم إمكان رؤيته بشكل صريح بعد وقوع الغيبة الكبرى، وهذا محل اتفاق علماء الإمامية. وراجع مناقشة المسألة في: الغيبة الصغرى / السيد محمد الصدر: ٦٣٩ وما بعدها.

(٣) بحث حول المهدي: ١٠٨ ـ ١١١ بتحقيق وتعليق الدكتور عبدالجبار شرارة.


معارف الإمامية
١
الإمام المنتظر عليه السلام
من ولادته إلى دولته
السيد علي الحسيني الصدر

البحث الثالث

عُمْرُ الإمام المهدي عليه‌السلام

من الحقائق الثابتة التي لا مجال لإنكارها أو التشكيك فيها ، طول عمر مولانا الامام المهدي أرواحنا فداه ، وبقاء حياته المباركة رعاه اللّه تعالى.

وقد دلّ عليه الدليل العلمي والبرهان اليقيني.

فقد صرّحت به الروايات المتظافرة خصوصاً وعموماً ، وأفادته الأحاديث المتواترة قطعاً.

كما ثبت على ضوء القرآن الكريم ، وتوصل اليه الوجدان السليم.

أما الأحاديث الشريفة الخاصة في ذلك ، فمنها :

1 . حديث ابي سعيد عقيصا المتقدم ، عن الامام الحسن المجتبى **عليه‌السلام** جاء فيه :

« ... التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الاماء ، يطيل اللّه عمره في غيبته ، ثم يُظهره في صورة شابٍّ دون أربعين سنة ، ذلك ليُعلم أن اللّه على كل شيء قدير » [1].

2 . حديث محمد بن مسلم الثقفي الطحان المتقدم ، عن الامام الباقر **عليه‌السلام** ، جاء فيه :

« فأما شبهه من يونس بن متى ، فرجوعه من غيبته وهو شابٌّ بعد كبر

---

(1) كمال الدين : ص 316 ب 29 ح 2.

السن » [1].

3 . حديث سدير الصيرفي المفضّل ، عن الامام الصادق عليه‌السلام ، جاء فيه :

« ... وأمّا العبد الصالح أعني الخضر عليه‌السلام ، فإنّ اللّه تبارك وتعالى ما طوّل عمره لنبوّة قدّرها له ، ولا لكتاب يُنزله عليه ، ولا لشريعة يَنسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء ، ولا لإمامة يُلزم عباده الاقتداء بها ، ولا لطاعة يُفرضها له.

بلى ، إنَّ اللّه تبارك وتعالى لما كان في سابق علمه أن يقدِّر من عمر القائم عليه‌السلام في أيّام غيبته ما يقدّر ، وعَلِمَ ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول ، طوّل عمر العبد الصالح في غير سبب يوجب ذلك إلاّ لعلّة الاستدلال به على عمر القائم عليه‌السلام ، وليقطع بذلك حجّة المعاندين لئلاّ يكون للنّاس على اللّه حجّة » [2].

4 . حديث الريّان بن الصلت المتقدم ، عن الامام الرضا عليه‌السلام ، جاء فيه :

« وان القائم هو الذي اذا خرج كان في سنّ الشيوخ ومنظر الشبّان » [3].

5 . حديث أحمد بن اسحاق الأشعري القمي المتقدّم ، عن الامام العسكري عليه‌السلام ، جاء فيه :

« يا أحمد بن اسحاق ، مثله في هذه الأمة مثل الخضر عليه‌السلام » [4].

6 . حديث الحسن بن محمد بن صالح البزاز ، قال : سمعت الحسن بن علي العسكري عليه‌السلام يقول :

« إنَّ إبني هو القائم من بعدي وهو الذي يجرى فيه سنن الأنبياء عليهم‌السلام

---

(1) كمال الدين : ص 327 ب 32 ح 7.

(2) كمال الدين : ص 357 ب 33 ح 50.

(3) كمال الدين : ص 376 ب 35 ح 7.

(4) كمال الدين : ص 384 ب 46 ح 4.

بالتعمير والغيبة ... » [1].

7 . حديث سعيد بن جبير ، قال : سمعت سيد العابدين علي بن الحسين **عليه‌السلام** يقول :

« في القائم سُنّة من نوح **عليه‌السلام** وهي طول العمر » [2].

8 . حديث حماد بن عبدالكريم الجلّاب ، قال : ذكر القائم عند أبي عبدالله **عليه‌السلام** ، فقال :

« أما انه لو قد قام لقال الناس : أنّى يكون هذا؟ وقد بليت عظامه مذ كذا وكذا » [3].

هذا الى غير ذلك من الأحاديث الأُخرى المفيدة طول عمره **عليه‌السلام** ، وقد اشير اليها من طريق الفريقين في منتخب الأثر [4].

اما على ضوء القرآن الكريم [5]

فإن طول العمر وبقاء الانسان في الحياة قروناً متطاولة ، قد ثبت على

---

(1) كمال الدين : ص 524 ب 46 ح 4.

(2) كمال الدين : ص 534 ب 46 ح 5.

(3) الغيبة للنعماني : ص 155 ح 14.

(4) منتخب الأثر : ص278 ـ 285 ، عن كمال الدين والغيبتين والخرائج من الخاصة ، وينابيع المودة من العامة ، وكذلك من الشافعي الكنجي في كتاب البيان ، كما حكاه في : احقاق الحق : ج 19 ص 698.

(5) هذا جواب على اشكال بعض المخالفين على طول عمره عليه‌السلام الذي نقله في : كنز الفوائد : ص 244 ، وسيأتي ذكره.

ونجيب على ذلك بالكتاب الكريم ، والسنة المتفق عليها بين الفريقين ، والدليل الوجداني الموجود في البين ، مؤيدين ذلك بموافقة الطبيعة البشرية ، ثم تصريحات الاصول العلمية.

وليُعلم بدواً انه يكفي في الجواب عن ذلك الاشكال ، ما يستفاد من بعض الأحاديث المباركة المتقدمة : رقم 1 و 2. ان السر في طول عمره الشريف رعاه الله ، هو إعجاز الله تعالى بإبقاءه شاباً وحفظه في هذا السن كاملاً ؛ والله تعالى على كل شيء قدير ، وبيد قدرته الشيب والشباب والموت والحياة.

ضوء القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل قطعاً. فلا مجال لاستبعاده او استحالته او الاشكال فيه أبداً.

فقد جاء في القرآن الكريم بالنسبة الى نبي اللّه نوح قوله تعالى : (ولقد أرسلنا نوحاً الى قومهِ فلبثَ فيهم ألفَ سنةٍ الا خمسينَ عاماً فأخذهُمُ الطوفانُ وهم ظالمون) [1].

فتلاحظ أن الآية المباركة صريحة في أن النبي نوح عليه‌السلام لبث في قومه بعد إرساله ونبوّته 950 سنة ، تسعة قرون ونصف.

وأما مجموع عمره الشريف فهو أكثر من هذا ، اذ روي انه عمّر 2500 عام.

ففي حديث هشام بن سالم عن الامام الصادق عليه‌السلام :

« عاش نوح عليه‌السلام ألفي سنة وخمسمائة سنة ، منها ثمانمائة وخمسون سنة قبل أن يُبعث ، وألف سنة إلّا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم ، وسبعمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء ، فمصّر الأمصار وأسكن ولده البلدان.

ثمَّ إنَّ مَلَك الموت عليه‌السلام جاءه وهو في الشمس ، فقال له : السلام عليك. فردَّ الجواب.

فقال له : ما جاء بك يا مَلَك الموت؟

فقال : جئت لأقبض روحك.

فقال له : تَدَعُني أخرج من الشمس إلى الظلِّ؟

فقال له : نعم.

فتحوَّل نوح عليه‌السلام ، ثمَّ قال : يا مَلَك الموت ، كأنَّ ما مرَّ بي من الدُّنيا مثل

---

(1) سورة العنكبوت : الآية 14.

تحوُّلي من الشمس إلى الظلّ ، فامض لما أُمرت به. قال : فقبض روحه **عليه‌السلام** » [1].

وهذا يعطي تحقق طول العمر قروناً طويلة.

بل يمكن التعمير الى يوم القيامة بمشيئة اللّه وارادته وقدرته ، كما أخبر به اللّه تعالى بالنسبة الى نبيّه يونس بن متّى ، فقال عزّ من قائل : **(فالتقمَهُ الحوتُ وهو مُليم * فلولا أَنّه كانَ من المسبِّحين * للَبِثَ في بطنِهِ الى يومِ يُبعثون)** [2].

اذ الظاهر . واللّه العالم . انه بمعنى للبث حيّاً في بطن الحوت الى يوم القيامة كما في تفسير الخاصة [3] والعامّة [4].

خصوصاً مع معنى كلمة اللبث لغةً وتفسيرها بـ « الاقامة بالمكان والملازمة له » المناسبة للحياة لا الموت ، كما في المفردات [5].

وهذا يفيد قدرة اللّه تعالى على حفظ انسان وإبقاء حياته في مكانٍ كهذا ، بلا هواء ولا طعام آلاف السنين او القرون.

فكيف لا يحفظ وليّه الأعظم وحجّته الكبرى ، الذي وعد فيه أن يظهره على الدين كلّه ، ويمكّن له في الأرض ، ويجعله من الوارثين.

أليس اللّه بقادر على حفظه وابقاءه ، وطول عمره وبقاءه؟

بل إن اللّه تعالى أبقى عدوّه إبليس الى يوم الوقت المعلوم ، فكيف لا يبقى وليّه المصلح ونوره المفصح ، ويأبى اللّه إلاّ أن يتمّ نوره.

لذلك أفاد الشيخ الصدوق :

---

(1) كمال الدين : ص 523 ب 46 ح 1.

(2) سورة الصافات : الآية 142 . 144.

(3) كنز الدقائق : ج 11 ص 184.

(4) الكشّاف : ج 4 ص 62.

(5) المفردات : 446.

« ان اكثر المخالفين يسلّمون لنا حديث الخضر عليه‌السلام ويعتقدون فيه أنّه حيٌّ غائب عن الأبصار ، وأنّه حيث ذُكر حَضَر ، ولا ينكرون طول حياته ، ولا يحملون حديثه على عقولهم ويدفعون كون القائم عليه‌السلام وطول حياته في غيبته.

وعندهم أنَّ قدرة اللّه عزّ وجلّ تتناول إبقاءه الى يوم النفخ في الصور ، وإبقاء إبليس مع لعنته الى يوم الوقت المعلوم في غيبته ، وأنّها لا تتناول إبقاءه حجّة اللّه على عباده مدَّة طويلة في غيبته ، مع ورود الأخبار الصحيحة بالنصِّ عليه بعينه واسمه ونسبه عن اللّه تبارك وتعالى وعن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وعن الأئمّة عليهم‌السلام »[1].

وقال شيخ الطائفة :

« فان قيل : ادعاؤكم طول عمر صاحبكم امر خارق للعادات مع بقاءه على قولكم كاملَ العقل تامَّ القوة والشباب ، لأنه على قولكم في هذا الوقت . الذي هو سنة سبع واربعين واربعمائة . واحد وتسعون سنة.

لأن مولده على قولكم سنة ست وخمسون ومائتين ولم تجر العادة بان يبقى احد من البشر هذه المدة ، فكيف انتقضت العادة فيه؟ ولا يجوز انتقاضها الا على يد الأنبياء.

قلنا : الجواب عن ذلك من وجهين :

احدهما : انا لا نسلم ان ذلك خارق لجميع العادات.

بل العادات فيما تقدم قد جرت بمثلها واكثر من ذلك ، وقد ذكرنا بعضها كقصة الخضر عليه‌السلام ، وقصة اصحاب الكهف ، وغير ذلك.

وقد اخبر اللّه تعالى عن نوح عليه‌السلام ، انه لبث في قومه الف سنة الا خمسين عاماً ، واصحاب السِيَر يقولون إنه عاش اكثر من ذلك ، وانما دعا قومه الى اللّه

---

(1) كمال الدين : ص 392.

تعالى هذه المدّة المذكورة بعد ان مضت عليه ستون من عمره.

وروى اصحاب الأخبار : ان سلمان الفارسي رضي‌الله‌عنه لقي عيسى ابن مريم عليه‌السلام ، وبقى الى زمان نبيّنا صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وخبره مشهور ، واخبار المعمرين من العرب والعجم معروفة مذكورة في الكتب والتواريخ.

وروى اصحاب الحديث : ان الدجال موجود وأنه كان في عصر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ، وانه باق الى الوقت الذي يخرج فيه وهو عدو اللّه.

فاذا جاز في عدو اللّه لضرب من المصلحة ، فكيف لا يجوز مثله في ولي اللّه ، ان هذا من العناد ... » [1].

وقال المحقق الكراجكي في كتاب البرهان من كنز الفوائد :

« فاما من أقرّ بها (اي الامامة) وأنكر جواز تراخي الأعمار وطولها ، فانّ القرآن يخصمه بما تضمّنه من الخبر عن طول عمر نوح عليه‌السلام.

قال اللّه تعالى : (فلبِثَ فيهم الفَ سنةٍ الا خمسينَ عاماً) ، ولا طريق الى الانصراف عن ظاهر القرآن الاّ ببرهان.

وقد اجمع المسلمون على بقاء الخضر عليه‌السلام من قبل زمان موسى عليه‌السلام الى الآن وانّ حياته متّصلة الى آخر الزمان ، وما اجمع عليه المسلمون فلا سبيل الى دفعه بحال من الأحوال.

فان قال لك الخصم : هذان نبيّان ويجوز ان يكون طول اعمارهما معجزا لهما وكرامة يميّزا بها عن الأنام ، ولا يصحّ ان يكون هذا المعجز والاكرام الاّ للأنبياء عليهم‌السلام.

فقل له : يفسد هذا عليك بما استقرّ عليه الاتفاق من بقاء ابليس اللعين من

(1) كتاب الغيبة : ص 78.

عهد آدم عليه‌السلام ، وقبل ذاك الى الآن ، وانه سيبقى الى الوقت المعلوم كما نطق به القرآن ، وليس ذلك معجزاً له ولا على سبيل الاكرام.

واذا اشترك الولي والعدو في طول العمر ، عُلم انّ السبب في ذلك غير ما ذكرت ، وانه لمصلحة لا يعلمها الاّ اللّه تعالى دون العباد.

فان انكر الخصم ابليس وبقاءه ، خرج عن ظاهر الشريعة ودفع اجماع الامة ، وان تاوّل ذلك طولب على صحّة تأويله بالحجّة.

ولو سلّم طول العمر معجزاً للمعمّر واكرام ولم ينكر ابليس وطول عمره على ممرّ الأزمان كان لك ان تقول : ان حكم الامام عندنا كحكم النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في الاحتجاج وجواز ظهور المعجز والاكرام بما يتميّز به عن الأنام ، فليس بمنكر ان يطيل اللّه تعالى عمره على سبيل المعجز والاكرام.

واعلم . ايّدك اللّه . انّ المخالفين لك في جواز امتداد الأعمار ممّن يقر بالاسلام ، لا يكلّمونك الاّ بكلام مستعار.

فمنهم من ينطق بلسان الفلاسفة فيقول : انّ طول العمر من المستحيل في العقول الذي يثبت على جوازه دليل.

ومنهم من ينطق بلسان المنجّمين فيقول : انّ الكواكب لا تعطى احداً من العمر اكثر من مائة وعشرين سنة ...

ومنهم من ينطق بلسان الأطبّاء واصحاب الطبائع فيقول : انّ العمر الطبيعي هو مائة وعشرون سنة ، فاذا انتهى اليها فقد بلغ غاية ما يمكن فيه صحّة الطباع وسلامتها ، وليس بعد بلوغ غاية السلامة الاّ ضدّها.

وليس على يد احد منهم الاّ الدعوى ، ولا يستند الاّ الى العصبيّة والهوى ، فاذا عضّهم الحجاج رجعوا أجمعين الى الشاهد المعتاد ، فقالوا : انّا لَم نَرَ احدا تجاوز في العمر الى هذا القدر ولا طريق لنا الى اثبات ما لم نَرَ ، وهذا الذي جرت

به العادة والعادة اصحّ دلالة.

وجميعهم خارجون عن حكم الملّة ، مخالفون لما اتّفقت عليه الأمّة ولما سلف ايضاً من الشرائع المتقدّمة.

لان اهل الملل كلّها متّفقون على جواز امتداد الأعمار وطولها.

وقد تضمّنت التوراة [1] من الأخبار بذلك ما ليس بينهم فيه تنازع ....

وقد تضمّنت نظيره شريعة الاسلام.

ولم نجد احداً من علماء المسلمين يخالفه او يعتقد فيه البطلان ، بل اجمعوا من جواز طول الأعمار على ما ذكرناه » [2].

واما من دليل السنّة المباركة

فانه مضافاً الى الاحاديث المتقدمة الخاصّة بطول عمره المبارك ، قد ورد في الأخبار الكثيرة المتّفق عليها بين الفريقين ، والفائقة على التواتر ، المرويّة عن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم :

« أن الأئمّة بعدي اثنا عشر ؛ أوّلهم أمير المؤمنين علي عليه‌السلام وآخرهم المهدي عليه‌السلام ، وأنّهم لم يزالوا ما دام هذا الدين باقياً ».

كما تلاحظها بمتونها المتّفقة واسانيدها المتعددة في احقاق الحق [3].

ولا شك في أبديّه الدين الاسلامي الى امتداد الزمان الدنيوي ، بل الى يوم

---

(1) التوراة : سفر التكوين ، الاصحاح 5 ، الآية 5 ، 8 ، 11 ، 14 ، 17 ، 20 ، 27 ، 31 ، الاصحاح 9 ، الآية 29 ، والاصحاح 11 ، الآية 10 . 17.

(2) كنز الفوائد : ص 244.

(3) احقاق الحق : ج 12 ص 1 . 48 ، وورد من طريق الفريقين في : غاية المرام : ص 691 . 710.

القيامة [1] فيكون الأئمّة عليهم‌السلام باقين الى يوم القيامة.

ولا خلاف في مضيّ واستشهاد آباء الامام المهدي عليه‌السلام يعني الأئمّة الأحد عشر قبله سلام اللّه عليهم.

ولازم ذلك بقاء الامام المهدي عليه‌السلام حيّاً بعد ان ثبت أنه ثاني عشرهم ، وأنه المستحق للامامة.

والا لزم عدم بقائهم ما بقي الدين ، وهو خلاف ما أخبر به الرسول الأمين بالقطع واليقين.

ولزم أيضاً عدم وجود إمام بين المسلمين ، فتكون ميتتهم ميتة جاهلية.

ولزم أيضاً عدم الحجّة من اللّه على الخلق ، ولولاه لساخت الأرض بأهلها؛ ولا شك في بطلان هذه اللوازم وعدم صحّتها.

فيثبت شرعاً وعقلاً كون الامام المهدي عليه‌السلام باقياً وعمره طويلاً ، رعاه اللّه من كل سوء.

هذا مضافاً الى الأحاديث الخاصّة بطول عمره المبارك الثابتة في طريق الفريقين.

وقد أشرنا الى روايات طريقنا في اول المبحث الثالث.

ونضيف أنه اشار الگنجي الشافعي الى روايات العامّة في كتاب البيان في أخبار صاحب الزمان ، قال :

« ولا امتناع في بقاءه (يعني الامام المهدي عليه‌السلام) بدليل بقاء عيسى والياس والخضر من أولياء اللّه تعالى ، وبقاء الدجال وابليس من اعداء اللّه تعالى ، وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة ، وقد اتفقوا عليه ثم انكروا جواز بقاء المهدي.

(1) كما في صحيحة زرارة الواردة في : اصول الكافي : ج 1 ص 58 ح 19.

وهـا انـا ابـين بقـاء كـل واحـد مـنهم ، فـلا يسـع بعـد هـذا العاقـل انكـار جـواز بقـاء المهدي **عليه‌السلام** ....

واما بقاء المهدي **عليه‌السلام** فقد جاء في الكتاب والسنّة.

امـا الكتـاب ، فقـد قـال سـعيد بـن جبـير في تفسـير قولـه عـزّ وجـلّ : (**لِيُظهـرَه على الدينِ كلِّه ولو كرِهَ المشركون**) ، قال : المهدي من عترة فاطمة **عليهاالسلام**.

واما السنّة فما تقدم في كتابنا من الأحاديث الصحيحة الصريحة ... » [1].

لـذلك اعـترف بطـول عمـره **عليه‌السـلام** علمـاء العامـة ، كمـا تـرى احصـاء ذكـرهم مـع كلامهم في كتاب المهدي [2].

ذكـر مـنهم : الشـيخ عبـدالوهاب الشـعراني في كتـاب اليواقيـت والجـواهر ، وخواجـه محمـد پارسـا في كتـاب فصـل الخطـاب ، وابـن حجـر العسـقلاني في كتـاب القول المختصر ، وشهاب الدين الهندي في كتاب هداية السعداء.

واما دليل الوجدان

فـإن الوجـدان السـليم شـاهد ببقـاءه وطـول عمـره **عليه‌السـلام** ، لتـواتر رؤيتـه ، وتظـافر مشـاهدته مـن زمـان غيبتـه الصـغرى الى زماننـا هـذا في غيبتـه الكـبرى ، مـن قِبَـل المـؤمنين الصـادقين والعلمـاء المتقـين ممـن يوجـب قـولهم العلـم واليقـين؛ امثـال السـيد ابـن طـاووس ، والعلامـة الحلّـي ، والمقـدّس الأردبيلـي ، والسـيد بحـر العلـوم ، وغيرهم من الأعلام الأوتاد والبالغين أعلى درجات الصدق والعدالة والسداد.

---

(1) عنه في الاحقاق : ج 19 ص 698.

(2) كتاب المهدي : ص 146.

وقد تقدّم ذكر الكتب الناقلة لجملة منها فراجع.

والعيان يغني عن البرهان ، ووجوده يُحس بالوجدان.

فيتحصّل ان طول عمر الامام المهدي المنتظر سلام اللّه عليه وعلى آباءه ، ثابت بالحديث المتواتر العلمي ، ومنصورٌ بالقرآن الالهي ، ومدلولٌ للبرهان العقلي ، ومؤيد بالشاهد الوجداني.

هذا كلّه ، مع ما تقدم الإلفات اليه من أن الرمز المكنون في طول عمره المصون صلوات اللّه عليه هو طريق الاعجاز.

أعني ان الاعجاز الالهي والقدرة الربانيّة أوجبت طول عمره الشريف وبقاءه شاباً ، كما يستفاد من خلال بعض الأحاديث المتقدّمة ، مثل حديثي ابي سعيد ومحمد بن مسلم [1].

فان الاحتفاظ بشبابه صلوات اللّه عليه في طول عمره ، معجزة من اللّه تعالى وارادة منه ، واللّه على كل شيء قدير.

ومع بقاءه شاباً يبقي عمره طويلاً طبيعياً اعجازاً وكرامة من اللّه تعالى ، وحكمة في سلامته وبقاءه الى ان يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، وبهذا يتضح الحق ، ولا يبقى اشكال في الحقيقة.

وأنت ترى جلياً ان الاعجاز والارادة الالهية تدفع هذه الشبهة الواهية ، مضافاً الى أن عدم مألوفية طول العمر في زماننا هذا لا يعني استحالته او عدم امكانه ، كما يدعيه الجاحد.

وليس في النواميس الطبيعية البشرية او الاصول العلمية ما يمنع طول العُمر ، بل دلّ كلاهما على وقوعه ، والوقوع أدلّ دليل على الإمكان.

---

(1) كمال الدين : ص 316 ح 2 ، وص 327 ح 7.

أمّا على صعيد الطبيعة البشريّة

فإنّ التاريخ البشري يثبت طول عُمر الانسان فهو مليءٌ بالمعمرين ، كما تلاحظ إحصاءهم في كتاب المعمّرون لأبي حاتم السجستاني ، مما يثبت كون طول عمر الانسان ليس ممكناً فقط بل طبيعيّاً أيضاً.

وتلاحظ بيان جملة من المعمّرين مع مصادر ذكر مقدار عمرهم في الكتب المفصّلة ، وقد أحصى 142 شخص من المعمّرين [1] ، منهم :

1 . النبي آدم ، وعمره 930 سنة.

2 . النبي شيث بن آدم ، 912 سنة.

3 . النبي ادريس ، 965 سنة.

4 . النبي نوح ، 2500 سنة.

5 . ذو القرنين ، 3000 سنة.

6 . لقمان ، 3500 سنة.

7 . عوج بن عناق ، 3000 سنة.

8 . الضحاك ، 1000 سنة.

9 . گشتاسب ، 750 سنة.

10 . رستم ، 600 سنة.

11 . عزيز مصر ، 700 سنة.

12 . ريّان والد عزيز مصر ، 1700 سنة.

13 . دومغ والد الريان ، 300 سنة.

---

(1) الزام الناصب : ج 1 ص 288. إمامت ومهدويت : ج 3 ص 214.

14 . فريدون ، 1000 سنة.

لذلك قال شيخ الطائفة :

« واذا ثبتت هذه الجملة ، ثبت أن تطاول العمر ممكن غير مستحيل ، وقد دكرنا فيما تقدم عن جماعة أنهم لم يتغيروا مع تطاول أعمارهم وعلو سنهم.

وكيف ينكر ذلك من يقرّ بأن اللّه تعالى يخلّد المشابين في الجنة شباناً لا يبلون ، وانّما يمكن أن ينازع في ذلك من يجحد دلك ويسنده الى الطبيعة وتأثير الكواكب الذي قد دل الدليل على بطلان قولهم باتفاق منا وممن خالفنا في هذه المسألة من أهل الشرع ، فسقطت الشبهة من كل وجه » [1].

وقال ابو الصلاح الحلبي :

« اما استبعاده (اي طول عمر الامام الحجّة عليه‌السلام) فالمعلوم خلافه » [2].

ثم ذكر الاجماع على طول عمر جماعة ، مثل نوح والخضر ولقمان ، بل غير الصالحين ايضاً ، ثم قال :

« واذا كان ما ذكرناه من أعمار هؤلاء معلوماً لكل سامع للاخبار وفيهم انبياء صالحون وكفار معاندون وفسّاق معلنون سقط دعوى خصومنا كون عمر الغائب خارقاً للعادة ، لثبوت أضعاف ما انتهى اليه من المدّة لأبرار وفجّار ».

وقال ابو الفتح الكراجكي :

« اهل الملل كلها متفقون على جواز امتداد الأعمار وطولها » [3].

وقال النعماني :

---

(1) كتاب الغيبة : ص 87.
(2) تقريب المعارف : ص 449.
(3) كنز الفوائد : ص 245.

« ومنهم من يستبعد المدَّة ويستطيل الأمد ولا يرى أنَّ اللّه في قدرته ونافذ سلطانه وماضي أمره وتدبيره قادر على أن يمدَّ لوليّه في العمر ، كأفضل ما مدَّه ويمدُّه لأحد من أهل عصره وغير أهل عصره ، ويظهر بعد مضيٍّ هذه المدَّة وأكثر منها.

فقد رأينا كثيراً من أهل زماننا ممّن عمّر مائة سنة وزيادة عليها ، وهو تامُّ القوَّة ، مجتمع العقل.

فكيف ينكر لحجّة اللّه أن يعمّره أكثر من ذلك ، وأن يجعل ذلك من أكبر آياته التي أفرده بها من بين أهله.

لأنّه حجّته الكبرى التي يظهر دينه على كلِّ الأديان ، ويغسل بها الأرجاس والأدران » [1].

هذا بحسب الطبيعة الانسانية في طول العمر.

وأمّا على صعيد الاصول العلمية

فان الدراسات العلمية والتحقيقات التجريبية في العلم الحديث تؤيد وتثبت طول العمر والحياة الطويلة ، بحيث تصرّح بجزم وتذكر مقدورية البقاء الطويل بتوليد الانسجة الصناعية [2].

ونكتفي في ذلك بمقال مجلة المقتطف المصرية : ج 3 ص 238 السنة 1959 ، تحت عنوان « هل يخلد الانسان في الحياة؟ ».

جاء فيها ما نصّه :

---

(1) الغيبة : ص 157.

(2) امامت ومهدويت : ص 190.

« كلّ حبّه حنطة جسم حي ، وقد كانت في سنبلة ، والسنبلة تنبت من حبة اخرى ، وهذه من سنبلة ، وهلم جرا بالتسلسل.

ويسهل استقصاء تاريخ ستة آلاف سنة او اكثر ، فقد وجدت حبوبه بين الآثار المصرية الآشورية القديمة ، دلالة على ان المصريين والاشوريين والاقدمين كانوا يزرعونه ويستغلونه ويصنعون خبزهم من دقيقة.

والقمح الموجود الآن لم يخلق من لا شيء ، بل هو متسلسل من ذلك القمح القديم ، فهو جزء حي من جزء حي من جزء حي ، وهلم جرا الى ستة آلاف سنة او سبعة بل الى مئات الالوف من السنين.

وحبوب القمح التي نراها ناشفة لا تتحرك ولا تنمو ، هي في الحقيقة حية مثل كل حي ، ولا ينقصها لظهور دلائل الحياة الا قليل من الماء ، فحياة القمح متصلة منذ الوف من السنين الى الآن.

وهذا الحكم يطلق على كل انواع النبات ذوات البذور وذوات الأثمار.

وما الحيوان بخارج عن هذه القاعدة ، فان كل واحد من الحشرات والاسماك والطيور والوحوش والذبابات ، حتى الانسان سيد المخلوقات كان جزءاً صغيراً من والديه ، فنما كما نميا وصار مثلهما وهما من والديهما وهلم جرا.

والانسان الذي يختلف نسلاً يكون نسله جزءاً حياً منه ، كما ان البذرة جزء من الشجرة ، وهذا الجزء الحي تكون فيه جراثيم صغيرة جداً ، مثل الجراثيم التي كونت اعضاء والديه ، فتكوّن اعضاؤه بالغذاء الذي تتناوله وتمثله.

فتصير نواة التمر نخلة ذات جذع وسعوف وعروق وتمر ، وبذره الزيتون شجرة ذات ساق واغصان وورق وثمر ، وقس على ذلك سائر انواع النبات ، وكذا بيوض الحشرات والاسماك والطيور والوحوش والذبابات حتى الانسان.

وهذا كله من الامور المعروفة التي لا يختلف فيها اثنان ، ولكن الشجرة

نفسها قد تعمر الف سنة او الفي سنة ، والانسان لا يعمر اكثر من سبعين او ثمانين سنة ، وفي النادر يبلغ مائة سنة.

فالجراثيم المعدة لإخلاف النسل تبقى حية وتنمو كما تقدم ، ولكن سائر اجزاء الجسم يموت كأن الموت مقدور عليه.

وقد مرت القرون والناس يحاولون التخلص من الموت او اطالة الاجل ، ولا سيما في هذا العصر ، عصر مقاومة الامراض والآفات بالدواء والوقاية ، ولم يثبت على التحقيق ان احداً عاش فيه (120) سنة مثلاً.

لكن العلماء الموثوق بعلمهم يقولون : ان كل الانسجة الرئيسية من جسم الحيوان تقبل البقاء الى ما لا نهاية له ، وانه في الامكان ان يبقى الانسان حياً أُلوفاً من السنين ، اذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته.

وقولهم هذا ليس مجرّد ظن ، بل هو نتيجة عملية مؤيدة بالامتحان.

فقد تمكّن احد الجراحين من قطع جزء من حيوان وابقائه حياً أكثر من السنين التي يحياها ذلك الحيوان عادة ، اي صارت حياة ذلك الجزء مرتبطة بالغذاء الذي يُقدم لها بعد السنين التي يحياها ، فصار في الامكان ان يعيش الى الابد ما دام الغذاء اللازم موفوراً له.

وهذا الجراح هو الدكتور الكسي كارل ، من المشتغلين في معهد روكفلر بنيويورك.

وقد امتحن ذلك في قطعة من جنين الدجاج ، فبقيت تلك القطعة حية نامية اكثر من ثماني سنوات.

وهو وغيره امتحنوا قطعاً من اعضاء جسم الانسان من اعضائه وعضلاته وقلبه وجلده وكليته ، فكانت تبقى حية نامية ما دام الغذاء اللازم موفوراً لها.

حتى قال الاستاذ ديمند وبرل من اساتذة جامعة جونس هبكنس : ان كل

الاجـزاء الخلويـة الرئيسـية مـن جسـم الانسـان ، قـد ثبـت امـا ان خلودهـا بـالقوة صـار امراً مثبتاً بالامتحان ، او مرجحاً ترجيحاً تاماً لطول ما عاشته حتى الآن.

وهذا القول غاية في الصراحة والأهميّه على ما فيه من التحرس العلمي.

والظـاهر ان اول مـن امـتحن ذلـك في اجـزاء مـن جسـم الحيـوان هـو الـدكتور جاك لوب ، وهو من المشتغلين في معهد روكفلر ايضاً.

فانـه كـان يمـتحن توليـد الضـفادع مـن بيضـها ، اذا كـان غـير ملقـح. فـرأي ان بعـض البـيض يعـيش زمانـاً طـويلاً وبعضـها يمـوت سـريعاً. فقـاده ذلـك الى امتحـان اجزاء من جسم الضفدع ، فتمكن من ابقاء هذه الاجزاء حيّة زماناً طويلاً.

ثم اثبـت الـدكتور ورن لـويس وزوجتـه انـه يمكـن وضـع اجـزاء خلويـة مـن جسـم جنـين الطـائر في سـائل ملحـي فتبقـى حيـة ، واذا اضـيفت اليـه قليـل مـن بعـض المواد الآلية جعلت تلك الاجزاء تنمو وتتكاثر.

وتوالـت التجـارب فظهـر ان الاجـزاء الخَلَويـة . مـن اي حيـوان كـان . يمكـن ان تعيش وتنمو في سائل فيه ما يغذيها ، ولكن لم يثبت ما ينفي موتها اذا شاخت.

فقـام الـدكتور كـارل وجـرّب التجـارب المشـار اليهـا آنفـاً. فاثبـت منهـا ان هـذه الاجـزاء لا تشـيخ في الحيـوان الـذي أُخـذت منـه ، بـل تعـيش اكثـر ممـا يعـيش هـو عادة.

وقـد شـرع في التجـارب المـذكورة في شـهر ينـاير سـنة 1912 ، ولقـي عقبـات كثيرة في سبيله ، فتغلب عليها هو ومساعدوه وثبت له :

اولا : ان هـذه الاجـزاء الخلويـة تبقـى حيـة ، مـا لم يعـرض لهـا عـارض يميتهـا ، اما من قلة الغذاء او من دخول بعض المكروبات.

وثانيـاً : انهـالا تكتفـي بالبقـاء حيـة ، بـل تنمـو خلاياهـا وتتكـاثر ، كمـا لـو كانـت باقية في جسم الحيوان.

ثالثـاً : انـه يمكـن قيـاس نموهـا وتكاثرهـا ومعرفـة ارتباطهـا بالغـذاء الـذي يُقـدم لها.

ورابعـاً : ان لا تـأثير للـزمن عليهـا اي أنهـا لا تشـيخ ولا تضـعف بمـرور الـزمن ، بـل لا يبـدو عليهـا اقـل اثـر للشـيخوخة ، بـل تنمـو وتتكـاثر هـذه السـنة كمـا كانـت تنمـو وتتكاثر في السنة الماضية وما قبلها من السنين.

وتـدلّ الظـواهر كلهـا علـى أنهـا سـتبقى حيـة ناميـة ، مـا دام البـاحثون صـابرين على مراقبتها وتقديم الغذاء الكافي لها.

فشيخوخة الاحياء ليست سبباً بل هي نتيجة.

ولكـن لمـاذا يمـوت الانسـان ولمـاذا نـرى سـنيَّة محـدودة لا تتجـاوز المائـة الا نادراً جداً ، وغايتها العادية سبعون او ثمانون؟

والجـواب : ان اعضـاء جسـم الحيـوان كثـيرة مختلفـة وهـي مرتبطـة بعضـها بـبعض ، ارتباطـاً محكمـاً حـتى ان حيـاة بعضـها تتوقـف علـى حيـاة الـبعض الآخـر. فاذا ضعف بعضها ومات لسبب من الأسباب مات بموته سائر الأعضاء.

ناهيـك بفتـك الأمـراض المكروبيّـة المختلفـة ، وهـذا ممـا يجعـل متوسـط العمـر اقل جداً من السبعين والثمانين ، لا سيما وان كثيرين يموتون اطفالاً.

وغايـة مـا ثبـت الآن مـن التجـارب المـذكورة ان الانسـان لا يمـوت لانـه عمَّـر كـذا مـن السـنين سـبعين او ثمـانين او مائـة او اكثـر ، بـل لان العـوارض تنتـاب بعـض اعضائه فتتلفها ، ولإرتباط اعضائه بعضها ببعض تموت كلها.

فـاذا اسـتطاع العلـم ان يزيـل هـذه العـوارض او يمنـع فعلهـا ، لم يبـق مـانع يمنـع استمرار الحياة مئات من السنين ، كما يحيا بعض انواع الأشجار.

وقلمـا ينتظـر ان تبلـغ العلـوم الطبيّـة والوسـائل الصـحية هـذه الغايـة القصـوى ، ولكن لا يبعد ان تدانيها فيتضاعف متوسط العمر او يزيد ضعفين او ثلاثة » ،

انتهى [1].

هذا ما صرّح به العلم الحديث ، وأثبتته التجارب العلمية.

وعلى الجملة تندفع شبهة استحالة او استبعاد طول عمره عليه‌السلام بدليل القرآن الكريم ، ثم الاحاديث المتفق عليها بين الفريقين عياناً ، ثم تواتر الرؤية والإخبار المتواتر الموجب للعلم لطول عمره وجداناً.

كل ذلك مؤيّداً بتحقق طول عمر الانسان في النواميس الطبيعيّة ، ثم قابلية البقاء أُلوفاً من السنين في الاصول العلمية.

هذا ، بالاضافة الى ما عرفت أن الرمز المكنون في طول عمره رعاه اللّه تعالى ، هو الإعجاز الالهي بابقاءه شاباً مصوناً عن عوارض الشيب ، واللّه هو القادر على كل شيء ، والحافظ لوليّه بلا ريب.

ذلك اللّه الذي حفظ ابراهيم من نار نمرود؛

وحفظ موسى من كيد فرعون؛

وحفظ الرسول الأعظم من كيد المشركين.

هو حافظ لوليّه الهادي وخليفته المهدي عليه‌السلام من عوارض الدهر وانواع الشر ، ان شاء اللّه تعالى.

وقد وعد فيه الحفظ ،كما في حديث الحسين بن حمدان ، عن الامام العسكري عليه‌السلام في الضمان القدسي :

« فانه في ضماني وكنفي وبعيني ، الى أن أحق به الحقّ وأزهق به الباطل » [2].

---

(1) الامام المهدي من الى المهد الى الظهور : ص 351. المهدي : ص 140 ، نقلاً عن مجلة المقتطف المصرية : العدد 3 السنة 1959 م ص 238.

(2) البحار : ج 51 ص 27.



بين

النظرية والواقع



د. السيد عدنان البكاء رحمه الله

تقديم وتحقيق

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

الغدير للدراسات والنشر
حارة حريك - بناية البنك اللبناني السويسري
هاتف ٦٤٤٦٦٢/٠٣-٥٥٨٢١٥/٠١-٢٧٣٦٠٤/٠١
ص.ب ٥٠/٢٤ - بيروت - لبنان
E-mail: algadeer@ inco. com.lb

■ جميع حقوق الطبع محفوظة ■
لمركز الغدير للدراسات الإسلامية
ولا يحق لأي شخص، أو مؤسسة، أو جهة، إعادة
طبع الكتاب أو ترجمته إلا بترخيص من النّاشر

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

أما التساؤل حول:

طول العمر بصورة غير مألوفة

فهو أمر لا يثير إشكالاً إلا حين يُنظر إليه بالقياسات الطبيعية والعادية لا في إطار المشيئة والقدرة الإلهية التي لا تحكمها قوانين هي في الأصل لا تقوم إلا بها. وكما تخرق هذه القوانين في معاجز الأنبياء عليهم السلام بوصفها برهاناً على سفارتهم عن الله وفي معاجز الأئمة بوصفها دليلاً على كونهم امتداداً عن الرسول صلى الله عليه وآله، فإنها يمكن أن تخرق هنا بعد أن قامت الأدلة الثابتة على كون الإمام المهدي عليه السلام هو الإمام الثاني عشر عليه السلام عينه، وتحدثت عن غيبته هذه وتلك، وما يحدث من هذه التساؤلات قبل أن تكون بما يجاوز القرنين والنصف في البعض والقرنين في البعض الآخر وأدنى من ذلك في البعض الثالث.

هذا إن كانت قضية طول العمر بهذا المدى أو بغيره خارجة عن القوانين الطبيعية أساساً [٢].

إن إيماننا ـ بوصفنا مسلمين ـ بإحياء الموتى لإبراهيم وعيسى عليهما السلام، وبإماتة عزير وحماره ثم إحيائهما، وانفلاق البحر لموسى عليه السلام، وانقلاب

---

(٢) ذكرت مجلة المقتطف، م٥٩، ج٣، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠، أن جماعة من العلماء، أمثال الدكتور الكسيس كارل والدكتور جاك لوب والدكتور ورن لويس وزوجته قاموا بإجراء عدة تجارب في معهد روكفلر بنيويورك على أجزاء لأنواع مختلفة من النبات والحيوان والإنسان، وكان من بين تلكم التجارب ما أجري على قطع من أعضاء الإنسان وعضلاته وقلبه وجلده وكليتيه فرأوا أن هذه الأجزاء تبقى حية نامية ما دام الغذاء اللازم موفراً لها ولم يعرض لها عارض خارجي، وأن خلاياها تنمو وتتكاثر ولا تشيخ أبداً، وإذاً فلا توجد حتمية الموت بالأعمار المعتادة. راجع: عبد الهادي الفضلي، في انتظار الإمام، ص ٥٠، دار الأندلس.

عصاه ثعباناً حقيقياً، وأمثال ذلك لا يستوحى فيه عادة قانونٌ طبيعيّ أو منطق علميّ بما أنه لا مجال لها حتى الآن أن ترى غير استحالة ذلك، وإنما يستوحى في كل ذلك إيماننا بصدق الوحي الإلهي، والإخبار النبوي من جهة ووضع هذه الوقائع في نطاق المشيئة والقدرة الإلهية المقومين لوجود الخلق وقوانينه جميعاً من جهة أخرى؛ ولذلك فلا محل لهذا الإشكال. وربما بهذا اللحاظ ضرب الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أمثلة لذلك من تاريخ الأنبياء والأولياء خاصة، إدراكاً منهم لعدم وجود ما يمكن القياس عليه في الحياة العادية مما يجعل استيعابه وتحمله صعباً حين ينظر إليه ضمن الأطر الطبيعية والعادية، ولذلك ففي الوقت الذي تقدموا فيه بالإخبار عن هذه الغيبة الطويلة بدءاً من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى الحسن العسكري عليه السلام لإعطائها موقعها ضمن مخطط المشيئة الإلهية للرسالة في آخر شهودها من الأوصياء عليهم السلام ضربوا الأمثال بما هو معروف ومسلم في تاريخ بعض الأنبياء والأولياء لتوضع في الإطار نفسه، فإذا كان ما يشبه ذلك قد كان في واقع سابق ـ حين شاءه الله ـ فإن هذا أيضاً كذلك.

روى الصدوق بسنده عن محمد بن جعفر عن أبيه عن جده علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: عاش أبو البشر آدم عليه السلام سبعمئة وثلاثين سنة، وعاش نوح عليه السلام ألفي سنة وأربعمئة وخمسين (الرواية)[1].

وبسنده عن سعيد بن جُبير قال: سمعت سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام يقول: في القائم سنة من نوح عليه السلام وهو طول العمر[2].

ومما جاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في الرواية السادسة عنه، وهو يتحدث عن الإمام المهدي عليه السلام قال: «قدّر مولده تقدير مولد موسى وقدّر غيبته تقدير غيبة عيسى، وقدر إبطاءه إبطاء نوح (يعني من حيث النصر

---

(١) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٨٧ و٤٨٨.
(٢) راجع: ص ٨٧ من هذا الكتاب.

والفرج)، وجعل له من العمر من بعد ذلك عمر العبد الصالح أعني الخضر».
وبعد أن تحدث عمّا قصد إليه من التقدير في الأولين قال: «وأما العبد الصالح؛ أعني الخضر، فإن الله تبارك وتعالى ما طوّل عمره لنبوة قدّرها له، ولا لكتابٍ نزل عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بل إن الله تبارك وتعالى لما كان في سابق علمه أن يقدّر عمر القائم عليه السلام ما يقدّر من عمر الخضر، وقدّر في أيام غيبته ما قدّر، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك من العمر في الطول، فطول عمر العبد الصالح في غير سبب يوجب ذلك إلا لعلة الاستدلال به على عمر القائم وليقطع بذلك حجة المعاندين»[1].

ولم يجد من كتب في الإمام المهدي عليه السلام وتناول غيبته الطويلة ما يقدمه في ذلك عدا تقديم المزيد من الأمثلة للمعمرين، كما جاء في أخبار أهل البيت أو في كتب العهدين أو لدى أرباب السِّيَر.

وقد عقد الصدوق (المتوفى سنة ٣٨١هـ.) باباً؛ هو الباب الخمسون من كمال الدين وتمام النعمة، ذكر فيه ما جاء في التعمير والمعمرين، ثم ذكر في الأبواب (٥١)، (٥٢)، (٥٣)، (٥٤)، (٥٥)، (٥٦) و(٥٧) قصصاً كثيرة لمعمرين جاوزوا الحدود الطبيعية والعادية في أعمارهم.

وقال: «فإذا صح التعمير لمن تقدم عصرنا، وصح الخبر بأن السنّة جارية بذلك في القائم الثاني عشر من الأئمة، فلِمَ لا يجوز أن يعتقد أنه لو بقي في غيبته ما بقي لم يكن القائم غيره؟»[2].

ومثل ذلك فعل الشيخ الطوسي، فقد ذكر الإشكال بطول العمر وكونه ـ بزعم المخالف ـ خارقاً للعادة، فكيف انتقضت فيه ولا يجوز انتقاضها إلا على يد الأنبياء؟

---

(١) راجع ما أوردناه عن الإمام الصادق عليه السلام في البحث الثاني من الفصل الأول.
(٢) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٨٧ ـ ٥٣٦.

وأجاب بوجهين:

أحدهما: عدم التسليم بكون ذلك خارقاً لجميع العادات، بل العادات في ما تقدم جرت بمثلها، وذكر أمثلة كالخضر، وأصحاب الكهف، ونوح الذي لبث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً عدا ما ذكرته (الأخبار) وأهل السير من أنه عاش قبل الدعوة وبعد الطوفان عمراً طويلاً مضافاً.

وقال: «فإذا كان المخالف لنا ممن يحيل ذلك (يعني العمر الطويل) من المنجمين وأصحاب الطبائع (يقصد أنهم لا يؤمنون بمشيئة الخالق) فالكلام معهم في أصل هذه المسألة، وأن العالم مصنوع وله صانع أجرى العادة بقصر الأعمال وطولها، وأنه قادر على إطالتها وعلى إفنائها. فإذا بيّن ذلك سهل الكلام.

وإذا كان المخالف ممن يسلم بذلك غير أنه يقول: هذا خارج عن العادات، فقد بيّنا أنه ليس بخارج عن جميع العادات، فإن قيل: خارج عن عاداتنا، قلنا: وما المانع منه؟ فإن قيل: ذلك لا يجوز إلا في زمن الأنبياء عليهم السلام، قلنا: نحن ننازع في ذلك وعندنا يجوز خرق العادات على يد الأنبياء والأئمة والصالحين، وأكثر أصحاب الحديث يجوزون ذلك وكثير من المعتزلة والحشوية وإن سمّوا ذلك كرامات كان خلافاً في العبارة»[1].

وساق الشيخ المجلسي ما ملأ ٦٨ صفحة في الحديث عن المعمرين، وقال في آخره ـ ومعه في ذلك الحق ـ: «وإنما أطلت في ذلك مع قلة الجدوى تبعاً للأصحاب، ولئلا يقال: هذا كتاب عارٍ عن فوائدهم»[2].

وسلك هذا السبيل عدد من علماء أهل السنة الذين يؤمنون بأن المهدي عليه السلام هو محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، ومنهم سبط ابن الجوزي الحنفي، فقد ساق ما ذكر في التوراة، وما رواه محمد بن إسحاق ممن عمّروا أعماراً طويلة[3].

---

(١) الطوسي، الغيبة، ص ٧٨ ـ ٨٦.
(٢) المجلسي، البحار، م٥١، ص ٢٢٥ ـ ٢٩٣.
(٣) تذكرة الخواص، ص ٣٦٤.

ومنهم الحافظ محمد بن يوسف الكنجي القرشي الشافعي، فقد قال وهو يتناول هذه المسألة: «إنه لا امتناع في بقائه بدليل بقاء عيسى وإلياس والخضر من أولياء الله تعالى. وبقاء الدجال وإبليس الملعونين». قال: «وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنّة وقد اتفقوا عليه ثم أنكروا جواز بقاء المهدي وها أنا أبين بقاء كل واحد منهم».

ثم قال: «أما عيسى، فالدليل على بقائه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩]».

وذكر ما مضمونه أن ذلك لم يتحقق منذ نزول الآية إلى يومنا هذا، فلا يكون في آخر الزمان..

واستدل أهل السنة بما رواه مسلم في صحيحه بإسناده عن النوّاس بن سمعان في حديث طويل عن الدجال قال فيه: «إذ بعث الله المسيح بن مريم عند المنارة البيضاء شرقيّ دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين»[1].

واستدل على بقاء عيسى عليه السلام بما روته الصحاح والمسانيد، ومنها قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»[2].

وقال: أما الخضر وإلياس فقد قال ابن جرير الطبري: «الخضر وإلياس باقيان يسيران في الأرض». وساق حديثاً رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري، قال: «حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال فكان في ما حدثنا أنه قال: يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فيخرج إليه يومئذٍ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله حديثه. فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم

---

(١) صحيح مسلم، ج٤/٢٢٥٣، دار الحديث ـ القاهرة.

(٢) صحيح البخاري، بحاشية السندي، م٢، ص ٢٦٥، وصحيح مسلم، م١، ص ١٣٦ و١٣٧، دار الحديث، ومسند أحمد بن حنبل، ج٢، ص ٣٣٦، وج٣، ص ٣٦٧.

أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه فيقول حين ذلك (أي الرجل المقتول والمحيا): والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن.. قال: فيريد الدجال أن يقتله ثانياً فلا يسلط عليه»[1].

قال: قال أبو إسحاق (وهو أبو إبراهيم محمد بن سعد) يقال: إن هذا الرجل هو الخضر.

واستدل على بقاء الدجال بحديث رواه مسلم في صحيحه وقال: إنه بهذه الصفة لم يخرج لحد الآن[2].

وذكر أن الدليل على بقاء إبليس اللعين آي الكتاب نحو قوله: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤ و ١٥].

أما بقاء المهدي عليه السلام فقد جاء في الكتاب والسنّة:

أما الكتاب، فقد قال سعيد بن جبير في تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]: هو المهدي من عترة فاطمة عليها السلام، وأما من قال: إنه عيسى عليه السلام فلا تنافي؛ إذ هو مساعد للإمام كما تقدم. وقد قال مقاتل بن سليمان ومن شايعه من المفسرين في تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١]: هو المهدي عليه السلام يكون في آخر الزمان وبعد خروجه يكون قيام الساعة، وأماراتها[3].

قال رحمه الله: «فما المانع من بقاء المهدي عليه السلام مع كون بقائه باختيار الله، وداخل تحت مقدوره سبحانه، وهو آية الرسول صلى الله عليه وآله؟». ثم ذكر حكمة بقاء عيسى عليه السلام والدجال. وقال: «فعلى هذا هو (يعني المهدي عليه السلام) أولى بالبقاء من الاثنين؛ لأنه الداعي إلى الملة المحمدية التي

(١) شرح صحيح مسلم النووي، ج١٧، ص ٧١.

(٢) الكنجي الشافعي، البيان في أخبار صاحب الزمان، المطبوع مع مناقب علي بن أبي طالب للمؤلف نفسه، ص ٥٢٧ و٥٢٨.

(٣) ستأتي آيات أخرى في الفصل الرابع البحث الثاني.

هو إمام فيها، وأما عيسى فمصدق له وسبب لإيمان أهل الكتاب، أما الدجال فلاختبار العباد وامتحانهم».

قال: «فصار بقاء الإمام المهدي عليه السلام أصلاً وبقاء الاثنين فرعاً على بقائه، فكيف يصح بقاء الفرعين وعدم بقاء الأصل؟»[١].

وذكر إشكالاً تافهاً لا أصل له ردده المشككون، وهو امتناع بقائه في السرداب من دون أن يقوم أحد بطعامه وشرابه، وأجاب: «إن الله الذي أحيا المسيح في السماء وأبقى الدجال مقيداً حياً يمكن أن يتكفل له بذلك بما شاء، فقدرته وخزائنه لا تضيق عن ذلك»[٢].

والصحيح في الإجابة: إن البقاء في السرداب لا أصل له، ولا يوجد في شيء من الأخبار الواردة في المصادر التي تتحدث عن الإمام المهدي عليه السلام وغيبته، ولو افترضنا صحة أن يكون قد دخل بيته عليه السلام الذي هو في موضع هذا السرداب، ولم يرَ بعدئذٍ فلا يعني ذلك بقاءه، ومكثه فيه...

وما نسج حول ذلك من أساطير[٣]، ونظم من شعر ساخر بناءً عليه، لا يجد أساساً حتى ولو كان واهياً تبرأ فيه ذمة صاحبه العلمية أمام الله، بل هو محض افتراء، وقد أشارت روايات أهل البيت عليهم السلام من قبل إلى ما يتعرض له المؤمنون من أذى في ذلك[٤].

---

(١) بتصرف واختصار، الكنجي الشافعي، البيان في أخبار صاحب الزمان، الباب ٢٥، ص ٥٢١ ـ ٥٣٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) زعموا أن شيعة أهل البيت عليهم السلام يقفون كل صباح إلى الليل بخيولهم على باب ذلك السرداب منادين: أخرج يا مولانا. قال ابن حجرالهيتمي في الصواعق المحرقة، ص ١٦٨، ط٢، مصر سنة ١٩٦٥م: لقد صاروا بذلك وبوقوفهم بالخيل على ذلك السرداب وصياحهم بأن يخرج إليهم ضحكة لأولي الألباب. ولقد أحسن القائل:

ما آن للسرداب أن يلد الذي كلمتموه بجهلكم ما آنا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثلثتم العنقاء والغيلانا

(٤) راجع ما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام من هذا الكتاب، وما ورد عن الإمام الجواد عليه السلام في ص ٨٦ و٩٤ منه.

وربما كان الأساس في هذا الافتراء زيارة المؤمنين لدار الإمام عليه السلام ودعاءهم بتعجيل الظهور مما هو مستمر حتى الآن، وهو ما لا علاقة له بالفرية.

وقد تناول العلامة الحجة السيد محسن الأمين (رحمه الله) هذه الفرية، ورد عليها في قصيدته التي مثّلت هي وشرحها قوام كتابه «البرهان»، فقال:

لنا نسبوا شيئاً ولسنا نقوله	وعابوا بما لم يجر منا له ذكر
بأن غاب في السرداب صاحب عصرنا	وأمسى مقيماً فيه ما بقي الدهر
ويخرج منه حين يأذن ربه	بذلك لا يعروه خوفٌ ولا ذعرُ
أبينوا لنا من قال منا بهذه	وهل ضم هذا القول من كتبنا سفر
وإلا فأنتم ظالمون لنا بما	نسبتم وإن تأبوا فموعدنا الحشر[1]

وخاتمة القول في القضية ما ذكرناه، في صدر حديثنا عنها، من أن ذكر الأمثال من أصحاب الأعمار الطويلة، لا يعطي أكثر من وقوع ذلك بالنسبة لأشخاص عدا الإمام عليه السلام لنفي استبعاد بعض الناس ـ لما لم يقع تاريخياً ـ حتى ولو قام عليه البرهان عقلاً ونقلاً... وإلا فلا علاقة ولا تلازم بين ذلك وبين وقوعه للإمام عليه السلام، والصحيح هو الرجوع إلى ما هو الأساس في ذلك؛ وهو ثبوته بالنصوص المتواترة عن المعصومين عليهم السلام من جهة، وأنه واقع تحت القدرة والمشيئة الإلهية من جهة ثانية.

على أن مصدر العلم بما وقع من الأمثال هو المصدر الذي ترجع إليه قضية الإمام عليه السلام كما ذكرنا، وهذه النصوص وما ورد في الإمام المهدي عليه السلام أكثر مما ورد في بعض هذه من حيث دلالته، والقطع بصدوره بحكم تواتره وبحكم الملازمة بين خلود الرسالة الإسلامية وبقاء شاهدها آخر الأوصياء عليهم السلام، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين: «وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» لا في المفاهيم والأحكام فقط، بل في الوجود أيضاً، وهو ما يثبته بقاء الإمام المهدي عليه السلام.

(١) السيد محسن الأمين، البرهان على وجود صاحب الزمان، ص ١٠٤.

قال المحدث أحمد بن حجر الهيتمي المكي (المتوفى سنة ٩٧٤هـ.):

«في أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت عليهم السلام إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض، كما يأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي»[1] (بقية الحديث): «ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عزّ وجلّ فانظروا من توفدون»[2].

وخاتمة القول إن الأمثلة ـ في ما عدا ما هو ثابت في الكتاب أو السنة أو الواقع ـ لا مجال للقياس عليها لعدم وجود ما يثبتها، على أن القياس إنما يحتاجه في مسألة كهذه ـ ترتبط بالإرادة الإلهية ـ من لا يستطيع أن يؤمن أو يطمئن بقضية إلا إذا كان قد وجد نظيرها في الواقع، وهو خلاف المفروض في أمر قام الدليل القطعي عليه وُجِدَ النظير والمماثل أو لم يوجد.

ولذلك فالأساس ـ في الإيمان بالغيبة الكبرى وحياة الإمام عليه السلام وبقائه حجة لله في الأرض ـ ما شاءه الله، وهو ما ذكرناه في بداية الحديث.

أما التساؤل عن الحكمة من ذلك فهو موضوع البحث التالي.

---

(١) ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص ١٥١، ط٢، سنة ١٩٦٥م، شركة الطباعة الفنية المتحدة ـ القاهرة.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٠.


الإمام المهدي
قدوة وأسوة



١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

هوية الكتاب:

* **الكتاب**: الإمام المهدي عليه السلام قدوة وأسوة.
* **المؤلف**: المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي.
* **الطبعة**: الثانية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
* **الناشر**: مركز العصر للثقافة والنشر، لبنان، بيروت. (alasrr@gmail.com).

دار كميل للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، طريق المطار، ص.ب: ٧٩٥٧/ ١١ (dar_komail@yahoo.com).

أمـام الإيمان بحيـاة الإمام. إذاً، اسـمحوا لنا ببحث قضيـة طول العمر أولاً، قبل مناقشة هذه النظرية.

قضية طول العمر:

إن ربنا سـبحانه بمنّه القديم ورحمته الواسـعة شـاء أن يُتِمَّ الحجة عـلى عباده بأن بعث إليهم رسـله دون أن يـترك الأرض من دون حجة قائمة.

وأمدّ الله في عمر خاتم الأوصياء إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لكي يبقى السبب المتصل بين الأرض والسماء، فإذا انقطع الوحي فلا تنقطع الصلة الغيبية عبر ولي من أولياء الله.

وقـدرة الله، التـي نفـذت في كل شيء والتي خلق بها السـماوات والأرض، لا تعجزه سبحانه عن تطويل عمر الإنسان.

ونحن -بصفتنا مسـلمين- نعتقد بأن الله أمدّ في عمر نوح عليه السلام ٩٥٠ عاماً بل أكثر، وأن عيسى وإدريس والعبد الصالح (خضر) أحياء؛ فكيف لا نؤمن بالعمر الطويل الذي عمَّره الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف.

ولكن دعنا نذكر فيما يلي نظر العلم الحديث في إمكانية طول عمر الإنسـان، لعلمنا أن أمام بعض الناس مشـكلة نفسية لا تدعهم يؤمنون بالإمام الغائب:

١- جـاء في مجلة الهلال - الجزء الخامس من السـنة الثامنة والثلاثين (ص ٦٠٧ مارس ١٩٣٠)- تحت عنوان: (كم يعيش الإنسان؟) ما يلي[1]:

(١) أوردنا قصته من كتاب (منتخب الأثر) ص ٧٧.

يعتقد بعض العامة وبعض الخاصة حتى من الأطباء أن مدى عمر الإنسان سبعون سنة على المتوسط -كما جاء في التوراة- وقَلَّ أن يُجاوز ذلك، وقد وقف رئيس مدرسة طبية ذات يوم خطيباً في تلاميذه فقال: إن الأدلة الباثولوجية تدل دلالة على أن أنسجة الجسم تبلى بعد مرور زمان ما، وأن هناك حدًّا محدوداً لعمر الإنسان.

فإذا صحَّ قول هذا المدبر فإن الأسباب الكثيرة التي تنشأ منها دورة العمر هي ثابتة غير متغيرة -دون متناول العلم-، ولنفترض أن منطقة (قنال بناما) المشهورة بالأمراض الكثيرة قُطِعَتْ عن سائر العالم، وكنا نحن فيها نجهل أحوال الحياة والموت في العالم -الذي وراءها- لكنا نقول: إن كثرة الوفيات في هذه المنطقة وقصر العمر أمور معينة بحكم الطبيعة، وأن التحكم فيها دون متناول العلم، فالفرق بين الأمرين هو في الشخص لا في النوع، فإن جهلنا لأسباب بعض الأمراض هو الذي يحول دون تقليل الوفيات وإطالة العمر -في العالم- ودورة العمر كما نسميها متغيرة قابلة لتأثير العلم فيها، والذي يعارضني في ذلك أسئلة: أي دورة من أدوار العلم هي ثابتة ؟

دورة العمر في الهند أم في نيوزلندا؟ أم في أمريكا أم في منطقة القنال؟ وأي الحِرَف نحترفها نقول عنها: إن دورة العمر فيها ثابتة طبيعية، أحِرفة الفلكي التي تكون الوفيات فيها من ١٥ إلى ٤٠ سنة تحت المتوسط؟ أم المحاماة التي تكون الوفيات فيها من ٥ سنوات إلى ١٥ سنة فوق المتوسط؟ أم تنظيف الشبابيك التي تكون الوفيات فيها من ٤٠ إلى ٦٠ سنة فوق المتوسط؟ هذه أمثلة على الفرق بين الوفيات في متوسط الوفيات بين بعض الحرف على ما فيها من إحصاءات بعض

شركات التأمين.

وهناك أدلة كثيرة على أن أدوار الحياة بين الأحياء، ومنها الإنسان، تغـيَّرت تغـيراً عظيماً بالوسـائل الصناعيـة، وأن أدوار الحياة -في بعض الأحياء- تزيد كثيراً على ما للإنسـان. فلماذا تعيش السلحفاة مائتي سنة والإنسـان سبعين سـنة؟ ولماذا تعيش الخلايا الداخلية في بعض الأحياء أربعمائة سنة وفي الأنسان أقل؟

وقد يقال جواباً عن هذا السؤال:

إن الإنسـان يدفـع بذلـك عن عيشـته الحضارية الراقيـة وتركيبه الراقـي، فالشـجرة المشـار إليهـا -تمكث في بقعـة واحـدة- فتظهر فيها جميلـة، ولكـن أليس بين الرجال والنسـاء مـن لا يصنع أكثـر مما تصنع الشجرة، وينال أجراً على ذلك؟!

وتجـارب المختـبرات البيولوجية ذات مغزى كبير؛ فقد اسـتطاع بعـض العلـماء اسـتنبات بعـض الدعاميـص -الضفـدع الصغير- من أجسـادها قبـل أوان خروجها بتغيير مقدار الأوكسـجين -في الوسـط الموجودة فيه-، وهذا بمثابة تغيير جوهري في دورة حياة الدعاميص.

وكذلك تمكن آخرون من إطالة عمر ذبابة الأثمار (٩٠٠) ضعف عمرها الطبيعي بحمايتها من السـم والعدوى وتخفيض حرارة الوسـط الذي تعيش فيه.

وتمكن كارل بتجاربه من إبقاء الخلايا في قلب جنين دجاجة حيًّا مدة سبع عشرة سنة بصيانته عن بعض العوامل في المحيط الذي وضع فيه.

وإذا نظرنا إلى العوامل المتسـلطة على دورة حياة الإنسان، وجدنا

أنه إذا أخذنا شيئاً من المادة المعروفة باسم (الرانث) والمستخرجة من غدة درقية عليلة، أمكننا إعادتها إلى حالتها الطبيعية بحقنها بخلاصة غدة صحيحة، وكثيراً ما أنقذ الشخص المشرف على الموت بحقنة بخلاصة الكبد على أثر اشتداد اصابته بأنيميا خبيثة وموته بها لا يختلف بمبدئه عن الموت بالشيخوخة، ويعاد المصاب بالسكر إلى حالته الطبيعية بحقنة بخلاصة البنكرياس.

وامتدت يد العلماء إلى أصل الجينات -وقد كان يظن أنه لا يمكن العبث بها-، فتمكنوا من تغيير جنس الضفادع والطيور من الذكور والإناث والعكس، ولم يُجَرب ذلك بعدُ في الإنسان، ولكن مادام هذا المبدأ يؤيد في الحيوان فلا يمنع تأييده في الإنسان إلَّا جهلنا لأشياء لابد أن تبدو لنا في المستقبل.

٢- وقال الأستاذ (فورد نوف): قد عملت إلى الآن (٦٠٠) عملية ناجحة، وأقول الآن عن اقتناع: إنه لا ينصرم القرن حتى يمكن تجديد قوى الشيوخ، وإزالة غبار السنين عن وجوههم كثيرة الغضون والأسارير، وأجنابهم المحدودبة الهزيلة، ويمكن أيضاً تأخير الشيخوخة ومضاعفة العمر الذي هو الآن سبعين سنة على الغالب، وسيبقى الدماغ والقلب صحيحين إلى الآخر، وقد يمكن تغيير الصفات والشخصيات والعادات بهذه الطريقة، ونقل الجرائم وتخلق العبقريات، وتُفرَّغ الشخصيات في قوالب على حسب الطلب[1].

٣- العلماء الموثوق بعلمهم يقولون: إن جل الأنسجة الرئيسية من جسم الحيوان تقبل البقاء إلى ما لا نهاية له، وإنه في الإمكان أن يبقى

(١) تفسير الجواهر، ج ٢٢٤، عن مجلة كل شيء. انظر المصدر المتقدم، ص ١٧٩.

الإنسان حيًّا ألوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته. وقولهم هذا ليس مجرد ظن، بل هو نتيجة علمية مؤيدة بالامتحان[1].

فقد تمكن أحد الجراحين من قطع جزء من حيوان وإبقائه حيًّا أكثر من السنين التي يحياها ذلك الحيوان عادة. أي صارت حياة ذلك الجزء مرتبطة بالغذاء الذي يقدم لها بعد السنين التي يحياها، فصار في الإمكان أن يعيش إلى الأبد مادام الغذاء اللازم موفوراً له.

وهذا الجراح هو (الكسيس كارل) من المشتغلين في معهد (روكفلر نيويورك)، وقد امتحن ذلك في قطعة من جنين الدجاج فبقيت تلك القطعة حية نامية أكثر من ثمان سنوات، وهو وغيره امتحنا قطعاً من أعضاء جسم الإنسان -من أعضائه وقلبه وجلده وكليته- فكانت تبقى حية نامية مادام الغذاء اللازم موفوراً لها، حتى قال الأستاذ (ديمند وبرل) من أساتذة جامعة جونز هو بكنز:

«إن كل الأجزاء الخلوية الرئيسية من جسم الإنسان قد ثبت: أن خلودها بالقوة صار أمراً مثبتاً بالامتحان أو مرجحاً ترجيحاً تاماً لطول ما عاشته حتى الآن».

إلى أن قال الدكتور كارل: شرع في التجارب المذكورة في شهر يناير سنة ١٩١٢ م، ولقي عقبات كثيرة في سبيله فتغلب عليها هو ومساعدوه، فثبت له:

أولاً: أن هذه الأجزاء الخلوية تبقى حية ما لم يعرض لها عارض يميتها، أما من قلة الغذاء أو من دخول بعض الميكروبات.

(١) نفس المصدر.

ثانيا: أنْ لا تأثير للزمن، أي أنها لا تشيخ وتضعف بمرور الزمن، بـل لا يبدو عليها أقل أثر للشـيخوخة، بـل تنمو وتتكاثر هـذه السـنة كما كانت تنمـو وتتكاثر في السـنة الماضية وما قبلهـا من السـنين، وتـدل الظواهـر على أنها سـتبقى حية ناميـة مـادام الباحثـون صابريـن عـلى مراقبتهـا، وتقديم الغذاء الكافي لها، فشـيخوخة الأحياء ليست سبباً، بل هي نتيجة.

لكـن لماذا يموت الإنسـان ولماذا نرى سـنينه محـدودة لا تتجاوز المائة إلا نادراً جدًّا وغايتها العادية سبعون أو ثمانون؟

الجواب:

إن أعضاء جسـم الإنسـان كثـيرة ومختلفة، وهـي مرتبطة بعضها ببعـض ارتباطـاً محكـماً حتى أن حيـاة بعضها تتوقف على حيـاة البعض الآخـر، فإذا ضعـف بعضها ومات لسـبب من الأسـباب مـات بموته سـائر الأعضـاء. ناهيـك بفتـك الأمـراض الميكروبية المختلفـة، وهذا ممـا يجعل متوسـط العمـر أقل جـدًّا من السـبعين والثمانين. لا سـيما أن كثيريـن يموتون أطفـالاً، وغاية ما ثبـت الآن من التجـارب المذكورة: أن الإنسـان لا يموت لأن عمره كذا من السـنين -سـبعين أو ثمانين أو مائة أو أكثر- بل لأن العوارض تنتاب بعض الأجزاء فتتلفها ولارتباط أعضائـه بعضها ببعـض تموت كلها، فإذا اسـتطاع العلم أن يزيل بعض العوارض أو يمنع فعلها لم يبقَ مانع اسـتمرار الحياة مئات من السـنين، كما يحيا بعض أنواع الأشـجار، وقلّ ما تنتظر العلوم الطبيعية والوسائل الصحية هذه الغاية القصوى، ولكن لايبعد أن نهايتها تضاعف متوسط

العمر أو يزيد ضعفين أو ثلاثة[1].

٤- وأكد تقرير نشرته الشركة الوطنية الجيوغرافية:

«أن الإنسان يستطيع أن يعيش (١٤٠٠) سنة إذا ما خُدِّر مثل بعض الحيوانات طيلة فصل الشتاء»[2].

وهكذا يأتي قولنا بإمكان طول العمر مدة من الزمن بعيدة مؤيداً بالتجارب الحديثة. فهل نجد من الشك أي مانع عن قبول ذلك إذا عرفت أن الله يريد أن يبقيه كذلك، وإذا أراد شيئاً وفَّرَ له أسبابه الطبيعية.

قال الإمام الصادق عليه السلام: **«أَبَى اللهُ أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِالْأَسْبَاب»**[3].

الدين وطول العمر:

هنا نبحث في الموضوع من جانب ديني بحت: إن من يعتقد بالدين من اليهود والنصارى والمسلمين، يؤمن بأن قدرة الله شاملة لكل الأمور ومنها مَدُّ عمر رجل يلزم أن يموت في السبعين فيزديه ألفاً، مثلاً.

وإن الاعتقاد بذلك ثابت لهم فعلاً، حيث إنهم لا يزالون يقبلون مبدئيًّا حياة كثيرين ممن تقدَّم تاريخ ميلادهم عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف مثل: خضر، إدريس، عيسى عليه السلام. كما يعتقدون بأنهم سوف يبقون أحياء في المستقبل أيضاً، وكذلك تدل كتبهم الدينية على امتداد حياة

(١) المصدر السابق عن مجلة المقتطف -العدد الثالث- السنة التاسعة والخمسون.
(٢) الإمام المهدي، ص ١٦٤.
(٣) بحار الأنوار، ج٢، ص٩٠.

أمة من الناس مدة طويلـة في الماضي السحيق، مثال آدم، الذي عاش في معتقـد اليهود ٩٣٠ سـنة، جاء في التوراة مـا هـذا نصه: «فكان كل أيام آدم التي عاشها تسعمائة سنة وثلاثين سنة ومات»[١].

وشيث الذي عاش على ما في التوراة (٩١٢ عاماً) حسبما جاء في النص: «فكانت كل أيام شيث تسعمائة واثني عشرة سنة ومات...»[٢].

وأما نوح فقد عاش عندهم ٩٥٠ سـنة، جاء في التوراة: «فكانت كل أيام نوح تسعمائة وخمسين سنة ومات...»[٣].

أما المسلمون فإنهم يعتقدون بحياة عيسى وخضر والإلياس.

وإن سرد هذه الحقائق تكفينا عن ذكر أسماء المعمرين بعدما ثبت أن طول العمر ممكن عقلاً وواقع فعلاً.

هل الإمام المهدي حي؟

لقد سبق القـول إن المذاهب الإسـلامية تتفق تقريبـاً على قضية المصلـح القائـم بأمر الله آخـر الدهر، وأنه ينتمي إلى رسـول الله ﷺ، وأنه ابـن فاطمة. وقد طفحت كتبهم بأحاديـث بلغت التواتر في إثبات ذلـك. كـما أنه قـد أَلَّف كثـيرٌ منهـم كتباً تبحـث عن الموضـوع بصورة مسـهبة. نعم لا ننكـر أن عدة منهم كثيرة شـذت عنهـم وقالت: حيث كانـت الأحاديث تحتـوي على بعض الغرائـب فإنها لم تقبـل التصديق. ولكـن الأحاديـث التـي تتضمن قضيـة المهدي ليسـت أكثـر غرابة مما

(١) سفر التكوين – الإصحاح الخامس – الآية: ٥.
(٢) سفر التكوين – الإصحاح التاسع – الاية: ٨.
(٣) سفر التكوين – الإصحاح التاسع – الآية: ٢٩.

موسوعة الإمام المهدي (عج)



في الإمام الثاني عشر عليه السلام

سماحة آية الله العظمى الشيخ

لطف الله الصافي الگلپايگاني

٢





دار المرتضى

طباعة، نشر، توزيع
بيروت لبنان، ص.ب ١٥٥/٢٥ الغبيـري
تلفاكس: ٠٠٩٦١١٨٤٠٣٩٢
خليوي: ٠٠٩٦١٧٠٩٥٠٤١٢
E-mail:mortada14@hotmail.com

DAR AL-MORTADA

Printing - publishing - Distributing
Lebanon - Beirut
PO Box: 155/25 Ghobiery
Tel-Fax: 009611840392
Mobile: 0096170950412
E-mail:mortada14@hotmail.com
Printed In Lebanon

جميع حقوق الطبع والاقتباس محفوظة
ولا يحق لأي شخص اومؤسسة طباعة
او ترجمة الكتاب او جزء منه إلا بإذن
خطي من المؤلف والناشر

الطبعة الثالثة
1429 هجريـة
2008 ميلادية

الفصل الحادي والثلاثون

في أنّه عليه السلام طويل العمر جداً

وفيه ٣٦٣ حديثاً

٦٤١ـ ١ـ كمال الدين: حدّثنا محمّد بن علي بن بشّار القزويني، قال: حدّثنا أبو الفرج المظفّر بن أحمد، قال: حدّثنا محمّد بن جعفر الكوفي، قال: حدّثنا محمّد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدّثنا الحسن بن محمّد بن صالح البزّاز، قال: سمعت الحسن بن عليّ العسكري عليهما السلام يقول: إنّ ابني هو القائم من بعدي، وهو الّذي تجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام بالتعمير والغيبة، حتّى تقسو القلوب لطول الأمد، فلا يثبت على القول به إلّا من كتب اللّه عزّ وجلّ في قلبه الإيمان، وأيّده بروحٍ منه[1].

١ـ كمال الدين: ج٢ ص٥٢٤ ب٤٦ ح٤، البحار: ج٥١ ص٢٢٤ ب١٣ ح١١.

(١) اعلم أنّه استبعد طول عمره بعضٌ من العامّة حتّى عاب الشيعة على قولهم ببقائه عليه السلام، وقال بعضٌ منهم: إنّ الوصيّة لاجهل الناس تصرف إلى من ينتظر المهدي عليه السلام، وأنت خبير بأن لاقيمة للاستبعاد في الأمور العلميّة، والمطالب الاعتقاديّة بعد ماقام عليها البرهان، ودلّت عليها الأدلّة القطعيّة من العقل والنقل، فهذا نوعٌ من سوء الظنّ بقدرة اللّه تعالى، وليس مبنى له إلّا عدم الانس، وقضاء العادة في الجملة على خلافه، وإلّا فيتّفق في اليوم والليلة بل في كلّ ساعة وآن أُلوفٌ من الحوادث والوقائع العادية في عالم الكون، حتّى في المخلوقات الصغيرة وما لايُرى إلّا ←

. . . .

← باعانة المكبّرات ممّا أمره أعجب وأعظم من طول عمر إنسان سليم الأعضاء والقوى، العارف بقواعد حفظ الصحّة، العامل بها، بل ليس مسالة طول عمره أغرب من خلقته وتكوينه وانتقاله من عالم الأصلاب الى عالم الأرحام، ومنه إلى عالم الدنيا، وبهذا دفع اللّه استبعاد المنكرين للمعاد في كتابه الكريم، قال اللّه تعالى: ﴿ **يا أيّها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثمّ من نطفة ...** ﴾ الآية، وقال: ﴿ **أو لم ير الإنسان أنّا خلقناه من نطفة ...** ﴾ الى آخر السورة، وقال عزّ من قائل: ﴿ **وقالوا ائذا كنّا عظاماً ورفاتاً ...** ﴾ الى آخر الآيات، هذا مع وقوع طول العمر في بعض الأنبياء كالخضر ونوح وعيسى وغيرهم عليهم السلام، وكيف يكون الإيمان بطول عمر المهديّ عليه السلام أمارة الجهل مع تصريح القرآن الكريم بإمكان مثله في قوله تعالى: ﴿ **فلولا أنّه كان من المسبّحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون** ﴾، ووقوعه بالنسبة إلى نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **فلبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً** ﴾، وبالنسبة إلى المسيح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **وان من أهل الكتاب إلاّ ليؤمننّ به قبل موته** ﴾، وقد أخبر أيضاً بحياة إبليس، وأنّه من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ولم ينكر ذلك أحد من المسلمين ولم يستبعده، وروى مسلم في صحيحه في القسم الثاني من الجزء الثاني في باب ذكر ابن صيّاد، والترمذي في سننه في الجزء الثاني، وابو داود في صحيحه في باب خبر ابن صائد من كتاب الملاحم روايات متعدّدة في ابن صيّاد وابن صائد، وأنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وآله احتمل أن يكون هو الدجّال الّذي يخرج في آخر الزمان، وروى ابن ماجة في صحيحه في الجزء الثاني في أبواب الفتن في باب فتنة الدجّال وخروج عيسى، وأبو داود في الجزء الثاني من سننه من كتاب الملاحم في باب خبر الجسّاسة، ومسلم في صحيحه في باب خروج الدجّال ومكثه في الارض حديث تميم الداري، وهو صريح في أنّ الدجّال كان حيّاً في عصر النبيّ صلّى اللّه عليه وآله، وأنّه يخرج في آخر الزمان، فإن كان القول بطول عمر شخصٍ من الجهل فلِمَ لم ينسب هؤلاء أحد بالجهل مع إخراجهم هذه الاحاديث في كتبهم وصحاحهم؟ وكيف ينسب بالجهل من يعتقد طول عمر المهدي عليه السلام مع تجويز النبيّ صلّى اللّه عليه وآله مثله في عدوّ اللّه الدجّال؟!

والحاصل: أنّ بعد وقوع طول العمر لاموقع للتعجّب منه، فضلاً عن الاستبعاد والقول باستحالته. قال السيّد ابن طاوس ـ رحمه اللّه ـ في الفصل ٧٩ من كشف المحجّة في مناظرته مع بعض العامّة: «لو حضر رجلٌ وقال: أنا امشي على الماء ببغداد، فإنّه ←

....

-» يجتمع لمشاهدته لعلّ من يقدر على ذلك منهم، فإذا مشى على الماء وتعجّب الناس منه فجاء آخر قبل ان يتفرّقوا وقال ايضاً: انا امشي على الماء، فإنّ التعجّب منه يكون أقلّ من ذلك فمشى على الماء، فإنّ بعض الحاضرين ربّما يتفرّقون ويقلّ تعجّبهم، فإذا جاء ثالث وقال: انا ايضاً امشي على الماء فربّما لايقف للنظر إليه إلاّ قليل، فإذا مشى على الماء سقط التعجّب من ذلك، فإن جاء رابع وذكر أنّه يمشي ايضاً على الماء فربّما لايبقى احد ينظر إليه ولايتعجّب منه، وهذه حالة المهدي عليه السلام، لانّكم رويتم انّ ادريس حيّ موجود في السماء منذ زمانه إلى الآن، ورويتم انّ الخضر حيّ موجود مذ زمان موسى عليه السلام أو قبله إلى الآن، ورويتم انّ عيسى حيّ موجود في السماء، وانّه يرجع إلى الارض مع المهديّ عليه السلام، فهذه ثلاثة نفر من البشر قد طالت اعمارهم، وسقط التعجّب بهم من طول اعمارهم، فهلاّ كان لمحمّدبن عبداللّه صلوات اللّه وسلامه عليه وآله أُسوة بواحد منهم ان يكون من عترته آية للّه جلّ جلاله في أُمّته بطول عمر واحد من ذرّيّته، فقد ذكرتم ورويتم انّه يملأ الارض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً؟ ولو فكرتم لعرفتم انّ تصديقكم وشهادتكم انّه يملأ الارض بالعدل شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً اعجب من طول بقائه، واقرب إلى ان يكون ملحوظاً بكرامات اللّه جلّ جلاله لاوليائه، وقد شهدتم ايضاً له انّ عيسى بن مريم النبيّ المعظّم عليهما السلام يصلّي خلفه، مقتدياً به في صلاته، وتبعاً له ومنصوراً به في حروبه وغزواته، وهذا ايضاً اعظم مقاماً ممّا استبعدتموه من طول حياته، فوافقوا على ذلك، انتهى».

وقال العلامة سبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص» ص٣٧٧: «وعامّة الإماميّة على انّ الخلف الحجّة موجود، وانّه حيّ يرزق، ويحتجّون على حياته بادلّة؛ منها: انّ جماعة طالت اعمارهم: كالخضر، وإلياس، فإنّه لايدرى كم لهما من السنين، وانّهما يجتمعان كلّ سنة فياخذ هذا من شعر هذا، وفي التوراة: انّ ذا القرنين عاش ثلاثة الاف سنة، والمسلمون يقولون: الفاً وخمسمائة، ونقل عن محمّدبن إسحاق اسماء جماعة كثيرة رُزقوا طول العمر، وقد اسرد الكلام في جواز بقائه عليه السلام مذ غيبته إلى الآن، وانّه لا امتناع في بقائه، انتهى».

واستدلّ الحافظ الكنجي الشافعي في كتاب «البيان»: ب٢٥ على ذلك ببقاء عيسى والخضر وإلياس، وبقاء الدجّال وإبليس، وذكر دليلاً على بقاء الدجّال مارواه مسلم في حديث طويل في الجساسة، انتهى.

←

. . . .

← وقد تضمّنت التوراة من المعمّرين أسماء جماعة كثيرة وذكر أحوالهم، ففي سفر التكوين الإصحاح الخامس الآية ٥ على مافي ترجمتها من اللغة العبرانيّة والكلدانيّة واليونانيّة إلى اللغة العربية ط بيروت سنة (١٨٧٠م): «فكانت كلّ أيّام آدم الّتي عاشها تسعمائة وثلاثين سنة ومات»، وفي الآية ٨ قال: «فكانت كلّ أيّام شيث تسعمائة واثنتي عشرة سنة ومات»، وفي الآية ١١: «فكانت كلّ أيّام أنوش تسعمائة وخمس سنين ومات»، وفي الآية ١٤: «فكانت كلّ أيّام قينان تسعمائة وعشر سنين ومات»، وفي الآية ١٧: «فكانت كلّ أيّام مهللئيل ثمانمائة وخمساً وتسعين سنة ومات»، وفي الآية ٢٠: «فكانت كلّ أيّام يارد تسعمائة واثنتين وستين سنة ومات»، وفي الآية ٢٣: «فكانت كلّ أيّام أخنوخ ثلثمائة وخمساً وستين سنة»، وفي الآية ٢٧: «فكانت كلّ أيّام متوشالح تسعمائة وتسعاً وستين سنة ومات»، وفي الآية ٣١: «فكانت كلّ أيّام لامك سبعمائة وسبعاً وسبعين سنة ومات»، وفي الإصحاح التاسع في الآية ٢٩: «فكانت كلّ أيّام نوح تسعمائة وخمسين سنة ومات»، وفي الإصحاح الحادي عشر في الآية ١٠ إلى١٧: «١٠ـهذه مواليد سام لما كان سام ابن مائة سنة ولد ارفكشاد بعد الطوفان بسنتين، ١١ـ وعاش سام بعدما ولد ارفكشاد خمسمائة سنة وولدبنين وبنات، ١٢ـ وعاش ارفكشاد خمساً وثلاثين سنة وولد شالح، ١٣ـ وعاش ارفكشاد بعدما ولد شالح اربعمائة وثلاث سنين وولدبنين وبنات، ١٤ـ وعاش شالح ثلاثين سنة وولد عابر، ١٥ـ وعاش شالح بعدما ولد عابر أربعمائة وثلاث سنين وولدبنين وبنات، ١٦ـ وعاش عابر أربعاً وثلاثين سنة وولد فالج، ١٧ـ وعاش عابر بعدما ولد فالج اربعمائة وثلاثين سنة وولدبنين وبنات»، وذكر في هذا الإصحاح جماعة غير هؤلاء من المعمّرين نقتصر بذكر اسمائهم، وهم: فالح، ورعو، وسروج، وناحور، وتارح. وفي الإصحاح الخامس والعشرين في الآية ٧ ذكر انّ إبراهيم عاش مائة وخمساً وسبعين سنة، وفي الآية ١٧ ذكر انّ إسماعيل عاش ١٣٧ سنة، هذا بعض مافي التوراة من اسماء المعمّرين، وهو حجّة على اليهود والنصارى.

وقال العلامة الكراجكي في «كنز الفوائد» في الكتاب الموسوم بالبرهان على صحّة طول عمر الإمام صاحب الزمان: إنّ أهل الملل كلّهم متّفقون على جواز امتداد الاعمار وطولها، وقال بعد ذكر بعض مافي التوراة: وقد تضمّنت نظيره شريعة الإسلام، ولم نجد أحداً من علماء المسلمين يخالفه أو يعتقد فيه البطلان، بل أجمعوا من جواز طول الأعمار على ماذكرناه، انتهى.

←

. . . .

← وقد نقل مثل ذلك عن المجوس والبراهمة والبودائيّة وغيرهم. ومن يريد الاطّلاع على احوال المعمّرين فليطلبها من «البحار»، وكتاب «المعمّرين» لابي حاتم السجستاني، وكتاب «كمال الدين»، و «كنز الفوائد» في الرسالة الموسومة بالبرهان على صحّة طول عمر الإمام صاحب الزمان، فقد ذكر في هذه الرسالة جماعة من المعمّرين، وأشبع الكلام في بيان الادلّة الدالّة على جواز طول الاعمار.

هذا كلّه مع ماثبت في علم الحياة، وعلم منافع الاعضاء، وعلم الطبّ من إمكان طول عمر الإنسان إذا واظب على رعاية قواعد حفظ الصحّة، وانّ موت الإنسان ليس سببه انّه عمّر تسعين او ثمانين او غيرهما، بل لعوارض تمنع عن استمرار الحياة، وقد تمكّن بعض العلماء كما ترى فيما نذكره عن «الهلال» من إطالة عمر بعض الحيوانات ٩٠٠ ضعف عمره الطبيعي، فإذا اعتبرنا ذلك في الإنسان وقدّرنا عمره الطبيعي (٨٠ سنة) يمكن إطالة عمره (٧٢٠٠٠ سنة). وإليك مقطع من بعض المقالة الّتي نشرتها مجلّة «الهلال» في الجزء الخامس من السنة الثامنة والثلاثين ص٦٠٧ مارس ١٩٣٠:

***

كم يعيش الإنسان؟

من قلم: طبيب إنجليزي

يعتقد العامّة وبعض الخاصّة حتّى من الاطبّاء انّ مدى عمر الإنسان سبعون سنة على المتوسّط كما جاء في التوراة، وقلّ ان يجاوز ذلك، وقد وقف رئيس مدرسة طبّيّة ذات يوم خطيباً في تلاميذه، فقال: إنّ الادلّة الباثولوجية تدلّ دلالة مقنعة على انّ انسجة الجسم تُبلى بعد مرور زمان ما، وانّ هنالك حدّاً محدوداً لعمر الإنسان. فإذا صحّ قول هذا المدير فإنّ الاسباب الكثيرة الّتي تنشا منها دورة العمر هي ثابتة غير متغيّرة دون متناول العلم. ولنفرض انّ منطقة قنال بناما المشهورة بامراضها الكثيرة قُطعت عن سائر العالم. وكنّا نحن فيها نجهل أحوال الحياة والموت في العالم الّذي وراءَها، لوحدث ذلك لكنّا نقول: إنّ كثرة الوفيات في هذه المنطقة وقصر العمر أُمور معيّنة بحكم الطبيعة، وانّ التحكّم فيها دون متناول العلم. الفرق بين الامرين هو في الدرجة لا في النوع، فإنّ جهلنا لاسباب بعض الامراض هو الّذي يحول دون تقليل الوفيات وإطالة الاعمار في العالم، ودورة العمر كما نسمّيها متغيّرة، قابلة لتاثير العلم فيها، والّذي يعارضني في ذلك أساله: ايّ دورة من أدوار العمر هي الثابتة؟ دورة العمر في الهند أم في نيوزيلند أم في أميركا أم في منطقة القنال؟ وايّ الحرف الّتي نحترفها نقول عنها: إنّ
←

. . . .

← دورة العمر فيها ثابتة وطبيعيّة، أحرفة الفلكي الّتي الوفيات فيها ١٥ إلى ٢٠ في المائة تحت المتوسط، أم المحاماة الّتي الوفيات فيها ٥ الى ١٥ فوق المتوسط، أم تنظيف الشبابيك الّتي الوفيات فيها ٤٠ إلى ٦٠ في المائة فوق المتوسط؟ هذه أمثلة على عظم الفرق في متوسط الوفيات بين بعض الحِرَف على مافي إحصاءات بعض شركات التأمين.

وهناك أدلّة كثيرة على انّ أدوار الحياة بين الاحياء ـ ومنها الإنسان ـ تغيّرت تغيّراً عظيماً بالوسائل الصناعيّة، وأنّ أدوار الحياة في بعض الاحياء تزيد كثيراً عمّا قُدِّر للإنسان، فلماذا تعيش السلحفاة ٢٠٠ سنة، والإنسان ٧٠ سنة؟ ولِمَ تعيش الخلايا الداخلية في بعض الاشجار ٤٠٠ سنة، وفي الإنسان اقلّ من ١٠٠ سنة؟ وقد يقال جواباً عن هذا: إنّ الإنسان يدفع بذلك ثمن عيشته الحضريّة الراقية، وتركيبه الراقي، فالشجرة المشار إليها تمكث في بقعة واحدة فتظهر فيها جميلة، ولكن اليس بين الرجال والنساء من لايصنع أكثر ممّا تصنعَ الشجرة وينال أجراً على ذلك؟

وتجارب المختبرات البيولوجيّة ذات مغزى كبير، فقد استطاع بعض العلماء استنبات افخاذ الدعاميص (صغار الضفادع) من أجسادها قبل أوان خروجها بتغيير مقدار الأكسجين في الوسط الموجودة فيه، وهذا بمثابة تغيير جوهري في دورة حياة الدعاميص. وكذلك تمكّن آخرون من إطالة عمر ذبابة الاثمار ٩٠٠ ضعف عمرها الطبيعي بحمايتها من السمّ والعدوى وتخفيض حرارة الوسط الّذي تعيش فيه. وتمكّن كارل بتجاربه من إبقاء الخلايا في قلب جنين دجاجة حيّاً مدّة سبع عشرة سنة بصيانته من بعض العوامل في المحيط الذي وُضع فيه.

وإذا نظرنا إلى العوامل المتسلّطة على دور حياة الإنسان وجدنا انّه إذا اخذنا شيئاً من المادّة المعروفة باسم «كراتن» والمستخرجة من غدّة درقيّة عليلة امكننا إعادتها إلى حالتها الطبيعيّة بحقنها بخلاصة غدّة صحيحة، وكثيراً ما أُنقذ الشخص المشرف على الموت بحقنه بخلاصة الكبد على أثر اشتداد إصابته بالإينميا الخبيثة، وموته بها لايختلف في مبدئه عن الموت على أثر الشيخوخة، ويعاد المصاب بالسكّر الى حالته الطبيعيّة بحقنه بخلاصة البنكرياس.

وامتدّت أيدي العلماء إلى أصل الجرثومة وقد كان يظنّ انّه لايمكن العبث بها، فتمكّنوا من تغيير جنس الضفادع والطيور من الذكور والإناث، والعكس، ولم يجرّب ذلك بعد في الإنسان، ولكن مادام هذا المبدأ قد تأيّد في الحيوان فلايمنع تأييده في الإنسان إلاّ ←

. . . .

← جهلنا لأشياء لابدّ أن تبدو لنا في المستقبل، انتهى.
وذكر الشيخ طنطاوي جوهري في الجزء ١٧ من تفسيره الّذي سماه بالجواهر ص ٢٢٤ في تفسير قوله تعالى: ﴿ومن نعمّره ننكّسه في الخلق﴾ مقالة نشرتها مجلّة «كلّ شيء»، تحكي عن إمكان إطالة العمر، وتجديد قوى الشيوخ، وانّ الأستاذ او الدكتور فورونوف الّذي طار اسمه في كلّ ناحية لا كطبيب بل كمبشّر بإمكان إطالة الاعمار إلى مافوق المائة، وبإمكان عود الشباب، تجارب ذلك في الحيوانات، قال: قد عملت إلى الآن (٦٠٠) عملية ناجحة، وأقول الآن عن اقتناع: إنّه لاينصرم القرن العشرون حتّى يمكن تجديد قوى الشيوخ، وإزالة غبار السنين عن وجوههم كثيرة الغضون والأسارير، واجسامهم المحدوبة الهزيلة، ويمكن ايضاً تاخير الشيخوخة، ومضاعفة العمر الّذي هو الآن ٧٠ سنة على الغالب، وسيبقى الدماغ والقلب صحيحين إلى الآخر، وقد يمكن تغيير الصفات والشخصيّات والعادات بهذه الطريقة، فتقلّ الجرائم، وتخلق العبقريّات، وتُفرغ الشخصيّات في قوالب على حسب الطلب.
وذكر ايضاً عن المجلّة المذكورة مقالة أُخرى ص٢٢٦ وهي هذه: «كم يجب أن نعيش؟ وفوائد أُخرى» يقول هوفلند احد العلماء الّذين صرفوا عنايتهم إلى درس الحياة في كتاب وضعه وجعل عنوانه (فنّ إطالة العمر): إنّ المرء يولد مستعداً للحياة قرنين من حيث تركيب بنيته ونظام قواه قياساً على مانراه في الحيوانات، اليس الإنسان حيواناً مثلها؟ على انّ هوفلند لم ينفرد في هذا الرأي، فكلّ الّذين يدرسون طبائع المخلوقات يرون رأيه، ويرون طلائع النور من ابحاثهم بإمكان إطالة العمر... الى أن قال: ويدعم هذا الرأي مانراه من حياة بعض الناس الّذين عاشوا اعماراً طويلة: إنّ هنري جنسكس الانجليزي الّذي ولد في ولاية يورك بانكلترا عاش (١٦٩ سنة) ولمّا بلغ سن ١١٢ كان يحارب في معركة فلورفيلد، وجون بافن البولندي عاش (١٧٥ سنة)، ورأى بعينه ثلاثة من أولاده يتجاوزون المائة من أعمارهم، ويوحنا سور تنغتون النرويجي الّذي توفّي سنة (١٧٩٧م) عاش (١٦٠ سنة)، وكان بين أولاده من هو في المائة وخمس سنوات، وطوز مابار عاش (١٥٢ سنة)، وكورتوال (١٤٤ سنة)، على انّ اكثر من عاش بين البشر حديثاً على ما يعرف هو زنجي بلغ (٢٠٠ سنة)، والإحصاءات تدلّ على انّ أعمار الناس اطول في أسوج، والنرويج، وانكلترا، منها في فرنسا، وايطاليا، وكلّ جنوب أُوربا، كما انّ الّذين عاشوا هذه الاعمار الطويلة إنّما عاشوها ببساطة، وكانت حياتهم جياة جدّ وعمل. ←

. . . .

← لامشاحة في أنّ العمل والعادات والاعتدال من العوامل الرئيسة لإطالة العمر، فالإفراط في كلّ أمر مع الانحراف عن النظام الطبيعيّ هو سبب تقصير اعمارنا... الخ.
والغرض من ذلك كلّه انّ مسالة طول العمر ليست من المسائل التي وقعت موقع إنكار العلماء وارباب المذاهب والاديان، بل قرّره كلّ واحد منهم من طريق فنّه وعلمه، أو من طريق دينه ومذهبه، فكلّما كان الإنسان بقواعد حفظ صحّة البدن اعرف يكون عمره أطول، وكلّما كان اسباب تقصير العمر اكثر يكون نصيبه من حياته أقل وعمره اقصر، قال بعض الاطبّاء: «الموت ينشأ عن المرض لا عن الشيخوخة»، والأمراض تنشأ من أسباب كثيرة، ليس بعضها تحت اختيار الإنسان نفسه كجهل آبائه وأمّهاته بقواعد حفظ الصحّة وعدم رعايتهم لها، فإنّ لسلامة مزاج الوالدين دخلاً عظيماً في اعتدال مزاج طفلهما، وهكذا رعايتهما لآداب النكاح وقواعده، وهكذا حسن تربيتهما له، وكسوء البيئة وفساد المحيط وغيرها، وبعضها تحت اختياره، فهو متمكّن عن إزالته، وذلك مثل الإفراط في الاكل والشرب، وعدم الترتيب والنظم الصحيح في الأفعال وأعمال الغرائز والقوى ممّا يوجب الاختلال في المزاج، ومثل الأخلاق الرذيلة والصفات السيّئة والمعتقدات الباطلة، فإنّها تورث الاضطرابات الروحيّة، والابتلاء بالوساوس الخبيثة الّتي لاتدع نفس الانسان في طمانينة وسكون، فلو انّ إنساناً سدّ هذه الابواب، وتسلّط على جميع ذلك ممّا يدخل النقص في بدنه وعمره، واعتدل في ماكله ومشربه وملبسه ومسكنه وغيرها، لّما كان لعمره وحياته حدّ، ولايمتنع بحسب القواعد العلميّة بقاؤه أبداً. نعم ثبت بأخبار الانبياء ان لابدّ لكلّ نفسٍ ان تذوق الموت، وانّ كلّ شيء فان، وأينما تكونوا يدرككم الموت، ولكن هذا لاينفي تعمير الانسان ألوفاً من السنين وأزيد.
ونختم الكلام في هذا الموضوع بذكر مقالة نقلت في (المهديّ) وغيره عن مجلّة «المقتطف» في الجزء الثالث من السنة التاسعة والخمسين في ذيل عنوان: (هل يخلد الإنسان في الدنيا؟).
وقالت: ماهي الحياة وما هو الموت، وهل قُدّر الموت على كلّ حيٍّ؟
كلّ حبّة حنطة جسمٌ حيٌّ، وقد كانت في سنبلة، والسنبلة تنبت من حبّة أُخرى، وهذه من سنبلة، وهلمّ جرّاً بالتسلسل، ويسهل استقصاء تاريخ ستّة آلاف سنةً او اكثر، فقد وُجدت حبوبه بين الآثار المصريّة والآشوريّة القديمة، دلالة على انّ المصريّين والآشوريّين والاقدمين كانوا يزرعونه، ويستغلّونه، ويصنعون خبزهم من دقيقه،
←

. . . .

← والقمح الموجود الآن لم يخلق من لاشيء، بل هو متسلسل من ذلك القمح القديم فهو جزء حيّ من جزء حيٍّ، وهلمّ جراً إلى ستة آلاف سنة أو سبعة، بل إلى مئات الألوف من السنين وحبوب القمح الّتي نراها ناشفة لاتتحرّك ولاتنمو، هي في الحقيقة حيّة مثل كلّ حيٍّ، ولاينقصها لظهور دلائل الحياة إلاّ قليل من الماء، فحياة القمح متّصلة منذ ألوف من السنين إلى الآن، وهذا الحكم يطلق على كلّ أنواع النبات ذوات البذور وذوات الأثمار، وما الحيوان بخارج عن هذه القاعدة، فإنّ كلّ واحد من الحشرات والاسماك والطيور والوحوش والدبابات حتّى الإنسان سيّد المخلوقات كان جزءاً صغيراً من والديه فنما كما نميا وصار مثلهما، وهما من والديهما وهلمّ جراً، والإنسان الّذي يخلف نسلاً يكون نسله جزءاً حيّاً منه كما أنّ البذرة جزء من الشجرة وهذا الجزء الحيّ تكوّن فيه جراثيم صغيرة جداً مثل الجراثيم الّتي كوّنت أعضاء والديه، فتكون أعضاؤه بالغذاء الّذي تتناوله وتمثّله فتصير نواة التمر نخلة ذات جذع وسعوف وعروق وثمر، وبذرة الزيتون شجرة ذات ساق وأغصان وورق وثمر، وقس على ذلك سائر أنواع النبات، وكذا بيوض الحشرات والأسماك والطيور والوحوش والدبابات حتّى الإنسان.
وهذا كلّه من الأمور المعروفة الّتي لايختلف فيها اثنان، ولكن الشجرة نفسها قد تعمّر ألف سنة أو ألفي سنة، والإنسان لايعمّر أكثر من سبعين أو ثمانين سنة، وفي النادر يبلغ مائة سنة، فالجراثيم المعدّة لإخلاف النسل تبقى حيّة وتنمو كما تقدّم، ولكن سائر أجزاء الجسم تموت كأنّ الموت مقدور عليه، وقد مرّت القرون والناس يحاولون التخلّص من الموت أو إطالة الأجل، ولاسيما في هذا العصر، عصر مقاومة الأمراض والآفات بالدواء والوقاية، ولم يثبت على التحقيق أنّ أحداً عاش فيه (١٢٠ سنة). *
لكنّ العلماء الموثوق بعلمهم يقولون: إنّ كلّ الانسجة الرئيسيّة من جسم الحيوان←

* **أقول**: الثابت على التحقيق خلاف ذلك، فإنّ في عصرنا عاشوا جماعة أكثر من ١٢٠ سنة، وكثيراً مانقرأ في الصحف والمجلات أنّ فلاناً عاش ١٧٠ سنة، أو أكثر، أو أقلّ، منهم الشيخ محمّد سمحان على ماهو المذكور في مجلّة فارسيّة (صبا) العدد ٢٩ من السنة الثالثة سنة (١٣٢٤ ش هـ) فقد عاش إلى السنة المذكورة (١٧٠ سنة)، ونقل ذلك عن مجلّة الاثنين المطبوعة في القاهرة، ومنهم السيّد ميرزا القاساني ساكن محلّة محتشم على مافي جريدة (برجم إسلام) العدد الثالث من السنة الثانية، فإنّه قد بلغ عمره (١٥٤ سنة)، والمعمّرون البالغون في العمر (١٢٠ سنة) كثيرون جداً، قد رأينا بعضهم، ولاحاجة لإثبات ذلك إلى نقل مافي الجرائد والمجلات والإحصائيّات.

. . . .

← تقبل البقاء إلى ما لانهاية له، وانّه في الإمكان أن يبقى الإنسان حيّاً أُلوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته، وقولهم هذا ليس مجرّد ظنّ، بل هو نتيجة عمليّة مؤيّدة بالامتحان.

فقد تمكّن احد الجرّاحين من قطع جزء من حيوان وإبقائه حيّاً أكثر من السنين الّتي يحياها ذلك الحيوان عادةً، اي صارت حياة ذلك الجزء مرتبطة بالغذاء الّذي يقدم له بعد السنين التي يحياها، فصار في الإمكان أن يعيش إلى الابد مادام الغذاء اللازم موفوراً له.

وهذا الجرّاح هو الدكتور الكسي كارل، من المشتغلين في معهد (ركفلر) بنيويورك، وقد امتحن ذلك في قطعة من جنين الدجاج، فبقيت تلك القطعة حيّة نامية أكثر من ثماني سنوات، وهو وغيره امتحنا قطعاً من اعضاء جسم الإنسان من أعضائه وعضلاته وقلبه وجلده وكليتيه، فكانت تبقى حيّةً ناميةً مادام الغذاء اللازم موفوراً لها، حتّى قال الأستاذ ديمند وبرل من أساتذة جامعة جونس هبكنس: إنّ كلّ الاجزاء الخلويّة الرئيسيّة من جسم الإنسان قد ثبت إمّا انّ خلودها بالقوّة صار امراً مثبتاً بالامتحان، او مرجّحاً ترجيحاً تامّاً لطول ماعاشته حتّى الآن، وهذا القول غاية في الصراحة والاهميّة على مافيه من التحرّس العلميّ، والظاهر انّ اوّل من امتحن ذلك في أجزاء من جسم الحيوان هو الدكتور جاك لوب، وهو من المشتغلين في معهد (ركفلر) أيضاً، فإنّه كان يمتحن توليد الضفادع من بيضها إذا كان غير ملقّح، فرأى انّ بعض البيض يعيش زماناً طويلاً وبعضها يموت سريعاً، فقاده ذلك إلى امتحان أجزاء من جسم الضفدع، فتمكّن من إبقاء هذه الاجزاء حيّة زماناً طويلاً، ثمّ اثبت الدكتور ورن لويس وزوجته أنّه يمكن وضع أجزاء خلوية من جسم جنين الطائر في سائل ملحيّ فتبقى حيّة، وإذا أُضيفت إليه قليل من بعض المواد الآلية جعلت تلك الاجزاء تنمو وتتكاثر، وتوالت التجارب فظهر انّ الاجزاء الخلويّة من ايّ حيوان كان يمكن أن تعيش وتنمو في سائل فيه مايغذّيها، ولكن لم يثبت ماينفي موتها إذا شاخت، فقام الدكتور كارل وجرّب التجارب المشار إليها آنفاً، فاثبت منها انّ هذه الاجزاء لاتشيخ الحيوان الّذي أُخذت منه، بل تعيش أكثر ممّا يعيش هو عادةً، وقد شرع في التجارب المذكورة في شهر يناير سنة ١٩١٢، ولقي عقبات كثيرة في سبيله، فتغلّب عليه هو ومساعدوه، وثبت له:

اوّلاً: انّ هذه الاجزاء الخلويّة تبقى حيّة مالم يعرض لها عارض يميتها، إمّا من قلّة الغذاء، أو من دخول بعض الميكروبات. ←

٦٤٢ ـ ٢ ـ كمال الدين: علي بن أحمد الدقّاق، ومحمّد بن أحمد الشيباني، قالا: حدّثنا محمّد بن أبي عبدالله الكوفي، عن موسى بن عمران النخعي، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي، عن حمزة بن حمران، عن أبيه حمران بن أعين، عن سعيد بن جبير، قال: سمعت

وثانياً: انّها لاتكتفي بالبقاء حيّة، بل تنمو خلاياها وتتكاثر كما لو كانت باقية في جسم الحيوان.

وثالثاً: انّه يمكن قياس نموها وتكاثرها، ومعرفة ارتباطها بالغذاء الّذي يقدّم لها.

ورابعاً: ان لاتاثير للزمن، أي انّها لاتشيخ وتضعف بمرور الزمن، بل لايبدو عليها اقلّ اثر للشيخوخة، بل تنمو و تتكاثر هذه السنة كما كانت تنمو وتتكاثر في السنة الماضية وماقبلها من السنين، وتدلّ الظواهر كلّها على أنّها ستبقى حيّة نامية مادام الباحثون صابرين على مراقبتها وتقديم الغذاء الكافي لها، فشيخوخة الاحياء ليست سبباً بل هي نتيجة.

ولكن لماذا يموت الانسان؟ ولماذا نرى سنيه محدودة لاتتجاوز المائة إلاّ نادراً جداّ، وغايتها العادية سبعون او ثمانون؟

والجواب: انّ أعضاء جسم الحيوان كثيرة مختلفة، وهي مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً محكماً، حتّى إنّ حياة بعضها تتوقّف على حياة البعض الآخر، فإذا ضعف بعضها ومات لسبب من الاسباب مات بموته سائر الاعضاء، ناهيك بفتك الامراض الميكروبيّة المختلفة، وهذا ممّا يجعل متوسط العمر اقلّ جداّ من السبعين والثمانين، لاسيّما وانّ كثيرين يموتون اطفالاً. وغاية ماثبت الآن من التجارب المذكورة انّ الإنسان لايموت لانّه عمّر كذا من السنين، سبعين او ثمانين او مائة او اكثر، بل لانّ العوارض تنتاب بعض اعضائه فتتلفها، ولارتباط اعضائه بعضها ببعض تموت كلّها، فإذا استطاع العلم ان يزيل هذه العوارض، أو يمنع فعلها، لم يبق مانع يمنع استمرار الحياة مئات من السنين، كما يحيى بعض أنواع الاشجار، وقلّما ينتظر ان تبلغ العلوم الطبيّة والوسائل الصحيّة هذه الغاية القصوى، ولكن لايبعد ان تدانيها فيتضاعف متوسط العمر، أو يزيد ضعفين أو ثلاثة انتهى.

وإن شئت زيادة توضيح على ذلك فراجع كتابنا «الإمامة والمهدويّة».

٢ـ كمال الدين: ج١ ص٣٢٢ ب٣١ ح٥؛ البحار: ج٥١ ص٢١٧ ب١٣ ح٥؛ الخرائج والجرائح: ج٢ ص٩٦٥؛ إثبات الهداة: ج٦ ص٣٩٩ ب٣٢ ح٢٥.

سيّد العابدين علي بن الحسين عليه السلام يقول : في القائم سنّة من نوح ، وهو طول العمر .

٦٤٣ ـ ٣ ـ غيبة النعماني : عبدالواحد بن عبدالله بن يونس ، عن أحمد بن محمّد بن رباح الزهري ، عن أحمد بن علي الحميري ، عن الحسن بن أيّوب ، عن عبدالكريم بن عمرو ، عن محمّد بن الفضيل ، عن حمّاد بن عبدالكريم الجلاّب ، قال : ذُكر القائم عند أبي عبدالله عليه السلام فقال : أما إنّه لو قد قام لقال الناس أنّى يكون هذا؟ وقد بُليت عظامه مذ كذا وكذا .

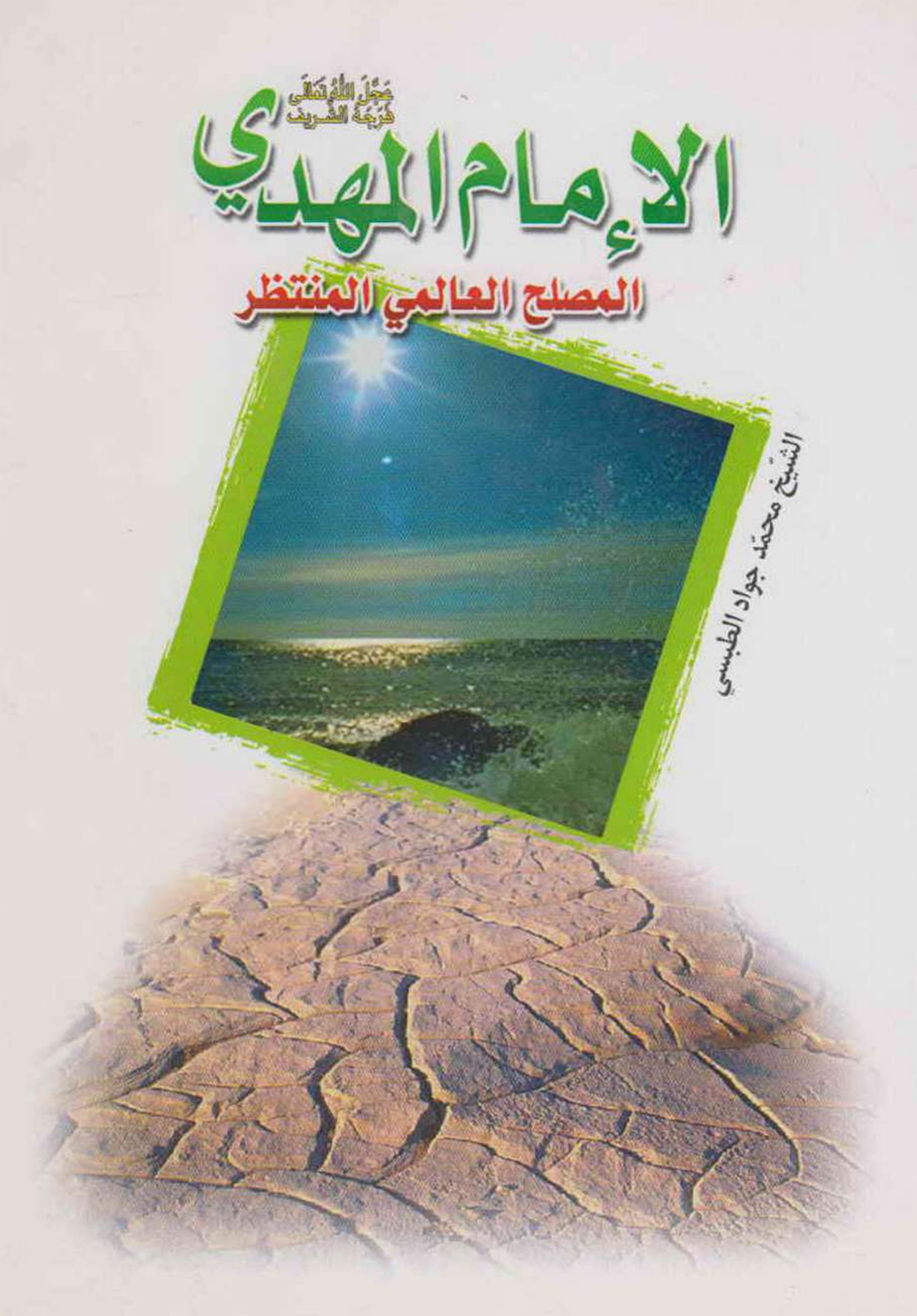
٦٤٤ ـ ٤ ـ الخرائج : عن الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال لأحمد بن إسحاق ـ وقد أتاه ليسأله عن الخلف بعده ، فلمّا رآه قال مبتدئاً ـ : مثله مثل الخضر ، ومثله مثل ذي القرنين ، إنَّ الخضر شرب من ماء الحياة ، فهو حيّ لايموت حتّى يُنفخ في الصور ، وإنّه ليحضر الموسم في كلّ سنة ، ويقف بعرفة فيؤمّن على دعاء المؤمن ، وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ، ويصل به وحدته ، فله البقاء في الدنيا مع الغيبة عن الابصار .

أقول : شباهته بذي القرنين من جهة بلوغه المشرق والمغرب ، ويحتمل ان تكون من جهةٍ أُخرى غيرها ؛ كالغيبة وطول العمر .

٣ـ غيبة النعماني : ص١٥٥ ب١٠ ح١٤ ؛ البحار : ج ٥١ ص٢٢٥ ب١٣ ذيل ح١٣ مع اختلاف يسير ؛ إثبات الهداة : ج٧ ص٦٦ و٦٧ ب٣٢ ف٢٧ ح٤٦٧ .

٤ـ الخرائج والجرائح : ج ٣ ص١١٧٤ ؛ كمال الدين : ج ٢ ص ٣٩٠ ب٣٨ ح ٤ رواه عن الإمام الرضا عليه السلام مع اختلاف في الراوي ، وهناك اختلاف يسير في الحديث ؛ البحار : ج٥٢ ص١٥٢ ب٢٣ ح٣ رواه عن الإمام الرضا عليه السلام ، وج ١٣ ص٢٩٩ ب١٠ ح١٧ كذلك رواه عن الإمام الرضا عليه السلام ؛ منتخب الانوار المضيئة : ص ٤٠ رواه عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام .

ويدلّ عليه بالمطابقة أو الالتزام أيضاً الروايات: ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٣٥ إلى ٥٣٩، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥١ إلى ٥٥٧، ٥٥٩، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٨٠، ٥٨٩، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠٢ إلى ٦٠٥، ٦٠٧ إلى ٦١٠، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٣ إلى ٦٢٦، ٦٣٢، ٦٤٥ إلى ٦٥٠، ٦٦٩، ٦٨٦، ولو أُضيف إلى هذه الاحاديث ـ بقرينة الروايات الواردة في أنّ الارض لاتخلو من الحجّة والإمام، والأدلّة العقلية القطعية المذكورة في الكتب الكلاميّة ـ جميع الروايات المذكورة في البابين الأوّل والثاني، فإنّها دلّت على انحصار الائمّة والحجج بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم في الاثني عشر، وانّ أوّلهم عليّ عليه السلام وآخرهم المهدي عليه السلام وانّ تاسعهم قائمهم والتاسع من ولد الحسين وأنّه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام يصير عدد هذه الطائفة من الاحاديث ٣٦٣ حديثاً لدلالة الجميع على هذا على بقائه وحياته منذ زمان ولادته إلى الآن، واللّه على مايشاء قدير وهو الحكيم العليم.


عجل الله تعالى فرجه الشريف
الإمام المهدي
المصلح العالمي المنتظر
الشيخ محمد جواد الطبسي

٣١٣

طبسی، محمد جواد، ۱۳۳۱ -
الإمام المهدي المصلح العالمي المنتظر / تأليف محمد جواد الطبسي؛ نقله الى العربية عبد السلام الترابي، -- قم : دار الهدى ، ۱۳۸٤ .
۲۱٦ ص
ISBN 964-497-086-1
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا ،
عربى .
كتابنامه: ص. [۲۰۳] - ۲۰۷ ؛ همچنين به صورت زير نويس ،
۱. مهدويت ، ۲. محمد بن الحسن (عج)، امام دوازدهم، ۲٥٥ ق . - - احاديث، الف. ترابى، عبد السلام ، مترجم، ب. عنوان.
BP۲۲٤/٤/ط۱۸٥الف۸ ۲۹۷/٤٦۲
۱۳۸٤
م۸٤-۲۰۰۳۷
كتابخانه ملى ايران

الإمام المهديّ
المصلح العالمي المنتظر

المؤلف: الشيخ محمد جواد الطبسي
الناشر: دار الهدىٰ
الطبعة وسنة الطبع: الأولىٰ / ١٤٢٦ هـ. ق. ١٣٨٤ هـ. ش.
الكمية: ۲۰۰۰ نسخة
المطبعة: الظهور
القطع وعدد الصفحات: وزيرى / ۲۱٦ ص
ISNB: 964-497-086-1 ردمك: ٩٦٤-٤٩٧-٠٨٦-١
© جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ©

حلقة الاتصال مع المؤلف:
J_TABASI2000@YAHOO.COM

مراكز التوزيع:
١ ـ منشورات فدك: قم/ صفائية / پاساژ المهدي/ الطابق الأرضي/ رقم ١١٦/ هاتف: ٧٨٣٣٦٢٤
٢ ـ منشورات ذوي القربىٰ: قم/ پاساژ قدس / هاتف: ٧٧٤٤٦٦٣
٣ ـ مكتبة الأمين: قم/گذر خان/ جنب مسجد الإمام الرضا/ ٧٧٤٢٥٩٩
٤ - مكتبة الهاشمي: قم/گذر خان/ هاتف: ٧٧٤٣٥٤٣
٥ ـ بوستان كتاب قم: شارع الشهداء / هاتف: ٧٧٤٢١٥٥

الفَصلُ الثَّالِثُ

سرّ طول العمر

طبق الروايات الصحيحة الواردة، أنّ الإمام المهدي عليه السلام ولد في سنة **٢٥٥** هجريّة، وعلى هذا يكون عمره الشريف حالياً (**١١٧١**) سنة، فهذا العمر الطويل المبارك أثار تساؤلات وشبهات في أذهان بعض المسلمين بأنّه هل يمكن أن يعمّر الإنسان هذا العمر الطويل، وهل لهذا العمر الطويل سابقة سبق بها الأنبياء أو النّاس العاديّين أو لا يمكن؟

وخُصّص هذا الفصل للإجابة على هذه الأسئلة.

السؤال الحادي عشر

هل يمكن أن يعيش الإنسان هذا العمر الطويل؟

الجواب: طول العمر ليس أمراً محالاً، ولكنّه ليس أمراً عاديّاً في الحقيقة، وغير العادي يقال للحوادث التي لا يعتبر وقوعها محالاً، ولكنّها نادرة الوقوع، فإنّ شفاء الأمراض الصعبة علاجها إثر الدعاء أو التوسّل بالنبيّ صلى الله عليه وآله أو بالأئمّة المعصومين عليهم السلام، أو سقوط إنسان من مكان مرتفع وبقاءه حيّاً لا يمكن أن نقول إنّه محال، بل هو أمر عادي.

فكذلك مسألة طول العمر في الإنسان، ليس أمراً محالاً، ولكنّه أمراً غير عادي، ومن هذا الباب أيضاً معجزات الأنبياء، وكرامات الأئمّة الهداة، فإنّها أُمور غير عادية.

وأمّا علم الطب الحديث لم يستطع لحدّ الآن أن يكتشف سرّ الموت، أو أن ينفي إمكان طول العمر، أو يحدّد ذلك، بل اعتقد علماء الغرب اليوم أنّ البشر يمكنهم أن يعمّروا مئات السنين.

يقول الدكتور الأميركي كيلورد: «إنّ علم الطب في هذا اليوم بمعونة علم التغذية رفع الموانع والحدود التي تمنع البشر من أن يعمّروا، ونحن اليوم على خلاف ما كان عليه أجدادنا وآبائنا، نأمل أن نعيش أعماراً طويلة»(١).

وكذلك الدكتور جورج رئيس الجامعات في ألمانيا، حيث قام بالتحقيق على نبات يسمّى باللاتينيّة: (سابرولينا مسكتا)، وهو يعيش على ظهر الذباب الأزرق، ولا يعيش أكثر من إسبوعين، وقام بزرعه بعد ما وفّر له ظروف خاصّة، فعاش ستّ سنين بدل إسبوعين، وهذه التجربة تساعدنا في تشبيه عمر الإنسان حالياً إلى **١٠٩٢٠** سنة»(٢).

يعني لو كان بإمكان البشر أن يطوّل عمر النبات من إسبوعين إلى ستّ سنوات، فكيف لا يمكن أن يعيش الإنسان بهذه النسبة من عمره إلى عشرة آلاف سنة وأكثر.

السؤال الثاني عشر:

هل أشار القرآن الكريم إلى مسألة طول عمر البشر؟

الجواب: نعم ورد في القرآن الكريم آيات تدلّ على طول العمر بين الجنّ والإنس، فمنها:

---

(١) پاسخ ما: ١٧.

(٢) المصدر المتقدّم: ٢٠.

١ ـ قول الله تبارك وتعالى للشيطان: ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾[(١)].

فلو تأمّلنا في هذه الآية الشريفة، وما جرى بين الشيطان وخالقه من كبره على الله، وعدم الإئتمار بأمره، وطرده من رحمته، طلب من الباري جلّ وعزّ أن يمهله إلى يوم الوقت المعلوم، الذي فسّر بيوم ظهور المهدي عليه السلام، فإنّنا لو فرضنا أنّه حان وقت ظهوره عليه السلام لكان عمر الشيطان من بداية خلق آدم حوالي ثمانية آلاف سنة، فما يكون عمره إذاً لو أضفنا عمره قبل خلق آدم وإلى ظهور المهدي الذي لا يعلم ذلك إلّا الله.

٢ ـ وذكر القرآن الكريم في قصّة نوح عليه السلام، وما جرى بينه وبين قومه في أداء رسالته الإلٰهيّة، وما تحمّل من الأذى، فقال عزّ من قائل: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً ﴾[(٢)].[(٣)]

٣ ـ وأشار أيضاً إلى قصّة يونس: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[(٤)]، أي لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة، وبما أنّ يوم القيامة غير معيّن من حيث الزمان، عرفنا أنّ القرآن الكريم أشار إلى مسألة طول عمر يونس من كونه حيّاً وباقياً في بطن الحوت إلى يوم القيامة إذا ما كان من المسبّحين.

٤ ـ وأشار أيضاً إلى قصّة أصحاب الكهف، ونومهم أكثر من ثلاثمائة سنة بقوله:

---

(١) الحجر (١٥): ٣٧ و ٣٨.

(٢) العنكبوت (٢٩): ١٤.

(٣) نور الثقلين: ١٥٤/٤.

(٤) الصافّات (٣٧): ١٤٣ و ١٤٤.

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾[(١)]، فلا شكّ أنّ هذا العمر طويل، ولا شكّ أيضاً أنّ الذي يعيش ثلاثمائة سنة سيعيش أكثر من ذلك لو قدّر الله له ذلك.

فلو أضفنا سنين حياتهم قبل النوم وبقاءهم بعد اليقظة إلى زمان المهدي عليه السلام، كما سنشير إليه في أصحابه، نستنتج ما أشار إليه القرآن الكريم في مسألة طول العمر بالنسبة إلى الإنسان، ومنه إمكان هذا العمر الطويل بالنسبة إلى الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

السؤال الثالث عشر:

هل سبق المهدي عليه السلام أحدٌ من النّاس بطول العمر؟

الجواب: إنّ مسألة طول العمر تعتبر من المسلّمات في تاريخ البشريّة، ولو راجعنا بعض الكتب لعثرنا على أسماء كثير من النّاس ممّن عمّروا، وطول العمر أيضاً لا يختصّ بالصالحين فقط؛ لأنّ كثيراً من الكفرة والظلمة كان لهم عمراً طويلاً، فمثلاً: عاش شدّاد بن عاد ٩٠٠ سنة، وعمر بن عامر ٨٠٠، وزهير بن عباب ٣٠٠ سنة، وابن هبل بن عبدالله ٦٠٠ سنة، ومستوعر بن ربيعة ٣٣٠ سنة، ودريد بن زيد ٤٥٠ سنة، وقس بن عبادة ٦٠٠ سنة[(٢)].

وأمّا من بين الصالحين، فعاش لقمان بن عاد ٣٥٠٠ سنة[(٣)]، وعاش عليّ بن عثمان المعروف بابن أبي الدنيا ٣٠٩ سنة[(٤)].

---

(١) الكهف (١٨): ٢٥.

(٢) راجع بحار الأنوار: ٢٢٥/٥١ ـ ٢٨٨.

(٣) و (٤) الشيعة والرجعة: ٢٩٥/١. فردوس الأخبار: ٨٦/٣.

وأمّا مسألة طول العمر بين الأنبياء العظام، فكانت من الأُمور الطبيعيّة والعادية فيهم، وقد أُشير إلى ذلك في كثير من الروايات.

فمن الذين عمّر طويلاً نوح النبيّ عليه السلام، فقيل: إنّه عاش **١٠٠٠** أو **١٤٠٠** أو **١٤٥٠** أو **١٤٧٠** أو **٢٣٠٠** أو **٢٥٠٠** سنة، ولقد مرّ عليك أنّ القرآن صرّح أنّ فترة دعوته في قومه كانت **٩٥٠** سنة، وثبت أيضاً هذا العمر الطويل بالنسبة إلى سائر الأنبياء، مثلاً: سيّدنا آدم عليه السلام عمّر **٩٣٠** سنة، وعمّر سليمان عليه السلام **٧١٢**، أو **١٠٠٠** سنة، وهكذا شيث عليه السلام عمّر **٩٢٠** سنة، وهود عليه السلام عاش **٦٧٠** سنة.

هذا بالنسبة إلى الأنبياء الذين عاشوا وماتوا، وأمّا بالنسبة إلى الياس النبيّ أو إدريس أو عيسى أو الخضر عليهم السلام[1]، الذين هم أحياء إلى يومنا هذا، فحدّث ولا حرج من طول عمرهم، وقد خصّص الشيخ الوالد رحمه الله في كتابه الشيعة والرجعة فصلاً خاصّاً عن هؤلاء المعمّرون من الأنبياء وغيرهم، فراجع.



(١) راجع: الشيعة والرجعة: ٢٩٣ ـ ٣٠٠.

فقلت له: يابن رسول الله ، فمن الإمام بعد الحسن ؟

فبكى عليه السلام بكاءً شديداً ، ثمّ قال: إنّ بعد الحسن ابنه القائم بالحقّ المنتظر.

فقلت له: يابن رسول الله ، ولِمَ سمّي القائم ؟

قال: لأنّه يقوم بعد موت ذكره ، وارتداد أكثر القائلين بإمامته.

فقلت له: ولِمَ سمّي المنتظر ؟

قال: لأنّ له غيبة يكثر أيّامها ، ويطول أمدها ، فينتظر خروجه المخلصون ، وينكره المرتابون ، ويستهزئ به الجاحدون ، ويكذب فيها الوقّاتون ، ويهلك فيها المستعجلون ، وينجو فيها المسلّمون»[1].

ونجد في روايات أُخرى تعابير أُخرى يشبه بعضها بعضاً ، كالقائم بأمر الله ، القائم بالقسط ، القائم بالحقّ ، وغيره[2].

السؤال التاسع والعشرون:

ما هي صفات الأنبياء التي تتواجد في الإمام المهدي عليه السلام ؟

الجواب: لقد ورد في كثير من الروايات عن وجود صفات الأنبياء في المهدي المنتظر عليه السلام ، فهو عليه السلام وارث النبيّ وعليّ؛ لأنّ عليّاً قد ورث ألف سنةٍ من سنن الأنبياء والمرسلين[3].

وأمّا الصفات الموجودة في المهدي من الأنبياء فكثيرة ، منها:

---

(١) كفاية الأثر: ٢٧٩.

(٢) المصدر المتقدّم: ١٤٥.

(٣) بصائر الدرجات: ١١٤.

١ ـ العمر الطويل

لقد عاش سيّدنا آدم عليه السلام **١٠٠٠** سنة[١]، ونوح عليه السلام **٢٥٠٠** سنة[٢].

وورث الإمام المهدي عليه السلام هذا العمر الطويل منهما، ولا يعلم كم يعمّر إلى وقت ظهوره، والعلم عند الله.

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٥٨٨/٤.

(٢) الشيعة والرجعة: ٢٩٥/١.

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

المصلح العالمي المنتظر

الشيخ أيوب الحائري

دار الولاء
بيروت - لبنان

اسم الكتاب: الإمام المهدي عليه السلام المصلح العالمي المنتظر

المؤلف: أيّــوب الحــائــري

الناشر: مؤسسة الســـراج للطبـاعة والنشـر والتحقيق
لـبـنان - بيـروت

الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، إيران - قم المـقـدســـة.

الطبعة الثانية والثالثة: لبنان - بيروت ١٤٢٦هـ ق.

جميع الحقوق محفوظة ©

كيف عمّر الإمام المهدي عليه السلام وعاش إلى هذا اليوم؟

إن الاعتقاد بغيبة الإمام المهدي عليه السلام عن الأنظار واستمراره إلى حين يأذن الله تعالى له بالظهور، يستلزم عمراً طويلاً ومفتوحاً مع انفتاح الزمن كيف نعالج ونجيب على هذه المشكلة؟

قد عولجت هذه المشكلة بإجابات عديدة نذكر الملخّص منها، وهي أنَّ طول عمر الإنسان وبقاء ه قروناً متعددة أمر ممكن منطقياً وممكن علمياً، ولكنه لا يزال غير ممكن عملياً، إلا أن اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الإمكان، وعلى هذا الضوء نتناول عمر الإمام المهدي عليه السلام وما أحيط به من استفهام أو استغراب، فإنّ عمر الإمام المهدي عليه السلام قد سبق العلم نفسه وليس ذلك هو المجال الوحيد الذي سبق فيه الإسلام حركة العلم.

ولكن لنفترض أنَّ العمر الطويل غير ممكن علمياً، فماذا يعني ذلك؟ يعني أنَّ إطالة عمر الإنسان كنوح والخضر ولقمان بقدرة الله وإرادته، وبخلاف القوانين الطبيعية والعلم، وبذلك تصبح هذه

الحالة معجزة عطلت قانوناً طبيعياً في حالة معينة، وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها، وقد عطل هذا القانون للحفاظ على إبراهيم، فقيل للنار حين ألقي فيها إبراهيم ﴿**قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ**﴾ [1] فخرج منها كما دخل سليماً لم يصبه أذى إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عطلت لحماية أشخاص من الأنبياء والأولياء وهكذا يتضح أن العمر الطويل أمر ممكن علمياً أوبنحو المعجزة وقد تحقق ذلك بالنسبة إلى بعض الأنبياء والأولياء كما تحدَّث عنه القرآن الكريم.

وإذا نظرنا إلى موضوع العمر على ضوء القرآن ومن الناحية العقائدية وجدناه أمراً عادياً جداً، لأنَّ كل مؤمن يعتقد أن الآجال بيد الله تعالى، فإذا قدّر الله تعالى لأحدٍ من عباده طول العمر فمن البديهي أن يهيّئ له الأسباب المادية، والطبيعية الموجبة لطول العمر، ومن الممكن أن يطوّل عمره بأمور ممّا وراء الطبيعة لا نعرفها، فهو قادر على كل شيء فكما طوّل الله عمر آدم ونوح ولقمان وغيرهم من المعمرين، وطوّل عمر النبي الخضر الذي بقى

---

١ ـ الأنبياء: ٦٩.

حياً من عهد النبي موسى عليه السلام إلى يومنا هذا، وطوّل عمر النبي عيسى الذي عرج به إلى السماء وبقى حيّاً إلى يومنا هذا وسوف ينزل من السَّماء عند قيام الإمام المنتظر عجل الله فرجه ويصلي خلفه [1]، فهو قادرعلى أن يطوّل عمر الإمام المهدي عليه السلام إلى متى ما يشاء.

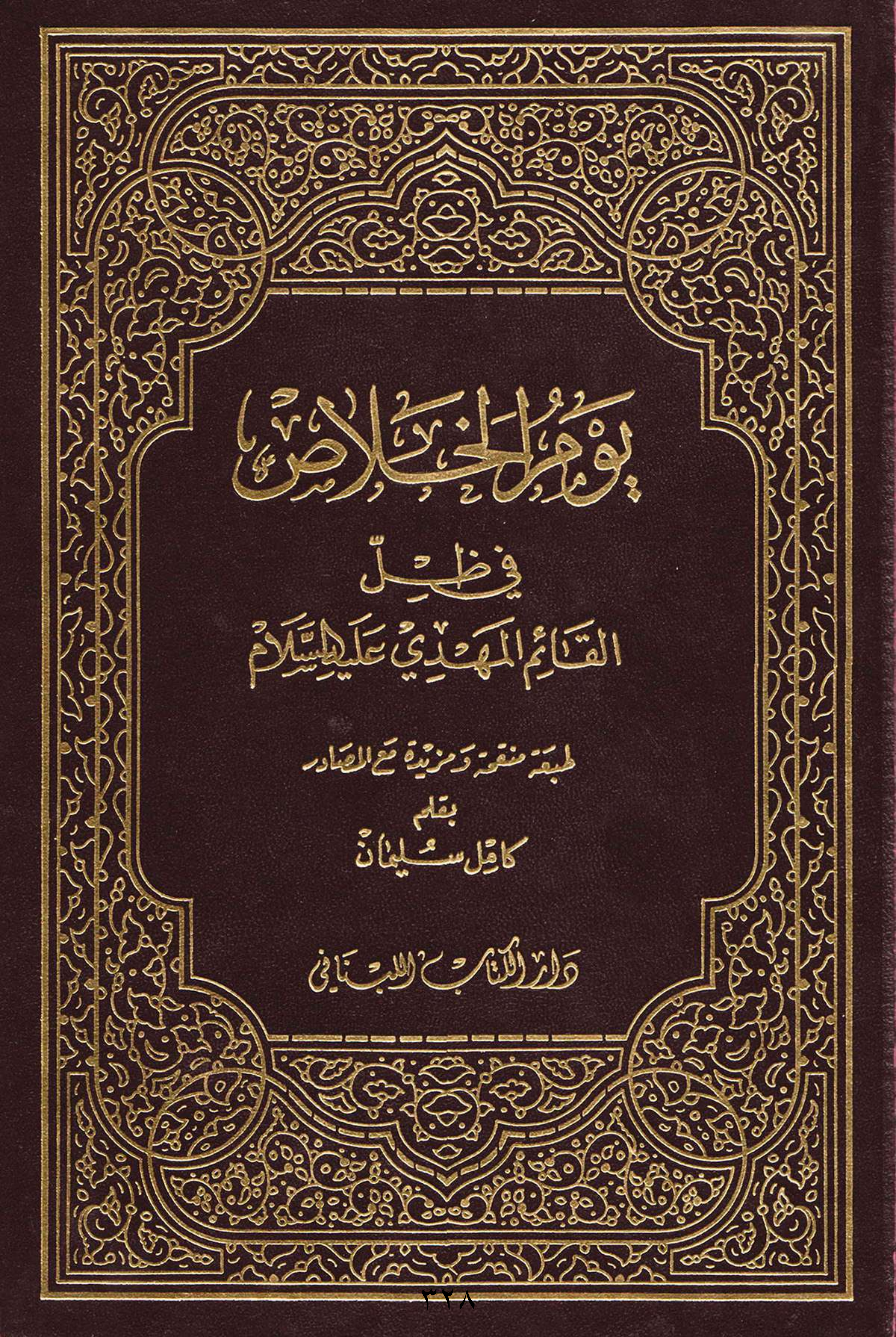
وتتجلى القدرة الإلهية في تحقيق مشيئته وإرادته، وإخضاع الطبيعة، في قصّة النبي يونس عليه السلام الذي ﴿**فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [2] فالظاهر من هذه الآية أن يونس عليه السلام لو لم يكن من المسبحين في بطن الحوت للبث حيّاً في بطنه إلى يوم القيامة.

أليس الله بقادر على أن يحفظ وليّه من الموت ويعمره آلاف السنين ليظهره في الوقت المناسب ليقوم بالإصلاح الشامل لجميع جوانب الحياة فإنّه آخر مصلح عالمي ادّخره الله للبشر.

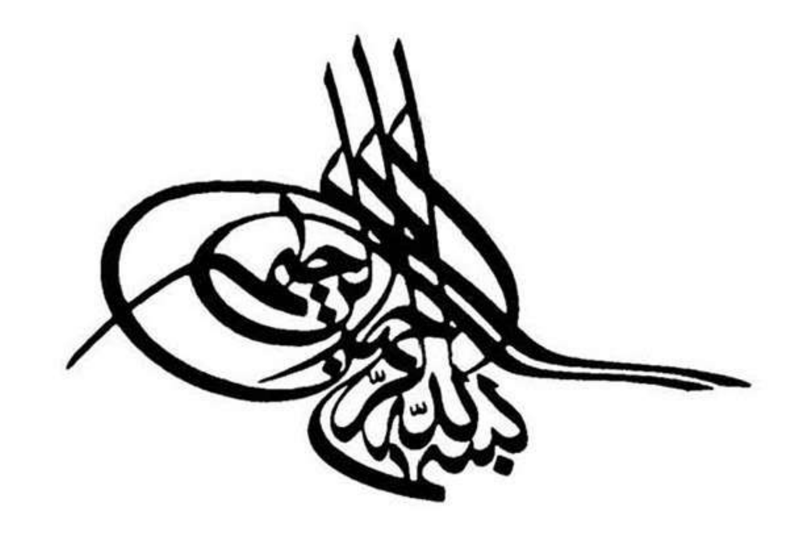
---

١ ـ عقد الدرر: ٢٢٠.

٢ ـ الصافات: ١٤٤ - ١٤٢.



يوم الخلاص
في ظل
القائم المهدي عليه السلام
طبعة منقحة ومزيدة مع المصادر
بقلم
كامل سليمان
دار الكتاب اللبناني



٦ - مَا هٰذَا العُمْر المَدِيد ؟

بَعض طويلي الأعمار

قال الإمامُ الصادقُ (ع) لأحد أصحابه حين رآه يتعجب من طول الغَيبة :

إن الله تعالى أدار في القائم منّا ثلاثةً أدارها لثلاثة من الرسُل :

قَدَّر مولده تقديرَ مولد موسى ، وقَدَّر غَيبته تقديرَ غَيبة عيسى ، وقَدَّرَ إبطاءه تقديرَ إبطاءِ نوح ، وجعل له من بعد ذلك عُمْرَ العبد الصالح دليلاً على عُمره[1] (يعني الخضر عليه السلام . وبعد أن علَّل غَيبات الرُّسل الثلاثة في حديثٍ طويلٍ مذكورٍ في مكان آخر من هذا الكتاب ، قال :)

ـ . . وأما العبد الصالح الخضر ، فإن الله تبارك وتعالى ما طوَّل عمره لنبوَّة قدَّرها له ولا لكتابٍ يُنزَّل عليه ، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة مَن كان قبله من الأنبياء ، ولا لإمامة يُلْزِمُ عبادَه الاقتداءَ بها ، ولا لطاعة يَفرضها له ، بل إن الله تبارك وتعالى لمَّا كان في سابق علْمه أن يقدِّر في عُمر القائم في أيام غَيبته ، وعَلِمَ من إنكار عباده لمقدار ذلك العمر في الطول ، طَوَّلَ عُمر العبد الصالح من غير

(١) بشارة الإسلام ص ١٤٦ تجد الحديث كاملاً ، ومنتخب الأثر ص ٢٥٩ والغيبة للطوسي ص ١٠٥ والبحار ج ٥١ ص ٢٢٠ وينابيع المودة ج ٣ ص ١١٦ و١١٧ والمهدي ص ١٦٨ و١٦٩ و١٧١ وإلزام الناصب ص ٨٥ ما عدا أوله .

سبب . فما أوجب ذلك إلا لعلَّة الاستدلال على عُمر القائم ، وليقطع بذلك حُجَّة المعاندين ، لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلى اللَّهِ حُجَّة[1] .

(فكثيراً ما ورد عن النبيِّ (ص) وعن آله المعصومين كونُ القائم فيه سنَّةٌ من نوح وهي طول العمر . . أوردوا ذلك موردَ تأكيد لا ريب فيه ، حتى أن الصادق (ع) قال مرةً مستهجناً :)

ـ ما تُنكرون أن يُمِدَّ الله لصاحب هذا الأمر في العمر كما مَدَّ لنوحٍ عليه السلام في العمر[2] ؟!! (ثم قال مرة ثانية :)

ـ إن وليَّ الله يُعَمَّر : عُمِّرَ إبراهيم الخليل عشرين ومئة سنةٍ ، وكان يظهر في صورة فتىً موفَّق ـ أي رشيد قويّ ـ ابن ثلاثين سنة . لو خرج القائم أنكره الناس ، يرجع شابّاً موفَّقاً[3] . . (وكيف نتعجَّب من رجوعه محتفظاً بمقوِّمات شبابه إذا أجرى الله تعالى عليه ما أجرى لغيره من الصالحين ؟ . فإن طول عُمره صار عن محض الإرادة الإلَهية ، التي قدَّرت طول العمر لكثير من الصالحين والطالحين فيما مضى وكما سترى . .)

قد قيلَ إن عُزَيْراً خرج مع أهله وامرأتُه في شهرها ، وله خمسون سنة . فلمَّا ابتلاه الله عزَّ وجلَّ بِذَنْبه أماته مئة عام ثم بَعَثَه . . فرجع إلى أهله وهو ابن خمسين سنة ، فاستقبله ابنه وهو ابن مئة سنة !!! وردَّ الله عُزَيْراً إلى الذي كان به . .

أهذه أعجب أم قضية صاحبنا عليه السلام ؟؟؟

وَخُذ الثانية قبل أن ينقضيَ عَجَبُك ، فإن نَصرَ بن دهمان ـ من غطفان ـ قد عاش مئةً وتسعين سنة ، ثم اعتدل بعدها ، وعاد شابّاً . فتعجَّب معاصروه من ذلك

---

(١) النساء ـ ١٦٥ والخبر في منتخب الأثر ص ٢٦١ والغيبة للطوسي ص ١٠٨ وإعلام الورى ص ٤٠٦ وبشارة الإسلام ص ١٤٨ .

(٢) الغيبة للطوسي ص ٢٥٩ .

(٣) الغيبة للطوسي ص ٢٥٩ والبحار ج ٥٢ ص ٢٨٧ وفي منتخب الأثر ص ٢٥٨ نصفه الأخير .

أشد العجب حتى أن العرب لم يَرَوا مثلها أُعجوبةً فريدة[1] !. ومثل هذه أيضاً ، ما ذكره أصحاب السِّيَر والآثار من أنَّ (زليخا) امرأة عزيز مصر ، قد رجعت شابَّةً طريئةً بعد شيخوختها وهَرَمها ، بل ذكروا أن يوسف عليه السلام قد عاد فتزوجها بحسب بعض رواياتهم . .

فلا إخال إطالةَ عُمر المهديّ (ع) إلى ما يزيد على الألف سنة موضوعاً فيه إشكالٌ ذو بال وإن كانَ المستنكِرون يَرونه المشكلةَ كل المشكلة ، مع أن الإمام المعصوم يخلقه الله تعالى تامَّ التركيب الجسميّ ، معتدلاً في جميع مقوّمات حياته ، ولا يصيبه الموت إلَّا بعارض خارجيّ كالقتل والسمّ كما حدث لآباء القائم (ع) . على أنَّ الإنسان العادي ، السليم الجسم ، لا يَدْهمه الموتُ إلا إذا طرأ عليه ما يخرِّب جسمه ويعطِّل بعض مقوِّماته . . وها نحنُ نبحث عن هذه الظاهرة ـ ظاهرة طول العمر ـ من نواحيها الدينية ، والحياتية والطبيعية .

* * *

الناحيةُ الدِّينيّة :

لا أحسب أن الخالق الذي أوجد الإنسان من العدم وقال عنه : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِيْ قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمضْغَةَ عِظَاماً ، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقَاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾[2] ، لا أحسب أن الخالق الذي طوَّر سُلالة الطين إلى إنسان متينِ الصُّنع ، وجعل من النطفة كائناً مستويَ الْخِلْقة قال عنه : ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِيْ أَحْسَنِ تَقْوِيْمٍ** ﴾[3] ، لا أظنُّه عاجزاً عن أبسط من ذلك من الأمور ، خصوصاً حين نلاحظ أنَّه نقَّل هذه النطفة في الأصلاب والأرحام ، وأَقَرَّها في بطن الأم تسعة أشهر دون حركة في اللسان أو الرئة

---

(١) الغيبة للطوسي ص ٢٥٩ .
(٢) المؤمنون ـ ١٢ / ١٤ .
(٣) التين والزيتون ـ ٤ .

أو غيرهما من الأعضاء ، ثم قدَّر لتلك الآلات أن تتحرَّك كلها دفعةً واحدةً ، مع عشرات الأجهزة غيرها ، حين يخرج المخلوق إلى هذا العالم ، متحدِّياً أطِبَّاءَ الإنس والجنِّ أن يُفجِّروا فيه حاسَّةً واحدة إذا خُلِقَت معطَّلة ، أو أن يزيدوا فيه عضواً واحداً إن خُلِق ناقصاً ، أو أن يُطوِّروا في خَلْقِه شيئاً أرادوه واستحسنوه !.

فالله القادر على إنشاء الإنسان من العدم ، والذي قال عنه متعجِّباً وموبِّخاً : ﴿ **أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى** ﴾[1] ، وقال مستهزئاً به ومقرِّعاً له : ﴿ **أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ** ﴾[2] ، لتكون منه النطفةُ فالعلقةُ فالمضغةُ فالعظامُ فاللحمُ ، فالخَلْقُ السَّويُّ الذي يشدُّه بالعصب ، ويجري فيه الرُّوح والنَّفس والدم في القلب والعروق . . هذا الخالق قادر على أن يفعل ما يشاء ، كيف يشاء ، حين يشاء !.

فَأَقْبِحْ بالإنسان مُنكِراً ومُتنكِّراً لما يقع تحت حِسِّه ، فضلاً عما لا يقع تحت حِسِّه ولا يصل إليه إدراكه !!!

ألَا إن ذلك لا يَدلّ على عجَبٍ في الموضوع ، بمقدار ما يدلّ على عَجْزٍ في الحواس ، وقصورٍ في الإدراك ، وضَعفٍ عند الإنسان ، بل يدلّ على تفاهته وعقوقه ، لأنه لا يكاد يقف على قدميه حتى يتطلّع إلى تقويض السماء ، والشِّرك بربّه الذي ﴿ **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ، فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ** ﴾[3] ، يعلن العداوة للدِّين والدَّيان ، وتَنْصِبُ النطفةُ القذرةُ نفسَها خصيماً مبيناً لبارئها . . لِلّه . . الذي يقهرها بالموت فيجعلها جيفةً يتعجَّل ذَووها لطمرها بالتراب للتخلُّص من نَتْنِها !!!

فليس كل ما لا يقدر أن يستوعبه العقل مستحيلاً . ولو كان ذلك لَلَزِمَ إدراك كُنْهِ مَنْ ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ ، وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾[4] . . على أن الإِلّه الذي

---

(١) القيامة ـ ٣٧ .
(٢) المرسلات ـ ٢٠ / ٢١ .
(٣) النحل ـ ٤ .
(٤) الأنعام ـ ١٠٣ .

نتوصَّل إلى معرفته وتحديده بمكان وزمان ، نُقَلِّلُ من أهميته ونُفْقِدُه عَظَمَةَ الألوهية وجلالَها . .

ومن مفارقات إنسان عصرنا الذي اجْترح العجائب وأتى بالمعجزات أن يُنْكِر ما لا تدركه حواسه ، ويستوعبه إدراكه المحصورُ في هذه الْجُمجمة المقفَلَة الصُّلبة . فإنَّه وإن سخَّر الهواء والماءَ والكهرباءَ ، وصعد بالطائرة والصاروخ إلى الفضاء والأجواء ، واحتلَّ القمر الذي كان يُعتبر بعيد المنال ، وتَجاوَزَه إلى المرِّيخ الذي يبعد عنًّا أكثر من ثلاثمئة وخمسين مليون كيلو متر ، إنه مع ذلك قد بقي مكابِراً ومثابِراً على تكذيب ما لا يَسَعُه أفقُ تفكيره من أوامر الله ونواهيه . . فقط من أوامر الله !!!

فبقاء المهديّ (ع) كان باختيار الله تعالى وتحت مقدوره ، وبمشيئته لا بمشيئتناولا اختيارنا ولا موافقتنا ، لأننا ـ إذا جَدَّ الجدّ ـ لا نستطيع زيادة نَفَسٍ واحدٍ على أنفاسنا حين يتحكَّم سلطان الموت وتختنق الأنفاس !. وهذا هو الفرق بين أن نشاء نحن ، وأن يشاء الله رب العالمين !. وإنه لو جاز لنا أن نختار لَمَا رضينا لأنفسنا بمثل عُمر نوح الذي أخذ يدعو قومه ﴿ **فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً** ﴾[1] ، والذي حين بولغ في عمره أوصله الرواة إلى ألْفين وسبعمئة وخمسين سنة ، فضلاً عن أن نقبل بأعمار غيره ممن وصلوا إلى الألْف أو الثمانمئة أو الستمئة سنة !.

ولبقاء المهديّ عجَّل الله تعالى فَرَجَهُ وجْهٌ تقتضيه حكمةُ الخالق التي لاحَظَ فيها مصلحة المكلَّفين أنفسهم ، ولولا ذلك لَمَا كانت ضرورةٌ إلى هذه التمثيلية التي يصعب تصوُّر دَور بَطلها المنتظَر . كما أنَّ بقاء عيسى عليه السلام ورَفْعَه إلى السماء كان لمصلحة المكلَّفين أيضاً ، فما من أحدٍ يبقى حيّاً من أهل الكتاب إلى يوم نزول المسيح (ع) من السماء إلَّا ويؤمن به حين يراه فينال نعمة التصديق ويشترك في نُصرة دولة الحق والعدل والإيمان .

---

(١) العنكبوت ـ ١٤ .

والمهديّ (ع) يُعتبر ـ إلى الآن ـ شابّاً لو كان من أولاد نوحٍ أو أبناء معاصِري نوحٍ مثلاً ، أو من أبناء لُقمان أو غيرهم ممن عاصر أزمنة التعمير ، حيث كان يتزوج الرجل لأول مرة بعد بلوغ الثمانمئة سنة ، والستمئة سنة والأربعمئة سنة كما سترى[1] !!! وهذا وحدَه يُسْقِط التعجُّب من قلوب المرتابين ويثبِّت المستيقنين على يقينهم . .

ثم يجب أن لا يغيب عن بالنا أن بقاء المهديِّ (ع) مشروطٌ بآخر الزمان ، لِتَصْدُقَ به أخبار جدّه الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .

أما تطويل الأعمار فهو هَمُّ أساطين الأطبَّاء اليومَ ، وهَمُّ جهابذة علْم الحياة الذين يبحثون بوسائلهم الأرضية عن تنشيط الخلايا وإصلاح الأنسجة المستهلَكَة ، وتجديد شباب الشيوخ ، أي أنهم يبحثون عن شيء يعرفه الله ـ يا سيِّد العارفين ـ !!! فكيف نُنكِر عليه أن يجدِّد الخلايا ، ويُعيد الشباب ، ويطيل العمر ؟!!

مَهْ مَهْ للعقول التي لا تريد أن تفكِّر وتقابل !!!

ومهلاً مهلاً لمن يُجفله اسمُ الله كما كان يُجفل الفيلسوف الفرنسي ـ فكتور هيغو ـ الذي درَّس الإلحاد لتلامذته حتى بلغ السادسة والثمانين ، ثم صَرَخَ بملء شِدْقَيه ـ أثناء الدرس ـ : يا ربِّ خلِّصنا ، حين هبَّت عاصفةٌ غير مألوفة يرافقها رعدٌ وبرقٌ وريحٌ صَرْصَرٌ كادت تهدم البيوت وتقتلع الأشجار . . ثم كانت صرختُه هذه سبباً لإثارة انتباه تلامذته الذين صرخوا بدورهم : نراك تستغيث بالربِّ الذي تدرِّسنا وتدرِّبنا على إنكاره منذ عشرات السنين !!! ثم كان ذلك سبباً لإعادة نظره في عقيدته الأولى والرجوع إليها لَمَّا رأى الإنسان يرجع إلى الله وحده وقت الضيق والخطر الذي لا يُدْفَع . .

وليس أسهلَ على المتخفيِّ مثل المهديِّ المنتظَرَ (ع) من أن يتناول بُلْغة عيشه

---

[1] قيل إن سلمان الفارسي رضوانُ الله عليه أدرك رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وقد قارب أربعمئة سنة . أنظر كشف الغمة ج ٣ ص ٣٣٢ وإعلام الورى ص ٤٤٢ وغيرهما من المصادر .

من طعام الزاهدين ـ كما قال هو عن نفسه ـ وشراب المحتاجين ، ويكون خاليَ الفكر من تعقيد الحيَاة ، وثِقَل هَمِّ المأكل والمشرب والتنافس بالمال والولد وزِبرج الحياة ، يقضي الوقت بالطاعة والتبتُّل والعبادة ، تحميه العناية الربَّانية ، ويحفظ سلامة جسمه عدمُ عبوديته لِشَرَه الطعام والشراب ، فيكون طول عمره من النواميس الطبيعية الممكنة ، التي تستمرُّ في حال عدم وجود العائق المخرِّب ، والتي لا يُنكِرها إلا العقل المحدود . .

فطولُ عُمره ثابتٌ بتواتر النَّقل ، لا يأباهُ واقعٌ ولا عقل حَصيف ، وكأنَّه ـ في واقع الحال ـ فتنةٌ قدَّرها الله لنا كما قدَّر غيرها من الفتن التي امتحن بها امتثالَ الأمم الغابرة لأوامر رُسُله إليهم وأُمَنَاء وحيه عليهم .

فلا امتناع في تطويل عُمره ، بدليل تَصَافي أهل الأديان السماوية على بقاء عيسى والخضر عليهما السلام حيَّين[1] ، وبقاء إبليس اللعين مُنْظَراً منذ نَفْخ الروح في آدم إلى يوم يُبعثون . . ولو حَسَبنا عُمر الخضر منذ أيام موسى (ع) حتى يومنا هذا لَرَأيناه يدور في فَلَك الستة آلاف سنة ، كما ذكرنا سابقاً ، وسيبقى مع ذلك ما بقيت دنيا الظالمين . . أَفَليس معقولاً أن تقتضيَ إرادةُ الله بقاءَ المهديِّ (ع) إلى آخر الزمان ، أي أقل من الخضر بما يُنيف على الأربعة آلافٍ وخمسمئة سنة ؟!! .

ولماذا لا نرضى حلاًّ لمثل هذه العقدة لِوَليٍّ من أولياء الله المخلَصين ، ونرتضيها لغيره من المخلوقين ؟؟؟ فلو أنَّ نوحاً عليه السلام كان من مواليد عهد محمدٍ (ص) لكان اليوم في مقتَبَل عُمره ورَيَعان شبابه ، ولَكُنَّا نقول مثلاً : هذا أمرٌ خارقٌ للطبيعة المألوفة لدينا ، ثم نتعجَّب منه . . فَلْنقل : إنّ أمر المهديِّ (ع) خارقٌ للطبيعة المألوفة لدى قصيري الأعمار أمثالَ أهل زماننا ! . وَلْنتعجَّب منه دون أن نُنكِره لأنه في إطار الإمكان . . ولولا سوء ظنّ الناس بالله وبقدرته ، وعدم تصديقهم به باديء بَدءٍ ، لَمَا استغرب أحدٌ طول عُمر المهديِّ (ع) . لأن من قدِر

---

(١) أنظر ينابيع المودة ج ٣ ص ١٣٦ ونور الأبصار ص ١٦٨ نقلاً عن البيان ، وغيرهما من المصادر لترى بحوثاً إضافيةً بهذا المعنى .

على خلْق الإنسان من نطفةٍ قذِرَةٍ كَدِرَةٍ ، لا يعجز عن إبقائه بعد إيجاده . . وقد نبَّهنَا الله تعالى إلى إمكان ذلك حين حكى قصة يونس (ع) بعد أن ابتلعه الحوت في البحر ، فقال : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِيْنَ ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[1] ، وهذا يعني أنه حين يَقدر أن يقاصَّ يونس فيُطيل عُمره إلى يوم البعث ، يُطيل عمر الحوت أيضاً ليبقى يونسُ في بطنه حيّاً محتجَزاً ، في ظروفٍ غير ملائمة لبقاء الحيّ ـ أيها العقلاء ـ مما يشكّل معجزةً تفوق التصوّر . على أننا لا نعرف كيف خرج يونس من بطن الحوت حيّاً حتى ولو كان لَبثه في بطنه دقائقَ معدودة دون تنفس ولا هواءٍ صالح للحياة !!! فَأَحرِ بمهديّنا عليه السلام أن يعيش حرّاً طليقاً غير محتَجَز في بطن حوت ولا في قعر بحر ، بل محجوباً عن عقول عشّش فيها الشكُّ فلا تريد أن تستوعب قضيته لا بالطول ولا بالعرض !!!

* * *

الناحيَة الحياتيّة (البيُولوجية) :

إن علماء الحياة ، والأطباء المعاصرين ، قد توصلوا إلى أنَّ كلَّ الأنسجة الرئيسية في جسم الكائن الحيّ قابلةٌ للاستمرار إلى ما لا نهاية له إذا لم يعرِض لها ما يَقطع حياتها . .

وقد أصبح من المقرَّر عندهم أنه لا مانع للإنسان من حياة طويلة إذا تيسَّرت له جميع الظروف المناسبة . بل لقد قرَّروا أن الأجزاء الأولية للأنسجة يمكن أن تبقى حيَّةً ناميةً ما دام يتوفَّر لها الغذاء اللازم ، والمناخ الملائم ، وما دامت في منأىً عن العوارض الخارجية المعيقة للنموّ والحياة . فليس بعجيب أن يطول عُمر بعض الناس إذا توفَّرت الظروف الصالحة ـ كما نرى بالبديهة في عصرنا الحاضر ـ فقد عَمَّر كثيرون من سكان منطقة خوزستان إلى ما فوق المئتيَ سنة ، ووصل أفراد منهم إلى ربع الألف وزادوا . . فكيف إذا رافق ذلك مشيئة مقدِّر الأعمار الذي

---

(١) الصافات ـ ١٤٣ ـ ١٤٤ .

يخلق الأنسجة وأجزاءَها الأوليةَ وظروفَ عدم تعرُّض الخلايا للخراب ؟. وقد صار طرح المسألة عند علماء الحياة الآن هكذا :

العجبُ كلُّ العجب كيف يموت الحيّ الذي خلاياه قابلة للاستمرار في الحياة إلى ما لا نهاية له ؟؟؟

وما من أحدٍ منهم يُنْكِر أن في مقدور الإنسان العادي أن يتوصَّل إلى إطالة العمر ، كما قد توصّل إلى تقليل نسبة الوفيات في الأطفال في سائر مناطق الدنيا . بل ما من أحدٍ منهم يشك أن باستطاعة صاحب المقدرة الطبية الحقَّة بَرمَجَة حياة واحد من الناس فيجعله في وضع صحيٍّ مثاليٍّ ما شاء الله من الزمان ، ويجعله سعيداً في عُمرٍ مديد . . وأجزم أنَّ عُمر الحُجّة المنتظَر (ع) عجيب في نظرنا لأنه ـ وحده ـ يتميَّز بمثل هذا العمر في عصر نحن فيه قصار الأعمار . ولو كان غيره يتمتَّع بمثل عُمره كما كان مألوفاً في العهود السالفة لكان الأمر عاديّاً فعلاً .

فليس معنى طول عُمره أن طول العمر مستحيلاً ولو كان عجيباً ، إلّا بمعنى أنَّه وحده طويلُ العمر . ولو كان طويلو الأعمار كثيرين لكانت القصَّة تلبس غير هذا القميص ، ولكان الإنكار قد يأتي من ناحية ثانية تتطلَّب أن يكون لديه معجزة المائدة من السماء ، أو إسقاط السماء كسفاً ، أو إنزال الملائكة وأهل السماوات أجمعين ، ليستيقن من لا يريد اليقين بوجهٍ من الوجوه .

فلماذا ننكر على المهديّ (ع) نعمةً يتمتع بها الْبرُّ والفاجر من المخلوقات ؟. ولا غرابة في ذلك ، ولا خرق لنواميس الطبيعة ، بل الْخَرق في الموت الذي يقطع حياة الحيّ حسب رأي العلماء المحدَثين !. ونحن إذاً قاصرون عن تمديد حياتنا ، ولذلك نموت في حسرة الحياة !. أمّا المهديّ (ع) ـ ومن ورائه مشيئة الله ـ فقد وُفِّق إلى تجنُّب ما يقطع حياته واستمرار بقائه إلى أمدٍ قدَّره له من يقول : ﴿ **فَقَدَرْنَا ، فَنِعْمَ الْقَادِرُوْنَ** ﴾[1] في سياق حديثه عن خلق الإنسان بالذات . .

---

(١) المرسلات ـ ٢٣ .

ومما لا شك فيه أن مراعاة القواعد الصحيّة تستلزم هناءَ العيش ، وسلامةَ الجسم والعقل ، وطولَ العمر أيضاً كما قرّر أطباء العصر ، وأن اتّباع تلك القواعد في أيامنا ، قد محا أمراضاً كثيرة كانت تغزو الأرياف في الصيف والخريف : كالرَّمد الصديديّ في العيون وكالملاريا الفتّاكة ، وككثيرٍ من الحمّيات الخبيثة ، بل لقد قلّلت غيرها من الأمراض بعد أن توفّرت النظافة وسلامة المناخ . فما المانع من أن يعيش الإنسان سليم الجسم طويلاً إذا بقي ملتزماً بغذاءٍ ملائم ومناخٍ صالح ، وإذا نجا من العوارض الخارجية التي تقطع الحياة وتَبتُر العُمر ؟!.

والطعامُ البسيط الذي لا يُحْدِثُ مضاعفاتٍ أثناء عملية الهضم والتمثيل ـ كالألبان والنباتات فقط ـ غِذَاءٌ إن اتّبعه الإنسان دون تفريط ولا إفراط ، وأخذ قسطه من الراحة في مناخ طيب ، وعملٍ غير مجهد ، يؤدّي إلى سلامة في الجسم ، وسعادة في الحياة ، وطولٍ في العمر كما تبيّن من درس حالات فلاّحي ورعاة خوزستان وغيرها من مناطق طويلي الأعمار . .

* * *

الناحية الطبيعية (المصادفة) :

نقول لمن يدّعي وجود الكائنات (صُدْفة) :

إن في (صدفته) التي يتشبّثُ بها كثيراً من المفارَقات . . . ففي مصادفته ـ بالصيغة الفصيحة إذ ليس في اللُّغة صدفة ـ أن بعض الإناث يلدن عجائب وغرائب : فواحدة تلِد توأمين ، وأخرى تلِد ثلاثة ، والثالثة قد ولدت في فرنسا خمسة أطفال دفعة واحدة !!! أمّا الرابعة في العراق فقد ولدت طفلاً كجَدْي الْمِعْزى !!! هذا ، فضلاً عمن تلِد طفلاً بست أصابع ، أو من تلِد طفلاً بقلبين أحدهما في اليمين والثاني في اليسار ، أو من ولدت مخلوقاً برأسَين وقلبَين وجهازين تناسليَّين لذكرٍ وأنثى معاً ، أو مَن ولدت إنساناً له ذَنَب حيوان كما جرى في أيّامنا . . ففي المصادفة إذاً أغلاط ، أو حالات شاذّة ، لأن كل حالة مما ذكرنا هي مصادفة قائمة بذاتها ومستقلة عن (صدفته) العامة . .

ومن (صدفته) المدّعاة أيضاً ، من يموت من المواليد وهو في آلسَّلَى (البشيمة) ، ومن يعيش القرون والقرون . . أفلا تشذ هذه الصدفة في إطالة عُمر الخضر والمهديّ عليهما السلام كَفَردَين يجري لهما ما يجري لغيرهما من شواذّ (صدفته) إذا لم يدخل على بُنْيَتيهما ما يقف بوجه الاستمرار في الحياة ؟! .

فنقول إذاً لمن يرى المصادفة في الطبيعة : إن طول عُمر القائم المنتظَر (ع) هو (صدفة) من مصادفات الطبيعة ، وهي شاذّة من الشاذّات . . ومن فمه نَدينه ولا جواب له على قولنا مهما فكَّر وقدَّر ، وعبس وبَسَر . . . ثم نقول أيضاً :

مهلاً ، مهلاً . . فإن الذين شاؤوا أن لا يقتنعوا بالميسور المعقول الذي يحيط بنا ، لن نشدّد في إقناعهم ، لأن الله الذي خَلَق أمثالهم يقول عن المعاندين : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُوْنَ بِهَا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُوْنَ بِهَا ، وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُوْنَ بِهَا ﴾[1] ، ونحن نقول : لهم قلوبٌ وأعينٌ وآذانٌ ، ولهم أفهام ، ولكنهم لا يريدون أن يقنعوا . . فهم أحرار بالاختيار لأنفسهم ، ولتكونَ الحُجة بالغةً لله عليهم حين تُنشَر الدواوينُ وتُعلَّق الموازين . .

* * *

فكونُ المهديّ (ع) مولوداً ليس من المستحيل ،
وكونُهُ موجوداً ، ليس من المستحيل ،
وكونُهُ غائباً عن الأعين ، بالمعنى الذي بيَّنّاه ، ليس من المستحيل أيضاً ،

وكونُهُ طويلَ العُمر ليس من المستحيل ، ولا من غير الممكن ، ولا مما يستعصي على مُطيل الأعمار : ربّاً كان ، أو محاولةً إنسانيةً فريدةً من نوعها ، أو مصادفةً بَلْهَاء !!!

فعلى صعيد العقائد السماوية ، يرى جميع المعترفين بالعقيدة المهدوية ، وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ، أن أهل الجنَّة لا يهرمون ولا يموتون ، وهم

(١) الأعراف - ١٧٩.

فيها مخلَّدون ، مخَلَّدون . . . ومثلهم أهل النار . . فمن الميسور على مخلِّدهم أن يمد في عُمر أوليائه في دار الدنيا مَدّاً مؤقَّتاً لا تخليداً . .

وعلى صعيد العلم والفهم ، سيخرج قائم أهل البيت (ع) قريباً ـ كما ستستنتج من العلامات ـ فيقتنع الناس بالمحسوس والملموس ، حين يجيل سيفه في رؤوس ركبها الانحرافُ عن أمر الله . . فهو مرصود لمثل هذه الحالة بالذات ، لا لجزّ رقاب المؤمنين ، ولا لحرب الصالحين ، بل له يوم موعود مظَفَّر ، ستظهر فيه الخارقة الطبيعية التي تصل إلى القلوب الْغُلْف والأذهان الضالة التي ترى كل شيء بمنظارها الزائغ .

هذا وإن الفحم الحجريّ ـ بِعُرف علْم العلماء بالمحسوس ـ لا ينضج إلا بعد خلقه بمئات آلاف السنين !!!.

والبترول ـ بِعُرف علماء الاختصاص ـ لا يصير صالحاً للاستعمال إلا إذا توفَّرت عناصره في ظروف خاصة وبقيت ملايين السنين !!!.

ومعدن الألماس الثمين ـ بمذهبهم الذي لا ريب عندهم فيه ـ لا يصبح ماساً صافياً ناضجاً إلا بعد أن تُؤَلْمسه الطبيعةُ ملايين وملايين السنين !!!.

ناهيك عن الشموس التي اكتشفها العلم الحديث ، والتي تكبر شمسنا بملايينِ ملايينِ المرات ، وهي مبثوثة في أُفق لا مُتناهٍ ، يسير نورها نحونا منذ ملايين السنين ، ولم يصل إلينا بعد ، بالرغم من أنه يسير بسرعة ثلاثمئة ألف كيلو متر في الثانية الواحدة !!!.

وَيْ ، وَيْ . . كل هذه الملايين معقولةٌ ، نأخذها من أفواههم أَخْذَ المسلَّمات لا شبهة فيها ولا بقائليها ، إلاّ مهديَّنا الذي عُمره أقلّ من ألف ومئَتي سنة إلى الآن ، فهو غير معقول ، والرقم يصدم الأذهان ؟؟؟.

وَيْ ، وَيْ . . يا علماء العصر ، ويا قادة الفكر الحديث نحو التجهيل والتضليل . .

نحن نقول مقالتكم ، ونُقرّ بعلْمكم ، ونسلّم بملايين الملايين التي تطرحونها ، ولكننا نقول لكم : إن الشموس التي ذكرتموها وغيرها مما قد يكون أكبر منها ، كلّها ، موجودةٌ في الكون الذي تحتويه السماء الدنيا ـ أقرب السماوات إلينا ـ وتطويه قدرة الله التي تحمل ما هو أكبر منه بملايين وملايين المرات من بقية الكائنات المحيطة بالسماوات السبع وما فيهنَّ وما بينهنَّ وما فوقهنَّ !!!.

فكيف بنا وبكم لو ادَّعينا أن قائمنا عليه السلام لن ترهص عنه إرادة الله إلا بعد ملايين وملايين السنين ، كفحمكم الحجريّ ، وكبترولكم ، وكالألماس والشموس النائية وغيرها ؟.

مَهْيَمْ !. مَهْيَمْ يا أُناسِيّ !.

ما أرخص الملايين في عُرفكم الطائش ، وما أغلى الوقت وأثمنه في عُرفنا الرَّصين الذي نَصدر فيه عمَّا قاله الله تعالى لنبيّه : ﴿ **وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ** !!(1) ﴾ .

أفنقول لهؤلاء من ذوي المنطق الأعوج : ﴿ **أَفَتُؤْمِنُوْنَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُوْن بِبَعْض** ﴾(2) ???.

لا . . وصدِّقوني أن طول عُمره ، وغَيبته ، ممكنان . . وخفاؤه وتخفّيه مقبولان نصّاً وعقلاً . . وهو مستخفٍ من أبالسة كلام ، ومُلَقْلِقة لسان ، سيتعتعهم سيفُه القاطع . . ولا بدّ من خروجه ، ولا بدّ من نزول عيسى (ع) في دولته . . ومَن قَدِر على إيجاده هكذا ، وحفظ موسى طفلاً في تابوت سعف النخل فوق صفحة مياه النيل في أشد أيام الصعوبة على الأطفال الذُّكرانِ من بني إسرائيل ، وقدر على تطويل عُمر الخضر (ع) وإخفائه عن الأبصار ، يَقدِر على حفظ القائم (ع) طويل العُمر ، مستخفياً عن أعين المرتابين . . وبكثرة المرتابين فيه وتضاعُف عددهم ، يتعجل الفرَج ويحين الحين بإذن الله تعالى . .

* * *

---

(1) النمل ـ ٦ .

(2) البقرة ـ ٨٥ .

وليس كل خارق للعادة ممنوع حدوثه ولو كان خارقاً لها كما سبق وقلنا، ولا طول عُمر المهديّ (ع) وغَيبته يثيران الاستهجان لكونهما خارقَين لها . . وهاكَ أسماء بعض المعمَّرين من الناس حتى ألف سنة فما فوقها فقط ـ ولم نذكر أحداً ممن عُمِّر دون ذلك ـ ليطالعها من تصدم ذهنه هذه المعجزة ، أو يضيق بها صدره . فقد عُمِّر هؤلاء بحسب المصادر التاريخية والوثائق المعتبرة :

سنة :	الأسم :
٣٦٠٠	عوج بن عناق . (وأمه أربتْ على ٣٠٠٠ سنة !).
٣٠٠٠	ذو القرنين .
١٢٠٠	الضحاك (بيورسب).
١٧٥٠ ـ ٢٧٥٠	نوح (ع) .
١٠٠٠	أفريدون بن أثفيان الذي ملك ٥٠٠ سنة .
١٠٠٠	الضحاك ، الثاني .
٢٥٠٠	مَلِك فارس الذي أحدث عيد النيروز ،
	وقيل استتر عن قومه ٦٠٠ سنة .
٣٥٠٠	لقمان بن عاد (الحكيم).
١٧٠٠	ريّان بن دومغ . (والد عزيز مصر الذي كان في أيام يوسف).
٣٥٠٠	دومغ . (والد الريَّان المذكور) .
١٠٠٠	أروى بن شلم . . الخ . . . .[1] .

---

(١) أنظر الغيبة للطوسي ص ٧٩ و٨٥ والبحار ج ٥١ ص ٢٤٣ و٢٨٨ و٢٩٠ وتاريخ سنيِّ ملوك الأرض ص ١٧ و٢٧ وحقائق الإيمان ص ١٧٣ و١٧٥ وإلزام الناصب ص ٨٦ و٩٢ والمهدي ص ١٢٧ والبرهان ص ١١ إلى ٢٨ وإعلام الورى ص ٤٤٢ والإمام المهدي من ص ١٦٧ إلى ص ٢١٤ حيث ذكر ٢٢٣ معمّراً غير عاديين مع ذكر مصادره . وفي كشف الغمة ج ٣ ص ٣٣٣ ذكر أن عاداً الكبير عاش ٣٥٠٠ سنة .

ها إن هؤلاء - الذين بعضُهم عاديون لا تقتضي مصلحةٌ من المصالح بقاءهم ، ولا تفرض علّةٌ معروفة لدينا أن يُمَدَّ في أعمارهم - عُمِّروا حتى بلغ بعضهم الثلاثة آلاف وستمئة سنة ! . فكيف لا يرتضي الناس واحداً لم يبلغ بعد ربع الألف الثاني من عُمره ؟؟؟.

أَلَا إنه لا عَجَب في إنكار الجاهل إن كان جهله بسيطاً ، ولكن العجب والتعجب من العالم العارف الذي ينقاد بالهوى إلى جهل مركَّب ، فيعترف بمثل جميع ما أوردناه ثم ينكر علينا طول عُمر واحد فقط !! هو أولى بالتعمير من إبليس الناس ، ﴿ الَّذِيْ يُوَسْوِسُ فِي صُدُوْرِ آلنَّاس ، مِنَ آلْجِنَّةِ وَآلنَّاس ﴾[1] ، يا أيها الناس ؟. وسيخرج حين يؤذَن له كما وصَفه إمامُنا الحسنُ بن عليٍّ (ع) حين قال للمتعجِّبين من طول عُمُره :

- لو قام المهديّ لأنكره الناس ، لأنه يرجع إليهم شابّاً وهم يحسبونه شيخاً كبيراً ![2] .

وكَما قال الصادق (ع) أيضاً :

- أَمَا إنَّه لَو قد قام لقالَ الناس : أنىَّ يكون هذا وقد بليتْ عظامُه منذ دهرٍ طويل ؟![3] . (من كذا وكذا ؟).

نعم ، سيخرج .. ﴿ فَانْتَظِروا ، إنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِيْنَ ﴾[4] .. وتعجَّبوا من قصر أعماركم في هذا العصر ، لا من طول أعمار غيركم في سالف الزمان ..

* * *

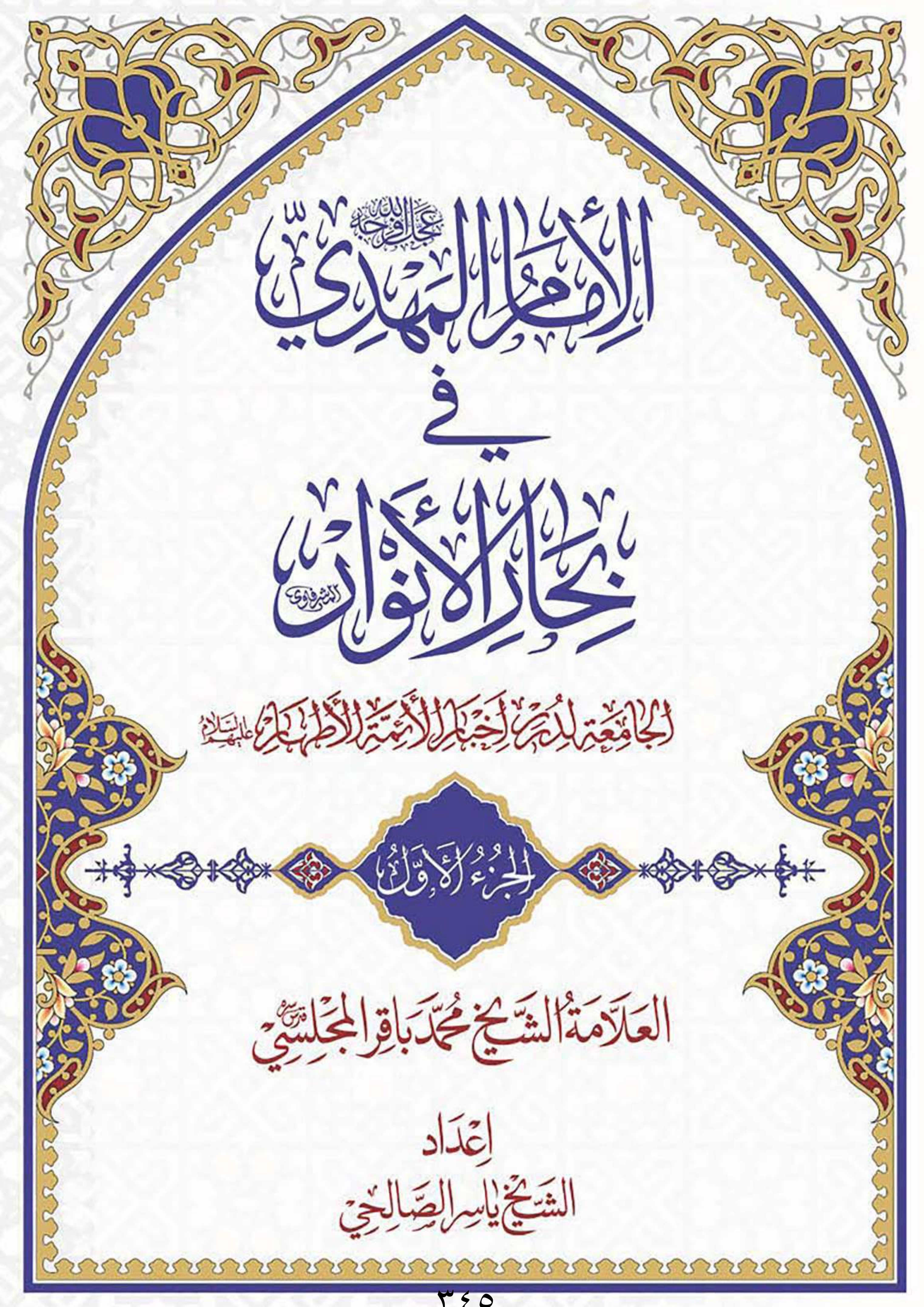
---

(١) الناس - ٥ - ٦ .

(٢) ينابيع المودة ج ٣ ص ١٦٧ ! ومنتخب الأثر ص ٢٨٥ والمهدي ص ٢٠٦ نقلاً عن البخاري الفصل الثاني . عن الحسين (ع) .

(٣) البحار ج ٥١ ص ١٤٨ و٢٢٥ وج ٥٢ ص ٢٩١ وإلزام الناصب ص ٨٠ و١٨٩ والغيبة للطوسي ص ٢٦ ومنتخب الأثر ص ٢٧٦ وبشارة الإسلام ص ٩٩ وص ٨٧ عن الباقر عليه السلام .

(٤) الأعراف - ٧١ .


الإمام المهدي عجل الله فرجه
في
بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام
الجزء الأول
العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره
إعداد
الشيخ ياسر الصالحي

الإمام المهدي عليه السلام في بحار الأنوار / ج (١)
تأليف: العلَّامة الشيخ محمّد باقر المجلسي قدس سره
إعداد: الشيخ ياسر الصالحي
الناشر: بيت الثقافة المهدويَّة
الطبعة الثانية: ١٤٤٢هـ
عدد النُّسَخ: ١٠٠٠
النجف الأشرف
جميع الحقوق محفوظة للناشر

باب (١٤):

ذكر أخبار المعمَّرين لرفع استبعاد المخالفين عن طول غيبة مولانا القائم (صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين)

وَلْنَبْدَأ بِذِكْرِ مَا ذَكَرَهُ الصَّدُوقُ رحمه الله فِي كِتَابِ إِكْمَالِ الدِّين، قَالَ:

[١/٣٢٥] حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدِ بْن عَبْدِ الْوَهَّابِ الشَّجَرِيُّ[١]، عَنْ مُحَمَّدِ بْن الْقَاسِم[٢] الرَّقِّيِّ وَعَلِيِّ بْنَ الْحَسَن بْن جنكاء اللَّائكي[٣]، قَالَ: لَقِينَا بِمَكَّةَ رَجُلاً مِنْ أَهْل المَغْرِبِ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ مِمَّنْ كَانَ حَضَرَ المَوْسِمَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، وَهِيَ سَنَةُ تِسْع وَثَلَاثِ مِائَةٍ، فَرَأَيْنَا رَجُلاً أَسْوَدَ الرَّأس وَاللِّحْيَةِ كَأَنَّهُ شَنٌّ بَالٍ، وَحَوْلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَوْلَادِهِ وَأَوْلَادِ أَوْلَادِهِ وَمَشَايِخُ مِنْ أَهْل بَلَدِهِ ذَكَرُوا أَنَّهُمْ مِنْ أَقْصَىٰ بِلَادِ المَغْرِبِ بِقُرْبِ بَاهِرَةَ[٤] الْعُلْيَا، وَشَهِدُوا هَؤُلَاءِ المَشَايِخُ أَنَّهُمْ سَمِعُوا آبَاءَهُمْ حَكَوْا عَنْ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ أَنَّهُمْ عَهِدُوا هَذَا الشَّيْخَ المَعْرُوفَ بِأَبِي الدُّنْيَا مُعَمَّرٍ وَاسْمُهُ عَلِيُّ بْنُ عُثْمَان بْن خَطَّابِ بْن مُرَّةَ بْن مُؤَيَّدٍ، وَذَكَرَ[٥] أَنَّهُ هَمْدَانِيٌّ، وَأَنَّ أَصْلَهُ مِنْ صُعْدِ[٦] الْيَمَن، فَقُلْنَا لَهُ: أَنْتَ رَأَيْتَ عَلِيَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقَالَ بِيَدِهِ فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَقَدْ كَانَ وَقَعَ حَاجِبَاهُ عَلَىٰ عَيْنَيْهِ فَفَتَحَهُمَا كَأَنَّهُمَا سِرَاجَان، فَقَالَ: رَأَيْتُهُ بِعَيْنِي هَاتَيْن، وَكُنْتُ خَادِماً لَهُ، وَكُنْتُ مَعَهُ فِي وَقْعَةِ صِفِّينَ، وَهَذِهِ الشَّجَّةُ مِنْ دَابَّةِ عَلِيٍّ عليه السلام، وَأَرَانَا أَثَرَهَا عَلَىٰ حَاجِبِهِ الْأَيْمَن، وَشَهِدَ الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ كَانُوا حَوْلَهُ مِنَ المَشَايِخ وَمِنْ حَفَدَتِهِ وَأَسْبَاطِهِ بِطُولِ الْعُمُر، وَأَنَّهُمْ مُنْذُ وُلِدُوا عَهِدُوهُ عَلَىٰ هَذِهِ الْحَالَةِ، وَكَذَا سَمِعْنَا مِنْ آبَائِنَا وَأَجْدَادِنَا.

٢٢٦
٥١

(١) في المصدر: (السجزيّ) بدل (الشجري)، وفي بعض النُّسَخ من المصدر كما في المتن.

(٢) في المصدر: (الفتح) بدل (القاسم).

(٣) في المصدر: (الأشكي) بدل (اللَّائكي).

(٤) في المصدر: (باهرت).

(٥) في المصدر: (ذكروا).

(٦) في المصدر: (صنعاء) بدل (صعد)، وفي بعض النُّسَخ من المصدر: (صعيد).

ثُمَّ إِنَّا فَاتَحْنَاهُ وَسَأَلْنَاهُ عَنْ قِصَّتِهِ وَحَالِهِ وَسَبَبِ طُولِ عُمُرِهِ، فَوَجَدْنَاهُ ثَابِتَ الْعَقْلِ يَفْهَمُ مَا يُقَالُ لَهُ وَيُجِيبُ عَنْهُ بِلُبٍّ وَعَقْلٍ، فَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ وَالِدٌ قَدْ نَظَرَ فِي كُتُبِ الْأَوَائِلِ وَقَرَأَهَا، وَقَدْ كَانَ وَجَدَ فِيهَا ذِكْرَ نَهَرِ الْحَيَوَانِ، وَأَنَّهَا تَجْرِي فِي الظُّلُمَاتِ، وَأَنَّهُ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا طَالَ عُمُرُهُ، فَحَمَلَهُ الْحِرْصُ عَلَىٰ دُخُولِ الظُّلُمَاتِ، فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ حَسَبَ مَا قَدَّرَ أَنَّهُ يَكْتَفِي بِهِ فِي مَسِيرِهِ، وَأَخْرَجَنِي مَعَهُ، وَأَخْرَجَ مَعَنَا خَادِمَيْنِ بَازِلَيْنِ[١] وَعِدَّةَ جِمَالٍ لَبُونٍ وَرَوَايَا وَزَاداً، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَسَارَ بِنَا إِلَىٰ أَنْ وَافَيْنَا طَرَفَ الظُّلُمَاتِ ثُمَّ دَخَلْنَا الظُّلُمَاتِ، فَسِرْنَا فِيهَا نَحْوَ سِتَّةِ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا، وَكُنَّا نُمَيِّزُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِأَنَّ النَّهَارَ كَانَ أَضْوَأَ قَلِيلاً وَأَقَلَّ ظُلْمَةً مِنَ اللَّيْلِ.

فَنَزَلْنَا بَيْنَ جِبَالٍ وَأَوْدِيَةٍ وَرَكَوَاتٍ[٢]، وَقَدْ كَانَ وَالِدِي رحمه الله يَطُوفُ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ فِي طَلَبِ النَّهَرِ، لِأَنَّهُ وَجَدَ فِي الْكُتُبِ الَّتِي قَرَأَهَا أَنَّ مَجْرَىٰ نَهَرِ الْحَيَوَانِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، فَأَقَمْنَا فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ أَيَّاماً حَتَّىٰ فَنِيَ الْمَاءُ الَّذِي كَانَ مَعَنَا وَأَسْقَيْنَاهُ[٣] جِمَالَنَا، وَلَوْ لَا أَنَّ جِمَالَنَا كَانَتْ لَبُوناً لَهَلَكْنَا وَتَلِفْنَا عَطَشاً، وَكَانَ وَالِدِي يَطُوفُ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ فِي طَلَبِ النَّهَرِ، وَيَأْمُرُنَا أَنْ نُوقِدَ نَاراً لِيَهْتَدِيَ بِضَوْئِهَا إِذَا أَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَيْنَا.

فَمَكَثْنَا فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ نَحْوَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ وَوَالِدِي يَطْلُبُ النَّهَرَ فَلَا يَجِدُهُ، وَبَعْدَ الْإِيَاسِ عَزَمَ عَلَىٰ الْإِنْصِرَافِ حَذَراً مِنَ التَّلَفِ لِفَنَاءِ الزَّادِ وَالْمَاءِ وَالْخَدَمِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَنَا، فَأَوْجَسُوا[٤] فِي أَنْفُسِهِمْ خِيفَةً مِنَ الطَّلَبِ، فَأَلَحُّوا عَلَىٰ وَالِدِي بِالْخُرُوجِ

---

(١) في المصدر: (باذلين).

(٢) في المصدر: (دكوات).

(٣) في المصدر: (استقيناه).

(٤) في المصدر: (معنا ضجروا فأوجسوا).

مِنَ الظُّلُمَاتِ، فَقُمْتُ يَوْماً مِنَ الرَّحْلِ لِحَاجَتِي، فَتَبَاعَدْتُ مِنَ الرَّحْلِ قَدْرَ رَمْيَةِ سَهْمٍ، فَعَثَرْتُ بِنَهَرِ مَاءٍ أَبْيَضِ اللَّوْنِ عَذْبٍ لَذِيذٍ لَا بِالصَّغِيرِ مِنَ الْأَنْهَارِ وَلَا بِالْكَبِيرِ يَجْرِي جَرْياً لَيِّناً، فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَغَرَفْتُ مِنْهُ بِيَدِي غُرْفَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً، فَوَجَدْتُهُ عَذْباً بَارِداً لَذِيذاً، فَبَادَرْتُ مُسْرِعاً إِلَىٰ الرَّحْلِ فَبَشَّرْتُ الْخَدَمَ بِأَنِّي قَدْ وَجَدْتُ المَاءَ، فَحَمَلُوا مَا كَانَ مَعَنَا مِنَ الْقِرَبِ وَالْأَدَاوِي[1] لِنَمْلَأَهَا، وَلَمْ أَعْلَمْ أَنَّ وَالِدِي فِي طَلَبِ ذَلِكَ النَّهَرِ، وَكَانَ سُرُورِي بِوُجُودِ المَاءِ لِمَا كُنَّا فِيهِ مِنْ عَدَمِ المَاءِ، وَكَانَ وَالِدِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ غَائِباً عَنِ الرَّحْلِ مَشْغُولاً بِالطَّلَبِ، فَجَهَدْنَا وَطُفْنَا سَاعَةً هَوِيَّةً فِي طَلَبِ[2] النَّهَرِ فَلَمْ نَهْتَدِ إِلَيْهِ حَتَّىٰ إِنَّ الْخَدَمَ كَذَّبُونِي وَقَالُوا لِي: لَمْ تَصْدُقْ.

فَلَمَّا انْصَرَفْتُ إِلَىٰ الرَّحْلِ وَانْصَرَفَ وَالِدِي أَخْبَرْتُهُ بِالْقِصَّةِ، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، الَّذِي أَخْرَجَنِي إِلَىٰ ذَلِكَ المَكَانِ وَتَحَمُّلِ الْخَطَرِ كَانَ لِذَلِكَ النَّهَرِ، وَلَمْ أُرْزَقْ أَنَا وَأَنْتَ رُزِقْتَهُ، وَسَوْفَ يَطُولُ عُمُرُكَ حَتَّىٰ تَمَلَّ الْحَيَاةَ، وَرَحَلْنَا مُنْصَرِفِينَ وَعُدْنَا إِلَىٰ أَوْطَانِنَا وَبَلَدِنَا، وَعَاشَ وَالِدِي بَعْدَ ذَلِكَ سُنَيَّاتٍ ثُمَّ مَاتَ رحمه الله.

فَلَمَّا بَلَغَ سِنِّي قَرِيباً مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَكَانَ قَدِ اتَّصَلَ بِنَا وَفَاةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَوَفَاةُ الْخَلِيفَتَيْنِ بَعْدَهُ خَرَجْتُ حَاجًّا، فَلَحِقْتُ آخِرَ أَيَّامِ عُثْمَانَ.

فَمَالَ قَلْبِي مِنْ بَيْنِ جَمَاعَةِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَأَقَمْتُ مَعَهُ أَخْدُمُهُ، وَشَهِدْتُ مَعَهُ وَقَائِعَ، وَفِي وَقْعَةِ صِفِّينَ أَصَابَتْنِي هَذِهِ الشَّجَّةُ مِنْ دَابَّتِهِ، فَمَا زِلْتُ مُقِيماً مَعَهُ إِلَىٰ أَنْ مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ عليه السلام، فَأَلَحَّ عَلَيَّ أَوْلَادُهُ وَحَرَمُهُ أَنْ أُقِيمَ عِنْدَهُمْ فَلَمْ أُقِمْ وَانْصَرَفْتُ إِلَىٰ بَلَدِي، وَخَرَجْتُ أَيَّامَ بَنِي مَرْوَانَ حَاجًّا، وَانْصَرَفْتُ مَعَ أَهْلِ بَلَدِي إِلَىٰ هَذِهِ الْغَايَةِ مَا خَرَجْتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا مَا كَانَ[3] المُلُوكُ

٢٢٧
٥١

(١) في المصدر: (والأدوات) بدل (والأداوي).

(٢) في المصدر: (علىٰ أنْ نجد) بدل (في طلب).

(٣) في المصدر إضافة: (إلىٰ).

فِي بِلَادِ المَغْرِبِ يَبْلُغُهُمْ خَبَرِي وَطُولُ عُمُرِي فَيَشْخَصُونِي إِلَىٰ حَضْرَتِهِمْ لِيَرَوْنِي وَيَسْأَلُونِي عَنْ سَبَبِ طُولِ عُمُرِي وَعَمَّا شَاهَدْتُ، وَكُنْتُ أَتَمَنَّىٰ وَأَشْتَهِي أَنْ أَحُجَّ حَجَّةً أُخْرَىٰ، فَحَمَلَنِي هَؤُلَاءِ حَفَدَتِي وَأَسْبَاطِيَ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ حَوْلِي. وَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ سَقَطَتْ أَسْنَانُهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً.

فَسَأَلْنَاهُ أَنْ يُحَدِّثَنَا بِمَا سَمِعَ مِنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْن أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ حِرْصٌ وَلَا هِمَّةٌ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَقْتَ صُحْبَتِهِ لِعَلِيِّ بْن أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، وَالصَّحَابَةُ أَيْضاً كَانُوا مُتَوَافِرِينَ، فَمِنْ فَرْطِ مَيْلِي إِلَىٰ عَلِيٍّ عليه السلام وَمَحَبَّتِي لَهُ لَمْ أَشْتَغِلْ بِشَيْءٍ سِوَىٰ خِدْمَتِهِ وَصُحْبَتِهِ، وَالَّذِي كُنْتُ أَتَذَكَّرُهُ مِمَّا كُنْتُ سَمِعْتُهُ مِنْهُ قَدْ سَمِعَهُ مِنِّي عَالَمٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاس بِبِلَادِ المَغْرِبِ وَمِصْرَ وَالْحِجَازِ وَقَدِ انْقَرَضُوا وَتَفَانَوْا، وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ بَلَدِي[1] وَحَفَدَتِي قَدْ دَوَّنُوهُ، فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا النُّسْخَةَ، وَأَخَذَ يُمْلِي عَلَيْنَا مِنْ خَطِّهِ[2]:

٢٢٨/٥١

حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَن عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ بْن خَطَّابِ بْن مُرَّةَ بْن مُؤَيَّدٍ الْهَمْدَانِيِّ المَعْرُوفِ بِأَبِي الدُّنْيَا مُعَمَّرٍ المَغْرِبِيِّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَيًّا وَمَيِّتاً)، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَحَبَّ أَهْلَ الْيَمَن فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَ أَهْلَ الْيَمَن فَقَدْ أَبْغَضَنِي»[3].

وَحَدَّثَنَا أَبُو الدُّنْيَا مُعَمَّرٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَعَانَ مَلْهُوفاً كَتَبَ اللهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ»، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ سَعَىٰ فِي

---

(١) في المصدر: (بيتي) بدل (بلدي).

(٢) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٣٨ - ٥٤١/ باب ٥٠/ ح ١)، وفيه: (حفظه) بدل (خطِّه)، وفي بعض النُّسَخ من المصدر كما في المتن.

(٣) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٤١/ باب ٥٠/ ح ٢).

حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِم لله فِيهَا رضًى وَلَهُ فِيهَا صَلَاحٌ فَكَأَنَّمَا خَدَمَ اللهَ أَلْفَ سَنَةٍ وَلَمْ يَقَعْ فِي مَعْصِيَتِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ»[١].

حَدَّثَنَا أَبُو الدُّنْيَا مُعَمَّرٌ المَغْرِبيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَقُولُ: «أَصَابَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله جُوعٌ شَدِيدٌ وَهُوَ فِي مَنْزِلِ فَاطِمَةَ»، قَالَ عَلِيٌّ: «فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ: يَا عَلِيُّ، هَاتِ المَائِدَةَ، فَقَدَّمْتُ المَائِدَةَ، فَإِذَا عَلَيْهَا خُبْزٌ وَلَحْمٌ مَشْوِيٌّ»[٢].

حَدَّثَنَا أَبُو الدُّنْيَا مُعَمَّرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَقُولُ: «جُرِحْتُ فِي وَقْعَةِ خَيْبَرَ خَمْساً وَعِشْرِينَ جِرَاحَةً، فَجِئْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، فَلَمَّا رَأَىٰ مَا بِي[٣] بَكَىٰ وَأَخَذَ مِنْ دُمُوعِ عَيْنَيْهِ فَجَعَلَهَا عَلَىٰ الْجِرَاحَاتِ، فَاسْتَرَحْتُ مِنْ سَاعَتِي»[٤].

وَحَدَّثَنَا أَبُو الدُّنْيَا، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ مَرَّةً فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَهَا مَرَّتَيْنِ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَي الْقُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ»[٥].

وَحَدَّثَنَا أَبُو الدُّنْيَا، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَقُولُ: «قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: كُنْتُ أَرْعَىٰ الْغَنَمَ، فَإِذَا أَنَا بِذِئْبٍ عَلَىٰ قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا تَصْنَعُ هَاهُنَا؟ فَقَالَ لِي: وَأَنْتَ مَا تَصْنَعُ هَاهُنَا؟ قُلْتُ: أَرْعَىٰ الْغَنَمَ، قَالَ: مُرَّ، أَوْ قَالَ: ذَا الطَّرِيقُ، قَالَ: فَسُقْتُ الْغَنَمَ، فَلَمَّا تَوَسَّطَ الذِّئْبُ الْغَنَمَ إِذَا أَنَا بِهِ قَدْ شَدَّ عَلَىٰ

٢٢٩ / ٥١

(١) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٤١/ باب ٥٠/ ح ٣).
(٢) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٤١/ باب ٥٠/ ح ٤).
(٣) في المصدر إضافة: (من الجراحة).
(٤) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٤٢/ باب ٥٠/ ح ٥).
(٥) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٤٢/ باب ٥٠/ ح ٦).

شَاةٍ فَقَتَلَهَا، قَالَ: فَجِئْتُ حَتَّىٰ أَخَذْتُ بِقَفَاهُ فَذَبَحْتُهُ وَجَعَلْتُهُ عَلَىٰ يَدِي وَجَعَلْتُ أَسُوقُ الْغَنَمَ.

فَلَمَّا[1] سِرْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ وَإِذَا أَنَا بِثَلَاثَةِ أَمْلَاكٍ: جَبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَمَلَكِ المَوْتِ (صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ)، فَلَمَّا رَأَوْنِي قَالُوا: هَذَا مُحَمَّدٌ بَارَكَ اللهُ فِيهِ، فَاحْتَمَلُونِي وَأَضْجَعُونِي وَشَقُّوا جَوْفِي بِسِكِّينٍ كَانَ مَعَهُمْ، وَأَخْرَجُوا قَلْبِي مِنْ مَوْضِعِهِ، وَغَسَلُوا جَوْفِي بِمَاءٍ بَارِدٍ كَانَ مَعَهُمْ فِي قَارُورَةٍ حَتَّىٰ نَقِيَ مِنَ الدَّمِ، ثُمَّ رَدُّوا قَلْبِي إِلَىٰ مَوْضِعِهِ، وَأَمَرُّوا أَيْدِيَهُمْ عَلَىٰ جَوْفِي فَالْتَحَمَ الشَّقُّ بِإِذْنِ الله تَعَالَىٰ، فَمَا أَحْسَسْتُ بِسِكِّينٍ وَلَا وَجَعٍ، قَالَ: وَخَرَجْتُ أَغْدُو إِلَىٰ أُمِّي - يَعْنِي حَلِيمَةَ دَايَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله -، فَقَالَ: [فَقَالَتْ] لِي: أَيْنَ الْغَنَمُ؟ فَخَبَّرْتُهَا بِالْخَبَرِ، فَقَالَتْ: سَوْفَ تَكُونُ لَكَ فِي الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ»[2].

وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدِ بْن عَبْدِ الْوَهَّابِ، قَالَ: ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَتْحِ الْمِرْكَنِيُّ[3] وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ اللَّائِكِي[4] أَنَّ السُّلْطَانَ بِمَكَّةَ لَـمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ أَبِي الدُّنْيَا تَعَرَّضَ لَهُ وَقَالَ: لَا بُدَّ أَنْ أُخْرِجَكَ إِلَىٰ بَغْدَادَ إِلَىٰ حَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْتَدِرِ، فَإِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يَعْتِبَ عَلَيَّ إِنْ لَمْ أُخْرِجْكَ مَعِي، فَسَأَلَهُ الْحَاجُّ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَأَهْلِ مِصْرَ وَالشَّامِ أَنْ يُعْفِيَهُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَشْخَصَهُ فَإِنَّهُ شَيْخٌ ضَعِيفٌ وَلَا يُؤْمَنُ مَا يَحْدُثُ عَلَيْهِ، فَأَعْفَاهُ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَلَوْ أَنِّي أَحْضُرُ الْمَوْسِمَ تِلْكَ[5] السَّنَةَ لَشَاهَدْتُهُ، وَخَبَرُهُ كَانَ شَائِعاً مُسْتَفِيضاً فِي الْأَمْصَارِ، وَكَتَبَ عَنْهُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الْمِصْرِيُّونَ وَالشَّامِيُّونَ وَالْبَغْدَادِيُّونَ وَمِنْ سَائِرِ

---

(١) في المصدر: (فما) بدل (فلمَّا).

(٢) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٤٢/ باب ٥٠/ ح ٧).

(٣) في المصدر: (الرقِّي) بدل (المركني)، راجع سند الحديث (١) من الكتاب.

(٤) في المصدر: (الأشكي) بدل (اللَّائكي).

(٥) في المصدر: (أنِّي حضرت الموسم في تلك).

الْأَمْصَار مَنْ[1] حَضَرَ الْمَوْسِمَ وَبَلَغَهُ خَبَرُ هَذَا الشَّيْخ وَأَحَبَّ أَنْ يَلْقَاهُ وَيَكْتُبَ عَنْهُ[2]، نَفَعَهُمُ اللهُ وَإِيَّانَا بِهَا[3].

[٢/٣٢٦] وَأَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْن يَحْيَىٰ بْن الْحَسَن بْن جَعْفَر بْن عَبْدِ الله بْن الْحَسَن بْن عَلِيِّ بْن الْحُسَيْن بْن عَلِيِّ بْن أَبِي طَالِبٍ عليهم السلام فِيمَا أَجَازَهُ لِي مِمَّا صَحَّ عِنْدِي مِنْ حَدِيثِهِ. وَصَحَّ عِنْدِي هَذَا الْحَدِيثُ بِرِوَايَةِ الشَّرِيفِ أَبِي عَبْدِ الله مُحَمَّدِ بْن الْحَسَن بْن إِسْحَاقَ بْن الْحُسَيْن[4] بْن إِسْحَاقَ بْن مُوسَىٰ بْن جَعْفَر بْن مُحَمَّدِ بْن عَلِيِّ بْن الْحُسَيْن بْن عَلِيِّ بْن أَبِي طَالِبٍ عليهم السلام عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: حَجَجْتُ فِي سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَفِيهَا حَجَّ نَصْرٌ الْقشوريُّ صَاحِبُ[5] الْمُقْتَدِر بِالله، وَمَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ عِمْرَانَ الْمُكَنَّىٰ[6] بِأَبِي الْهَيْجَاءِ، فَدَخَلْتُ مَدِينَةَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي ذِي الْقَعْدَةِ، فَأَصَبْتُ قَافِلَةَ الْمِصْرِيِّينَ، وَبِهَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَادَرَائِيُّ وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِب، وَذَكَرَ أَنَّهُ رَأَىٰ[7] أَصْحَابَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَازْدَحَمُوا وَجَعَلُوا يَمْسَحُونَ بِهِ وَكَادُوا يَأْتُونَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَأَمَرَ عَمِّي أَبُو الْقَاسِم طَاهِرُ بْنُ يَحْيَىٰ فِتْيَانَهُ وَغِلْمَانَهُ، فَقَالَ: أَفْرِجُوا عَنْهُ النَّاسَ، فَفَعَلُوا وَأَخَذُوهُ وَأَدْخَلُوهُ دَارَ أَبِي سَهْلٍ[8] الطَّفِّيِّ، وَكَانَ عَمِّي نَازِلَهَا، فَأُدْخِلَ وَأَذِنَ لِلنَّاس فَدَخَلُوا، وَكَانَ مَعَهُ خَمْسَةُ نَفَرٍ ذَكَرَ أَنَّهُمْ أَوْلَادُ أَوْلَادِهِ، فِيهِمْ

٢٣٠/٥١

(١) في المصدر: (ممَّن) بدل (من).

(٢) في المصدر إضافة: (هذه الأحاديث).

(٣) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٤٢ و٥٤٣/ باب ٥٠/ ح ٧).

(٤) في بعض النُّسَخ من المصدر: (الحسن) بدل (الحسين).

(٥) في بعض النُّسَخ من المصدر: (حاجب) بدل (صاحب).

(٦) في المصدر: (عبد الله بن حمدان المكنَّىٰ) بدل (عبد الرحمن بن عمران المكنَّىٰ).

(٧) في المصدر إضافة: (رجلاً من).

(٨) في المصدر: (ابن أبي سهل).

شَيْخٌ لَهُ نَيِّفٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، فَسَأَلْنَاهُ عَنْهُ، فَقَالَ: هَذَا ابْنُ ابْنِي، وَآخَرُ لَهُ سَبْعُونَ سَنَةً، فَقَالَ: هَذَا ابْنُ ابْنِي، وَاثْنَان لَهُمَا سِتُّونَ سَنَةً أَوْ خَمْسُونَ أَوْ نَحْوُهَا، وَآخَرُ لَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَقَالَ: هَذَا ابْنُ ابْن ابْنِي، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ فِيهِمْ أَصْغَرُ مِنْهُ، وَكَانَ إِذَا رَأَيْتَهُ قُلْتَ: ابْنُ ثَلَاثِينَ[١] أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، أَسْوَدُ الرَّأس وَاللِّحْيَةِ، ضَعِيفُ[٢] الْجِسْم، آدَمُ، رَبْعٌ مِنَ الرِّجَالِ، خَفِيفُ الْعَارِضَيْنِ[٣]، إِلَىٰ قِصَرٍ أَقْرَبُ.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ: فَحَدَّثَنَا هَذَا الرَّجُلُ وَاسْمُهُ عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ بْن الْخَطَّابِ بْن مُرَّةَ بْن مُؤَيَّدٍ بِجَمِيع مَا كَتَبْنَاهُ عَنْهُ وَسَمِعْنَاهُ مِنْ لَفْظِهِ وَمَا رَأَيْنَا مِنْ بَيَاض عَنْفَقَتِهِ[٤] بَعْدَ اسْودَادِهَا وَرُجُوع سَوَادِهَا بَعْدَ بَيَاضِهَا عِنْدَ شِبَعِهِ مِنَ الطَّعَام.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ: وَلَوْلَا أَنَّهُ حَدَّثَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْل الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْحَاجِّ مِنْ أَهْل مَدِينَةِ السَّلَام وَغَيْرِهِمْ مِنْ جَمِيع الْآفَاقِ مَا حَدَّثْتُ عَنْهُ بِمَا سَمِعْتُ، وَسَمَاعِي مِنْهُ بِالْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ فِي دَار السَّهْمِيِّينَ فِي الدَّار الْمَعْرُوفَةِ بِالْمَكْتُوبَةِ[٥]، وَهِيَ دَارُ عَلِيِّ بْن عِيسَىٰ[٦] الْجَرَّاح، وَسَمِعْتُ مِنْهُ فِي مِضْرَبِ الْقشوريِّ وَمِضْرَبِ الْمَادَرَائِيِّ وَمِضْرَبِ أَبِي الْهَيْجَاءِ، وَسَمِعْتُ مِنْهُ بِمِنًى وَبَعْدَ مُنْصَرفِهِ مِنَ الْحَجِّ بِمَكَّةَ فِي دَار الْمَادَرَائِيِّ عِنْدَ بَابِ الصَّفَا.

٢٣١/٥١ وَأَرَادَ الْقشوريُّ حَمْلَهُ وَوُلْدَهُ إِلَىٰ بَغْدَادَ إِلَىٰ الْمُقْتَدِر، فَجَاءَهُ فُقَهَاءُ أَهْل مَكَّةَ

(١) في المصدر: (هذا ابن ثلاثين سنة).

(٢) في المصدر: (شابٌّ نحيف) بدل (ضعيف).

(٣) في المصدر إضافة: (هو).

(٤) العنفقة: شعيرات بين الشفة السفلىٰ والذقن، قيل لها ذلك لخفَّتها وقلَّتها، وربَّما أُطلقت العنفقة علىٰ موضع تلك الشعيرات.

(٥) في المصدر: (بالمكبَريَّة).

(٦) في المصدر إضافة: (بن).

فَقَالُوا: أَيَّدَ اللهُ الْأُسْتَاذَ إِنَّا رُوِّينَا فِي الْأَخْبَارِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ السَّلَفِ أَنَّ الْمُعَمَّرَ الْمَغْرِبِيَّ إِذَا دَخَلَ مَدِينَةَ السَّلَامِ افْتُتِنَتْ[1] وَخَرِبَتْ وَزَالَ الْمُلْكُ، فَلَا تَحْمِلْهُ وَرُدَّهُ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ، فَسَأَلْنَا مَشَايِخَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَمِصْرَ، فَقَالُوا: لَمْ نَزَلْ نَسْمَعُ مِنْ آبَائِنَا وَمَشَايِخِنَا يَذْكُرُونَ اسْمَ هَذَا الرَّجُلِ وَاسْمَ الْبَلَدِ الَّذِي هُوَ مُقِيمٌ فِيهِ طَنْجَةَ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُهُمْ بِأَحَادِيثَ قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَهَا فِي كِتَابِنَا هَذَا.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ[2]: فَحَدَّثَنَا هَذَا الشَّيْخُ أَعْنِي عَلِيَّ بْنَ عُثْمَانَ الْمَغْرِبِيَّ بَدْوَ خُرُوجِهِ مِنْ بَلَدِهِ مِنْ حَضْرَمَوْتَ[3]، وَذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ خَرَجَ هُوَ وَعَمُّهُ وَأَخْرَجَا[4] بِهِ مَعَهُمَا يُرِيدُونَ الْحَجَّ وَزِيَارَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، فَخَرَجُوا مِنْ بِلَادِهِمْ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَسَارُوا أَيَّاماً ثُمَّ أَخْطَئُوا الطَّرِيقَ وَتَاهُوا عَنِ الْمَحَجَّةِ، فَأَقَامُوا تَائِهِينَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَةَ لَيَالٍ عَلَىٰ غَيْرِ مَحَجَّةٍ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ وَقَعُوا فِي جِبَالِ رَمْلٍ يُقَالُ لَهُ: رَمْلُ عَالِجٍ يَتَّصِلُ بِرَمْلِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ[5]، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ نَظَرْنَا إِلَىٰ أَثَرِ قَدَمٍ طَوِيلٍ، فَجَعَلْنَا نَسِيرُ عَلَىٰ أَثَرِهَا، فَأَشْرَفْنَا عَلَىٰ وَادٍ، وَإِذَا بِرَجُلَيْنِ قَاعِدَيْنِ عَلَىٰ بِئْرٍ أَوْ عَلَىٰ عَيْنٍ.

قَالَ: فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْنَا قَامَ أَحَدُهُمَا فَأَخَذَ دَلْواً فَأَدْلَاهُ فَاسْتَقَىٰ فِيهِ مِنْ تِلْكَ الْعَيْنِ أَوِ الْبِئْرِ وَاسْتَقْبَلَنَا، فَجَاءَ إِلَىٰ أَبِي فَنَاوَلَهُ الدَّلْوَ، فَقَالَ أَبِي: قَدْ أَمْسَيْنَا نُنِيخُ عَلَىٰ هَذَا الْمَاءِ وَنُفْطِرُ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَصَارَ إِلَىٰ عَمِّي فَقَالَ: اشْرَبْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ كَمَا رَدَّ عَلَيْهِ أَبِي، فَنَاوَلَنِي فَقَالَ لِي: اشْرَبْ، فَشَرِبْتُ، فَقَالَ لِي: هَنِيئاً لَكَ، فَإِنَّكَ سَتَلْقَىٰ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَأَخْبِرْهُ أَيُّهَا الْغُلَامُ بِخَبَرِنَا، وَقُلْ لَهُ: الْخَضِرُ وَإِلْيَاسُ يُقْرِئَانِكَ

---

(١) في المصدر: (فنيت) بدل (افتتنت).

(٢) بقيَّة كلام الصدوق رحمه الله.

(٣) في المصدر: (بلدة حضرموت).

(٤) في المصدر: (وعمُّه محمّد وخرجا).

(٥) في المصدر إضافة: (قال).

[السَّلَامَ][1]، وَسَتُعَمَّرُ حَتَّىٰ تَلْقَىٰ المَهْدِيَّ وَعِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ عليهما السلام، فَإِذَا لَقِيتَهُمَا فَأَقْرِئْهُمَا السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَا: مَا يَكُونُ هَذَانِ مِنْكَ؟ فَقُلْتُ: أَبِي وَعَمِّي، فَقَالَا: أَمَّا عَمُّكَ فَلَا يَبْلُغُ مَكَّةَ، وَأَمَّا أَنْتَ وَأَبُوكَ فَسَتَبْلُغَانِ، وَيَمُوتُ أَبُوكَ، فَتُعَمَّرُ أَنْتَ، وَلَسْتُمْ تَلْحَقُونَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله، لأَنَّهُ قَدْ قَرُبَ أَجَلُهُ، ثُمَّ مَثَلَا[2].

فَوَ اللهِ مَا أَدْرِي أَيْنَ مَرَّا أَفِي السَّمَاءِ أَوْ فِي الْأَرْضِ، فَنَظَرْنَا وَإِذَا لَا أَثَرَ[3] وَلَا عَيْنَ وَلَا مَاءَ، فَسِرْنَا مُتَعَجِّبِينَ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ أَنْ رَجَعْنَا إِلَىٰ نَجْرَانَ، فَاعْتَلَّ عَمِّي وَمَاتَ بِهَا، وَأَتْمَمْتُ أَنَا وَأَبِي حَجَّنَا وَوَصَلْنَا إِلَىٰ المَدِينَةِ، فَاعْتَلَّ بِهَا أَبِي وَمَاتَ وَأَوْصَىٰ إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَأَخَذَنِي وَكُنْتُ مَعَهُ أَيَّامَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَخِلَافَتِهِ حَتَّىٰ قَتَلَهُ ابْنُ مُلْجَم (لَعَنَهُ اللهُ).

٢٣٢/٥١

وَذَكَرَ أَنَّهُ لَـمَّا حُوصِرَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فِي دَارِهِ دَعَانِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَاباً وَنَجِيباً وَأَمَرَنِي بِالخُرُوجِ إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَكَانَ غَائِباً بِيَنْبُعَ فِي مَالِهِ وَضِيَاعِهِ، فَأَخَذْتُ الْكِتَابَ وَصِرْتُ إِلَىٰ مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ: جِدَارُ أَبِي عَبَايَةَ سَمِعْتُ قُرْآناً، فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَسِيرُ مُقْبِلاً مِنْ يَنْبُعَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ قَالَ: «أَبَا الدُّنْيَا، مَا وَرَاكَ؟»، قُلْتُ: هَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَخَذَهُ فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ:

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولاً فَكُنْ أَنْتَ آكِلِي ... وَإِلَّا فَأَدْرِكْنِي وَلَـمَّا أُمَزَّقْ

فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ: «سِرْ»[4]، فَدَخَلَ إِلَىٰ المَدِينَةِ سَاعَةَ قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَمَالَ

---

(١) من المصدر.

(٢) أي قاما وذهبا. وفي المصدر: (مرَّا) بدل (مثلا).

(٣) في المصدر: (بئر) بدل (أثر).

(٤) في المصدر: (بِرٌّ سِرٌّ) بدل (سِرْ).

إِلَىٰ حَدِيقَةِ بَنِي النَّجَّار، وَعَلِمَ النَّاسُ بِمَكَانِهِ، فَجَاءُوا إِلَيْهِ رَكْضاً وَقَدْ كَانُوا عَازِمِينَ عَلَىٰ أَنْ يُبَايِعُوا طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ الله، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ ارْفَضُّوا إِلَيْهِ ارْفِضَاضَ الْغَنَم شَدَّ عَلَيْهَا السَّبُعُ، فَبَايَعَهُ طَلْحَةُ، ثُمَّ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ بَايَعَ المُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ.

فَأَقَمْتُ مَعَهُ أَخْدُمُهُ، فَحَضَرْتُ مَعَهُ الجَمَلَ وَصِفِّينَ، وَكُنْتُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ وَاقِفاً عَنْ يَمِينِهِ إِذْ سَقَطَ سَوْطُهُ مِنْ يَدِهِ، فَأَكْبَبْتُ آخُذُهُ وَأَرْفَعُهُ[1] إِلَيْهِ، وَكَانَ لِجَامُ دَابَّتِهِ حَدِيداً مُزَجَّجاً، فَرَفَعَ الْفَرَسُ رَأسَهُ فَشَجَّنِي هَذِهِ الشَّجَّةَ الَّتِي فِي صُدْغِي، فَدَعَانِي أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ فَتَفَلَ فِيهَا، وَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فَتَرَكَهُ عَلَيْهَا، فَوَ الله مَا وَجَدْتُ لَهَا أَلَماً وَلَا وَجَعاً، ثُمَّ أَقَمْتُ مَعَهُ حَتَّىٰ قُتِلَ (صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ)، وَصَحِبْتُ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام حَتَّىٰ ضُرِبَ بِسَابَاطِ المَدَائِنِ، ثُمَّ بَقِيتُ مَعَهُ بِالمَدِينَةِ أَخْدُمُهُ وَأَخْدُمُ الحُسَيْنَ عليه السلام حَتَّىٰ مَاتَ الحَسَنُ عليه السلام مَسْمُوماً سَمَّتْهُ جَعْدَةُ بِنْتُ الْأَشْعَثِ بْن قَيْسٍ الْكِنْدِيِّ لَعَنَهَا اللهُ دَسًّا مِنْ مُعَاوِيَةَ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَ الحُسَيْن بْن عَلِيٍّ عليه السلام حَتَّىٰ حَضَرَ[2] كَرْبَلَاءَ وَقُتِلَ عليه السلام، وَخَرَجْتُ هَارِباً مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، وَأَنَا مُقِيمٌ بِالمَغْرِبِ أَنْتَظِرُ خُرُوجَ المَهْدِيِّ وَعِيسَىٰ بْن مَرْيَمَ عليهما السلام.

٢٣٣/٥١ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيُّ رضي الله عنه: وَمِنْ عَجِيبِ مَا رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الشَّيْخ عَلِيِّ بْن عُثْمَانَ وَهُوَ فِي دَار عَمِّي طَاهِر بْن يَحْيَىٰ رضي الله عنه وَهُوَ يُحَدِّثُ بِهَذِهِ الْأَعَاجِيبِ وَبَدْو خُرُوجِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَىٰ عَنْفَقَتِهِ وَقَدِ احْمَرَّتْ ثُمَّ ابْيَضَّتْ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَىٰ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي لِحْيَتِهِ وَلَا فِي رَأسِهِ وَلَا فِي عَنْفَقَتِهِ بَيَاضٌ الْبَتَّةَ.

قَالَ: فَنَظَرَ إِلَىٰ نَظَرِي إِلَىٰ لِحْيَتِهِ وَعَنْفَقَتِهِ، فَقَالَ: مَا تَرَوْنَ؟ إِنَّ هَذَا يُصِيبُنِي إِذَا جُعْتُ فَإِذَا شَبِعْتُ رَجَعَتْ إِلَىٰ سَوَادِهَا، فَدَعَا عَمِّي بِطَعَامٍ وَأَخرجَ مِنْ دَارِهِ ثَلَاثُ مَوَائِدَ، فَوُضِعَتْ وَاحِدَةٌ بَيْنَ يَدَي الشَّيْخ، وَكُنْتُ أَنَا أَحَدُ مَنْ جَلَسَ عَلَيْهَا،

---

(١) في المصدر: (أدفعه) بدل (أرفعه).

(٢) في المصدر: (حضرت).

فَأَكَلْتُ مَعَهُ، وَوُضِعَتِ المَائِدَتَان فِي وَسَطِ الدَّار، وَقَالَ عَمِّي لِلْجَمَاعَةِ: بِحَقِّي عَلَيْكُمْ إِلَّا أَكَلْتُمْ وَتَحَرَّمْتُمْ بِطَعَامِنَا، فَأَكَلَ قَوْمٌ وَامْتَنَعَ قَوْمٌ، وَجَلَسَ عَمِّي عَلَىٰ يَمِينِ الشَّيْخِ يَأكُلُ وَيُلْقِي بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَكَلَ أَكْلَ شَابٍّ وَعَمِّي يُحْلِفُ عَلَيْهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَىٰ عَنْفَقَتِهِ وَهِيَ تَسْوَدُّ حَتَّىٰ إِذَا[1] عَادَتْ إِلَىٰ سَوَادِهَا [حِينَ] شَبعَ[2].

فَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ بْن خَطَّاب، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَحَبَّ أَهْلَ الْيَمَن فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَقَدْ أَبْغَضَنِي»[3].

حَدِيثُ عُبَيْدِ بْن شَرِيدٍ الْجُرْهُمِيِّ:

[٣/٣٢٧] حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدِ بْن عَبْدِ الْوَهَّابِ الشَّجَرِيُّ[4]، قَالَ: وَجَدْتُ فِي كِتَابٍ لِأَخِي أَبِي الْحَسَن بِخَطِّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِمَّنْ قَرَأَ الْكُتُبَ وَسَمِعَ الْأَخْبَارَ أَنَّ عُبَيْدَ بْنَ شَرِيدٍ الْجُرْهُمِيَّ وَهُوَ مَعْرُوفٌ عَاشَ ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، فَأَدْرَكَ النَّبِيَّ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَعَمَّرَ بَعْدَ مَا قُبِضَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله حَتَّىٰ قَدِمَ عَلَىٰ مُعَاوِيَةَ فِي أَيَّامِ تَغَلُّبِهِ وَمُلْكِهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: أَخْبِرْنِي يَا عُبَيْدُ عَمَّا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ، وَمَنْ أَدْرَكْتَ، وَكَيْفَ رَأَيْتَ الدَّهْرَ؟ قَالَ: أَمَّا الدَّهْرُ فَرَأَيْتُ لَيْلاً يُشْبِهُ لَيْلاً، وَنَهَاراً يُشْبِهُ نَهَاراً، وَمَوْلُوداً يُولَدُ، وَمَيِّتاً يَمُوتُ، وَلَمْ أُدْرِكْ أَهْلَ زَمَانٍ إِلَّا وَهُمْ يَذُمُّونَ زَمَانَهُمْ.

وَأَدْرَكْتُ مَنْ قَدْ عَاشَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَحَدَّثَنِي عَمَّنْ قَدْ كَانَ قَبْلَهُ قَدْ عَاشَ أَلْفَيْ سَنَةٍ. وَأَمَّا مَا سَمِعْتُ فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ حِمْيَرٍ أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ

---

(١) كلمة: (إذا) ليست في المصدر.

(٢) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٤٣ - ٥٤٧/ باب ٥٠/ ح ٩)، وفيه: (وشبع) بدل (حين شبع).

(٣) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٤٧/ باب ٥٠/ ح ١٠).

(٤) في المصدر: (السجزِّي) بدل (الشجري).

النَّابِغَةِ[١] مِمَّنْ دَانَتْ لَهُ الْبِلَادُ كَانَ يُقَالُ لَهُ: ذُو سَرْح، كَانَ أُعْطِيَ الْمُلْكَ فِي عُنْفُوَان شَبَابِهِ، وَكَانَ حَسَنَ السِّيرَةِ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ سَخِيًّا فِيهِمْ مُطَاعاً، فَمَلَكَهُمْ سَبْعَمِائَةِ سَنَةٍ، وَكَانَ كَثِيراً مَا[٢] يَخْرُجُ فِي خَاصَّتِهِ إِلَىٰ الصَّيْدِ وَالنُّزْهَةِ.

٢٣٤ / ٥١

فَخَرَجَ يَوْماً إِلَىٰ بَعْضِ مُتَنَزِّهِهِ، فَأَتَىٰ إِلَىٰ حَيَّتَيْنِ أَحَدُهُمَا بَيْضَاءُ كَأَنَّهَا سَبِيكَةُ فِضَّةٍ وَالْأُخْرَىٰ سَوْدَاءُ كَأَنَّهَا حُمَمَةٌ، وَهُمَا يَقْتَتِلَان، وَقَدْ غَلَبَتِ السَّوْدَاءُ الْبَيْضَاءَ وَكَادَتْ تَأْتِي عَلَىٰ نَفْسِهَا، فَأَمَرَ المَلِكُ بِالسَّوْدَاءِ فَقُتِلَتْ، وَأَمَرَ بِالْبَيْضَاءِ فَاحْتُمِلَتْ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ بِهَا إِلَىٰ عَيْنٍ مِنْ مَاءٍ بَقِيٍّ[٣] عَلَيْهَا شَجَرَةٌ، فَأَمَرَ فَصُبَّ عَلَيْهَا مِنَ المَاءِ وَسُقِيَتْ حَتَّىٰ رَجَعَ إِلَيْهَا نَفْسُهَا فَأَفَاقَتْ فَخَلَّىٰ سَبِيلَهَا، فَانْسَابَتِ الْحَيَّةُ وَمَضَتْ لِسَبِيلِهَا، وَمَكَثَ المَلِكُ يَوْمَئِذٍ فِي مُتَصَيَّدِهِ وَنُزْهَتِهِ.

فَلَمَّا أَمْسَىٰ وَرَجَعَ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ وَجَلَسَ عَلَىٰ سَرِيرِهِ فِي مَوْضِعٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ حَاجِبٌ وَلَا أَحَدٌ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا [إِذْ] رَأَىٰ شَابًّا آخِذاً بِعِضَادَتَيِ الْبَابِ وَبِهِ مِنَ الثِّيَابِ[٤] وَالْجَمَالِ شَيْءٌ لَا يُوصَفُ، فَسَلَّمَ عَلَىٰ المَلِكِ، فَذَعِرَ مِنْهُ المَلِكُ، وَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ وَمَنْ أَدْخَلَكَ وَأَذِنَ لَكَ فِي الدُّخُولِ عَلَيَّ فِي هَذَا المَوْضِعِ الَّذِي لَا يَصِلُ فِيهِ حَاجِبٌ وَلَا غَيْرُهُ؟ فَقَالَ لَهُ الْفَتَىٰ: لَا تَرُعْ أَيُّهَا المَلِكُ إِنِّي لَسْتُ بِإِنْسِيٍّ وَلَكِنِّي فَتًى مِنَ الْجِنِّ أَتَيْتُكَ لِأُجَازِيَكَ عَلَىٰ بَلَائِكَ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ عِنْدِي، قَالَ المَلِكُ: وَمَا بَلَائِي عِنْدَكَ؟ قَالَ: أَنَا الْحَيَّةُ الَّتِي أَحْيَيْتَنِي فِي يَوْمِكَ هَذَا، وَالْأَسْوَدُ الَّذِي قَتَلْتَهُ وَخَلَّصْتَنِي مِنْهُ كَانَ غُلَاماً لَنَا [تَمَرَّدَ عَلَيْنَا][٥] وَقَدْ قَتَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي عِدَّةً كَانَ إِذَا خَلَا بِوَاحِدٍ مِنَّا قَتَلَهُ، فَقَتَلْتَ عَدُوِّي وَأَحْيَيْتَنِي، فَجِئْتُ لِأُكَافِيَكَ

---

(١) في المصدر: (التبابعة) بدل (النابغة).

(٢) كلمة: (ما) ليست في المصدر.

(٣) في المصدر: (نقي) بدل (بقي).

(٤) في المصدر: (الشباب) بدل (الثياب).

(٥) من المصدر.

بِبَلَائِكَ عِنْدِي، وَنَحْنُ أَيُّهَا المَلِكُ الجِنُّ لَا الجِنُّ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الجِنِّ وَالجِنِّ.

ثُمَّ انْقَطَعَ الحَدِيثَ الَّذِي كَتَبَ[1] أَخِي، فَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ تَمَامُهُ[2].

حَدِيثُ الرَّبِيعِ بْنِ الضَّبُعِ الْفَزَارِيِّ:

[٤/٣٢٨] حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَىٰ الْمُكَتِّبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الطَّيِّبِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ الْأَزْدِيُّ الْعُمَانِيُّ بِجَمِيعِ أَخْبَارِهِ وَكُتُبِهِ الَّتِي صَنَّفَهَا، وَوَجَدْنَا فِي أَخْبَارِهِ أَنَّهُ قَالَ: لَـمَّا وَفَدَ النَّاسُ عَلَىٰ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ قَدِمَ فِيمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ الرَّبِيعُ بْنُ الضَّبُعِ الْفَزَارِيُّ، وَكَانَ أَحَدَ الْمُعَمَّرِينَ، وَمَعَهُ ابْنُ ابْنِهِ وَهْبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الرَّبِيعِ شَيْخاً فَانِياً قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَىٰ عَيْنَيْهِ وَقَدْ عَصَبَهُمَا، فَلَمَّا رَآهُ الْآذِنُ وَكَانُوا يَأْذَنُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ أَسْنَانِهِمْ قَالَ لَهُ: ادْخُلْ أَيُّهَا الشَّيْخُ، فَدَخَلَ يَدِبُّ عَلَىٰ الْعَصَا يُقِيمُ بِهَا صُلْبَهُ وَلِحْيَتَهُ عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ.

٢٣٥/٥١

قَالَ: فَلَمَّا رَآهُ عَبْدُ المَلِكِ رَقَّ لَهُ وَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ أَيُّهَا الشَّيْخُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيَجْلِسُ الشَّيْخُ وَجَدُّهُ عَلَىٰ الْبَابِ؟ فَقَالَ: أَنْتَ إِذاً مِنْ وُلْدِ الرَّبِيعِ بْنِ ضَبُعٍ، قَالَ: نَعَمْ، أَنَا وَهْبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ لِلْآذِنِ: ارْجِعْ فَأَدْخِلِ الرَّبِيعَ، فَخَرَجَ الْآذِنُ فَلَمْ يَعْرِفْهُ حَتَّىٰ نَادَىٰ: أَيْنَ الرَّبِيعُ؟ قَالَ: هَا أَنَا ذَا، فَقَامَ يُهَرْوِلُ فِي مِشْيَتِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَىٰ عَبْدِ المَلِكِ سَلَّمَ، فَقَالَ عَبْدُ المَلِكِ: وَأَبِيكُمْ إِنَّهُ[3] لَأَشَبُّ الرَّجُلَيْنِ، يَا رَبِيعُ أَخْبِرْنِي عَمَّا أَدْرَكْتَ مِنَ الْعُمُرِ وَالمَدَىٰ، وَرَأَيْتَ[4] مِنَ الْخُطُوبِ المَاضِيَةِ، قَالَ: أَنَا الَّذِي أَقُولُ:

---

(١) في المصدر: (الحديث من الأصل الذي كتبه أخي).

(٢) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٤٧ - ٥٤٩/ باب ٥١/ ح ١).

(٣) في المصدر: (فقال عبد المَلِك لجلسائه: ويلكم إنَّه).

(٤) في المصدر: (والذي رأيت).

هَا أَنَا ذَا آمُلُ الْخُلُودَ وَقَدْ أَدْرَكَ عُمْرِي وَمَوْلِدِي حَجَرا
أَمَّا[1] امْرُؤُ الْقَيْس قَدْ سَمِعْتَ بِهِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ ذَا عُمُرا

قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: قَدْ رُوِّيتُ هَذَا مِنْ شِعْرِكَ وَأَنَا صَبِيٌّ، قَالَ: وَأَنَا الْقَائِلُ:

إِذَا عَاشَ الْفَتَىٰ مِائَتَيْنِ عَاماً فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَاذَةُ وَالْغِنَاءُ[2]

قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: وَقَدْ رُوِّيتُ هَذَا مِنْ شِعْرِكَ أَيْضاً وَأَنَا غُلَامٌ، وَأَبِيكَ يَا رَبِيعُ لَقَدْ طَلَبَكَ جَدٌّ غَيْرُ عَاثِرٍ، فَفَصِّلْ لِي عُمُرَكَ.

فَقَالَ: عِشْتُ مِائَتَيْ سَنَةٍ فِي الْفَتْرَةِ بَيْنَ عِيسَىٰ وَمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وَعِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَسِتِّينَ سَنَةً فِي الْإِسْلَامِ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْفِتْيَةِ مِنْ قُرَيْشٍ الْمُتَوَاطِئِ الْأَسْمَاءِ، قَالَ: سَلْ عَنْ أَيِّهِمْ شِئْتَ، قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَهْمٌ وَعِلْمٌ وَعَطَاءٌ وَحِلْمٌ وَمُقْرَىً ضَخْم، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ عَبْدِ الله بْن عُمَرَ، قَالَ: حِلْمٌ وَعِلْمٌ وَطَوْلٌ وَكَظْمٌ وَبُعْدٌ مِنَ الظُّلْم، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ عَبْدِ الله بْن جَعْفَرٍ، قَالَ: رَيْحَانَةٌ طَيِّبٌ رِيحُهَا لَيِّنٌ مَسُّهَا قَلِيلٌ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ ضَرَرُهَا، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ عَبْدِ الله بْن الزُّبَيْرِ، قَالَ: جَبَلٌ وَعْرٌ يَنْحَدِرُ مِنْهُ الصَّخْرُ.

٢٣٦/٥١ قَالَ: لله دَرُّكَ مَا أَخْبَرَكَ بِهِمْ؟ قَالَ: قُرْبَ جِوَارِي، وَكَثْرَ اسْتِخْبَارِي[3].

حَدِيثُ شِقٍّ الْكَاهِنِ:

[٣٢٩/ ٥] حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَىٰ الْمُكَتِّبِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الطَّيِّبِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَن بْن دُرَيْدٍ الْأَزْدِيُّ الْعُمَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا

---

(١) في المصدر: (أنا) بدل (أمَّا).

(٢) في المصدر: (الفتاء) بدل (الغناء).

(٣) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٤٩ و٥٥٠/ باب ٥٢/ ح ١).

أَحْمَدُ بْنُ عِيسَىٰ أَبُو بَشِيرٍ الْعُقَيْلِيُّ، عَنْ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ أَبِي قَبِيصَةَ، عَن ابْن الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ شُيُوخاً مِنْ بَجِيلَةَ مَا رَأَيْتُ عَلَىٰ سَرْوِهِمْ وَحُسْن هَيْأَتِهِمْ يُخْبِرُونَ أَنَّهُ عَاشَ [شِقٌّ][1] الْكَاهِن ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ قَوْمُهُ وَقَالُوا لَهُ: أَوْصِنَا فَقَدْ آنَ أَنْ يَفُوتَنَا بِكَ الدَّهْرُ، فَقَالَ: تَوَاصَلُوا وَلَا تَقَاطَعُوا، وَتَقَاتَلُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَأَوْصِلُوا[2] الْأَرْحَامَ، وَاحْفَظُوا الذِّمَامَ، وَسَوِّدُوا الْحَكِيمَ[3]، وَأَجِلُّوا الْكَرِيمَ، وَوَقِّرُوا ذَا الشَّيْبَةِ، وَأَذِلُّوا اللَّئِيمَ، وَتَجَنَّبُوا الْهَزْلَ فِي مَوَاضِع الْجِدِّ، وَلَا تُكَدِّرُوا الْإِنْعَامَ بِالْمَنِّ، وَاعْفُوا إِذَا قَدَرْتُمْ، وَهَادِنُوا إِذَا هَجَرْتُمْ[4]، وَأَحْسِنُوا إِذَا كُوبِدْتُمْ، وَاسْمَعُوا مِنْ مَشَايِخِكُمْ، وَاسْتَبِقُوا دَوَاعِيَ الصَّلَاح عِنْدَ أَوَاخِر[5] الْعَدَاوَةِ، فَإِنَّ بُلُوغَ الْغَايَةِ فِي النَّدَامَةِ[6] جُرْحٌ بَطِيءُ الْإِنْدِمَالِ، وَإِيَّاكُمْ وَالطَّعْنَ فِي الْأَنْسَابِ، وَلَا تَفْحَصُوا عَنْ مَسَاوِيكُمْ، وَلَا تُودِعُوا عَقَائِلَكُمْ غَيْرَ مُسَاوِيكُمْ، فَإِنَّهَا وَصْمَةٌ قَادِحَةٌ[7]، وَقَضَاءَةٌ فَاضِحَةٌ، الرِّفْقَ الرِّفْقَ لَا الْخُرْقَ فَإِنَّ الْخُرْقَ مَنْدَمَةٌ فِي الْعَوَاقِبِ مَكْسَبَةٌ لِلْعَوَائِبِ[8]، الصَّبْرُ أَنْفَذُ عِتَابٍ، وَالْقَنَاعَةُ خَيْرُ مَالٍ، وَالنَّاسُ أَتْبَاعُ الطَّمَعِ، وَقَرَائِنُ الْهَلَعِ، وَمَطَايَا الْجَزَعِ، وَرُوحُ الذُّلِّ التَّخَاذُلُ، وَلَا تَزَالُونَ نَاظِرِينَ بِعُيُونٍ نَائِمَةٍ مَا اتَّصَلَ الرَّجَاءُ بِأَمْوَالِكُمْ، وَالْخَوْفُ بِمَحَالِّكُمْ.

---

(١) من المصدر.

(٢) في المصدر: (بلوا) بدل (أوصلوا).

(٣) في المصدر: (الحليم) بدل (الحكيم).

(٤) في المصدر: (عجزتم) بدل (هجرتم).

(٥) في المصدر: (احن) بدل (أواخر).

(٦) في المصدر: (النكاية) بدل (الندامة).

(٧) في المصدر: (فادحة).

(٨) في المصدر: (للعواتب).

ثُمَّ قَالَ: يَا لَهَا نَصِيحَةً زَلَّتْ عَنْ عَذَبَةٍ فَصِيحَةٍ، إِنْ كَانَ وعَاؤُهَا وَكِيعاً وَمَعْدِنُهَا مَنِيعاً، ثُمَّ مَاتَ.

قال الصدوق رضي الله عنه: إنَّ مخالفينا يروون مثل هذه الأحاديث ويُصدِّقون بها ويروون حديث شدَّاد بن عاد بن إرم ذات العماد وأنَّه عمَّر تسعمائة سنة، ويروون صفة جنَّته وأنَّها مغيَّبة عن الناس فلا تُرىٰ وأنَّها في الأرض. ولا يُصدِّقون بقائم آل محمّد (صلوات الله عليه وعليهم)، ويُكذِّبون بالأخبار التي وردت فيه جحوداً للحقِّ وعناداً لأهله[1].

٢٣٧/٥١

بيان: قوله: (مزجَّجاً) أي مرقَّقاً ممدَّداً. قوله: (لقد طلبك جدٌّ غير عاثر): الجَدُّ بالفتح الحظُّ والبخت والغناء، أي طلبك بخت عظيم لم يعثر حتَّىٰ وصل إليك، أو لم يعثر بك بل نعَّشك في كلِّ الأحوال. والسرو: السخاء في مروءة. والعقايل: جمع العقيلة، وهي كريمة الحيِّ، أي لا تُزوِّجوا بناتكم إلَّا ممَّن يساويكم في الشرف. والوصمة: العيب والعار. والفادحة: الثقيلة، ويقال: فيه قضاءة ويُضَمُّ: عيب وفساد، وتقضَّؤوا منه أنْ يُزوِّجوه: استحسنوا حسبه. ووعاء وكيع: شديد متين.

أقول: ثُمَّ ذكر الصدوق رحمه الله قصَّة شدَّاد بن عاد كما نقلنا عنه في كتاب النبوَّة، ثُمَّ قال:

وعاش أوس بن ربيعة بن كعب بن أُميَّة مائتي وأربع عشرة سنة، فقال في ذلك:

لقد عمَّرت حتَّىٰ ملَّ أهلي ... ثواي عندهم وسئمت عمري
وحقٌّ لمن أتىٰ مأتان عام ... عليه وأربع من بعد عشرِ

---

(١) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٥٠ - ٥٥٢/ باب ٥٣/ ح ١).

يملُّ من الثواء وصبح ليل ... يغاديه وليل بعد يسري

فأبلىٰ شلوتي وتركت شلوي[1] ... وباح بها أجن ضمير صدري

وعاش أبو زبيد واسمه المنذر[2] بن حرملة الطائي وكان نصرانيًا خمسين ومائة سنة.

وعاش نصر بن دهمان بن سليمان بن أشجع بن زيد[3] بن غطفان مائة وتسعين سنة حتّىٰ سقطت أسنانه وخرف عقله وابيضَّ رأسه، فحرب[4] قومه أمر فاحتاجوا فيه إلىٰ رأيه، فدعوا الله أنْ يردَّ عليه عقل[5] وشبابه فعاد إليه شبابه واسودَّ شعره، فقال فيه سَلَمة بن الحريش، ويقال: عبَّاس بن مرداس السلمي:

لنضر[6] بن دهمان الهنيدة عاشها ... وتسعين حولاً ثُمَّ قوم فانصاتا

وعاد سواد الرأس بعد بياضه ... وعاوده[7] شرخ الشباب الذي فاتا

وراجع عقلاً بعدما فات عقله ... ولكنَّه من بعد ذا كلِّه ماتا

٢٣٨/٥١ وعاش ثوب بن صداق[8] العبدي مائتي سنة.

وعاش خثعم[9] بن عوف بن جذيمة دهراً طويلاً، فقال:

---

(١) في المصدر: (فأبلىٰ جدَّتي وتركت شلواً).

(٢) في المصدر: (البدر) بدل (المنذر).

(٣) في المصدر: (وعاش نصر بن دهمان بن [بصار بن بكر بن] سُلَيم بن أشجع بن الرَّيث بن غطفان).

(٤) في المصدر: (فحزب).

(٥) في المصدر: (عقله).

(٦) في المصدر: (لنصر).

(٧) في المصدر: (راجعه) بدل (عاوده).

(٨) في المصدر: (سويد بن حذَّاق) بدل (ثوب بن صداق).

(٩) في المصدر: (الجشم)، وكذا في ما بعد.

حتَّىٰ متىٰ خثعم في الأحياء   ليس بذي أيدي ولا غناء

هيهاتَ ما للموت من دواء

وعاش ثعلبة بن كعب[١] بن عبد الأشهل بن الأشوس مائتي سنة، فقال:

لقد صاحبت أقواماً فأمسوا   خفاتاً لا يجاب له دعاء

مضوا قصد السبيل وخلفوني   فطال عليَّ بعدهم الثواء

فأصبحت الغداة رهين   وأخلفني من الموت الرجاء

وعاش رداءة بن كعب بن ذهل بن قيس النخعي ثلاثمائة سنة، فقال:

لم يبقَ يا خذيَّه[٣] من لداتي   أبو بنين لا ولا بناتِ

ولا عقيم غير ذي سبات   إلَّا يُعَدُّ اليوم في الأمواتِ

هل مشتر أبيعه حياتي

وعاش عدي بن حاتم طيئ عشرين ومائة سنة.

وعاش أماباة بن قيس بن الحرملة بن سنان[٤] الكندي ستِّين ومائة سنة.

وعاش عمير[٥] بن هاجر بن عمير بن عبدالعزىٰ بن قيس[٦] الخزاعي سبعين ومأة سنة، فقال:

بليت وأفناني الزمان وأصبحت   هنيدة قد أبقيت من بعدها عشرا

(١) في المصدر إضافة: (بن زيد).

(٢) في المصدر: (بيتي) بدل (شيء).

(٣) في المصدر: (يا خدلة) بدل (يا خذيه).

(٤) في المصدر: (الحارث بن شيبان) بدل (الحرملة بن سنان).

(٥) في المصدر: (عميرة).

(٦) في المصدر: (قمير) بدل (قيس).

وأصبحت مثل الفرخ لا أنا ميِّت فأُبكىٰ[١] ولا حيٌّ فأصدر لي أمرا
وقد عشت دهراً ما تجن عشيرتي لها ميِّتاً حتَّىٰ تخطَّ له قبرا

وعاش العوَّام بن المنذر بن زيد[٢] بن قيس بن حارثة بن لام دهراً طويلاً في الجاهليَّة، وأدرك عمر بن عبد العزيز، فأُدخل عليه وقد اختلف ترقوتاه وسقط حاجباه، فقيل له: ما أدركت؟ فقال:

فوَ الله ما أدري أأدركت أُمَّة علىٰ عهد ذي القرنين أم كنت أقدما
متىٰ يخلعوا عنِّي القميص تبيَّنوا جانجن[٣] لم يكسين لحماً ولا دما

٢٣٩/٥١

وعاش سيف بن وهب بن جذيمة الطائي مائتي سنة، فقال:

ألَا إنَّني كاهب[٤] ذاهب فلا تحسبوا أنَّني كاذب
لبست شبابي فأفنيته وأدركني القدر الغالب
وخصم دفعت ومولىٰ نفعت حتَّىٰ يثوب له ثائب

وعاش أرطاة بن دشهبة المزني عشرين ومائة سنة، وكان يُكنَّىٰ أبا الوليد، فقال له عبد المَلِك: ما بقي من شعرك يا أرطاة؟ فقال: يا أمير المؤمنين، [إنِّي][٥] ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب، ولا يجيئني الشعر[٦] إلَّا علىٰ إحدىٰ هذه الخصال، علىٰ أنِّي أقول:

رأيت المرء تأكله الليالي كأكل الأرض ساقطة الحديد

---

(١) في المصدر: (فأسلىٰ) بدل (فأبكىٰ)، وفي بعض النُّسَخ من المصدر: (فأبلىٰ).
(٢) في المصدر: (وعاش العوَّام بن المنذر بن زبيد بن قيس).
(٣) في المصدر: (تبيَّنا جآجيء) بدل (تبيَّنوا جناجن).
(٤) في المصدر: (عاجلاً) بدل (كاهب).
(٥) من المصدر.
(٦) في المصدر: (الشعراء) بدل (الشعر).

وما تبقىٰ المنيَّة حين تأتي عليٰ نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنَّها ستكرُّ حتَّىٰ توفي نذرها بأبي الوليد

فارتاع عبد المَلِك، فقال أرطاة: يا أمير المؤمنين، إنِّي أُكنَّىٰ أبا الوليد.

وعاش عبيد بن الأبرص ثلاثمائة سنة، فقال:

فنيت وأفناني الزمان وأصبحت لداتي بنوا نعش وزهر الفراقد

ثُمَّ أخذه النعمان بن منذر يوم بؤسه فقتله.

وعاش شريح بن هانئ عشرين ومائة سنة حتَّىٰ قُتِلَ في نفرة[1] الحجَّاج بن يوسف، فقال في كبره وضعفه:

أصبحت ذا بث أقاصي الكبرا قد عشت بين المشركين أعصرا
ثَمَّت أدركت النبيَّ المنذرا وبعده صدِّيقه وعمرا
ويوم مهران ويوم تسترا والجمع في صفِّينهم والنهرا
هيهاتَ ما أطول هذا عمرا

وعاش رجل من بني ضبة يقال له: المسجاح بن سباع دهراً طويلاً، فقال:

لقد طوَّفت في الآفاق حتَّىٰ بليت وقد [دنا][2] لي أنْ أبيد
وأفناني ولا يفنىٰ نهار وليل كلَّما يمضي يعود
وشهر مستهلٌّ بعد شهر وحول بعده جول جديد

٢٤٠/٥١

وعاش لقمان العادي الكبير خمسمائة سنة وستِّين سنة، وعاش عمر سبعة أنسر كلُّ نسر منها ثمانين عاماً، وكان من بقيَّة عاد الأُولىٰ.

---

(١) في المصدر: (زمن) بدل (نفرة).

(٢) في المصدر: (أنىٰ) بدل (دنا).

وروي أنَّه عاش ثلاثة آلاف سنة وخمسمائة سنة، وكان من ولد[١] عاد الذين بعثهم قومهم إلىٰ الحرم ليستسقوا لهم، وكان أُعطي عمر سبعة أنسر، فكان يأخذ فرخ النسر الذكر فيجعله في الجبل الذي هو في أصله فيعيش النسر فيها ما عاش فإذا مات أخذ آخر فربَّاه، حتَّىٰ كان آخرها لبد وكان أطولها عمراً، فقيل فيه: (طال الأمد[٢] علىٰ لبد)، وقد قيل فيه أشعار معروفة، وأُعطي من السمع والبصر والقوَّة علىٰ قدر ذلك، وله أحاديث كثيرة.

وعاش زهير بن عباب بن هبل بن عبد الله بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد بن عبد الله بن وهدة بن ثور بن كليب[٣] الكلبي ثلاثمائة سنة.

وعاش مزيقيا واسمه عمرو[٤] بن عامر وعامر هو ماء السماء، وإنَّما سُمِّي ماء السماء لأنَّه كان حياة أينما نزل كمثل ماء السماء، وإنَّما سُمِّي مزيقيا لأنَّه عاش ثمانمائة سنة أربعمائة سوقة وأربعمائة ملكاً، فكان يلبس في كلِّ يوم حُلَّتين ثُمَّ يأمر بهما فيُمزَّقان حتَّىٰ لا يلبسهما أحد غيره.

وعاش ابن هبل بن عبد الله بن كنانة ستّمائة سنة.

وعاش أبو الطمحان القيسي[٥] مائة وخمسين سنة.

وعاش المستوعر[٦] بن ربيعة بن كعب بن زيد مناة بن تميم ثلاثمائة وثلاثين سنة ثُمَّ أدرك الإسلام فلم يسلم، وله شعر معروف.

---

(١) في المصدر: (وفد) بدل (ولد).

(٢) في المصدر: (طال الأبد).

(٣) في المصدر: (وعاش زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد بن عبد الله بن رفيدة بن ثور بن كلب الكلبي)، وفي بعض النُّسَخ منه: (حباب) بدل (جناب).

(٤) في المصدر: (عمر) بدل (عمرو).

(٥) في المصدر: (الطحان القيني) بدل (الطمحان القيسي).

(٦) في المصدر: (مستوغر) بدل (المستوعر).

وعاش دريد[١] بن زيد بن نهد أربعمائة سنة وخمسين سنة، فقال في ذلك:

ألقىٰ عليَّ الدهر رجلاً ويدا والدهر ما يصلح يوماً أفسدا

يصلحه اليوم ويفسده غدا[٢]

وجمع بنيه حين حضرته الوفاة، فقال: يا بنيَّ، أُوصيكم بالناس شرًّا، لا تقبلوا لهم معذرةً، ولا تقبلوا لهم عثرةً.

٢٤١/٥١

وعاش تيم الله بن [ثعلبة بن][٣] عكابه مائتي سنة.

وعاش الربيع بن ضبع بن وهب بن بعيض بن مالك بن سعدىٰ[٤] بن عدي بن فزارة مائتي وأربعين سنة، وأدرك الإسلام فلم يسلم.

وعاش معدي كرب الحميري من آل ذي رعين مائتي وخمسين سنة.

وعاش ثرية[٥] بن عبد الله الجعفي ثلاثمائة سنة، فقَدِمَ علىٰ عمر بن الخطَّاب المدينة، فقال: لقد رأيت هذا الوادي الذي أنتم به وما به قطرة ولا هضبة ولا شجرة، ولقد أدركت أُخريات قوم يشهدون بشهادتكم هذه يعني لا إله إلَّا الله، ومعه ابن له يتهادىٰ قد خرف، فقال: يا ثرية[٦]، هذا ابنك قد خرف وبك بقيَّة؟ فقال: ما[٧] تزوَّجت أُمَّه حتَّىٰ أتت عليَّ سبعون سنة، ولكنِّي تزوَّجتها عفيفة[٨] ستيرة، إنْ رضيت رأيت ما تقرُّ به عيني، وإنْ سخطت أتتني[٩] حتَّىٰ أرضىٰ، وإنَّ

(١) في المصدر: (دويد) بدل (دريد).
(٢) في المصدر: (يفسد ما أصلحه اليوم غداً).
(٣) من المصدر.
(٤) في المصدر: (بغيض بن مالك بن سعد).
(٥) في المصدر: (شرية) بدل (ثرية).
(٦) في المصدر: (له يهادي قد خرف، فقيل له: يا شرية).
(٧) في المصدر إضافة: (والله).
(٨) في المصدر: (عنيفة) بدل (عفيفة).
(٩) في المصدر: (تأتَّت لي) بدل (أتتني).

ابني هذا تزوَّج امرأة بذيَّة فاحشة، إنْ رأىٰ ما تقرُّ به عينه تعرَّضت له حتَّىٰ يسخط، وإنْ سخط تلقَّته[1] حتَّىٰ يهلك[2].

وَعَاشَ عَوْفُ بْنُ كِنَانَةَ الْكَلْبِيُّ ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَمَعَ بَنِيهِ فَأَوْصَاهُمْ، وهُوَ عَوْفُ بْنُ كِنَانَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُذْرَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ تَوْرٍ[3] بْنِ كَلْبٍ، فَقَالَ:

يَا بَنِيَّ، احْفَظُوا وَصِيَّتِي فَإِنَّكُمْ إِنْ حَفِظْتُمُوهَا سُدْتُمْ قَوْمَكُمْ مِنْ بَعْدِي: إِلَهَكُمْ فَاتَّقُوهُ، وَلَا تَخُونُوا، وَلَا تَحْزَنُوا، وَلَا تُثِيرُوا السِّبَاعَ مِنْ مَرَابِضِهَا[4]، وَجَاوِرُوا النَّاسَ بِالْكَفِّ عَنْ مَسَاوِيهِمْ تَسْلَمُوا وَتَصْلُحُوا، وَعِفُّوا عَنِ الطَّلَبِ إِلَيْهِمْ، وَلَا تُسْتَثْقَلُوا، وَالْزَمُوا الصَّمْتَ إِلَّا مِنْ حَقٍّ تُحْمَدُوا، وَابْذُلُوا لَهُمُ المَحَبَّةَ تَسْلَمْ لَكُمُ الصُّدُورُ، وَلَا تَحْرِمُوهُمُ المَنَافِعَ فَيَظْهَرُوا الشَّكَاةَ، وَكُونُوا مِنْهُمْ فِي سِتْرٍ يُنْعَمْ بَالُكُمْ، وَلَا تُكْثِرُوا مُجَالَسَتَهُمْ فَيَسْتَخِفَّ بِكُمْ، وَإِذَا نَزَلَتْ بِكُمْ مُعْضِلَةٌ فَاصْبِرُوا لَهَا، وَالْبَسُوا لِلدَّهْرِ أَثْوَابَهُ فَإِنَّ لِسَانَ الصِّدْقِ مَعَ النَّكْبَةِ[5] خَيْرٌ مِنْ سُوءِ الذِّكْرِ مَعَ المَسَرَّةِ[6]، وَوَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَىٰ الذِّلَّةِ لِمَنْ ذَلَّ[7] لَكُمْ فَإِنَّ أَقْرَبَ المَسَائِلِ المَوَدَّةُ، وَإِنْ أَبْعَدَ النَّسَبِ[8] الْبِغْضَةَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْوَفَاءِ، وَتَنَكَّبُوا الْغَدْرَ يَأْمَنْ سَرْبُكُمْ[9]، وَأَحْيُوا الْحَسَبَ بِتَرْكِ الْكَذِبِ فَإِنَّ آفَةَ المُرُوءَةِ الْكَذِبُ وَالْخُلْفُ، لَا

٢٤٢/٥١

(١) في المصدر: (تغلَّبته) بدل (تلقَّته).
(٢) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٥٥ - ٥٦٢).
(٣) في المصدر: (ثور) بدل (تور).
(٤) في المصدر إضافة: (فتندموا).
(٥) في المصدر: (المسكنة) بدل (النكبة).
(٦) في المصدر: (الميسرة).
(٧) في المصدر: (علىٰ المذلَّة لمن تُذلِّل).
(٨) في المصدر: (أتعبت النشب) بدل (أبعد النسب).
(٩) في المصدر إضافة: (وأصيخوا للعدل).

تُعْلِمُوا النَّاسَ إِقْتَارَكُمْ فَتَهُونُوا وَتَخْمُلُوا، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُرْبَةَ فَإِنَّهَا ذِلَّةٌ، وَلَا تَضَعُوا الْكَرَائِمَ إِلَّا عِنْدَ الْأَكْفَاءِ، وَابْتَغُوا بِأَنْفُسِكُمُ[1] المَعَالِيَ، وَلَا يَخْتَلِجَنَّكُمْ جَمَالُ النِّسَاءِ عَنِ الصِّحَّةِ فَإِنَّ نِكَاحَ الْكَرَائِمِ مَدَارِجُ الشَّرَفِ، وَاخْضَعُوا لِقَوْمِكُمْ، وَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ لِتَنَالُوا المَنَافِسَ، وَلَا تُخَالِفُوهُمْ فِيمَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَإِنَّ الْخِلَافَ يُزْرِي بِالرَّجُلِ[2] المُطَاعِ، وَلْيَكُنْ مَعْرُوفُكُمْ لِغَيْرِ قَوْمِكُمْ[3] بَعْدِهِمْ، وَلَا تُوحِشُوا أَفْنِيَتَكُمْ مِنْ أَهْلِهَا فَإِنَّ إِيحَاشَهَا إِخْمَادُ النَّارِ وَدَفْعُ الْحُقُوقِ، وَارْفُضُوا النَّمَائِمَ بَيْنَكُمْ تَكُونُوا[4] أَعْوَاناً عِنْدَ المُلِمَّاتِ تَغْلِبُوا، وَاحْذَرُوا النَّجْعَةَ إِلَّا فِي مَنْفَعَةٍ لَا تُصَابُوا، وَأَكْرِمُوا الْجَارَ يَخْصِبْ جَنَابُكُمْ، وَآثِرُوا حَقَّ الضَّيْفِ[5] عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَالْزَمُوا مَعَ السُّفَهَاءِ الْحِلْمَ تَقِلَّ هُمُومُكُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّهَا ذِلَّةٌ، وَلَا تُكَلِّفُوا أَنْفُسَكُمْ فَوْقَ طَاقَتِهَا إِلَّا المُضْطَرَّ فَإِنَّكُمْ إِنْ تُلَامُوا عِنْدَ إِيضَاحِ[6] الْعُذْرِ وَبِكُمْ قُوَّةٌ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُعَانُوا[7] فِي الْاِضْطِرَارِ مِنْكُمْ إِلَيْهِمْ بِالمَعْذِرَةِ، وَجِدُّوا وَلَا تُفْرِطُوا فَإِنَّ الْجِدَّ مَانِعَةُ[8] الضَّيْمِ، وَلْتَكُنْ كَلِمَتُكُمْ وَاحِدَةً تَعِزُّوا وَيُرْهَفْ حَدُّكُمْ، وَلَا تَبْذُلُوا الْوُجُوهَ لِغَيْرِ مَكْرَمَةٍ فَتخلقُوهَا، وَلَا تَجَشَّمُوا[9] أَهْلَ الدَّنَاءَةِ فَتَقْصُرُوا بِهَا، وَلَا تَحَاسَدُوا فَتَبُورُوا، وَاجْتَنِبُوا الْبُخْلَ فَإِنَّهُ دَاءٌ، وَابْنُوا المَعَالِيَ بِالْجُودِ وَالْأَدَبِ وَمُصَافَاةِ أَهْلِ الْفَضْلِ

---

(١) في المصدر: (لأنفسكم).

(٢) في المصدر: (بالرئيس) بدل (بالرجل).

(٣) في المصدر إضافة: (من).

(٤) في المصدر: ([تسلموا] وكونوا) بدل (تكونوا).

(٥) في المصدر: (الضعيف) بدل (الضيف).

(٦) في المصدر: (فإنَّكم لن تُلاموا عند اتِّضاح).

(٧) في المصدر: (تعاونوا).

(٨) في المصدر: (مانع).

(٩) في المصدر: (مكرميها فتكلحوها ولا تجشَّموها).

وَالْحَيَاءِ[١]، وَابْتَاعُوا المَحَبَّةَ بِالْبَذْلِ، وَوَقِّرُوا أَهْلَ الْفَضِيلَةِ، وَخُذُوا عَنْ أَهْلِ التَّجَارِبِ، وَلَا يَمْنَعْكُمْ مِنْ مَعْرُوفٍ صِغَرُهُ فَإِنَّ لَهُ ثَوَاباً، وَلَا تُحَقِّرُوا الرِّجَالَ فَتَزْدَرُوهَا، فَإِنَّمَا المَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ ذَكَاءِ قَلْبِهِ وَلِسَانٍ يُعَبِّرُ عَنْهُ، وَإِذَا خُوِّفْتُمْ دَاهِيَةً فَاللَّبْثَ[٢] قَبْلَ الْعَجَلَةِ، وَالْتَمِسُوا بِالتَّوَدُّدِ المَنْزِلَةَ عِنْدَ المُلُوكِ فَإِنَّهُمْ مَنْ وَضَعُوهُ اتَّضَعَ وَمَنْ رَفَعُوهُ ارْتَفَعَ، وَتَبَسَّلُوا بِالْفِعَالِ[٣] تَسْمُ إِلَيْكُمُ الْأَبْصَارُ، وَتَوَاضَعُوا بِالْوَقَارِ لِيُحِبَّكُمْ[٤] ربُّكُمْ. ثُمَّ قَالَ:

وَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ ... وَلَا كُلُّ مُوفٍ[٥] نُصْحَهُ بِلَبِيبِ

وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ ... فَحَقٌّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيبِ[٦]

وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله ابْنِ يَزِيْدَ[٧] الشَّعْرَانِيِّ مِنْ وُلْدِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنه يَقُولُ: حَكَىٰ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ ابْنُ الْقَاسِمِ الْبَصْرِيُّ[٨] أَنَّ أَبَا الحَسَنِ حِمَارَوَيْهِ[٩] بْنَ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ كَانَ قَدْ فُتِحَ[١٠] عَلَيْهِ مِنْ كُنُوزِ مِصْرَ مَا لَمْ يُرْزَقْ أَحَدٌ قَبْلَهُ، فَأُغْرِيَ[١١] بِالْهَرَمَيْنِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ ثِقَاتُهُ وَحَاشِيَتُهُ وَبِطَانَتُهُ أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لِهَدْمِ الْأَهْرَامِ فَإِنَّهُ مَا تَعَرَّضَ أَحَدٌ لَهَا فَطَالَ

٢٤٣/٥١

---

(١) في المصدر: (الحباء).
(٢) في المصدر: (فعليكم بالتثبُّت) بدل (فاللبث).
(٣) في المصدر: (تنبلوا) بدل (تبسلوا بالفعال).
(٤) في المصدر: (وتواضعوا بالوقار ليُحِبّكم).
(٥) في المصدر: (موت) بدل (موف).
(٦) كمال الدِّين (ج ٢/ ٥٦٨ - ٥٧٠).
(٧) في المصدر: (حمزة) بدل (يزيد).
(٨) في المصدر: (المصري) بدل (البصري).
(٩) في المصدر: (أبا الجيش حمارويه)، وكذا في ما بعد.
(١٠) في المصدر إضافة: (الله).
(١١) في المصدر: (فعزىٰ) بدل (فأُغري).

عُمُرُهُ، فَلَجَّ[1] فِي ذَلِكَ وَأَمَرَ أَلْفاً مِنَ الْفَعَلَةِ أَنْ يَطْلُبُوا الْبَابَ، وَكَانُوا يَعْمَلُونَ سَنَةً حَوَالَيْهِ حَتَّىٰ ضَجِرُوا وَكَلُّوا، فَلَمَّا هَمُّوا بِالْاِنْصِرَافِ بَعْدَ الْإِيَاسِ مِنْهُ وَتَرْكِ الْعَمَلِ وَجَدُوا سَرَباً، فَقَدَّرُوا أَنَّهَا الْبَابُ الَّذِي يَطْلُبُونَهُ، فَلَمَّا بَلَغُوا آخِرَهُ وَجَدُوا بَلَاطَةً قَائِمَةً مِنْ مَرْمَرٍ، فَقَدَّرُوا أَنَّهَا الْبَابُ، فَاحْتَالُوا فِيهَا إِلَىٰ أَنْ قَلَعُوهَا وَأَخْرَجُوهَا[2].

فَإِذَا عَلَيْهَا كِتَابَةٌ بِالْيُونَانِيَّةِ، فَجَمَعُوا حُكَمَاءَ مِصْرَ وَعُلَمَاءَهَا[3] فَلَمْ يَهْتَدُوا لَهَا، وَكَانَ فِي الْقَوْمِ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِأَبِي عَبْدِ اللهِ الْمَدِينِيِّ أَحَدُ حُفَّاظِ الدُّنْيَا وَعُلَمَائِهَا، فَقَالَ لِأَبِي الْحَسَنِ خِمَارَوَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ: أَعْرِفُ فِي بَلَدِ الْحَبَشَةِ أُسْقُفّاً قَدْ عُمِّرَ وَأَتَىٰ عَلَيْهِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ سَنَةً يَعْرِفُ هَذَا الْخَطَّ، وَقَدْ كَانَ عَزَمَ عَلَىٰ أَنْ يُعَلِّمَنِيهِ، فَلِحِرْصِي عَلَىٰ عِلْمِ الْعَرَبِ لَمْ أَقُمْ عَلَيْهِ[4]، وَهُوَ بَاقٍ، فَكَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ إِلَىٰ مَلِكِ الْحَبَشَةِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَحْمِلَ هَذَا الْأُسْقُفَّ إِلَيْهِ، فَأَجَابَهُ أَنَّ هَذَا[5] قَدْ طُعِنَ فِي السِّنِّ، وَحَطَمَهُ الزَّمَانُ، وَإِنَّمَا يَحْفَظُهُ هَذَا الْهَوَاءُ[6]، وَيُخَافُ عَلَيْهِ إِنْ نُقِلَ إِلَىٰ هَوَاءٍ آخَرَ وَإِقْلِيمٍ آخَرَ وَلَحِقَتْهُ حَرَكَةٌ وَتَعَبٌ وَمَشَقَّةُ السَّفَرِ أَنْ يَتْلَفَ، وَفِي بَقَائِهِ لَنَا شَرَفٌ وَفَرَجٌ وَسَكِينَةٌ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ شَيْءٌ يَقْرَؤُهُ وَيُفَسِّرُهُ وَمَسْأَلَةٌ تَسْأَلُونَهُ فَاكْتُبْ بِذَلِكَ، فَحُمِلَتِ الْبَلَاطَةُ فِي قَارِبٍ[7] إِلَىٰ بَلَدِ أُسْوَانَ مِنَ الصَّعِيدِ الْأَعْلَىٰ، وَحُمِلَتْ مِنْ أُسْوَانَ عَلَى الْعَجَلَةِ إِلَىٰ بِلَادِ الْحَبَشَةِ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ أُسْوَانَ، فَلَمَّا وَصَلَتْ قَرَأَهَا

(١) في المصدر: (فألحَّ) بدل (فلجَّ).

(٢) في المصدر إضافة: (قال محمّد بن المظفَّر: وجدوا من ورائها بناءً منضّاً لا يقدروا عليه فأخرجوها ثمّ نظّفوها).

(٣) في المصدر إضافة: (من سائر الأديان).

(٤) في المصدر: (عنده) بدل (عليه).

(٥) في المصدر إضافة: (شيخ).

(٦) في المصدر إضافة: (وهذا الإقليم).

(٧) أي سفينة صغيرة.

الْأُسْقُفُ وَفَسَّرَ مَا كَانَ فِيهَا بِالْحَبَشِيَّةِ، ثُمَّ نُقِلَتْ إِلَىٰ الْعَرَبِيَّةِ، فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ: أَنَا الرَّيَّانُ بْنُ دَوْمَغٍ، فَسُئِلَ أَبُو عَبْدِ الله عَنِ الرَّيَّانِ مَنْ كَانَ؟ فَقَالَ: هُوَ وَالِدُ الْعَزِيزِ مَلِكِ يُوسُفَ عليه السلام، وَاسْمُهُ الرَّيَّانُ[١] بْنِ دَوْمَغٍ، وَكَانَ عُمُرُ الْعَزِيزِ سَبْعَمِائَةِ سَنَةٍ، وَعُمُرُ الرَّيَّانِ وَالِدِهِ أَلْفَ وَسَبْعَمِائَةٍ، وَعُمُرُ دَوْمَغٍ ثَلَاثَةَ آلَافِ سَنَةٍ.

٢٤٤/٥١ فَإِذَا فِيهَا: أَنَا الرَّيَّانُ بْنُ دَوْمَغٍ، خَرَجْتُ فِي طَلَبِ عِلْمِ النِّيلِ لِأَعْلَمَ فَيْضَهُ وَمَنْبَعَهُ إِذْ كُنْتُ أَرَىٰ مُفِيضَهُ، فَخَرَجْتُ وَمَعِي مِمَّنْ صَحِبْتُ أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْف[٢] أَلْفِ رَجُلٍ، فَسِرْتُ ثَمَانِينَ سَنَةً إِلَىٰ أَنِ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ الظُّلُمَاتِ وَالْبَحْرِ الْمُحِيطِ بِالدُّنْيَا، فَرَأَيْتُ النِّيلَ يَقْطَعُ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ وَيَعْبُرُ فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لِي مَنْفَذٌ، وَتَمَاوَتَ أَصْحَابِي، وَبَقِيتُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ رَجُلٍ، فَخَشِيتُ عَلَىٰ مُلْكِي، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مِصْرَ وَبَنَيْتُ الْأَهْرَامَ وَالْبَرَانِيَّ، وَبَنَيْتُ الْهَرَمَيْنِ وَأَوْدَعْتُهُمَا كُنُوزِي وَذَخَائِرِي، وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ:

وَأَدْرَكَ عِلْمِي بَعْضَ مَا هُوَ كَائِنٌ ... وَلَا عِلْمَ لِي بِالْغَيْبِ وَاللهُ أَعْلَمُ
وَأَتْقَنْتُ مَا حَاوَلْتُ إِتْقَانَ صُنْعِهِ ... وَأَحْكَمْتُهُ وَاللهُ أَقْوَىٰ وَأَحْكَمُ
وَحَاوَلْتُ عِلْمَ النِّيلِ مِنْ بَدْءِ فَيْضِهِ ... فَأَعْجَزَنِي وَالمَرْءُ بِالْعَجْزِ مُلْجَمُ
ثَمَانِينَ شَاهُوراً قَطَعْتُ مَسَايِحاً ... وَحَوْلِي بَنُو حُجْرٍ وَجَيْشٌ عَرَمْرَمُ
إِلَىٰ أَنْ قَطَعْتُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ كُلَّهُمْ ... وَعَارَضَنِي لُجٌّ مِنَ الْبَحْرِ مُظْلِمُ
فَأَتْقَنْتُ أَنْ لَا مَنْفَذاً[٣] بَعْدَ مَنْزِلِي ... لِذِي هِمَّةٍ بَعْدِي وَلَا مُتَقَدِّمُ
فَأُبْتُ إِلَىٰ مُلْكِي وَأَرْسَيْتُ نَادِياً[٤] ... بِمِصْرَ وَلِلْأَيَّامِ بُؤْسٌ وَأَنْعُمُ
أَنَا صَاحِبُ الْأَهْرَامِ فِي مِصْرَ كُلِّهَا ... وَبَانِي بَرَانِيهَا بِهَا وَالْمُقَدَّمُ

---

(١) في المصدر إضافة: (الوليد) بدل (الريَّان).
(٢) كلمة: (ألف) ليست في المصدر.
(٣) في المصدر: (فأيقنت أنْ لا منفذ).
(٤) في المصدر: (ثاوياً) بدل (نادياً).

تَرَكْتُ بِهَا آثَارَ كَفِّي وَحِكْمَتِي عَلَىٰ الدَّهْرِ لَا تُبْلَىٰ وَلَا تَتَهَدَّمُ
وَفِيهَا كُنُوزٌ جَمَّةٌ وَعَجَائِبُ وَلِلدَّهْرِ أَمْرٌ مَرَّةً وَتَهَجُّمُ
سَيَفْتَحُ أَقْفَالِي وَيُبْدِي عَجَائِبِي وَلِيٌّ لِرَبِّي آخِرَ الدَّهْرِ يَنْجُمُ
بِأَكْنَافِ بَيْتِ الله تَبْدُو أُمُورُهُ وَلَا بُدَّ أَنْ يَعْلُوَ وَيَسْمُوَ بِهِ السَّمُ
ثَمَانٍ وَتِسْعٌ وَاثْنَتَانِ وَأَرْبَعٌ وَتِسْعُونَ أُخْرَىٰ مِنْ قَتِيلٍ وَمُلْجَمُ
وَمِنْ بَعْدِ هَذَا كَرَّ تِسْعُونَ تِسْعَةٌ وَتِلْكَ الْبَرَانِيُّ تَسْتَخِرُّ وَتُهْدَمُ
وَتُبْدَىٰ كُنُوزِي كُلُّهَا غَيْرَ أَنَّنِي أَرَىٰ كُلَّ هَذَا أَنْ يُفَرِّقَهَا الدَّمُ
رَمَزْتُ مَقَالِي[1] فِي صُخُورٍ قَطَعْتُهَا سَتَبْقَىٰ وَأَفْنَىٰ بَعْدَهَا ثُمَّ أُعْدَمُ

٢٤٥/٥١ فَحِينَئِذٍ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ حِمَارَوَيْهِ بْنُ أَحْمَدَ: هَذَا شَيْءٌ لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ حِيلَةٌ إِلَّا لِلْقَائِمِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام، وَرُدَّتِ الْبَلَاطَةُ كَمَا كَانَتْ مَكَانَهَا.

ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْحَسَنِ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَةٍ قَتَلَهُ طَاهِرٌ الْخَادِمُ، [ذَبَحَهُ][2] عَلَىٰ فِرَاشِهِ وَهُوَ سَكْرَانُ، وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ عُرِفَ خَبَرُ الْهَرَمَيْنِ وَمَنْ بَنَاهُمَا، فَهَذَا أَصَحُّ مَا يُقَالُ مِنْ خَبَرِ النِّيلِ وَالْهَرَمَيْنِ.

وعاش صبيرة بن[3] سعد بن سهم القرشي مائة وثمانين سنة، وأدرك الإسلام، فهلك فجاءة بلا سبب[4].

وعاش لبيد بن ربيعة الجعفري مائة وأربعين سنة، وأدرك الإسلام فأسلم، فلمَّا بلغ سبعين من عمره أنشأ يقول:

كأنِّي وقد جاوزت سبعين حجَّة خلعت بها عن منكبي ردائيا

---

(١) في المصدر: (زبرت مقالي).
(٢) من المصدر.
(٣) في المصدر إضافة: (سعيد بن).
(٤) عبارة: (بلا سبب) ليست في المصدر.

فلمَّا بلغ سبعاً وسبعين سنة أنشأ يقول:

باتت تشكي إليَّ النفس مجهشة   وقد حملتك سبعاً بعد سبعين[١]

فإنْ تزادي ثلاثاً تبلغي أملاً   وفي الثلاث وفاء للثمانين[٢]

فلمَّا بلغ تسعين سنة أنشأ يقول:

كأنِّي وقد جاوزت تسعين حجَّة   خلعت بها عنِّي عذار لثامي

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرىٰ   فكيف بمن يرمي وليس برام

فلو أنَّني أرمي بنبل رأيتها   ولكنَّني أُرمىٰ بغير سهام

فلمَّا بلغ مائة وعشر سنين أنشأ يقول:

وليس في مائة قد عاشها رجل   وفي تكامل عشر بعدها عمر

فلمَّا بلغ مائة وعشرين سنة أنشأ يقول:

قد عشت دهراً قبل مجرىٰ داحس   لو كان في النفس[٣] اللجوج خلود

فلمَّا بلغ مائة وأربعين سنة أنشأ يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها   وسؤال هذا الناس كيف لبيد

غلب الرجال فكان غير مغلب   دهر طويل دائم ممدود

يوم إذا يأتي عليَّ وليلة   وكلاهما بعد المضيِّ يعود

فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّ أَبَاكَ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنَّهُ فَنِيَ، فَإِذَا قُبِضَ أَبُوكَ فَأَغْمِضْهُ وَأَقْبِلْ بِهِ الْقِبْلَةَ وَسَجِّهِ بِثَوْبِهِ، وَلَا أَعْلَمَنَّ مَا صَرَخَتْ عَلَيْهِ صَارِخَةٌ أَوْ بَكَتْ عَلَيْهِ بَاكِيَةٌ، وَانْظُرْ جَفْنَتِيَ الَّتِي كُنْتُ أُضِيفُ بِهَا فَأَجِدْ صَنْعَتَهَا،

٢٤٦/٥١

---

(١) في المصدر: (سبعينا) بدل (سبعين).

(٢) في المصدر: (للثمانينا) بدل (للثمانين).

(٣) في المصدر: (للنفس) بدل (في النفس).

ثُمَّ احْمِلْهَا إِلَىٰ مَسْجِدِكَ وَإِلَىٰ مَنْ كَانَ يَغْشَانِي عَلَيْهَا، فَإِذَا قَالَ الْإِمَامُ: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) فَقَدِّمْهَا إِلَيْهِمْ يَأْكُلُونَ مِنْهَا، فَإِذَا فَرَغُوا فَقُلْ: احْضُرُوا جَنَازَةَ أَخِيكُمْ لَبِيدِ ابْنِ رَبِيعَةَ فَقَدْ قَبَضَهُ اللهُ عزّ وجلّ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

وَإِذَا دَفَنْتَ أَبَاكَ فَاجْعَـ ـلْ فَوْقَهُ خَشَباً وطِينا

وَصَفَائِحاً صُمًّا رَوَا سِيهَا تشدد وَالْغُصُونَا[1]

لِيَقِينَ حَرَّ الْوَجْهِ سَفْـ ـسَافُ التُّرَابِ وَلَنْ يَقِينَا

وقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثِ لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ فِي أَمْرِ الْجَفْنَةِ غَيْرُ هَذَا، ذَكَرُوا أَنَّ لَبِيدَ ابْنَ رَبِيعَةَ جَعَلَ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنَّ كُلَّمَا هَبَّتِ الشَّمَالُ أَنْ يَنْحَرَ جَزُوراً فَيَمْلَأَ الْجَفْنَةَ الَّتِي حَكَوْا عَنْهَا فِي أَوَّلِ حَدِيثِهِ.

فَلَمَّا وَلِيَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ الْكُوفَةَ خَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ وَصَلَّىٰ عَلَىٰ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ عَلِمْتُمْ حَالَ لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ الْجَعْفَرِيِّ وَشَرَفَهُ وَمُرُوءَتَهُ وَمَا جَعَلَ عَلَىٰ نَفْسِهِ كُلَّمَا هَبَّتِ الشَّمَالُ أَنْ يَنْحَرَ جَزُوراً، فَأَعِينُوا أَبَا عَقِيلٍ عَلَىٰ مُرُوءَتِهِ، ثُمَّ نَزَلَ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِخَمْسَةٍ مِنَ الْجُزُرِ، وَأَبْيَاتُ شِعْرٍ يَقُولُ فِيهَا:

أَرَىٰ الْجَزَّارَ يَشْحَذُ شَفْرَتَيْهِ إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُ أَبِي عَقِيلِ

طَوِيلُ الْبَاعِ أَبْلَجُ جَعْفَرِي كَرِيمُ الْجَدِّ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ

وَفِي ابْنِ الْجَعْفِيِّ بِمَا لَدَيْهِ عَلَىٰ الْعَلَّاتِ وَالْمَالِ الْقَلِيلِ

وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ الْجُزُرَ كَانَتْ عِشْرِينَ، فَلَمَّا أَتَتْهُ قَالَ: جَزَىٰ اللهُ الْأَمِيرَ خَيْراً، قَدْ عَرَفَ أَنِّي لَا أَقُولُ الشِّعْرَ وَلَكِنِ اخْرُجِي يَا بُنَيَّةُ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ بُنَيَّةٌ لَهُ خُمَاسِيَّةٌ، فَقَالَ لَهَا: أَجِيبِي الْأَمِيرَ، فَأَقْبَلَتْ وَأَدْبَرَتْ ثُمَّ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

(١) في المصدر: (وصفائحاً صمًّا رواشنها تسدون الغصونا).

إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُ أَبِي عَقِيلِ ... دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَلِيدَا
طَوِيلُ الْبَاعِ أَبْلَجُ عَبْشَمِيًّا ... أَعَانَ عَلَىٰ مُرُوءَتِهِ لَبِيدا
بِأَمْثَالِ الْهِضَابِ كَأَنَّ رَكْباً ... عَلَيْهَا مِنْ بَنِي حَامٍ قُعُودا
أَبَا وَهْبٍ جَزَاكَ اللهُ خَيْراً ... نَحَرْنَاهَا وَأَطْعَمْنَا الثَّرِيدَا
فَعُدْ إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ مُعَادٌ ... وَعَهْدِي بِابْنِ أَرْوَىٰ أَنْ تَعُودَا

فَقَالَ لَهَا: أَحْسَنْتِ يَا بُنَيَّةِ لَوْ لَا أَنَّكِ سَأَلْتِ، قَالَتْ: إِنَّ الْمُلُوكَ لَا يُسْتَحْيَىٰ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ، قَالَ: وَأَنْتِ فِي هَذَا يَا بُنَيَّةِ أَشْعَرُ.

وعاش ذو الإصبع العدواني واسمه حرثان بن الحارث بن محرث بن ربيعة ابن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عثمان بن عبَّاد ثلاثمائة سنة.

وعاش جعفر بن قبط ثلاثمائة سنة، وأدرك الإسلام.

وعاش عامر بن ظرب العدواني ثلاثمائة سنة.

وعاش محصن بن غسَّان بن ظالم بن عمرو بن قطيعة بن الحارث بن سَلَمة ابن مازن الزبيدي مائتي وخمسين سنة، فقال في ذلك:

ألَا يا سلم إنِّي لست منكم ... ولكنِّي امرء قوتي سغوب
دعاني الداعيان فقلت هيَّا ... فقالا كلُّ من يُدعىٰ يجيب
ألَا يا سلم أعياني قيامي ... وأعيتني المكاسب والركوب
وصرت رديئة في البيت كلًّا ... تأذَّىٰ بي الأباعد والقريب
كذاك الدهر والأيَّام خون ... لها في كلِّ سائمة نصيب[1]

وعاش صيفي بن رباح أبو[2] أكثم أحد بني أسد بن عمرو بن تميم مائتي

(١) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٦٢ - ٥٦٨).
(٢) في المصدر: (بن) بدل (أبو).

سنة وسبعين سنة، وكان يقول: لك علىٰ أخيك سلطان في كلِّ حالٍ إلَّا في القتال، فإذا أخذ الرجال السلاح فلا سلطان[1] عليه، كفىٰ بالمشرفيَّة واعظاً، وترك الفخر أبقىٰ لك، وأسرع الحزم[2] عقوبة البغي، وشرُّ النصرة التعدِّي، وألأم الأخلاق أضيقها، ومن الأذىٰ كثرة العتاب، وأقرع الأرض بالعصا، فذهبت مثلاً:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ... وما عُلِّم الإنسان إلَّا ليعلم[3]

٢٤٨/٥١

وعاش عاد بن شدَّاد اليربوعي مائة وخمسين سنة.

وعاش أكثم بن صيفي أحد بني أسد بن عمرو بن تميم ثلاثمائة سنة، وقال بعضهم: مائة وتسعين سنة، وأدرك الإسلام واختُلِفَ في إسلامه إلَّا أنَّ أكثرهم لا يشكُّ في أنَّه لم يسلم، فقال في ذلك:

وإنَّ امرءاً قد عاش تسعين حجَّة ... إلىٰ مائة لم يسأم العيش جاهل

خلت مائتان غير ستٍّ وأربع ... وذلك من عدِّ الليالي قلائل

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ: أَقْبَلَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ يُرِيدُ الْإِسْلَامَ، فَقَتَلَهُ ابْنُهُ عَطَشاً[4]، فَسَمِعْتُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، وَلَمْ تَكُنِ الْعَرَبُ تُقَدِّمُ عَلَيْهِ أَحَداً فِي الْحِكْمَةِ، وَإِنَّهُ لَـمَّا سَمِعَ بِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم بَعَثَ ابْنَهُ حَبِيشاً، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَعِظُكَ بِكَلِمَاتٍ فَخُذْهُنَّ مِنْ حِينَ تَخْرُجُ مِنْ عِنْدِي إِلَىٰ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ، ائْتِ نَصِيبَكَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ فَلَا تَسْتَحِلَّهُ فَيُسْتَحَلَّ مِنْكَ، فَإِنَّ

(١) في المصدر إضافة: (لك).

(٢) في المصدر: (الجرم) بدل (الحزم).

(٣) في المصدر: (ليعلما) بدل (ليعلم).

(٤) كذا في المصدر والبحار، والظاهر أنَّه تصحيف: (حبيشاً).

الْحَرَامَ لَيْسَ يُحَرِّمُ نَفْسَهُ وَإِنَّمَا يُحَرِّمُهُ أَهْلُهُ، وَلَا تَمُرَّنَّ بِقَوْمٍ إِلَّا تَنْزِلَ[١] عِنْدَ أَعَزِّهِمْ، وَأَحْدِثْ عَقْداً مَعَ شَرِيفِهِمْ، وَإِيَّاكَ وَالذَّلِيلَ فَإِنَّهُ أَذَلَّ نَفْسَهُ وَلَوْ أَعَزَّهَا لَأَعَزَّهُ قَوْمُهُ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُهُ وَعَرَفْتُ نَسَبَهُ وَفِي[٢] فِي بَيْتِ قُرَيْشٍ وَهِيَ [أَعَزُّ][٣] الْعَرَبِ، وَهُوَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ إِمَّا ذُو نَفْسٍ أَرَادَ مُلْكاً، فَخَرَجَ لِلْمُلْكِ بِعِزِّهِ، فَوَقِّرْهُ وَشَرِّفْهُ وَقُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا تَجْلِسْ إِلَّا بِإِذْنِهِ حَيْثُ يَأْمُرُكَ وَيُشِيرُ إِلَيْكَ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَدْفَعَ لِشَرِّهِ عَنْكَ وَأَقْرَبَ لِخَيْرِهِ مِنْكَ، وَإِنْ كَانَ نَبِيّاً فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ يَسُوؤُهُمْ، وَلَا يَبْطُرُ فَيُحْتَشَمَ[٤]، وَإِنَّمَا يَأْخُذُ الْخِيَرَةَ حَيْثُ يَعْلَمُ، لَا يُخْطِئُ فَيُسْتَعْتَبَ إِنَّمَا أَمْرُهُ عَلَىٰ مَا تُحِبُّ، وَإِنْ كَانَ[٥] فَسَتَجِدُ أَمْرَهُ كُلَّهُ صَالِحاً وَخَبَرَهُ كُلَّهُ صَادِقاً، وَسَتَجِدُهُ مُتَوَاضِعاً فِي نَفْسِهِ مُتَذَلِّلاً لِرَبِّهِ، فَذِلَّ لَهُ فَلَا تُحْدِثَنَّ أَمْراً دُونِي، فَإِنَّ الرَّسُولَ إِذَا أَحْدَثَ الْأَمْرَ مِنْ عِنْدِهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيِ الَّذِي أَرْسَلَهُ، وَاحْفَظْ مَا يَقُولُ لَكَ إِذَا رَدَّكَ إِلَيَّ، فَإِنَّكَ وَلَوْ تَوَهَّمْتَ أَوْ نَسِيتَ حَتَّمْتَنِي[٦] رَسُولاً غَيْرَكَ.

وَكَتَبَ مَعَهُ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، مِنَ الْعَبْدِ إِلَىٰ الْعَبْدِ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا بَلَغَنَا مَا بَلَغَكَ، فَقَدْ أَتَانَا عَنْكَ خَبَرٌ لَا نَدْرِي مَا أَصْلُهُ، فَإِنْ كُنْتَ أُرِيتَ فَأَرِنَا، وَإِنْ كُنْتَ عُلِّمْتَ فَعَلِّمْنَا وَأَشْرِكْنَا فِي كَنْزِكَ، وَالسَّلَامُ. (٢٤٩/٥١)

فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ فِيمَا ذَكَرُوا: «مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَىٰ أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ، أَحْمَدُ اللهَ إِلَيْكَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَقُولُهَا وَآمُرُ

(١) في المصدر: (نزلت) بدل (تنزل).
(٢) في المصدر: (وهو) بدل (وفي).
(٣) من المصدر.
(٤) في المصدر: (فإنَّ الله لا يُحَسُّ فيُتوهَّم ولا يُنظَر فيُتجسَّم).
(٥) في المصدر إضافة: (نبيًّا).
(٦) في المصدر: (جشَّمتني) بدل (حتَّمتني).

النَّاسَ بِقَوْلِهَا، وَالْخَلْقُ خَلْقُ الله، وَالْأَمْرُ كُلُّهُ لله، خَلَقَهُمْ وَأَمَاتَهُمْ، وَهُوَ يَنْشُرُهُمْ وَإِلَيْهِ المَصِيرُ، أَدَّبْتُكُمْ بِآدَابِ المُرْسَلِينَ، وَلَتُسْأَلُنَّ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ».

فَلَمَّا جَاءَهُ كِتَابُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، مَا ذَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَيَنْهَىٰ عَنْ مَلَائِمِهَا.

فَجَمَعَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ إِلَيْهِ بَنِي تَمِيم، ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِي تَمِيم، لَا تُحْضِرُونِي سَفِيهاً فَإِنَّ مَنْ يَسْمَعْ يَخَلْ، وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ رَأْيٌ فِي نَفْسِهِ، وَإِنَّ السَّفِيهَ وَاهِنُ الرَّأْيِ وَإِنْ كَانَ قَوِيَّ الْبَدَنِ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ.

يَا بَنِي تَمِيم، كَبِرَتْ سِنِّي وَدَخَلَتْنِي ذِلَّةُ الْكِبَرِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنِّي حَسَناً فَأْتُوهُ، وَإِذَا أَنْكَرْتُمْ مِنِّي شَيْئاً فَقُولُوا لِي الْحَقَّ[1] أَسْتَقِمْ، إِنَّ ابْنِي قَدْ جَاءَنِي وَقَدْ شَافَهَ هَذَا الرَّجُلَ فَرَآهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ[2] وَيَنْهَىٰ عَنِ مَلَائِمِهَا، عَنْ مَلَائِمِهَا، وَيَدْعُو إِلَىٰ أَنْ يُعْبَدَ اللهَ وَحْدَهُ وَتُخْلَعَ الْأَوْثَانُ وَيُتْرَكَ الْحَلْفُ بِالنِّيرَانِ، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله، وَأَنَّ قَبْلَهُ رُسُلاً لَهُمْ كُتُبٌ، وَقَدْ عَلِمْتُ رَسُولاً قَبْلَهُ كَانَ يَأْمُرُ بِعِبَادَةِ الله وَحْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِمُعَاوَنَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَمُسَاعَدَتِهِ عَلَىٰ أَمْرِهِ أَنْتُمْ، فَإِنْ يَكُنِ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ حَقًّا فَهُوَ لَكُمْ، وَإِنْ يَكُ بَاطِلاً كُنْتُمْ أَحَقَّ مَنْ كَفَّ عَنْهُ وَسَتَرَ عَلَيْهِ.

وَقَدْ كَانَ أُسْقُفُّ نَجْرَانَ يُحَدِّثُ بِصِفَتِهِ، وَلَقَدْ كَانَ سُفْيَانُ بْنُ مُجَاشِعٍ قَبْلَهُ يُحَدِّثُ بِهِ، وَسَمَّىٰ ابْنَهُ مُحَمَّداً، وَقَدْ عَلِمَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْكُمْ أَنَّ الْفَضْلَ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ وَيَأْمُرُ بِهِ، فَكُونُوا فِي أَمْرِهِ أَوَّلاً وَلَا تَكُونُوا أَخِيراً، اتَّبِعُوهُ تَشَرَّفُوا، وَتَكُونُوا سَنَامَ الْعَرَبِ، وَائْتُوهُ طَائِعِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتُوهُ كَارِهِينَ، فَإِنِّي أَرَىٰ أَمْراً مَا هُوَ بِالْهُوَيْنَا لَا

(١) في المصدر: (وإذا أنكرتم منِّي شيئاً فقوِّموني بالحقِّ).

(٢) في المصدر: (فرآه يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر ويأخذ بمحاسن الأخلاق).

٢٥٠/٥١ يَتْرُكُ مَصْعَداً إِلَّا صَعِدَهُ وَلَا مَنْصُوباً إِلَّا بَلَغَهُ، إِنَّ هَذَا الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ دِيناً لَكَانَ فِي الْأَخْلَاقِ حَسَناً، أَطِيعُونِي وَاتَّبِعُوا أَمْرِي أَسْأَلْ لَكُمْ مَا لَا يُنْزَعُ مِنْكُمْ أَبَداً، إِنَّكُمْ أَصْبَحْتُمْ أَكْثَرَ الْعَرَبِ عَدَداً، وَأَوْسَعَهُمْ بَلَداً، وَإِنِّي لَأَرَىٰ أَمْراً لَا يَتَّبِعُهُ ذَلِيلٌ إِلَّا عَزَّ، وَلَا يَتْرُكُهُ عَزِيزٌ إِلَّا ذَلَّ، اتَّبِعُوهُ مَعَ عِزِّكُمْ تَزْدَادُوا عِزّاً، وَلَا يَكُنْ أَحَدٌ مِثْلَكُمْ. إِنَّ الْأَوَّلَ لَمْ يَدَعْ لِلْآخِرِ شَيْئاً، وَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ لِمَا بَعْدَهُ، مَنْ سَبَقَ إِلَيْهِ فَهُوَ الْبَاقِي، وَمَنْ[1] اقْتَدَىٰ بِهِ الثَّانِي، فَأَصْرِمُوا أَمْرَكُمْ فَإِنَّ الصَّرِيمَةَ قُوَّةٌ، وَالْاِحْتِيَاطَ عَجْزٌ.

فَقَالَ مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ: خَرِفَ شَيْخُكُمْ، فَقَالَ أَكْثَمُ: وَيْلٌ لِلشَّجِيِّ مِنَ الْخَلِيِّ، أَرَاكُمْ سُكُوتاً، وَآفَةَ الْمَوْعِظَةِ الْإِعْرَاضُ عَنْهَا، وَيْلَكَ يَا مَالِكُ إِنَّكَ هَالِكٌ، إِنَّ [الْحَقَّ][2] إِذَا قَامَ رَفَعَ[3] الْقَائِمُ مَعَهُ، وَجَعَلَ الصَّرْعَىٰ قِيَاماً، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، أَمَّا إِذْ سَبَقْتُمُونِي بِأَمْرِكُمْ فَقَرِّبُوا بَعِيرِي أَرْكَبْهُ.

فَدَعَا بِرَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا، فَتَبِعَهُ بَنُوهُ وَبَنُو أَخِيهِ، فَقَالَ: لَهْفِي عَلَىٰ أَمْرٍ لَنْ أُدْرِكَهُ وَلَمْ يَسْبِقْنِي.

وَكَتَبَتْ طَيِّءٌ إِلَىٰ أَكْثَمَ وَكَانُوا أَخْوَالَهُ، وَقَالَ آخَرُونَ: كَتَبَتْ بَنُو مُرَّةَ وَكَانُوا أَخْوَالَهُ: أَنْ أَحْدِثْ إِلَيْنَا مَا نَعِيشُ بِهِ.

فَكَتَبَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي مُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، فَإِنَّهَا ثَبْتٌ أَصْلُهَا وَنَبْتٌ فَرْعُهَا، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا لَا يَثْبُتُ لَهَا أَصْلٌ وَلَا يَنْبُتُ لَهَا فَرْعٌ، وَإِيَّاكُمْ وَنِكَاحَ الْحَمْقَاءِ فَإِنَّ مُبَاضَعَتَهَا قَذَرٌ وَوُلْدَهَا ضَيَاعٌ، وَعَلَيْكُمْ بِالْإِبِلِ فَأَكْرِمُوهَا فَإِنَّهَا حُصُونُ الْعَرَبِ، وَلَا تَضَعُوا رِقَابَهَا إِلَّا فِي

(١) في المصدر: (اقتدىٰ) بدل (من اقتُدِي).
(٢) من المصدر.
(٣) في المصدر: (وقع)، راجع (بيان) المؤلّف.

حَقِّهَا فَإِنَّ فِيهَا مَهْرَ الْكَرِيمَةِ وَرَقُوءَ الدَّمِ، وَبِأَلْبَانِهَا يُتْحَفُ الْكَبِيرُ وَيُغَذَّىٰ الصَّغِيرُ، وَلَوْ كُلِّفَتِ الْإِبِلُ الطَّحْنَ لَطَحَنَتْ، وَلَنْ يَهْلِكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ، وَالْعُدْمُ عُدْمُ الْعَقْلِ، وَالمَرْءُ الصَّالِحُ لَا يَعْدَمُ المَالَ، وَرُبَّ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ مِائَةٍ، وَرُبَّ فِئَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فِئَتَيْنِ، وَمَنْ عَتَبَ عَلَىٰ الزَّمَانِ طَالَتْ مَعْتَبَتُهُ، وَمَنْ رَضِيَ بِالْقَسْمِ طَابَتْ مَعِيشَتُهُ، آفَةُ الرَّأْيِ الْهَوَىٰ، وَالْعَادَةُ أَمْلَكُ بِالْأَدَبِ، وَالْحَاجَةُ مَعَ المَحَبَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَىٰ مَعَ الْبِغْضَةِ، وَالدُّنْيَا دُوَلٌ فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَىٰ ضَعْفِكَ وَإِنْ قَصُرْتَ فِي طَلَبِهِ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ، وَسُوءُ حَمْلِ الرِّيبَةِ تَضَعُ الشَّرَفَ، وَالْحَسَدُ دَاءٌ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ، وَالشَّمَاتَةُ تُعْقِبُ، وَمَنْ بَرَّ يَوْماً بُرَّ بِهِ، وَالنَّدَامَةُ مَعَ السَّفَاهَةِ[1]، وَدِعَامَةُ الْعَقْلِ الْحِلْمُ، وَجِمَاعُ الْأَمْرِ الصَّبْرُ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ مَغَبَّةُ الْعَفْوِ، وَأَبْقَىٰ المَوَدَّةِ حُسْنُ التَّعَاهُدِ، وَمَنْ يَزُرْ غِبًّا يَزْدَدْ حُبًّا[2].

وصيَّة أكثم بن صيفي عند موته:

جَمَعَ أَكْثَمُ بَنِيهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، فَقَالَ: يَا بَنِيَّ، إِنَّهُ قَدْ أَتَىٰ عَلَيَّ دَهْرٌ طَوِيلٌ، وَأَنَا مُزَوِّدُكُمْ مِنْ نَفْسِي قَبْلَ المَمَاتِ، أُوصِيكُمْ [اللهَ][3] بِتَقْوَىٰ الله، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَعَلَيْكُمْ بِالْبِرِّ فَإِنَّهُ يُنْمِي عَلَيْهِ الْعَدَدَ وَلَا يَبِيدُ عَلَيْهِ أَصْلٌ وَلَا فَرْعٌ[4]، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ الله وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ، فَإِنَّهُ لَا يَثْبُتُ عَلَيْهَا أَصْلٌ وَلَا يَنْبُتُ عَلَيْهَا فَرْعٌ، كُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ فَإِنَّ مَقْتَلَ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ، إِنَّ قَوْلَ الْحَقِّ لَمْ يَدَعْ لِي صَدِيقاً.

انْظُرُوا أَعْنَاقَ الْإِبِلِ فَلَا تَضَعُوهَا إِلَّا فِي حَقِّهَا فَإِنَّ فِيهَا مَهْرَ الْكَرِيمَةِ وَرَقُوءَ

---

(١) في المصدر: (واللومة مع السفاهة).

(٢) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٧٠ - ٥٧٤).

(٣) لفظ الجلالة ليس في المصدر.

(٤) في المصدر: (ولا يهتصر فرع).

الدَّم، وَإِيَّاكُمْ وَنِكَاحَ الْحَمْقَاءِ فَإِنَّ نِكَاحَهَا قَذَرٌ وَوُلْدَ[هَا][(١)] ضَيَاعٌ، الْاِقْتِصَادُ فِي السَّفَرِ أَبْقَىٰ لِلْجِمَام، مَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَىٰ مَا فَاتَهُ أَوْدَعَ بَدَنَهُ، مَنْ قَنِعَ بِمَا هُوَ فِيهِ قَرَّتْ عَيْنُهُ، التَّقَدُّمُ قَبْلَ النَدَم، أُصْبِحَ عِنْدَ رَأْسِ الْأَمْرِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصْبِحَ عِنْدَ ذَنَبِهِ[(٢)].

لَمْ يَهْلِكِ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ، الْعَجْزُ عِنْدَ الْبَلَاءِ آفَةُ الْمُتَحَمِّلِ[(٣)]، لَمْ يَهْلِكْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ، وَيْلٌ لِعَالِمٍ أَمِنَ مِنْ جَاهِلٍ، الْوَحْشَةُ ذَهَابُ الْأَعْلَام، يَتَشَابَهُ الْأَمْرُ إِذَا أَقْبَلَ فَإِذَا أَدْبَرَ عَرَفَهُ الْكَيِّسُ وَالْأَحْمَقُ، وَالْبَطَرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ حُمْقٌ، وَفِي طَلَبِ المَعَالِي يَكُونُ الْقُرْبُ[(٤)]، لَا تَغْضَبُوا مِنَ الْيَسِيرِ فَإِنَّهُ يَجْتَنِي[(٥)] الْكَثِيرَ، لَا تُجِيبُوا عَمَّا لَا تُسْأَلُوه، وَلَا تَضْحَكُوا مِمَّا لَا يُضْحَكُ مِنْهُ.

تَبَارُّوا فِي الدُّنْيَا وَلَا تَبَاغَضُوا، الْحَسَدُ فِي الْقُرْبِ فَإِنَّهُ مَنْ يَجْتَمِعْ يَتَقَعْقَعْ عُمُدُهُ لِيَنْفَرِدَ بَعْضُهُمْ[(٦)] مِنْ بَعْضٍ فِي المَوَدَّةِ، لَا تَتَكَلَّمُوا عَلَىٰ الْقَرَابَةِ فَتَقَاطَعُوا، فَإِنَّ الْقَرِيبَ مَنْ قَرَّبَ نَفْسَهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالمَالِ فَأَصْلِحُوهُ فَإِنَّهُ لَا يَصْلُحُ الْأَمْوَالُ إِلَّا بِإِصْلَاحِكُمْ، وَلَا يَتَّكِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ مَالِ أَخِيهِ يَرَىٰ فِيهِ قَضَاءَ حَاجَتِهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ كَالْقَابِضِ عَلَىٰ المَاءِ، وَمَنِ اسْتَغْنَىٰ كَرُمَ عَلَىٰ أَهْلِهِ، وَأَكْرِمُوا الْخَيْلَ، نِعْمَ لَهْوُ الْحُرَّةِ المَغْزِلُ، وَحِيلَةُ مَنْ لَا حِيلَةَ لَهُ الصَّبْرُ.

٢٥٢
٥١

وعاش فروة بن ثعلبة بن نفاية[(٧)] السلولي مائة وثلاثين سنة في الجاهليَّة ثُمَّ أدرك الإسلام فأسلم.

---

(١) من المصدر.

(٢) في المصدر: (من أصبح عند رأس الأمر، أحبُّ إليَّ ممَّن أصبح عند ذنبه).

(٣) في المصدر: (التجمُّل) بدل (المتحمِّل).

(٤) في المصدر: (العزّ) بدل (القرب).

(٥) في المصدر: (يجنيٰ) بدل (يجتني).

(٦) في المصدر: (يتقرَّب بعضكم) بدل (لينفرد بعضهم).

(٧) في المصدر: (نفاثة) بدل (نفاية).

وعاش مضاد بن حبابة بن مرارة من بني عمرو بن يربوع بن حنظلة بن زيد مناة أربعين ومائة سنة.

وعاش قسُّ بن ساعدة ستّمائة سنة وهو الذي يقول:

هل الغيث يُعطي الأمر[1] عند بحال مسيء في الأُمور ومحسنِ

ومن قد تولّىٰ وهو قد فات ذاهب فهل ينفعني ليتني ولو أنَّني

وكذلك يقول لبيد:

وأخلف قسًّا ليتني ولو أنَّني وأعيا علىٰ لقمان حكم التدبُّر

وعاش الحارث بن كعب المذحجي ستّين ومائة سنة[2].

قَالَ الصَّدُوقُ رحمه الله: هَذِهِ الْأَخْبَارُ الَّتِي ذَكَرْتُهَا فِي الْمُعَمَّرِينَ قَدْ رَوَاهَا مُخَالِفُونَا أَيْضاً مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ[3]، وَعَوَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ، وَعِيسَىٰ بْنِ يَزِيدَ بْنِ رِئَابٍ[4]، وَالْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ الطَّائِيِّ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ قَالَ: «كُلَّمَا كَانَ فِي الْأُمَمِ السَّالِفَةِ فَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِثْلُهُ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ وَالْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ»، وَقَدْ صَحَّ هَذَا التَّعْمِيرُ فِيمَنْ تَقَدَّمَ، وَصَحَّتِ الْغَيْبَاتُ الْوَاقِعَةُ بِحُجَجِ اللهِ عليهم السلام فِيمَا مَضَىٰ مِنَ الْقُرُونِ، فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَىٰ إِنْكَارِ الْقَائِمِ عليه السلام لِغَيْبَتِهِ وَطُولِ عُمُرِهِ؟

مع الأخبار الواردة فيه عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وعن الأئمَّة عليهم السلام وهي التي قد ذكرناها في هذا الكتاب بأسانيدها.

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الدَّقَّاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْكُوفِيُّ، عَنْ

---

(١) في المصدر: (الأمن) بدل (الأمر).

(٢) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٧٤ و٥٧٥).

(٣) في المصدر: (بشَّار) بدل (يسار).

(٤) في المصدر: (آب) بدل (رئاب).

٢٥٣/٥١ مُوسَىٰ بْن عِمْرَانَ النَّخَعِيِّ، عَنْ عَمِّهِ الْحُسَيْن بْن يَزِيدَ النَّوْفَلِيِّ، عَنْ غِيَاثِ بْن إِبْرَاهِيمَ، عَن الصَّادِقِ جَعْفَر بْن مُحَمَّدٍ عليه السلام، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كُلُّ مَا كَانَ فِي الْأُمَم السَّالِفَةِ فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِثْلُهُ حَذْوَ النَّعْل بِالنَّعْل وَالْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ»(١).

الخصال: عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الله الْأَسْوَارِيُّ، عَنْ مَكِّيِّ بْنِ أَحْمَدَ، قَالَ: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الطُّوسِيَّ يَقُولُ - وَكَانَ قَدْ أَتَىٰ عَلَيْهِ سَبْعٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً عَلَىٰ بَابِ يَحْيَىٰ بْنِ مَنْصُورٍ -، قَالَ: رَأَيْتُ سَرْبَايَكَ مَلِكَ الْهِنْدِ فِي بَلَدٍ تُسَمَّىٰ: (صوح)(٢)، فَسَأَلْنَاهُ: كَمْ أَتَىٰ عَلَيْكَ مِنَ السِّنِينَ؟ قَالَ: تِسْعُمِائَةِ سَنَةٍ وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أَنْفَذَ إِلَيْهِ عَشَرَةً مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْهُمْ: حُذَيْفَةُ بْنُ يَمَانٍ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ، وَصُهَيْبٌ الرُّومِيُّ، وَسَفِينَةُ، وَغَيْرُهُمْ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْإِسْلَام، فَأَجَابَ وَأَسْلَمَ وَقَبَّلَ كِتَابَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ تُصَلِّي مَعَ هَذَا الضَّعْفِ؟ فَقَالَ لِي: قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ...﴾ الْآيَةَ [آل عمران: ١٩١]، فَقُلْتُ لَهُ: مَا طَعَامُكَ؟ فَقَالَ لِي: آكُلُ مَاءَ اللَّحْم وَالْكُرَّاثَ، وَسَأَلْتُ: هَلْ يَخْرُجُ مِنْكَ شَيْءٌ؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مَرَّةً شَيْءٌ يَسِيرٌ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ أَسْنَانِهِ، فَقَالَ: أَبْدَلْتُهَا عِشْرِينَ مَرَّةً.

وَرَأَيْتُ لَهُ فِي إِصْطَبْلِهِ شَيْئاً مِنَ الدَّوَابِّ أَكْبَرَ مِنَ الْفِيلِ يُقَالُ لَهُ: زَنْدَفِيلُ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا تَصْنَعُ بِهَذَا؟ قَالَ: يُحْمَلُ بِهَا ثِيَابُ الْخَدَم إِلَىٰ الْقَصَّارِ. وَمَمْلَكَتُهُ مَسِيرَةُ أَرْبَع سِنِينَ فِي مِثْلِهَا، وَمَدِينَتُهُ طُولُهَا خَمْسُونَ فَرْسَخاً فِي مِثْلِهَا، وَعَلَىٰ كُلِّ بَابٍ مِنْهَا عَسْكَرٌ فِي مِائَةِ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفاً، إِذَا وَقَعَ فِي أَحَدِ الْأَبْوَابِ حَدَثٌ خَرَجَتْ تِلْكَ

(١) كمال الدِّين (ج ٢/ ص ٥٧٥ و٥٧٦).
(٢) بفتح القاف وتشديد النون وآخره جيم، موضع في بلاد الهند. (مراصد الاطِّلاع: ج ٣/ ص ١١٢٩).

الْفِرْقَةُ إِلَىٰ الْحَرْبِ لَا تَسْتَعِينِ بِغَيْرِهَا، وَهُوَ فِي وَسَطِ المَدِينَةِ. وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: دَخَلْتُ المَغْرِبَ، فَبَلَغْتُ إِلَىٰ الرَّمْلِ - رَمْلِ الْعَالِجِ - وَصِرْتُ إِلَىٰ قَوْمِ مُوسَىٰ عليه السلام، فَرَأَيْتُ سُطُوحَ بُيُوتِهِمْ مُسْتَوِيَةً، وَبَيْدَرَ الطَّعَامِ خَارِجَ الْقَرْيَةِ يَأْخُذُونَ مِنْهُ الْقُوتَ وَالْبَاقِي يَتْرُكُونَهُ هُنَاكَ، وَقُبُورُهُمْ فِي دُورِهِمْ، وَبَسَاتِينُهُمْ مِنَ المَدِينَةِ عَلَىٰ فَرْسَخَيْنِ، لَيْسَ فِيهِمْ شَيْخٌ وَلَا شَيْخَةٌ، وَلَمْ أَرَ فِيهِمْ عِلَّةً، وَلَا يَعْتَلُّونَ إِلَىٰ أَنْ يَمُوتُوا، وَلَهُمْ أَسْوَاقٌ إِذَا أَرَادَ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ شِرَاءَ شَيْءٍ صَارَ إِلَىٰ السُّوقِ فَوَزَنَ لِنَفْسِهِ وَأَخَذَ مَا يُصِيبُهُ وَصَاحِبُهُ غَيْرُ حَاضِرٍ، وَإِذَا أَرَادُوا الصَّلَاةَ حَضَرُوا فَصَلُّوا وَانْصَرَفُوا، لَا يَكُونُ بَيْنَهُمْ خُصُومَةٌ أَبَداً، وَلَا كَلَامٌ يُكْرَهُ إِلَّا ذِكْرَ الله عزَّ وجلَّ وَالصَّلَاةَ وَذِكْرَ المَوْتِ.

٢٥٤/٥١

قال الصدوق رحمه الله: إذا كان عند مخالفينا مثل هذه الحال لسربايك مَلِك الهند، فينبغي أنْ لا يحيلوا مثل ذلك في حجَّة الله من التعمير، ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم[١].

بيان: (وصبح ليل) عطف علىٰ (الثواء). قوله: (يغاديه): أي يأتيه غدوةً. قوله: (وليل بعد يسري): أي بعد ذلك الصبح يسير ليلاً. والشلو بالكسر: العضو. والسلو: الصبر. وقال الجوهري: الهنيدة المائة من الإبل وغيرها، وقال أبو عبيدة: هي اسم لكلِّ مائة وأنشد:

ونصر بن دهمان الهنيدة عاشها وتسعين عاماً ثُمَّ قوم فانصاتا[٢]

وقال في الصاد والتاء: وقد انصات الرجل، إذا استوت قامته بعد الانحناء، ثُمَّ ذكر هذا البيت والذي بعده[٣]. وقال: شرخ الشباب أوَّله[٤].

(١) لم نعثر عليه في الخصال.
(٢) الصحاح (ج ٢/ ص ٥٥٧).
(٣) الصحاح (ج ١/ ص ٢٥٧ و٢٥٨).
(٤) الصحاح (ج ١/ ص ٤٢٤).

قوله: (رهين شيء): أي كلُّ شيء احتاج إليه، وفي بعض النُّسَخ بالسين المهملة، وهو اللبن يكون في أطراف الأخلاف قبل نزول الدرَّة.

ولدة الرجل: تربه، والجمع لدات. والسُّبات بالضمِّ: النوم والراحة. قوله: (حتَّىٰ تخطَّ له قبراً) لعلَّه إشارة إلىٰ إدراك ما قبل الجاهليَّة. والكهب: الجاموس المسنُّ. والكُهبة بالضمِّ: بياض علته كدورة أو الدهمة أو غبرة مشربة سواداً.

وثاب الرجل يثوب ثوباً: رجع بعد ذهابه، أي نفعت مولىٰ حتَّىٰ يعود إليَّ نفعه وجزاؤه. والبثُّ: الحزن. والكِبَر كعِنَب: الشيخوخة، أو هو كصُرَد جمع الكبرىٰ، أي المصائب الكبر. و(يوم مهران ويوم تسترا) إشارتان إلىٰ غزوتان مشهورتان في الإسلام كانتا في زمن عمر. و(قدني): أي حسبي. (أنْ أبيد): أي أهلك، وفي بعض النُّسَخ: وقد لي، أي وقد حان لي[1].

٢٥٥/٥١

وقال الجوهري: ولبد آخر نسور لقمان، هو الذي بعثته عاد في وفدها إلىٰ الحرم يستسقي لها، فلمَّا أُهلكوا خُيِّر لقمان بين بقاء سبع بقرات[2] سمر من أظب عفر في جبل وعر لا يمسُّها القطر، وبين بقاء سبعة أنسر كلَّما هلك نسر خلف بعده نسر، فاختار النسور، فكان آخر نسوره يُسمَّىٰ لبداً.

وقال: مزيقياء: لقب عمرو بن عامر مَلِك من ملوك اليمن، زعموا أنَّه كان يلبس كلَّ يوم حُلَّتين فيُمزِّقهما بالعشيِّ، ويكره أنْ يعود فيهما ويأنف أنْ يلبسهما أحد غيره[3].

وقال: جاء فلان يهادي بين اثنين، إذا كان يمشي بينهما معتمداً عليهما من ضعفه وتمايله[4].

---

(١) لكن علىٰ هذه النسخة لا يستقيم وزن الشعر، وقد أضفنا إليه ما كان يحتمل نقصانه.

(٢) الصحاح (ج ٢/ ص ٥٣٤)، وفيه: (بعرات) بدل (بقرات)، قيل: وهو الصحيح.

(٣) الصحاح (ج ٣/ ص ١٥٥٥).

(٤) الصحاح (ج ٤/ ص ٢٥٣٤).

وإخماد النار: كناية عن خمول الذكر أو ذهاب البركة. قوله: (فإنَّكم لا تلاموا)، الحاصل أنَّكم إنْ بذلتم علىٰ قدر وسعكم فسيعذركم الناس ولا يلومونكم ويبقىٰ لكم قوَّة علىٰ البذل بعد ذلك، وذلك خير من أنْ تسرفوا وتبذلوا جميع ما في أيديكم وتحتاجوا إليه ويعانوكم. (بالمعذرة): أي بقليل يعتذرون إليكم في ذلك، أو مع كونكم معذورين في السؤال لاضطراركم، وفي بعض النُّسَخ: من أنْ تضاموا، أي من أنْ يظلموكم بأنْ يعتذروا إليكم مع قدرتهم علىٰ البذل، وعلىٰ التقادير الأظهر: فإنَّكم إنْ تلاموا.

(ولا تُجشِّموا): أي لا تُكلِّفوا. (أهل الدناءة): أي البخلاء والذين لم ينشأوا في الخير. (فتُقصِّروا بها): أي تجعلوهم مقصِّرين عاجزين عمَّا طلبتم منهم، والضمير راجع إلىٰ (أهل الدناءة) بتأويل الجماعة.

قوله: (فتبوروا): أي فتهلكوا. والازدراء: التحقير. وقوله: (ذكاء قلبه): تفسير للأصغرين. والتبسُّل: إظهار البسالة وهي الشجاعة، وفي بعض النُّسَخ: وتبتَّلوا، والتبتُّل الانقطاع عن الدنيا إلىٰ الله. وقوله: (تسم إليكم الأبصار) من قولهم: سما بصره أي علا. والقارب: السفينة الصغيرة. والشاهور: لعلَّه لغة في الشهر. والعرمرم: الجيش الكثير.

٢٥٦/٥١

قوله: (وللدهر أمر مرَّة) أي قد يجعل الرجل أميراً وقد يجعله متهجِّماً عليه، أو للدهر أُمور غريبة وتهجُّمات، والأظهر أنَّه بالكسر بمعنىٰ الشدَّة والأمر العجيب. قوله: (ينجم) بضمِّ الجيم: أي يطلع ويظهر. قوله: (ويسمو به السمِّ): السمُّ بالضمِّ والكسر الاسم، أي يعلو به اسم الله وكلمة التوحيد.

وقوله: (ثمان...) إلىٰ آخر البيت، لعلَّه إشارة إلىٰ الطوائف التي يقتلهم القائم عليه السلام أو يطيعونه. وقوله: (ومن بعد هذا كرُّ تسعون) إشارة إلىٰ من يعود في الرجعة. قوله: (أنْ يفرقها الدم) لعلَّ المعنىٰ أنَّ كلَّها يصرف في الجهاد، أو أنَّ دم القتلىٰ حولها يهدمها إمَّا حقيقةً أو مجازاً.

وقال الجوهري: الداحس اسم فرس مشهور لقيس بن زهير بن جذيمة العبسي، ومنه حرب داحس، وذلك أنَّ قيساً وحذيفة بن بدر تراهنا علىٰ خطر عشرين بعيراً، وجعلا الغاية مائة غلوة والمضمار أربعين ليلة والمجرىٰ من ذات الآصاد[1]، فأجرىٰ قيس داحساً والغبراء، وأجرىٰ حذيفة الخطار والحنفاء، فوضعت بنو فزارة رهط حذيفة[2] كميناً علىٰ الطريق فردُّوا الغبراء ولطموها، وكانت سابقة، فهاجت الحرب بين عبس وذبيان أربعين سنة[3].

قوله: (علىٰ العلات): أي علىٰ كلِّ حالٍ. والردء: الفاسد. وبنو حام: السودان، شُبِّهت الجُزُر في عظمها وعظم سنامها بجبال صغار عليها بنو حام قعوداً. وأروىٰ: أُمُّ عثمان، وكان الوليد أخاه لأُمِّه.

قوله: (واقرع الأرض بالعصا): أي نبِّه الغافل بأدنىٰ تنبيه ليعقل، ولا تؤذه ولا تفضحه، قال الجوهري: قال الشاعر:

وزعمت أنَّا لا حلوم لنا[4]   إنَّ العصا قرعت لذي الحلم

أي إنَّ الحليم إذا نُبِّه انتبه، وأصله أنَّ حَكَماً من حُكَّام العرب عاش حتَّىٰ اهتر، فقال لابنته: إذا أنكرتِ شيئاً من فهمي عند الحكم فاقرعي لي المجن بالعصا لأرتدع، قال المتلمِّس: لذي الحلم... البيت[5]، انتهىٰ. وعلىٰ ما ذكره يحتمل المراد تنبيهه عند الغفلة.

٢٥٧/٥١

قوله: (فإنَّ من يسمع يخل) هو من الخيال، أي إذا أحضرتم سفيهاً فهو يتكلَّم علىٰ سفاهته، وكلُّ من يسمع منه يقع في خياله شيء ويُؤثِّر فيه.

---

(١) في المصدر: (الإصاد) بدل (الآصاد).

(٢) عبارة: (رهط حذيفة) ليست في المصدر.

(٣) الصحاح (ج ٢/ ص ٩٢٧).

(٤) عبارة: (وزعمت أنَّا لا حلوم لنا) ليست في المصدر.

(٥) الصحاح (ج ٣/ ص ١٢٦١).

وقال الزمخشري في مستقصىٰ الأمثال: من يسمع يخل: أي يظنُّ ويتَّهم بقوله إذا بلغ شيئاً عن رجل فاتَّهمه، وقيل: إنَّ من يسمع أخبار الناس ومعايبهم يقع في نفسه المكروه عليهم، أي إنَّ المجانبة للناس أسلم، ومفعولا (يخل) محذوفان[١]، انتهىٰ.

و(الصريمة): العزيمة في الشيء، والصرم القطع. و(الخلي): الخالي من الهمِّ والحزن خلاف الشجي، والمثل معروف، والمعنىٰ أنِّي في همٍّ عظيم لهذا الأمر الذي أدعوكم إليه وأنتم فارغون غافلون فويل لي منكم.

قوله: (وقع القائم معه)[٢]: أي يصير العزيز بعد ظهور الحقِّ ذليلاً والذليل عزيزاً، لأنَّ الحقَّ يظهر عند غلبة الباطل وأهله. قوله: (أنْ أدركه) بالفتح: أي أنْ أتلهَّف علىٰ إدراك هذا الأمر فإنِّي آئس منه، أو بالكسر فيكون الجزاء محذوفاً، أي علىٰ أمر إنْ أدركته فزت، أو لهفي عليكم إنْ أدركته وفات عنكم.

قوله: (والعادة أملك بالأدب): أي الآداب الحسنة إنَّما تُملَك باعتيادها لتصير ملكة، أو متابعة عادات القوم وما هو معروف بينهم أملك بالآداب، والأوَّل أظهر.

قوله: (ورقوء الدم): قال الجزري: فيه «لا تسبُّوا الإبل فإنَّ فيها رقوء الدم»، يقال: رقا الدمع والدم والعرق يرقأ رقوءاً بالضمِّ إذا سكن وانقطع، والاسم الرقوء بالفتح، أي إنَّها تُعطىٰ في الديات بدلاً من القود ويسكن بها الدم[٣].

---

(١) المستقصىٰ في الأمثال (ج ٢/ ص ٣٦٢).

(٢) هذا علىٰ نسخة المصنِّف رحمه الله، ولا يخفىٰ عدم المناسبة بين اللفظ والمعنىٰ، والصحيح ما أثبتناه في المتن: (رفع القائم معه) طبقاً للمصدر المطبوع، والمعنىٰ: أنَّ الحقَّ إذا قام رفع من قام معه وأعلاه واستنهض الصرعىٰ حتَّىٰ يجعلهم قياماً، والمحصَّل أنَّه إذا قام الحقُّ صيَّر القاعد قائماً والقائم مترفِّعاً.

(٣) النهاية (ج ٢/ ص ٢٤٨).

٢٥٨
٥١

قوله: (التقدُّم قبل الندم): أي ينبغي أنْ يُتقدَّم في الأُمور قبل أنْ يفوت ولا يبقىٰ إلَّا الندم. قوله: (الوحشة ذهاب الأعلام): أي إنَّما يكون الوحشة في الطُرُق عند ذهاب الأعلام المنصوبة فيها، فكذا الوحشة بين الناس إنَّما يكون بذهاب العلماء والهداة الذين هم أعلام طُرُق الحقِّ.

قوله: (يكون القرب): أي من الناس أو من الله، وقال الجوهري: تقعقعت عمدهم: أي ارتحلوا، وفي المثل: من يجتمع يتقعقع عمده، كما يقال: إذا تمَّ أمردنا نقصه[1].

غوالي اللئالي: بِالإِسْنَادِ إِلَىٰ أَحْمَدَ بْن فَهْدٍ، عَنْ بَهَاءِ الدِّين عَلِيِّ بْن عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ يَحْيَىٰ بْن النَّجْل الْكُوفِيِّ، عَنْ صَالِح بْن عَبْدِ الله الْيَمَنِيِّ كَانَ قَدِمَ الْكُوفَةَ، قَالَ يَحْيَىٰ: وَرَأَيْتُهُ بِهَا سَنَةَ أَرْبَع وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ الله الْيَمَنِيِّ وَإِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ وَأَدْرَكَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ وَإِنَّهُ رَوَىٰ عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَرَأسُ الْعِبَادَةِ حُسْنُ الظَّنِّ بِالله»[2].

غوالي اللئالي: حَدَّثَنِي الْمَوْلَىٰ الْعَالِمُ الْوَاعِظُ عَبْدُ الله بْنُ فَتْح الله بْن عَبْدِ الْمَلِكِ[3]، عَنْ تَاج الدِّين حَسَن السرايشنوي[4]، عَن الشَّيْخ جَمَالِ الدِّين حَسَن بْن يُوسُفَ بْن الْمُطَهَّر، قَالَ: رُوِّيتُ عَنْ مَوْلَانَا شَرَفِ الدِّين إِسْحَاقَ بْن مَحْمُودٍ الْيَمَانِيِّ الْقَاضِي بِقُمَّ، عَنْ خَالِهِ مَوْلَانَا عِمَادِ الدِّين مُحَمَّدِ بْن مُحَمَّدِ بْن فَتْحَانَ الْقُمِّيِّ، عَن الشَّيْخ صَدْر الدِّين السَّاوي، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ الشَّيْخ بَابَارَتَنَ وَقَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَىٰ عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَر فَرَفَعَهُمَا عَنْ عَيْنَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ: تَرَىٰ عَيْنَيَّ هَاتَيْن، طَالَ مَا

---

(١) الصحاح (ج ٣/ ص ١٢٦٩).
(٢) غوالي اللئالي (ج ١/ ص ٢٧/ فصل ٣/ ح ٩).
(٣) في المصدر إضافة: (شرف الدِّين عليّ، عن أبيه).
(٤) في المصدر: (السرابشنوي).

نَظَرَتَا إِلَىٰ وَجْهِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، وَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ حَفْرِ الْخَنْدَقِ وَكَانَ يَحْمِلُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ التُّرَابَ مَعَ النَّاسِ، وَسَمِعْتُهُ صلى الله عليه وآله يَقُولُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِيشَةً هَنِيئَةً، وَمِيتَةً سَوِيَّةً، وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزٍ وَلَا فَاضِحٍ»[١].

أقول: وروىٰ السيِّد عليُّ بن عبد الحميد في كتاب الأنوار المضيئة[٢]، قال: رَوَىٰ الْجَدُّ السَّعِيدُ عَبْدُ الْحَمِيدِ يَرْفَعُهُ إِلَىٰ الرَّئِيسِ أَبِي الْحَسَنِ الْكَاتِبِ الْبَصْرِيِّ، وَكَانَ مِنَ الْأُدَبَاءِ[٣]، قَالَ: فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ أَسْنَتَ الْبَرُّ سِنِينَ عِدَّةً، وَبَعَثَتِ السَّمَاءُ دَرَّهَا فِي[٤] أَكْنَافِ الْبَصْرَةِ، فَتَسَامَعَ الْعَرَبُ بِذَلِكَ، فَوَرَدُوهَا مِنَ الْأَقْطَارِ الْبَعِيدَةِ[٥] عَلَىٰ اخْتِلَافِ لُغَاتِهِمْ[٦]، فَخَرَجْتُ مَعَ جَمَاعَةٍ[٧] نَتَصَفَّحُ أَحْوَالَهُمْ وَنَلْتَمِسَنَّ فَائِدَةً رُبَّمَا وَجَدْنَاهَا عِنْدَ أَحَدِهِمْ، فَارْتَفَعَ لَنَا بَيْتٌ عَالٍ فَقَصَدْنَاهُ، فَوَجَدْنَا فِي كِسْرِهِ شَيْخاً جَالِساً قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَىٰ عَيْنَيْهِ كِبَراً وَحَوْلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ عَبِيدِهِ وَأَصْحَابِهِ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَرَدَّ التَّحِيَّةَ وَأَحْسَنَ التَّلْقِيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَّا: هَذَا السَّيِّدُ - وَأَشَارَ إِلَيَّ - هُوَ النَّاظِرُ فِي مُعَامَلَةِ الدَّرْبِ، وَهُوَ مِنَ الْفُصَحَاءِ وَأَوْلَادِ الْعَرَبِ، وَكَذَلِكَ الْجَمَاعَةُ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يُنْسَبُ إِلَىٰ قَبِيلَةٍ وَيَخْتَصُّ بِسَدَادٍ وَفَصَاحَةٍ، وَقَدْ خَرَجَ وَخَرَجْنَا مَعَهُ حِينَ وَرَدْتُمْ نَلْتَمِسُ الْفَائِدَةَ الْمُسْتَطْرَفَةَ مِنْ أَحَدِكُمْ، وَحِينَ شَاهَدْنَاكَ رَجَوْنَا مَا نَبْغِيهِ عِنْدَكَ لِعُلُوِّ سِنِّكَ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: وَالله يَا بَنِي أَخِي حَيَّاكُمُ اللهُ، إِنَّ الدُّنْيَا شَغَلَتْنَا عَمَّا تَبْتَغُونَهُ

٢٥٩/٥١

(١) غوالي اللئالي (ج ٢/ ص ٢٨/ فصل ٣/ ح ١٠).

(٢) لم نعثر علىٰ كتاب الأنوار المضيئة هذا، وخرَّجنا الحديث وفقاً لمنتخب الأنوار المضيئة.

(٣) في المصدر: (الأسداء) بدل (الأدباء).

(٤) في المصدر: (وخصَّ الحيا) بدل (في).

(٥) في المصدر إضافة: (والبلاد الشاسعة).

(٦) في المصدر إضافة: (وتباين فطرتهم).

(٧) في المصدر إضافة: (من الكُتَّاب ووجوه التُّجَّار).

مِنِّي، فَإِنْ أَرَدْتُمُ الْفَائِدَةَ فَاطْلُبُوهَا عِنْدَ أَبِي، وَهَا بَيْتُهُ - وَأَشَارَ إِلَىٰ خِبَاءٍ كَبِيرٍ بِإِزَائِهِ[١] -، فَقَصَدْنَا الْبَيْتَ، فَوَجَدْنَا فِيهِ شَيْخاً مُتَضَجِّعاً وَحَوْلَهُ مِنَ الْخَدَمِ وَالْأَمْرِ أَوْفَىٰ مِمَّا شَاهَدْنَاهُ أَوَّلاً[٢]، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَأَخْبَرْنَاهُ بِخَبَرِ ابْنِهِ، فَقَالَ: يَا بَنِي أَخِي حَيَّاكُمُ اللهُ، إِنَّ الَّذِي شَغَلَ ابْنِي عَمَّا الْتَمَسْتُمُوهُ مِنْهُ هُوَ الَّذِي شَغَلَنِي عَمَّا هَذِهِ سَبِيلُهُ، وَلَكِنَّ الْفَائِدَةَ تَجِدُونَهَا عِنْدَ وَالِدِي، وَهَا هُوَ بَيْتُهُ - وَأَشَارَ إِلَىٰ بَيْتٍ مُنِيفٍ[٣] -، فَقُلْنَا فِيمَا بَيْنَنَا: حَسْبُنَا مِنَ الْفَوَائِدِ مُشَاهَدَةُ وَالِدِ هَذَا الشَّيْخِ الْفَانِي، فَإِنْ كَانَتْ مِنْهُ فَائِدَةٌ فَهِيَ رِبْحٌ لَمْ نَحْتَسِبْ[٤].

فَقَصَدْنَا ذَلِكَ الْخِبَاءَ، فَوَجَدْنَا حَوْلَهُ عَدَداً كَثِيراً مِنَ الْإِمَاءِ وَالْعَبِيدِ، فَحِينَ رَأَوْنَا تَسَرَّعُوا إِلَيْنَا وَبَدَءُوا بِالسَّلَامِ عَلَيْنَا، وَقَالُوا: مَا تَبْغُونَ حَيَّاكُمُ اللهُ؟ فَقُلْنَا: نَبْغِي السَّلَامَ عَلَىٰ سَيِّدِكُمْ، وَطَلَبَ الْفَائِدَةِ مِنْ عِنْدِهِ[٥]، فَقَالُوا: الْفَوَائِدُ كُلُّهَا عِنْدَ سَيِّدِنَا، وَدَخَلَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَأْذِنُ، ثُمَّ خَرَجَ بِالْإِذْنِ لَنَا، فَدَخَلْنَا فَإِذَا سَرِيرٌ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ وَعَلَيْهِ مَخَادٌّ مِنْ جَانِبَيْهِ، وَوِسَادَةٌ فِي أَوَّلِهِ، وَعَلَىٰ الْوِسَادَةِ رَأْسُ شَيْخٍ قَدْ بَلِيَ وَطَارَ شَعْرُهُ[٦]، فَجَهَرْنَا بِالسَّلَامِ، فَأَحْسَنَ الرَّدَّ، وَقَالَ قَائِلُنَا مِثْلَ مَا قَالَ لِوَلَدِ وَلَدِهِ، وَأَعْلَمْنَاهُ أَنَّهُ أَرْشَدَنَا[٧] إِلَيكَ وَبَشَّرَنَا بِالْفَائِدَةِ مِنْكَ.

فَفَتَحَ الشَّيْخُ عَيْنَيْنِ قَدْ غَارَتَا فِي أُمِّ رَأْسِهِ، وَقَالَ لِلْخَدَمِ: أَجْلِسُونِي[٨]، ثُمَّ

(١) في المصدر إضافة: (فقلنا: النظر إلىٰ مثل والد هذا الشيخ الهمِّ فائدة تُتعجَّل).

(٢) في المصدر إضافة: (ورأينا عليه آثار السنِّ ما يجوز أنْ يكون والد ذلك الشيخ، فدنونا منه).

(٣) في المصدر إضافة: (بنحوه منه).

(٤) في المصدر: (يُحتَسب).

(٥) في المصدر إضافة: (ببركتكم).

(٦) في المصدر إضافة: (والإزار علىٰ المخاد التي من جانبي السرير ليستره ولا يثقل منه عليه).

(٧) في المصدر إضافة: (إلىٰ أبيه فحججنا بها احتجَّ وأنَّ أباه أرشدنا).

(٨) في المصدر إضافة: (وتفيدون منه).

قَالَ لَنَا: يَا بَنِي أَخِي، لَأُحَدِّثَنَّكُمْ بِخَبَرٍ تَحْفَظُونَهُ عَنِّي[١]، كَانَ وَالِدِي لَا يَعِيشُ لَهُ وَلَدٌ، وَيُحِبُّ أَنْ تَكُونَ لَهُ عَاقِبَةٌ، فَوُلِدْتُ لَهُ عَلَىٰ كِبَرٍ، فَفَرِحَ بِي وَابْتَهَجَ بِمَوْرِدِي، ثُمَّ قَضَىٰ وَلِي سَبْعُ سِنِينَ، فَكَفَلَنِي عَمِّي بَعْدَهُ، وَكَانَ مِثْلَهُ فِي الْحَذَرِ عَلَيَّ، فَدَخَلَ بِي يَوْماً عَلَىٰ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ الله [صلى الله عليه وآله]، إِنَّ هَذَا ابْنُ أَخِي وَقَدْ مَضَىٰ أَبُوهُ لِسَبِيلِهِ وَأَنَا كَفِيلٌ بِتَرْبِيَتِهِ، وَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهِ عَلَىٰ المَوْتِ، فَعَلِّمْنِي عُوذَةً أُعَوِّذُهُ بِهَا لِيَسْلَمَ بِبَرَكَتِهَا، فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «أَيْنَ أَنْتَ عَنْ ذَاتِ الْقَلَاقِلِ؟»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله [صلى الله عليه وآله]، وَمَا ذَاتُ الْقَلَاقِلِ؟ قَالَ: «أَنْ تُعَوِّذَهُ فَتَقْرَأَ عَلَيْهِ سُورَةَ الْجَحْدِ، وَسُورَةَ الْإِخْلَاصِ، وَسُورَةَ الْفَلَقِ، وَسُورَةَ النَّاسِ»، وَأَنَا إِلَىٰ الْيَوْمِ أَتَعَوَّذُ بِهَا كُلَّ غَدَاةٍ، فَمَا أُصِبْتُ وَلَا أُصِيبَ لِي مَالٌ، وَلَا مَرِضْتُ، وَلَا افْتَقَرْتُ، وَقَدِ انْتَهَىٰ بِيَ السِّنُّ إِلَىٰ مَا تَرَوْنَ، فَحَافِظُوا عَلَيْهَا وَاسْتَكْثِرُوا مِنَ التَّعَوُّذِ بِهَا. ثُمَّ انْصَرَفْنَا مِنْ عِنْدِهِ[٢]، انْتَهَىٰ.

٢٦٠/٥١

مجالس الشيخ: عن المفيد، عن إبراهيم بن الحسن بن جمهور، قال: حدَّثني أبو بكر المفيد الجرجرائي في شهر رمضان سنة ستٍّ وسبعين وثلاثمائة، قال: اجتمعت مع أبي عمرو عثمان بن الخطَّاب بن عبد الله بن العوَّام بمصر في سنة ستَّ عشر وثلاثمائة وقد ازدحم الناس عليه حتَّىٰ رُقِيَ به إلىٰ سطح دار كبيرة كان فيها، ومضيت إلىٰ مكَّة، ولم أزل أتبعه إلىٰ مكَّة إلىٰ أنْ كتبت عنه خمسة عشر حديثاً.

وذكر أنَّه وُلِدَ في خلافة أبي بكر عتيق بن أبي قحافة، وأنَّه لـمَّا كان في زمن أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب عليه السلام خرجت ووالدي معي أُريد لقاءه، فلمَّا

(١) في المصدر إضافة: (فلم تزل أيديهم تتهاداه بلطف إلىٰ أنْ جلس وسُتِرَ بالإزار التي طُرِحَت علىٰ المخاد).

(٢) منتخب الأنوار المضيئة (ص ٩٩ - ١٠١).

صرنا قريباً من الكوفة أو الأرض التي كان بها عطشنا عطشاً شديداً في طريقنا وأشرفنا علىٰ التلف، وكان والدي شيخاً كبيراً، فقلت له: اجلس حتَّىٰ أدور الصحراء أو البرّيَّة فلعلّي أقدر علىٰ ماء أو من يدلُّني عليه أو ماء مطر.

فقصدت أطلب ذلك، فلم ألبث عنه غير بعيد إذ لاح لي ماء فصرت إليه، فإذا أنا ببئر شبه الركية أو الوادي، فنزعت ثيابي واغتسلت من ذلك الماء وشربت حتَّىٰ رويت، وقلت: أمضي وأجيء بأبي فإنَّه قريب منِّي، فجئت إليه فقلت: قم فقد فرَّج الله عزَّ وجلَّ عنَّا، وهذه عين ماء قريب منَّا، فقام فلم نرَ شيئاً ولم نقف علىٰ الماء، وجلس وجلست معه، ولم يضطرب إلىٰ أنْ مات، واجتهدت إلىٰ أنْ واريته، وجئت إلىٰ مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ولقيته وهو خارج إلىٰ صفِّين وقد أُخرجت له البغلة، فجئت وأمسكت له الركاب، فالتفت إليَّ، فانكببت أُقبِّل الركاب، فشجَّني في وجهي شجَّة.

٢٦١/٥١

قال أبو بكر المفيد: ورأيت الشجَّة في وجهه واضحة.

ثُمَّ سألني عن خبري، فأخبرته بقصَّتي وقصَّة والدي وقصَّة العين، فقال: «عين لم يشرب منها أحد إلَّا وعمَّر عمراً طويلاً، فأبشر فإنَّك تُعمَّر، وما كنت لتجدها بعد شربك منها»، وسمَّاني بالمعتمر.

قال أبو بكر المفيد: فحدَّثنا عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بالأحاديث وجمعتها ولم تجتمع لغيري منه، وكان معه جماعة مشايخ من بلده وهي طنجة.

فسألتهم عنه فذكروا أنَّهم من بلده، وأنَّهم يعرفونه بطول العمر وآباؤهم وأجدادهم بمثل ذلك واجتماعه مع مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وأنَّه تُوفِّي في سنة سبع عشر وثلاثمائة[1].

أقول: روىٰ الكراجكي رحمه الله في كنز الفوائد هذا الخبر بطوله مع الأخبار

(١) لم نعثر علىٰ مظانِّه من أمالي الطوسي.

التي رواها أبو الدنيا عن الشريف طاهر بن موسىٰ الحسيني، عن ميمون بن حمزة الحسيني، عن المعمَّر المغربي. وعن أسد بن إبراهيم السلمي والحسين بن محمّد الصيرفي البغدادي معاً، عن أبي بكر محمّد بن محمّد المعروف بالمفيد الجرجرائي، عن عليٍّ بن عثمان بن الخطَّاب بن عبد الله بن عوَّام البلوي من مدينة بالمغرب يقال لها: مزيدة. يُعرَف بأبي الدنيا الأشجِّ المعتمر، إلىٰ آخر ما مرَّ من قَصصه وما أوردناه من رواياته في كتاب الفتن وغيره.

ثُمَّ ذكر رحمه الله قصَّة رجل آخر يُعرَف بالمعمَّر المشرقي، وقال: هو رجل مقيم ببلاد العجم من أرض الجبل يُذكَر أنَّه رأىٰ أمير المؤمنين عليه السلام ويعرفه الناس بذلك علىٰ مرِّ السنين والأعوام، ويقول: إنَّه لحقه مثل ما لحق المغربي من الشجَّة في وجهه، وأنَّه صحب أمير المؤمنين عليه السلام وخدمه.

وحدَّثني جماعة مختلفو المذاهب بحديثه، وأنَّهم رأوه وسمعوا كلامه، منهم أبو العبَّاس أحمد بن نوح بن محمّد الحنبلي الشافعي، حدَّثني بمدينة الرملة في سنة إحدىٰ عشرة وأربعمائة، قال: كنت متوجِّهاً إلىٰ العراق للتفقُّه، فعبرت بمدينة يقال لها: سهرورد من أعمال الجبل قريبة من زنجان، وذلك في سنة خمسين وأربعمائة[1]، فقيل لي: إنَّ هنا شيخاً يزعم أنَّه لقي أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب عليه السلام، فلو صرت إليه[2] لكان ذلك فائدة عظيمة، قال: فدخلنا عليه، فإذا هو في بيته لعمل[3] النوار، وإذا هو شيخ نحيف الجسم مدوَّر اللحية كبيرها، وله ولد صغير وُلِدَ له منذ سنة.

فقيل له: إنَّ هؤلاء قوم من أهل العلم متوجِّهون إلىٰ العراق يُحِبُّون أنْ

٢٦٢/٥١

(١) في المصدر: (ثلاثمائة) بدل (أربعمائة).

(٢) في المصدر إضافة: (ورأيته).

(٣) في المصدر: (يعمل).

يسمعوا من الشيخ ما قد لقي من أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: نعم، كان السبب في لقائي له أنِّي كنت قائماً في موضع من المواضع فإذا بفارس مجتاز، فرفعت رأسي، فجعل الفارس يمرُّ يده علىٰ رأسي ويدعو لي، فلمَّا أنْ عبر أُخبرت بأنَّه عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام، فهرولت حتَّىٰ لحقته وصاحبته.

وذكر أنَّه كان معه في تكريت وموضع من العراق يقال له: تل فلان بعد ذلك، وكان بين يديه يخدمه إلىٰ أنْ قُبِضَ عليه السلام فخدم أولاده.

قال لي أحمد بن نوح: رأيت جماعة من أهل البلد ذكروا ذلك عنه، وقالوا: إنَّا سمعنا آباءنا يُخبِرون عن أجدادنا بحال هذا الرجل، وأنَّه علىٰ هذه الصفة، وكان قد مضىٰ فأقام بالأهواز، ثُمَّ انتقل عنها لأذيَّة الديلم له، وهو مقيم بسهرورد.

وحدَّثني أبو عبد الله الحسين بن محمّد بن[1] القمّي رحمه الله أنَّ جماعة كانوا حدَّثوه بأنَّهم رأوا هذا المعمَّر وشاهدوه وسمعوا ذلك عنه، وحدَّثني بحديثه أيضاً قوم من أهل سهرورد ووصفوا لي صفته، وقالوا: هو يعمل الزنانير[2].

قال السيِّد المرتضىٰ (قدَّس الله روحه) في كتاب الغُرَر والدُّرَر: أحد المعمَّرين الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن خالد[3] بن مالك بن أدد المذحجي، ومذحج هي أُمُّ مالك بن أدر، نُسِبَ ولده مالك إليها، وإنَّما سُمّيت مذحج لأنَّها وُلِدَت علىٰ أكمة تُسمَّىٰ مذحجاً، وهي مدلَّة بنت ذي مهجشان[4].

قال أبو حاتم السجستاني: جمع الحارث بن كعب بنيه لـمَّا حضرته الوفاة،

---

(١) كلمة: (بن) ليست في المصدر.

(٢) كنز الفوائد (ج ٢/ ص ١٥٤).

(٣) في المصدر: (جلد) بدل (خالد).

(٤) في المصدر: (تُسمَّىٰ مذحجاً، واسمها مدلَّة بنت ذي هميجشان).

فقال: يا بَنِيَّ، قد أتت عليَّ ستُّون ومائة سنة ما صافحت يميني يمين غادر، ولا قنعت نفسي بخلَّة فاجر، ولا صبوت بابنة عمٍّ ولا كنَّة، ولا طرحت عندي مومسة قناعها، ولا بحت لصديق بسرٍّ، وإنِّي لعلىٰ دين شعيب النبيِّ عليه السلام وما عليه أحد من العرب غيري وغير أسد بن خزيمة وتميم بن مرٍّ[1]، فاحفظوا وصيَّتي وموتوا علىٰ شريعتي، إلهكم فاتَّقوه يكفكم المهمَّ من أُموركم ويُصلِح لكم أعمالكم، وإيَّاكم ومعصيته لا يحلُّ بكم الدمار ويوحش منكم الديار.

٢٦٣
٥١

يا بَنِيَّ، كونوا جميعاً ولا تتفرَّقوا فتكونوا شِيَعاً، وإنَّ موتاً في عزٍّ خير من حياة في ذلٍّ وعجز، وكلُّ ما هو كائن كائن، وكلُّ جميع إلىٰ تباين، الدهر ضربان: فضرب رخاء وضرب بلاء، واليوم يومان: فيوم حبرة ويوم عبرة، والناس رجلان: فرجل لك ورجل عليك. تزوَّجوا[2] الأكفاء، وليستعملنَّ في طيبهنَّ الماء، وتجنَّبوا الحمقاء فإنَّ ولدها إلىٰ أفن ما يكون، ألَا إنَّه لا راحة لقاطع القرابة، وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوَّهم منهم، وآفة العدد اختلاف الكلمة، والتفضُّل[3] بالحسنة يقي السيِّئة، والمكافا بالسيِّئة الدخول فيها، والعمل السوء يزيل النعماء، وقطيعة الرحم تورث الهمَّ، وانتهاك الحرمة يزيل النعمة، وعقوق الوالدين يعقب النكد، ويمحق العدد، ويخرب البلد، والنصيحة تجرُّ الفضيحة، والحقد يمنع الوفد، ولزوم الخطيئة يعقب البليَّة، وسوء الرعة يقطع أسباب المنفعة، والضغائن تدعو إلىٰ التباين. ثُمَّ أنشأ يقول:

أكلت شبابي فأفنيته ... وأنضيت بعد دهور دهورا[4]

---

(١) في المصدر: (أحيد بن خزيمة وتميم بن مرَّة).

(٢) في المصدر: (وزوِّجوا) بدل (تزوَّجوا).

(٣) في المصدر: (التفضيل).

(٤) في المصدر: (وأفنيت من بعد دهري دهوراً).

ثلاثة أهلين صاحبتهم ... فبادوا وأصبحت شيخاً كبيرا
قليل الطعام عسير القيام ... قد ترك الدهر خطوي قصيرا
أبيت أراعي نجوم السماء ... أُقلِّب أمري بطوناً ظهورا

قوله: (ولا صبوت بابنة عمٍّ ولا كنَّة) الصبوة رقَّة الحبِّ، والكنَّة امرأة ابن الرجل وامرأة أخيه. فأمَّا المومسة فهي الفاجرة البغيُّ. أراد بقوله: (إنَّها لم تطرح عنده قناعها): أي لم تبتذل عندي[1] وتنبسط، كما تفعل مع من يريد الفجور بها. وقوله: (فيوم حبرة ويوم عبرة) فالحبرة الفرح والسرور، والعبرة تكون من ضدِّ ذلك، لأنَّ العبرة لا تكون إلَّا من أمر محزن مؤلم. فأمَّا (الأفن) فهو الحمق، يقال: رجل أفين إذا كان أحمق. ومن أمثالهم وجدان الرقين يُغطِّي علىٰ أفن الأفين، أي وجدان الماء يُغطِّي علىٰ حمق الأحمق. وواحد الرقين رقَّة، وهي الفضَّة.

٢٦٤/٥١

فأمَّا قوله: (النصيحة تجرُّ الفضيحة) فيشبه أنْ يكون معناه أنَّ النصيح إذا نصح من لا يقبل النصيحة ولا يصغي إلىٰ موعظته فقد افتضح عنده، لأنَّه أفضىٰ إليه بسرِّه وباح بمكنون صدره.

فأمَّا سوء الرعة فإنَّه يقال: فلان حسن الرعة والتورُّع، أي حسن الطريقة.

ومن المعمَّرين المستوغر، وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مرِّ بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضرّ، وإنَّما سُمِّي المستوغر لبيت قاله، وهو:

ينش الماء في الربلات منها ... نشيش الرضف في اللبن الوغير

(الربلات) واحدتها ربلة[2]، وربلة بفتح الباء وإسكانها هي كلُّ لحمة غليظة، هكذا ذكر ابن دريد. و(الرضف) الحجارة المحماة، وفي الحديث: «كأنَّه

(١) في المصدر: (عنده).
(٢) في المصدر إضافة: (بفتح).

علىٰ الرضف». و(اللبن الوغير) لبن تُلقىٰ[1] فيه حجارة محماة ثُمَّ يُشرَب، أُخِذَ من وغرة[2] الظهيرة، وهي أشدّ ما يكون من الحرِّ، ومنه وغر صدر فلان يوغر وغراً إذا التهب من غضب[3] أو حقد.

وقال أصحاب الأنساب: عاش المستوغر ثلاثمائة سنة وعشرين سنة، وأدرك الإسلام أو كاد يُدرك أوَّله، وقال ابن سلام: كان المستوغر قديماً وبقي بقاءً طويلاً حتَّىٰ قال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وعمَّرت من عدد السنين مئينا

مائة أتت من بعدها مائتان لي ... وازددت من عدد الشهور سنينا

هل ما[4] بقي إلَّا كما قد فاتنا ... يوم يكرُّ وليلة تحدونا

وهو القائل:

إذا ما المرء صم فلم يُكلِّم ... وأودىٰ سمعه إلَّا ندايا

ولاعب بالعشيِّ بني بنيه ... كفعل الهرِّ يحترش العظايا

يلاعبهم وودُّوا لو سقوه ... من الذيفان مترعة ملايا

فلا ذاق النعيم ولا شراباً ... ولا يشفىٰ من المرض الشفايا

٢٦٥/٥١

أراد بقوله: (صم فلم يُكلِّم): أي لم يسمع ما يُكلِّم به فاحتصر، ويجوز أنْ يريد أنَّه لم يُكلِّم لليأس[5] من استماعه فأعرض عن خطابه لذلك. وقوله:

---

(١) في المصدر: (يلقىٰ).

(٢) في المصدر: (وغيرة) بدل (وغرة).

(٣) في المصدر: (غيظ) بدل (غضب).

(٤) في المصدر: (قد) بدل (ما).

(٥) في المصدر: (الناس) بدل (لليأس).

(وأودىٰ سمعه إلَّا ندايا) إنَّما أراد أنَّ سمعه هلك إلَّا أنَّه يسمع الصوت العالي الذي يُنادىٰ به. وقوله: (ولاعب بالعشيِّ بني بنيه) فإنَّه مبالغة في وصفه بالهرم والخرف، وأنَّه قد انتهىٰ إلىٰ ملاعبة الصبيان وأُنسهم به. ويشبه أنْ يكون خصَّ العشيَّ بذلك لأنَّه وقت رواح الصبيان إلىٰ بيوتهم واستقرارهم فيها.

وقوله: (يحترش العظايا): أي يصيدها. والاحتراش أنْ يقصد الرجل إلىٰ جحر الضبِّ فيضربه بكفِّه ليحسبه الضبُّ أفعىٰ فيخرج إليه فيأخذه، يقال: حرشت الضبَّ واحترشته. ومن أمثالهم: هذا أجلُّ من الحرش، يُضرَب هذا لأمر يُستَعظم ويُتكلَّم بذلك علىٰ لسان الضبِّ. قال ابن دريد: قال الضبُّ لابنه: اتَّق الحرش، قال: وما الحرش؟ قال: إذا سمعت حركة بباب الجحر فلا تخرج، فسمع يوماً وقع المحفار، فقال: يا أبه، أهذا الحرش؟ فقال: هذا أجلُّ من الحرش، فجُعِلَ مثلاً للرجل إذا سمع الشيء الذي هو أشدّ ممَّا كان يتوقَّعه.

و(الذيفان): السُّمُّ. و(العظايا): جمع عظَّاية، وهي دويبة معروفة[١].

وأحد المعمَّرين دويد بن زيد بن نهد بن زيد بن ليث بن سود[٢] بن أسلُم - بضمِّ اللَّام - بن ألحاف[٣] بن قضاعة بن مالك بن مرَّة بن مالك بن حمير.

قال أبو حاتم: عاش دويد بن زيد أربعمائة سنة وستًّا وخمسين سنة، وقال ابن دريد: لـمَّا حضرت دويد بن زيد الوفاة - وكان من المعمَّرين، قال: ولا تعدُّ العرب معمَّراً إلَّا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعداً -، قال لبنيه: أُوصيكم بالناس شرًّا، لا ترحموا لهم عبرة، ولا تقبلوا لهم عثرة، قصِّروا الأعنَّة، وطوِّلوا

---

(١) دويبة ملساء تعدو وتردد كثيراً تشبه سام أبرص، وتُسمَّىٰ شحمة الأرض وشحمة الرمل، وهي أنواع كثيرة وكلُّها منقَّطة بالسواد، ومن طبعها أنَّها تمشي مشياً سريعاً ثُمَّ تقف.

(٢) في المصدر: (أسود) بدل (سود).

(٣) في المصدر: (الخفاف) بدل (ألحاف).

٢٦٦/٥١ الأسنَّة، واطعنوا شزراً، واضربوا هبراً، وإذا أردتم المحاجزة فقبل المناجزة، والمرء يعجز لا المحالة[1] بالجدِّ لا بالكدِّ، التجلُّد ولا التبلُّد، المنيَّة ولا الدنيَّة، ولا تأسوا علىٰ فائت وإنْ عزَّ فقده، ولا تحنوا إلىٰ ظاعن وإنْ ألف قربه، ولا تطعموا فتطبعوا، ولا تهنوا فتخرعوا، ولا يكن لكم المثل السوء، إنَّ الموصّين بنو سهوان، إذا متُّ فارحبوا خطَّ مضجعي ولا تضنوا عليَّ برحب الأرض وما ذاك بمؤدٍّ إليَّ روحاً ولكن راحة[2] نفس خامرها الإشفاق، ثُمَّ مات.

قال أبو بكر بن دريد: ومن حديث آخر أنَّه قال:

ليوم يدني[3] لدويد بيته   يا رُبَّ نهب صالح حويته

ورُبَّ قرن بطل أرديته   ورُبَّ غيل حسن لويته

ومعصم مخضب ثنيته   لو كان للدهر بلىٰ أبليته

أو كان قرني واحداً كفيته

ومن قوله أيضاً:

ألقىٰ عليَّ الدهر رجلاً ويدا   والدهر ما أصلح يوماً أفسدا

يفسد ما أصلحه اليوم غدا[4]

قوله: (اطعنوا شزراً واضربوا هبراً) معنىٰ الشزر أنْ يطعنه في إحدىٰ ناحيتيه، يقال: قتل الحبل شزراً، إذا قتله علىٰ الشمال. والنظر الشزر نظر بمؤخَّر محجر العين. وقال الأصمعي: نظر إليَّ شزراً، إذا نظر إليه من عن يمينه وشماله، وطعنه طعناً شزراً كذلك. وقوله: (هبراً) قال ابن دريد: يقال: هبرت اللحم

(١) في المصدر: (محالة) بدل (المحالة).

(٢) في المصدر: (حاجة) بدل (راحة).

(٣) في المصدر: (يُبنىٰ) بدل (يدنىٰ).

(٤) في المصدر: (يُصلِح ما أفسده اليوم غداً).

أهبره هبراً، إذا قطعته قطعاً [كباراً][(١)]، والاسم الهَبرة والهُبرة، وسيف هبَّار وهابر، واللحم هبير ومهبور. و(المحالة): الحيلة. وقوله: (بالجدِّ لا بالكدِّ) أي يُدرك الرجل حاجته وطلبته بالجدِّ وهو الحظُّ والبخت، ومنه: رجل مجدود، فإذا كسرت الجيم فهو الانكماش في الأمر والمبالغة فيه. وقوله: (التجلُّد ولا التبلُّد) أي تجلَّدوا ولا تتبلَّدوا. وقوله: (فتطيعوا): أي تدنسوا، والطبع الدنس، يقال: طبع السيف يطبع طبعاً، إذا ركبه الصداء، قال ثابت قطنة العتكي: لا خير في طمع يدني إلىٰ طبع، وغفة من قوام العيش تكفيني. قوله: (ولا تهنوا فتخرعوا) فالوهن الضعف، والخرع والخراعة اللين، ومنه سُمّيت الشجرة الخروع للينها. وقوله: (إنَّ الموصّين بنو سهوان) فالموصّين جمع موصي، وبنو سهوان ضربه مثلاً، أي لا تكونوا ممَّن تقدَّم إليهم فسهوا وأعرضوا عن الوصيَّة، قال: إنَّه يُضرَب هذا المثل للرجل الموثوق به[(٢)]، ومعناه أنَّ الذين يحتاجون أنْ يوصوا بحوائج إخوانهم هم الذين يسهون عنها لقلَّة عنايتهم، وأنت غير غافل ولا ساهٍ عن حاجتي. وقوله: (فارحبوا): أي وسِّعوا. والرحب: السعة. والروح: الراحة. وقوله في الشعر: (ورُبَّ غيل) فالغيل الساعد الممتلئ. والمعصم: موضع السوار من اليد.

٢٦٧/٥١

ومن المعمَّرين زهير بن جناب[(٣)] بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة ابن زيد اللَّات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن [عمران ابن][(٤)] ألحاف بن قضاعة بن ملك[(٥)] بن عمرو بن مرَّة بن زيد بن مالك بن حمير.

---

(١) من المصدر.

(٢) في المصدر: (الموتر دمه) بدل (الموثوق به).

(٣) في المصدر إضافة: (ابن هُبَل).

(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: (مالك) بدل (ملك).

قال أبو حاتم: عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة، وواقع مائتي وقعة، وكان سيِّداً مطاعاً شريفاً في قومه، ويقال: كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه: كان سيِّد قومه، وشريفهم، وخطيبهم، وشاعرهم، ووافدهم إلىٰ الملوك، وطبيبهم والطبُّ في ذلك الزمان شرف، وحازي قومه والحزاة الكُهَّان، وكان فارس قومه، وله البيت فيهم والعدد منهم، فأوصىٰ بنيه، فقال:

يا بَنِيَّ، إنِّي قد كبرت سنِّي وبلغت حرساً من دهري فأحكمتني التجارب والأُمور تجربة واختبار، فاحفظوا عنِّي ما أقول وعوا: إيَّاكم والخور[1] عند المصائب والتواكل عند النوائب، فإنَّ ذلك داعية للغمِّ وشماتة للعدوِّ وسوء ظنٍّ بالربِّ، وإيَّاكم أنْ تكونوا بالأحداث مغترِّين ولها آمنين ومنها ساخرين، فإنَّه ما سخر قوم قطُّ إلَّا ابتلوا، ولكن توقَّعوها فإنَّما الإنسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصِّر دونه، ومجاوز موضعه، وواقع عن يمينه وشماله ولا بدَّ أنَّه يصيبه.

٢٦٨/٥١

قوله: (حرساً من دهري) يريد دهراً[2]، والحرس الدهر، قال الراجز: في سنة[3] عشنا بذاك حرساً، فالسنية المدَّة من الدهر. والتواكل أنْ يَكِلَ القوم أمرهم إلىٰ غيرهم، من قولهم: رجل وَكِلٌ، إذا كان لا يكفي نفسه ويَكِل أمره إلىٰ غيره، ويقال: رجل وكلة تكلة، والغرض: كلَّما نصبته للرمي. وتعاوره: أي تداوله.

قال المرتضىٰ رحمه الله: وقد أتىٰ لابن الرومي معنىٰ قول زهير بن جناب: (الإنسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة، فمقصِّر دونه، ومجاوز له، وواقع عن

(١) في المصدر: (والخوار).

(٢) في المصدر: (طويلاً منه) بدل (دهراً)، والحرس من الدهر: الطويل.

(٣) في المصدر: (سنية) بدل (سنة).

يمينه وشماله ثُمَّ لا بدَّ أنْ يصيبه) في أبيات له فأحسن فيها كلَّ الإحسان، والأبيات لابن الرومي:

كفىٰ بسراج الشيب في الرأس هاديا   لمن قد أضلَّته المنايا لياليا
أمن بعد إبداء المشيب مقاتلي   لرامي المنايا تحسبيني راجيا[١]
غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه   لشخصي أخلق أنْ يصبن سواديا
وكان كرامي الليل يرمي ولا يُرىٰ   فلمَّا أضاء الشيب شخصي رمانيا

أمَّا البيت الأخير فإنَّه أبدع فيه وغرب، وما علمت أنَّه سُبِقَ إلىٰ معناه، لأنَّه جعل الشباب كالليل الساتر علىٰ الإنسان الحاجز بينه وبين من أراد رميه لظلمته، والشيب مبدياً لمقاتله هادياً إلىٰ إصابته لضوئه وبياضه، وهذا في نهاية حسن المعنىٰ. وأراد بقوله: (رماني) أصابني، ومثله قول الشاعر:

فلمَّا رمىٰ شخصي رميت سواده   ولا بدَّ أنْ يُرمىٰ سواد الذي يرمي

وكان زهير بن جناب علىٰ عهد كليب وائل، ولم يكُ في العرب أنطق من زهير ولا أوجه عند الملوك، وكان لسداد رأيه يُسمَّىٰ كاهناً، ولم تجتمع قضاعة إلَّا عليه وعلىٰ رزاح بن ربيعة.

وسمع زهير بعض نسائه تتكلَّم بما لا ينبغي لامرأة أنْ تتكلَّم به عند زوجها، فنهاها، فقالت له: اسكت عنِّي وإلَّا ضربتك بهذا العمود، فوَالله ما كنت أراك تسمع شيئاً ولا تعقله، فقال عند ذلك:

ألَا يا لقوم[٢] لا أرىٰ النجم طالعا   ولا الشمس إلَّا حاجبي[٣] بيميني
معزبتي عند القفا بعمودها   يكون نكيري أنْ أقول ذريني

---

(١) في المصدر: (ناجياً) بدل (راجياً).
(٢) في المصدر: (يا لقومي).
(٣) في المصدر: (حاجتي) بدل (حاجبي).

٢٦٩/٥١ أميناً علىٰ سرِّ النساء وربَّما ... أكون علىٰ الأسرار غير أمينِ
فللموت خير من حداج موطأ ... مع الظعن لا يأتي المحلَّ لحيني

وهو القائل:

أَبَنِيَّ إنْ أهلك فقد ... أورثتكم مجداً بنيَّه
وتركتكم أبناء[1] سادات ... زنادكم ورِيَّه
من كلِّ ما نال الفتىٰ ... قد نلته إلَّا التحيَّه
ولقد رحلت البازل الكوماء ... ليس لها وليَّه
وخطبت خطبة حازم ... غير الضعيف ولا العييَّه
والموت خير للفتىٰ ... فليهلكنَّ وبه بقيَّه
من أنْ يرىٰ الشيخ البجال ... وقد يُهادىٰ بالعشيَّه

وهو القائل:

ليت شعري والدهر ذو حدثان ... أي حين منيَّتي تلقاني
أسبات علىٰ الفراش خفات ... أم يكفي مفجع حرَّانِ

وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره:

لقد عمَّرت حتَّىٰ ما أُبالي ... أحتفي في صباحي أو مسائي
وحقٌّ لمن أتت مأتان عاماً ... عليه أنْ يملَّ من الثواءِ

قوله: (معزبتي) [يعني امرأته][2]، يقال: معزبة الرجل وطلته وحنَّته[3]،

(١) في المصدر: (أرباب) بدل (أبناء).
(٢) من المصدر.
(٣) في المصدر: (حليلته وزوجته) بدل (طلته وحنَّته).

كلُّ ذلك امرأته. وقوله: (أميناً علىٰ سرِّ النساء) فالسرُّ خلاف العلانية، والسرُّ أيضاً النكاح، قال الحطيئة:

ويحرم سرُّ جارهم عليهم ... ويأخذ[1] جارهم أنف القصاع

وقال امرؤ القيس:

ألَا زعمت بسباسة اليوم أنَّني ... كبرت وأنْ لا يحسن السرَّ أمثالي

وكلام زهير يحتمل الوجهين جميعاً، لأنَّه إذا كبر وهرم لم تتهيَّب النساء أنْ يتحدَّثْنَ بحضرته بأسرارهنَّ تهاوناً وتعويلاً علىٰ ثقل سمعه، وكذلك هرمه وكبره يوجبان كونه أميناً علىٰ نكاح النساء لعجزه عنه.

وقوله: (حداج موطأ) الحداج مركب من مراكب النساء، والجمع أحداج وحدوج. والظعن والأظعان الهوادج، والظعينة المرأة في الهودج، ولا تُسمَّىٰ ظعينة حتَّىٰ تكون في هودج، والجمع ظعائن، وإنَّما أخبر عن هرمه وأنَّ موته خير من كونه مع الظعن في جملة النساء. وقوله: (زنادكم وريَّه) الزناد جمع زند وزندة وهما عودان يتقدَّح بهما النار وفي أحدهما فروض وهي ثقب[2]، فالتي فيها الفروض هي الأُنثىٰ والذي يُقدَح بطرفه هو الذَّكَر، ويُسمَّىٰ الزند الأب والزندة الأُمُّ، وكنَّىٰ بـ (زنادكم وريَّه) عن بلوغهم مآربهم، تقول العرب: وريت بك[3] زنادي) أي نلت بك[4] ما أُحِبُّ من النجح والنجاة، ويقال للرجل الكريم: واري الزناد.

فأمَّا التحيَّة فهي الملك، فكأنَّه قال: من كلِّ ما نال الفتىٰ قد نلته إلَّا الملك،

(١) في المصدر: (يأكل) بدل (يأخذ).

(٢) في المصدر: (تغث) بدل (ثقب).

(٣) في المصدر: (بكم).

(٤) في المصدر: (بكم).

وقيل: التحيَّة هاهنا الخلود والبقاء. و(البازل) الناقة التي قد بلغت تسع سنين وهي أشدّ ما تكون، ولفظ البازل في الناقة والجمل سواء. و(الكوماء) العظيمة السنام. والولية: برذعة تُطرَح علىٰ ظهر البعير تلي جلده. و(البجال) الذي يُبجِّله قومه ويُعظِّمونه. ومعنىٰ (يُهادىٰ بالعشيَّة): أي تماشيه الرجال فيسندونه لضعفه، والتهادي المشي الضعيف. وقوله: (أسبات) فالسبات سكون الحركة، ورجل مسبوت. والخفات: الضعف، يقال: خفت الرجل إذا أصابه ضعف من مرض أو جوع. والمفجع: الذي قد فُجِعَ بولد له أو قرابة. والحرَّان: العطشان الملتهب، وهو هاهنا المحترق علىٰ قتلاه.

وممَّا يُروىٰ لزهير بن جناب:

إذا ما شئت أنْ تسلىٰ[1] خليلا فأكثر دونه عدد الليالي

فما سلىٰ حبيبك مثل نأي ولا بلىٰ جديدك كابتذالِ[2]

ومن المعمَّرين ذو الإصبع العدواني، واسمه حرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عتاب بن يشكر بن عدوان، وهو الحارث بن عمير بن قيس بن عيلان بن مضرّ[3]، وإنَّما سُمِّي الحارث عدوان لأنَّه عدا علىٰ أخيه فهمَّ فقتله[4]، وقيل: بل فقأ عينيه، وقيل: إنَّ اسم ذي الإصبع محرث بن حرثان، وقيل: حرثان بن حويرث، وقيل: حرثان ابن حارثة، ويُكنَّىٰ أبا عدوان. وسبب لقبه بذي الإصبع أنَّ حيَّة نهشته علىٰ إصبعه فشُلَّت فسُمِّي بذلك، ويقال: إنَّه عاش مائة وسبعين سنة، وقال أبو

٢٧١/٥١

(١) في المصدر: (تسلو).

(٢) أمالي المرتضىٰ (ج ١/ ص ١٦٧ - ١٧٦/ مجلس ١٦).

(٣) في المصدر: (الحارث بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضرّ).

(٤) في المصدر المطبوع بمصر: (فهمَّ بقتله) وهو تصحيف غريب راجع القاموس.

حاتم: عاش ثلاثمائة سنة، وهو أحد حُكّام العرب في الجاهليَّة، وذكر الجاحظ أنَّه كان أثرم، وروىٰ عنه:

لا يبعدنَّ عهد الشباب ولا ... لذّاته ونباته النضرِ

لولا أُولئك ما حفلت متىٰ ... عوليت في حرجي إلىٰ قبري

هزئت أثيلة إنْ رأت هرمي ... وأنْ انحنىٰ لتقادم ظهري

وكان لذي الإصبع بنات أربع، فعرض عليهنَّ التزويج فأبين وقلن: خدمتك وقربك أحبُّ إلينا، فأشرف عليهنَّ يوماً من حيث لا يرينه فقلن: لتقل كلُّ واحدة منّا ما في نفسها، فقالت الكبرىٰ:

ألَا هل أراها ليلة وضجيعها ... أشمّ كنصل السيف غير مهنَّدِ

عليم بأدوات النساء وأصله ... إذا ما انتمىٰ من سرِّ أهلي[1] محتدي

ويُروىٰ: (عين مهنَّد)، ويروىٰ: (من سرِّ أصلي ومحتدي)، فقلن لها: أنتِ تريدين ذا قرابة قد عرفته.

وقالت الثانية:

ألَا ليت زوجي من أُناس أُولي عدىٰ ... حديث الشباب طيِّب الثوب والعطرِ

لصوق بأكباد النساء كأنَّه ... خليفة جان لا ينام علىٰ وترِ

ويُروىٰ: (أُولي غنىٰ)، ويُروىٰ: (لا ينام علىٰ هجري)، فقلن لها: أنتِ تريدين فتىٰ ليس من أهلكِ.

ثُمَّ قالت الثالثة:

ألَا ليته يُكسىٰ الجمال نديه ... له جفنة تشقىٰ بها المعز والجزرُ

---

(١) في المصدر: (أهل سري) بدل (سر أهلي).

له حكمات الدهر من غير كبرة   تشين فلا فان[١] ولا ضرع غمرُ

فقلن لها: أنتِ تريدين سيِّداً شريفاً، وقلن للرابعة: قولي، فقالت: لا أقول شيئاً، فقلن [لها][٢]: يا عدوَّة الله، علمتِ ما في أنفسنا ولا تعلميننا ما في نفسكِ؟ فقالت: زوج من عود خير من قعود، فمضت مثلاً، فزوَّجهنَّ أربعهنَّ وتركهنَّ حولاً.

ثُمَّ أتىٰ الكبرىٰ فقال: يا بنيَّة، كيف ترين زوجكِ؟ فقالت: خير زوج، يكرم الحليلة ويُعطي الوسيلة، قال: فما مالكم؟ قالت: خير مال، الإبل، نشرب ألبانها جرعاً - ويُروىٰ: (جزعاً) بالزاي معجمة -، ونأكل لحمانها مزعاً، وتحملنا وضعفتنا معاً، فقال: يا بنيَّة، زوج كريم ومال عميم.

٢٧٢/٥١

ثُمَّ أتىٰ الثانية فقال: يا بنيَّة، كيف زوجكِ؟ فقالت: خير زوج، يكرم أهله وينسىٰ فضله، قال: وما مالكم؟ قالت: البقر، تألف الفناء، وتملأ الإناء، وتودك السقاء، ونساء مع النساء، فقال لها: خظيت وبظيت[٣].

ثُمَّ أتىٰ الثالثة فقال: يا بنيَّة، كيف زوجكِ؟ فقالت: لا سمح بذر ولا بخيل حكر، قال: فما مالكم؟ قالت: المعزىٰ، قال: وما هي؟ قالت: لو كنَّا نولدها فطماً ونسلخها إدماً - ويُروىٰ: (أدماً) بالفتح - لم نبغِ بها نعماً، فقال لها: حذوة[٤] مغنية - ويُروىٰ: (حذوىٰ[٥] مغنية) -.

ثُمَّ أتىٰ الصغرىٰ، فقال: يا بنيَّة، كيف زوجكِ؟ قالت: شرُّ زوج يكرم نفسه ويهين عرسه، قال: فما مالكم؟ قالت: شرُّ مال، قال: وما هو؟ قالت:

(١) في المصدر: (وانٍ) بدل (فان).
(٢) من المصدر.
(٣) في المصدر: (حظيت ورضيت) بدل (خظيت وبظيت).
(٤) في المصدر: (جذوة).
(٥) في المصدر: (جذوىٰ).

الضأن، جوف لا يشبعن، وهيم لا ينقعن، وصم لا يسمعن، وأمر مغويتهنَّ يتبعن، فقال أبوها: (أشبه امرء بعض بزِّه)، فمضت مثلاً.

أمَّا قول إحدىٰ بناته في الشعر: (أشمّ) فالشمم هو ارتفاع أرنبة الأنف وورودها، يقال: رجل أشمّ وامرأة شمَّاء وقوم شمٌّ، قال حسَّان:

بيض الوجوه كريمة أنسابهم[1]   شمُّ الأُنوف من الطراز الأوَّل

فالشمم الارتفاع في كلِّ شيء، فيحتمل أنْ يكون أراد حسَّان بشمِّ الأُنوف ما ذكرناه من ورود الأرنبة، لأنَّ ذلك عندهم دليل العتق والنجابة، ويجوز أنْ يكون أراد بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنايا الأُمور ورذائلها، وخصَّ الأُنوف بذلك لأنَّ الحميَّة والغضب والأنفة فيها ولم يرد طول أنفهم، وهذا أشبه أنْ يكون مراده، لأنَّه قال في أوَّل البيت: بيض الوجوه، ولم يرد [بياض][2] اللون في الحقيقة، وإنَّما كنَّىٰ بذلك عن نقاء أعراضهم، وجميل أخلاقهم وأفعالهم، كما يقال: جاءني فلان بوجه أبيض، وقد بيَّض فلان وجهه[3] بكذا وكذا، وإنَّما يعني ما ذكرناه. وقول المرأة: (أشمّ كنصل السيف) يحتمل الوجهين أيضاً. ومعنىٰ قول حسَّان: من الطراز الأوَّل، أي إنَّ أفعالهم أفعال آبائهم وسلفهم فإنَّهم لم يُحدِثوا أخلاقاً مذمومة لا تشبه نجارهم وأُصولهم.

٢٧٣/٥١

وقولها: (عين مهنَّد) أي هو المهنَّد بعينه، كما يقال: هو هذا بعينه، وعين الشيء نفسه. وعلىٰ الرواية الأُخرىٰ: (غير مهنَّد) أي ليس هو السيف المنسوب إلىٰ الهند في الحقيقة، وإنَّما هو مشبَّه به في مضائه.

---

(١) في المصدر: (أحسابهم) بدل (أنسابهم).

(٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: (وجهي) بدل (وجهه).

وقولها: (من سرِّ أهلي): أي من أكرمهم وأخلصهم، يقال: فلان في سرِّ قومه، أي في صميمهم وشرفهم، وسرُّ الوادي أطيبه تراباً. والمحتد: الأصل.

وقول الثانية: (أُولي عدىٰ) فإنَّما معناه أنْ يكون لهم أعداء، لأنَّ من لا عدوَّ له هو الفسل الرذل الذي لا خير عنده، والكريم الفاضل من الناس هو المحسد المعادىٰ.

وقولها: (لصوق بأكباد النساء) تعني في المضاجعة، ويحتمل أنْ تكون أرادت في المحبَّة والمودَّة، وكنَّت بذلك عن شدَّة محبَّتهنَّ له وميلهنَّ إليه، وهو أشبه.

وقولها: (كأنَّه خليفة جان) أي كأنَّه حيَّة للصوقه، والجانُّ جنس من الحيَّات، فخُفِّفت لضرورة الشعر.

وقول الثالثة: (يُكسىٰ الجمال نديه) فالندي هو المجلس.

وقولها: (له حكمات الدهر) تقول: قد أحكمته التجارب وجعلته حكيماً. فأمَّا (الضرع) فهو الضعيف، و(الغمر) الذي لم يُجرِّب الأُمور.

وقول الكبرىٰ: (يكرم الحليلة ويُعطي الوسيلة)، فالحليلة هي امرأة الرجل، والوسيلة الحاجة.

وقولها: (نشرب ألبانها جزعاً) فالجزع جمع جزعة، وهي القليل من الماء يبقىٰ في الإناء.

وقوله[1]: (مزعاً) فالمزعة البقيَّة من دسم، ويقال: ما له جزعة ولا مزعة، كذا ذكر ابن دريد بالضمِّ في جُزعة، ووجدت غيره يكسرها ويقول: جِزعة، وإذا كسرت فينبغي أنْ يكون (نشرب ألبانها جزعاً)، وتُكسَر المزعة أيضاً ليزدوج الكلام فيقول: (ونأكل لحمانها مِزعاً) فإنَّ المِزعة بالكسر هي القطعة من الشحم، والمِزعة بالكسر أيضاً من الريش والقطن وغير ذلك كالمِزقة من الخرق.

٢٧٤/٥١

(١) في المصدر: (وقولها).

والتمزيع: التقطيع والتشقيق، يقال: إنَّه يكاد يتمزَّع من الغيظ، ومزع الظبي في عَدْوه يمزع مزعاً إذا أسرع.

وقوله: (مال عميم): أي كثير.

وقول الثانية: (تودك السقاء) من الودك الذي هو الدسم.

وقول الثالثة: (نولدها فطماً) فالفطم جمع فطيم، وهو المفطوم من الرضاع.

وقولها: (نسلخها أدماً) فالأدم جمع إدام وهو الذي يؤكل، تقول: لو أنَّا فطمناها عند الولادة وسلخناها للأدم من الحاجة لم نبغ بها نعماً. وعلىٰ الرواية الأُخرىٰ: أدماً من الأديم. وقوله: (حذوة مغنية) فالحذوة[1] القطعة.

وقول الصغرىٰ: (جوف لا يشبعن) فالجوف جمع جوفاء، وهي العظيمة الجوف. والهيم: العطاش. و(لا ينقعن): أي لا يروين. ومعنىٰ قولها: (وأمر مغويتهنَّ يتبعن): أي[2] القطيع من الضأن يمرُّ علىٰ قنطرة فتزلُّ واحدة فتقع في الماء فيقعن كلُّهُنَّ اتِّباعاً لها، والضأن يُوصَف بالبلادة.

أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن محمّد الكاتب، قال: حدَّثنا ابن دريد، قال: حدَّثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن يونس. قال ابن دريد: وأخبرنا به العكلي، عن ابن[3] أبي خالد، عن الهيثم بن عدي، عن مسعر بن كدام، قال: حدَّثنا سعيد ابن خالد الجدلي، قال: لـمَّا قَدِمَ عبد المَلِك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب دعا الناس علىٰ فرائضهم فأتيناه، فقال: من القوم؟ قلنا: جديلة، قال: جديلة عدوان؟ قلنا: نعم، فتمثَّل عبد المَلِك:

عذير الحيِّ من عدوان ... كانوا حيَّة الأرضِ

---

(١) في المصدر: (جذوة مغنية، فالجذوة).

(٢) في المصدر: (لأنَّ) بدل (أي).

(٣) كلمة: (ابن) ليست في المصدر.

بغىٰ بعضهم بعضاً فلم يرعوا علىٰ بعضِ
ومنهم كانت السادات والموفون بالفرضِ[١]
ومنهم حكم يقضي فلا ينقض ما يقضي
ومنهم من يحيل الناس[٢] بالسُّنَّة والفرضِ

٢٧٥
٥١

ثُمَّ أقبل علىٰ رجل كنَّا قدَّمناه أمامنا، جسيم وسيم، فقال: أيُّكم يقول هذا الشعر؟ فقال: لا أدري، فقلت [أنا][٣] من خلفه: يقول ذو الإصبع، فتركني وأقبل علىٰ ذلك الجسيم، وقال: ما كان اسم ذي الإصبع؟ فقال: لا أدري، فقلت أنا من خلفه: حرثان، فأقبل عليه وتركني، فقال: لِـمَ سُمِّي ذا الإصبع؟ فقال: لا أدري، فقلت أنا من خلفه: نهشته حيَّة علىٰ إصبعه، فأقبل عليه وتركني، فقال: من أيِّكم كان؟ قال: لا أدري، فقلت أنا من خلفه: من بني ناج، فأقبل علىٰ الجسيم فقال: كم عطاؤك؟ قال: سبعمائة درهم، ثُمَّ أقبل عليَّ فقال: كم عطاؤك؟ فقلت: أربعمائة، فقال: يا ابن الزعيزعة، حطَّ من عطاء هذا ثلاثمائة وزدها في عطاء هذا، فرحت وعطائي سبعمائة وعطاؤه أربعمائة.

وفي رواية أُخرىٰ أنَّه: لـمَّا قال له: من أيِّكم كان؟ قال: لا أدري، فقلت أنا من خلفه: من بني ناج الذين يقول فيهم الشاعر:

وأمَّا بنو ناج فلا تذكرنهم ولا تتبعنَّ عينيك من كان هالكا
إذا قلت معروفاً لتصلح بينهم يقول وهيب لا أُسالم[٤] ذلكا

(١) في المصدر: (بالقرض).
(٢) في المصدر: (يجيز) بدل (يحيل)، ونُقِلَ في الهامش عن أبي الفرج، قال: قوله: (ومنهم من يجيز الناس) فإنَّ إجازة الحجِّ كانت لخزاعة فأخذتها منهم عدوان.
(٣) من المصدر.
(٤) في المصدر: (أُسلِّم) بدل (أُسالم).

ويُروىٰ: (لا أُحاول [ذلكا][1]).

فأضحىٰ كظهر العود جبَّ سنامه   يدبُّ إلىٰ الأعداء أحدب باركا

ويُروىٰ:

فأضحىٰ كظهر العود جبَّ سنامه   تحوم عليه الطير أحدب باركا

وقد رُويت هذه الأبيات لذي الإصبع أيضاً.

ومن أبيات ذي الإصبع السائرة قوله:

أُكاشر ذا الضغن المبين عنهم   وأضحك حتَّىٰ يبدو الناب أجمع

٢٧٦/٥١ وأُهدنه بالقول هدناً ولو يرىٰ   سريرة ما أخفي لبات يفزع

ومعنىٰ (أُهدنه) أُسكِّنه.

ومن قوله أيضاً:

إذا ما الدهر جرَّ علىٰ أُناس   شراشره[2] أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا   سيلقىٰ الشامتون كما لقينا

ومعنىٰ (الشراشر) هاهنا الثقل، يقال: ألقىٰ علي شراشره وجراميزه، أي ثقله.

ومن قوله أيضاً:

ذهب الذين إذا رأوني   مقبلاً هشوا إليَّ ورحَّبوا بالمقبل

وهم الذين إذا حملت حمالة   وليقتهم فكأنَّني لم أُحمل

ومن قوله وهي مشهورة:

لي ابن عمٍّ علىٰ ما كان من خلق   مختلفان فأقليه ويقليني

---

(١) كلمة: (ذلكا) ليست في المصدر، وكذا البيت الذي بعده.

(٢) في المصدر: (حوادثه)، وبعده إضافة: (ويُروىٰ شراشره).

أزرىٰ بنا أنَّنا شالت نعامتنا ... فخالني دونه وخلته دوني

لاه ابن عمِّك لا أفضلت في نسب[1] ... عنِّي ولا أنت ديَّاني فتخزوني

إنِّي لعمرك ما بابي بذي غلق ... عن الصديق[2] ولا خيري بممنونِ

ولا لساني علىٰ الأدنىٰ بمنطلق ... بالفاحشات ولا أغضي علىٰ الهونِ

ماذا عليَّ وإنْ كنتم ذوي رحمي ... ألَّا أُحِبّكم إنْ لم تُحِبُّوني

يا عمرو إلَّا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

وأنتم معشر زيد عليَّ مائة ... فأجمعوا أمركم طرًّا فكيدوني

لا يخرج القسر منِّي غير مأبية ... ولا ألين لمن لا يبتغي ليني

قوله: (شالت نعامتنا) معناه تنافرنا، فضرب النعام مثلاً، أي لا أطمئنُّ إليه ولا يطمئنُّ إليَّ، يقال: شالت نعامة القوم، إذا أجلوا عن الموضع. وقوله: (لاه ابن عمِّك) قال قوم: أراد: لله ابن عمِّك، وقال ابن دريد: أقسم وأراد[3]: الله ابن عمِّك. وقوله: (عنِّي) أي عليَّ. والديَّان: الذي يلي أمره. ومعنىٰ (فتخزوني): أي تسوسني. و(الهون): الهوان.

وقوله: (أضربك حيث تقول الهامة اسقوني) قال الأصمعي: العطش في الهامة، فأراد: أضربك في ذلك الموضع، أي علىٰ الهامة بحيث تعطش. وقال آخرون: العرب تقول: إنَّ الرجل إذا قُتِلَ خرجت من رأسه هامة تدور حول قبره وتقول: اسقوني اسقوني، فلا تزال كذلك حتَّىٰ يُؤخَذ بثأره، وهذا باطل، ويجوز أنْ يعنيه ذو الإصبع علىٰ مذاهب العرب.

٢٧٧/٥١

(١) في المصدر: (حسب) بدل (نسب).

(٢) في المصدر: (الضيوف) بدل (الصديق).

(٣) في المصدر: (أقسم بالله).

وقوله: (لا يخرج القسر منِّي غير مأبية) فالقسر القهر، أي إنْ أخذت قسراً لم أزدد إلَّا إباءً.

ومن المعمَّرين معدي كرب الحميري من آل ذي رعين، قال ابن سلام: وقال معدي كرب الحميري وقد طال عمره:

أراني كلَّما أفنيت يوماً أتاني بعده يوم جديدُ
يعود ضياؤه[1] في كلِّ فجر ويأبىٰ لي شبابي لا يعودُ

ومن المعمَّرين الربيع بن ضبع الفزاري، يقال: إنَّه بقي إلىٰ أيَّام بني أُميَّة، ويُروىٰ أنَّه دخل علىٰ عبد المَلِك بن مروان، فقال له: يا ربيع، أخبرني عمَّا أدركت من العمر والمدىٰ، ورأيتَ من الخطوب الماضية...، وساق الحديث إلىٰ آخر ما مرَّ في رواية الصدوق رحمه الله.

وفيه: (لقد طار بك[2] جدٌّ غير عاثر)، و(عطاء جذم ومقرّى ضخم)، ثُمَّ قال[3] رحمه الله: إنْ كان هذا الخبر صحيحاً فيشبه أنْ يكون سؤال عبد المَلِك له إنَّما كان في أيَّام معاوية[4] لا في ولايته، لأنَّ الربيع يقول في الخبر: عشت [في الإسلام][5] ستِّين سنة، وعبد المَلِك ولي في سنة خمس وستِّين من الهجرة، فإنْ كان صحيحاً فلا بدَّ ممَّا ذكرناه.

وقد روي أنَّ الربيع أدرك أيَّام معاوية، ويقال: إنَّ الربيع لـمَّا بلغ مائتي سنة قال:

ألَا بلغ بني بني ربيع فأشرار البنين لكم فداءُ

---

(١) في المصدر: (بياضه) بدل (ضياؤه).

(٢) في المصدر المطبوع بمصر: (لقد طالبك).

(٣) في المصدر إضافة: (المرتضىٰ).

(٤) في المصدر: (غفلته) بدل (معاوية).

(٥) من المصدر.

بأنِّي قد كبرت ودقَّ عظمي فلا تشغلكم عنِّي النساءُ

وإنَّ كنائني لنساء صدق وما آلىٰ بنيَّ ولا أساؤوا

إذا كان الشتاء فأدفئوني فإنَّ الشيخ يهدمه الشتاءُ

٢٧٨/٥١ وأمَّا حين يذهب كلُّ قرٍّ فسربال خفيف أو رداءُ

إذا عاش الفتىٰ مأتين عاماً فقد ذهب اللذاذة والفتاءُ

وقال حين بلغ مأتين وأربعين سنة:

أصبح عنِّي الشباب قد حسرا إنْ بان عنِّي فقد ثوىٰ عصرا

ودَّعنا قبل أنْ نُودِّعه لـمَّا قضىٰ من جماعنا وطرا

ها أنا ذا آمل الخلود وقد أدرك سنِّي ومولدي حجرا

أنا امرئ القيس هل سمعت به هيهاتَ هيهاتَ طال ذا عمرا

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إنْ نفرا

والذئب أخشاه إنْ مررت به وحدي وأخشىٰ الرياح والمطرا

من بعد ما قوَّة أنوء بها أصبحت شيخاً أُعالج الكبرا

قوله: (عطاء جذم) أي سريع، وكلُّ شيء أسرعت فيه فقد جذمته، وفي الحديث: «إذا أذَّنت فرتِّل، وإذا أقمت فاجذم» أي أسرع. والمقرىٰ: الإناء الذي يُقرىٰ فيه. وقوله: (ما آلىٰ بنيَّ ولا أساؤوا) أي لم يُقصِّروا، والآلي المقصِّر[1].

ومن المعمَّرين أبو الطمحان القيني، واسمه حنظلة بن الشرقي من بني كنانة بن القين، قال أبو حاتم: عاش أبو الطمحان القيني مائتي سنة، وقال في ذلك:

(١) أمالي المرتضىٰ (ج ١/ ص ١٧٦ - ١٨٥/ مجلس ١٧).

حنتني حانيات الدهر حتَّىٰ كأنِّي خاتل يدنو لصيدِ
قصير الخطب يحسب من رآني ولست مقيَّداً أنِّي بقيدِ

ويُروىٰ: (قريب الخطو).

قال أبو حاتم السجستاني: حدَّثني عدَّة من أصحابنا أنَّهم سمعوا يونس ابن حبيب ينشد هذين البيتين، وينشد أيضاً:

تقارب خطو رجلك يا دويد[1] وقيَّدك الزمان بشرٍّ قيدِ

وهو القائل:

وإنِّي من القوم الذي هم هُمُ إذا مات منهم سيِّد[2] قام صاحبُهُ
نجوم سماء كلَّما غاب كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكبُهُ
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجىٰ الليل حتَّىٰ نظم الجزع ثاقبُهُ
وما زال منهم حيث كان مسوَّد[3] تسير المنايا حيث سارت كتائبُهُ[4]

٢٧٩/٥١

ومعنىٰ البيتين الأوَّلين يشبه قول أوس بن حجر:

إذا مقرَّم منَّا ذا[5] حدَّ نابه تخمَّط فينا ناب آخر مقرَّمُ

ولطفيل الغنوي مثل هذا المعنىٰ، وهو قوله:

كواكب دجن كلَّما انقضَّ كوكب بدا وانجلت عنه الدجنة كوكبُ

وقد أخذ الخزيمي هذا المعنىٰ فقال:

إذا قمر منَّا تغور أو خبا بدا قمر في جانب الأُفق يلمعُ

---

(١) في المصدر: (سويد) بدل (دويد).
(٢) في المصدر: (ميِّت) بدل (سيِّد).
(٣) في المصدر: (مسوَّداً).
(٤) في المصدر: (ركائبه) بدل (كتائبه).
(٥) في المصدر: (ذرىٰ).

ومثل ذلك:

خلافة أهل الأرض فينا وراثة إذا مات منَّا سيِّد قام صاحبُهُ

ومثله:

إذا سيِّد منَّا مضىٰ لسبيله أقام عمود الملك[1] آخر سيِّدُ

وكأنَّ مزاحماً العقيلي نظر إلىٰ قول أبي الطمحان: (أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم) في قوله وقد أحسن:

وجوه لو أنَّ المدلجين اعتشوا بها صدعن الدجىٰ حتَّىٰ ترىٰ الليل ينجلي

ويقارب ذلك قول حجية بن المضرب السعيدي[2]:

أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت لنورهم الشمس المضيئة والبدرُ

وأنشد محمّد بن يحيىٰ الصولي في معنىٰ بيت[3] أبي الطمحان:

من البيض الوجوه بني سنان لو أنَّك تستضيء بهم أضاؤوا

هم حلوا من الشرف المعلَّىٰ ومن كرم العشيرة حيث شاؤوا

فلو أنَّ السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماءُ

وأبو الطمحان القائل[4]:

٢٨٠/٥١ إذا كان في صدر ابن عمِّك إحنة فلا تستثرها سوف يبود دفينها

وهو القائل:

---

(١) في المصدر: (الدِّين) بدل (الملك).

(٢) في المصدر: (الكندي) بدل (السعيدي).

(٣) في المصدر: (بيتي).

(٤) في النسخة المطبوعة من البحار هناك تقديم وتأخير، وهو سهو. والصحيح ما أثبتناه عرضاً علىٰ المصدر.

إذا شاء ماعيها[١] استقىٰ من وقيعة كعين العذاب[٢] صفوها لم يكدر

والوقيعة: المستنقع في الصخرة للماء، ويقال: للماء إذا أزل عن صخرة فوقع في بطن أُخرىٰ فهو ماء الوقائع، وأنشد[٣] لذي الرمة:

ونلنا سقاطاً من حديث كأنَّه جنىٰ النحل ممزوجاً بماء الوقائع

ويقال للماء الذي يجري علىٰ الصخرة: ماء الحشرج، وللماء الذي يجري بين الحصا والرمل: ماء المفاصل، وأنشدوا لأبي ذؤيب:

مطافيل أبكار حديث نتاجها تشاب بماء مثل ماء المفاصل

وأنشد أبو محلم السعدي لأبي الطمحان:

بُنَيَّ إذا ما سامك الذلُّ قاهر عزيز فبعض الذلِّ أتقىٰ[٤] وأحرزُ

ولا تحرمنَّ[٥] بعض الأُمور تعزُّزاً فقد يورث[٦] الذلُّ الطويل التعزُّزُ

وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معاوية الجعفري.

وروي لأبي الطمحان أيضاً في هذا المعنىٰ:

يا رُبَّ مظلمة يوماً لطئت لها[٧] تمضي عليَّ إذا ما غاب أنصاري

حتَّىٰ إذا ما انجلت عنِّي غيابتها وثبت فيها وثوب المخدر الضاري

ومن المعمَّرين عبد المسيح بن بقيلة الغسَّاني، وهو عبد المسيح بن عمرو بن

(١) في المصدر: (راعيها) بدل (ماعيها).

(٢) في المصدر: (الغراب) بدل (العذاب)، وعين الغراب يُضرَب بها المثل في الصفاء.

(٣) في المصدر: (أنشدوا).

(٤) في المصدر: (أبقىٰ).

(٥) في المصدر: (تحم) بدل (تحر).

(٦) في المصدر: (يورد) بدل (يورث).

(٧) في المصدر: (لطيت بها) بدل (لطئت لها).

قيس بن حيَّان بن بقيلة، وبقيلة اسمه ثعلبة، وقيل: الحارث، وإنَّما سُمِّي بقيلة لأنَّه خرج علىٰ قومه في بردين أخضرين، فقالوا له: ما أنت إلَّا بقيلة، فسُمِّي بذلك.

وذكر الكلبي وأبو مخنف وغيرهما أنَّه عاش ثلاثمائة وخمسين سنة، وأدرك الإسلام فلم يسلم، وكان نصرانيًّا.

٢٨١/٥١ وروي أنَّ خالد بن الوليد لـمَّا نزل علىٰ الحيرة وتحصَّن منه أهلها أرسل إليهم: ابعثوا إليَّ رجلاً من عقلائكم وذوي أنسابكم، فبعثوا إليه عبد المسيح بن بقيلة، فأقبل يمشي حتَّىٰ دنا من خالد، فقال [له][1]: أنعم صباحاً أيُّها المَلِك، قال: قد أغنانا الله عن تحيَّتك هذه، فمن أين أقصىٰ أثرك أيُّها الشيخ؟ قال: من ظهر أبي، قال: فمن أين خرجت؟ قال: من بطن أُمِّي، قال: فعلىٰ مَ أنت؟ قال: علىٰ الأرض، قال: ففيم أنت؟ قال: في ثيابي، قال: أتعقل لا عقلت، قال: إي والله وأقيد، قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد.

قال خالد: ما رأيت كاليوم قطُّ، إنِّي أسأله عن الشيء وينحو في غيره، قال: ما أجبتك إلاَّ عمَّا سألت، فسَلْ عمَّا بدا لك، قال: أعرب أنتم أم نبيط؟ قال: عرب استنبطنا ونبيط[2] استعربنا، قال: [أ][3] فحرب أنتم أم سلم؟ قال: بل سلم، قال: فما هذه الحصون؟ قال: بنيناها لسفيه نحذر منه حتَّىٰ يجيء الحليم ينهاه، قال: كم أتىٰ لك؟ قال: خمسون وثلاثمائة سنة، قال: فما أدركت؟ قال: أدركت سُفُن البحر ترفأ إلينا في هذا الجرف[4]، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تخرج وتضع مكتلها علىٰ رأسها لا تزوَّد إلَّا رغيفاً واحداً حتَّىٰ تأتي الشام، ثُمَّ قد أصبحت اليوم خراباً يباباً، وذلك دأب الله في العباد والبلاد.

---

(١) من المصدر.

(٢) في المصدر: (نبط) بدل (نبيط).

(٣) من المصدر.

(٤) في المصدر: (البحر في السماوة في هذا الجرف).

قال: ومعه سمٌّ ساعة يقلبه في كفِّه، فقال له خالد: ما هذا في كفِّك؟ قال: هذا السمُّ، قال: وما تصنع به؟ قال: إنْ كان عندك ما يوافق قومي وأهل بلدي حمدت الله تعالىٰ وقبلته، وإنْ كانت الأُخرىٰ لم أكن أوَّل من ساق إليهم ذلّاً وبلاءً أشربه وأستريح من الحياة، فإنَّما بقي من عمري اليسير، قال خالد: هاته، فأخذه [ثمّ][1] قال: بسم الله وبالله ربِّ الأرض والسماء الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء، ثُمَّ أكله[2] فتجلَّلته غشية، ثُمَّ ضرب بذقنه في صدره طويلاً، ثُمَّ عرف وأفاق كأنَّما نشط من عقال.

فرجع ابن بقيلة إلىٰ قومه، فقال: قد جئتكم من عند شيطان أكل سمَّ ساعة فلم يضرّه، صانعوا القوم وأخرجوهم عنكم فإنَّ هذا أمر مصنوع لهم، فصالحوهم علىٰ مائة ألف درهم، وأنشا ابن بقيلة يقول:

٢٨٢/٥١

أبعد المنذرين أرىٰ سوماً تروح بالخورنق والسدير[3]
تحاماه فوارس كلِّ قوم مخافة ضيغم عالي الزئير
وصرنا بعد هلك أبي قبيس كمثل الشاء في اليوم المطير

يريد: أبا قابوس، فصغَّره. ويروىٰ: (كمثل المعز).

تقسمنا القبائل من معد علانية كأيسار الجوزر
نؤدِّي الخرج بعد خراج كسرىٰ وخرج من[4] قريظة والنضير
كذاك الدهر دولته سجال فيوم من ساة أو سرور

---

(١) من المصدر.

(٢) في المصدر: (فشربه) بدل (ثمّ أكله).

(٣) في المصدر بعد هذا البيت إضافة:

أبعد فوارس النعمان أرعىٰ مراعي نهر مرَّة فالحفير

(٤) في المصدر: (بني) بدل (من).

ويقال: إنَّ عبد المسيح لـمَّا بنىٰ بالحيرة قصره المعروف بقصر بني بقيلة قال:

لقد بنيت للحدثان حصنا[١] لو أنَّ المرء تنفعه الحصونُ
طويل الرأس أقعس مشمخراً لأنواع الرياح به حنينُ[٢]

وممَّا يُروىٰ لعبد المسيح بن بقيلة:

والناس أبناء علات فمن علموا أنْ قد أقبل فمجفوٌّ ومحقورُ
وهم بنون لأُمٍّ إنْ رأوا نشباً فذاك بالغيب محفوظ ومخفورُ

وهذا يشبه قول أوس بن حجر:

بني أُمٍّ ذي المال الكثير يرونه وإنْ كان عبداً سيِّد الأمر جحفلا
وهم لقليل المال أولاد علَّة وإنْ كان محضاً في العمومة مخولا

وذُكِرَ أنَّ بعض مشايخ أهل الحيرة خرج إلىٰ ظهرها يختط ديراً، فلمَّا حفر موضع الأساس وأمعن في الاحتفار أصاب كهيأة البيت فدخله، فإذا رجل علىٰ سرير من زجاج[٣]، وعند رأسه كتابة: أنا عبد المسيح بن بقيلة.

حلبت الدهر أشطره حياتي ونلت من المنىٰ بلغ[٤] المزيدِ
وكافحت الأُمور وكافحتني ولم أحفل بمعضلة كؤودِ
وكدت أنال في الشرف الثريَّا ولكن لا سبيل إلىٰ الخلودِ

ومن المعمَّرين النابغة الجعدي، واسمه قيس بن كعب بن عبد الله بن

(١) في المصدر: (قصراً) بدل (حصناً).
(٢) في المصدر: (أنين) بدل (حنين).
(٣) في المصدر: (رخام) بدل (زجاج).
(٤) في المصدر: (فوق) بدل (بلغ).

٢٨٣/٥١ عامر بن ربيعة[١] بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ويُكنّىٰ أبا ليلىٰ.

ورویٰ أبو حاتم السجستاني قال: كان النابغة الجعدي أسنّ من النابغة الذبياني، والدليل علىٰ ذلك قوله:

تذكرت والذكرىٰ تهيج علىٰ الهوىٰ[٢] ... ومن حاجة المحزون أنْ يتذكَّرا

نداماي عند المنذر بن محرق ... أرىٰ اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا

كهول وشبَّان كأنَّ وجوههم ... دنانير ممَّا شيف في أرض قيصرا

فهذا يدلُّ علىٰ أنَّه كان مع المنذر بن محرق، والنابغة الذبياني كان مع النعمان ابن المنذر بن محرق.

وقوله: (شيف) يعني جلي، والمشوف المجلو.

ويقال: إنَّ النابغة غبر ثلاثين سنة لا يتكلَّم، ثُمَّ تكلَّم بالشعر، ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة بأصبهان، وكان ديوانه بها، وهو الذي يقول:

من يكُ سائلاً عنِّي فإنِّي ... من الفتيان أيَّام الخنانِ

و(أيَّام الخنان) أيَّام كانت للعرب قديمة هاج بها فيهم مرض في أُنوفهم وحلوقهم.

مضت مائة لعام ولدت فيه ... وعشر بعد ذاك وحجَّتانِ

فأبقىٰ الدهر والأيَّام منِّي ... كما أبقىٰ من السيف اليماني

تفلَّل وهو مأثور جراز ... إذا جمعت[٣] بقائمة اليدانِ

---

(١) في المصدر: (قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة).

(٢) في المصدر: (الجوىٰ) بدل (الهوىٰ).

(٣) في المصدر: (اجتمعت).

وقال أيضاً في طول عمره:

لبست أُناس فأفنيتهم ... وأفنيت بعد أُناس أُناسا

ثلاثة أهلين أفنيتهم ... وكان الإله هو المستآسا

معنىٰ المستآس: المستعاض.

وروي عن هشام بن محمّد الكلبي أنَّه عاش مائة وثمانين سنة. وروىٰ ابن دريد عن أبي حاتم في موضع آخر أنَّ النابغة الجعدي عاش مائتي سنة وأدرك الإسلام، وروىٰ له:

قالت إمامة كم عمرت زمانة ... وذبحت من عتر علىٰ الأوثانِ

العتيرة: شاة تُذبَح لأصنامهم في رجب في الجاهليَّة.

٢٨٤/٥١ ولقد شهدت عكاظ قبل محلِّها ... فيها وكنت أعدُّ ملفتيانِ

والمنذر بن محرف في ملكه ... وشهدت يوم هجائنا لنعمانِ

وعمَّرت حتَّىٰ جاء أحمد بالهدىٰ ... وقوارع تُتلىٰ من القرآنِ

ولبست مل إسلام ثوباً واسعاً ... من سيب لا حرم ولا منانِ

وله أيضاً في طول عمره:

المرء يهوىٰ أنْ يعيش ... وطول عيش ما[1] يضرُّه

تفنىٰ بشاشته ويبقىٰ ... بعد حلو العيش مرُّه

وتتابع الأيَّام حتَّىٰ ... لا يرىٰ شيئاً يسرُّه

كم شامت بي إنْ هلكت ... وقائل لله درُّه

وَرُوِيَ أنَّ النَّابِغَةَ الجَعْدِيَّ كَانَ يَفْتَخِرُ وَيَقُولُ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وَأَنْشَدْتُهُ:

---

(١) في المصدر: (قد) بدل (ما).

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُودُنَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرا

فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «أَيْنَ المَظْهَرُ يَا أَبَا لَيْلَىٰ؟»، فَقُلْتُ: الجَنَّةُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ صلى الله عليه وآله: «أَجَلْ إِنْ شَاءَ اللهُ»، وَأَنْشَدْتُهُ:

فَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوُهُ أَنْ يُكَدَّرَا[1]

وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا

فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «لَا يُفَضِّضُ اللهُ فَاكَ»، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ: «لَا يُفَضَّضْ فُوكَ».

فيقال: إنَّ النابغة عاش عشرين ومائة سنة لم تسقط له سنٌّ ولا ضرس، وفي رواية أُخرىٰ عن بعضهم قال: رأيته وقد بلغ الثمانين ترف غروبه، وكانت كلَّما سقطت له ثنية نبتت له أُخرىٰ مكانها، وهو من أحسن الناس ثغراً.

معنىٰ (ترف): أي تبرق، وكأنَّ الماء يقطر منها.

قال المرتضىٰ رحمه الله: وممَّا يشاكل قوله: (إلىٰ الجنَّة) في جواب قول النبيِّ صلى الله عليه وآله: «أين المظهر يا أبا ليلىٰ؟»، وإنْ كان يتضمَّن العكس من معناه، ما روي من دخول الأخطل علىٰ عبد المَلِك مستغيثاً من فعل الجحَّاف السلمي، وأنَّه أنشده:

لقد أوقع الجحَّاف بالبشر وقعة إلىٰ الله منها المشتكىٰ والمعولُ

فإنْ لم تُغيِّرها قريش بحلمها[2] يكن من قريش مستماز ومزحلُ

٢٨٥/٥١

فقال عبد المَلِك [له]: إلىٰ أين يا بن اللخناء؟ قال: إلىٰ النار، قال: لو قلت غيرها قطعت لسانك.

فقوله: (إلىٰ النار) تخلُّص مليح علىٰ البديهة، كما تخلَّص الجعدي بقوله: إلىٰ الجنَّة، وأوَّل قصيدة الجعدي التي ذكرنا منها الأبيات:

---

(١) هذا البيت ليس في المصدر.

(٢) في المصدر: (بمثلها) بدل (بحملها).

خليلي غضا ساعة وتهجرا ... ولوماً علىٰ ما أحدث الدهر أو ذرا

ولا تسألا إنَّ الحياة قصيرة ... فطيرا لروعات الحوادث أو قرا

وإنْ كان أمر لا تطيقان دفعه ... فلا تجزعا ممَّا قضىٰ الله واصبرا

ألم تعلما أنَّ العلامة نفعها ... قليل إذا ما الشيء ولَّىٰ فأدبرا

يهيج اللحاء في الملامة ثُمَّ ما ... يقرب منَّا غير ما كان قُدِّرا[1]

وفيها يقول:

لوىٰ الله علم الغيب عمَّن سواءه ... ويعلم منه ما مضىٰ وتأخَّرا

وجاهدت حتَّىٰ ما أحسّ ومن معي ... سهيلاً إذا ما لاح ثُمَّ تغورا

يريد: أنِّي كنت بالشام وسهيل لا يكاد يُرىٰ هناك، وهذا بيت معنىً[2]، وفيها يقول:

ونحن أُناس لا نعود خيلنا ... إذا ما التقينا أنْ تحيد وتنفرا

ونُنكِر يوم الروع ألوان خيلنا ... من الطعن حتَّىٰ تحسب الجون أشقرا[3]

وليس بمعروف لنا أنْ نردَّها ... صحاحاً ولا مستنكراً أنْ تعقرا

وأخبرنا المرزباني قال: أنشدنا عليُّ بن سليمان الأخفش، قال: أنشدنا أحمد ابن يحيىٰ، قال: أنشدني محمّد بن سلام وغيره للنابغة الجعدي:

تلوم علىٰ هلك البعير ظعينتي ... وكنت علىٰ لوم العواذل زاريا

ألم تعلمي أنِّي رزئت محارباً ... فما لك منه اليوم شيئاً ولا ليا

---

(١) هذا البيت ليس في المصدر.

(٢) في المصدر: (معين) بدل (معنىً).

(٣) في المصدر: (أحمرا) بدل (أشقرا).

ومن قبله ما قد رزئت بوحوح   وكان ابن أُمِّي والخليل المصافيا

فتىٰ كملت خيراته[١] غير أنَّه   جواد فما يُبقي من المال باقيا

فتىٰ تمَّ فيه ما يسرُّ صديقه   علىٰ أنَّ فيه ما يسوء الأعاديا

٢٨٦/٥١ أشمّ طويل الساعدين سميدع   إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا

السميدع: السيِّد.

وممَّا يُروىٰ للنابغة الجعدي:

عقيليَّة أو من هلال ابن عامر   بذي الرمث من وادي المنار[٢] خيامها

إذا ابتسمت في البيت[٣] والليل دونها   أضاء دجىٰ الليل البهيم ابتسامها

وذكر الأصمعي، عن أبي عمرو بن العلاء، قال: سُئِلَ الفرزدق بن غالب عن النابغة الجعدي، فقال: صاحب خلقان، يكون عنده مطرف بألف [دينار][٤] وخمار بواف، قال الأصمعي: وصدق الفرزدق، بينا النابغة في كلام أسهل من الزلال وأشدّ من الصخر إذ لان وذهب، ثُمَّ أنشد له:

سما لك همٌّ ولم تطرب   وبتَّ ببثٍّ ولم تنصبِ

وقالت سليمىٰ أرىٰ رأسه   كناصية الفرس الأشهبِ

وذلك من وقعات[٥] المنون   ففيئي إليكِ ولا تعجبي

قال: ثُمَّ يقول بعدها:

---

(١) في المصدر: (أخلاقه) بدل (خيراته).

(٢) في المصدر: (المياه) بدل (المنار).

(٣) في المصدر: (الليل) بدل (البيت).

(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: (دفعات) بدل (وقعات).

أتين علىٰ إخوة سبعة وعدن عليَّ ربعي الأقربِ

ثُمَّ يقول بعدها:

فأدخلك الله برد الجنان جذلان في مدخل طيِّبِ

فألان كلامه حتَّىٰ لو أنَّ أبا الشمقمق قال هذا البيت كان رديئاً ضعيفاً.

قال الأصمعي: وطريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان، ألَا ترىٰ أنَّ حسَّان بن ثابت كان علا[1] في الجاهليَّة والإسلام، فلمَّا أدخل شعره في باب الخير من مراثي النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وحمزة وجعفر وغيرهما لان شعره[2]؟

ثُمَّ قال[3] رضي الله عنه: إنْ سأل سائل فقال: كيف يصحُّ ما أوردتموه من تطاول الأعمار وامتدادها، وقد علمتم أنَّ كثيراً من الناس يُنكِر ذلك ويحيله ويقول: إنَّه لا قدرة عليه ولا سبيل إليه، ومنهم من ينزل في إنكاره درجة فيقول: إنَّه وإنْ كان جائزاً من طريق القدرة والإمكان فإنَّه ممَّا يُقطَع علىٰ انتفائه لكونه خارقاً للعادات، فإنَّ العادات إذا وثق الدليل بأنَّها لا تنخرق إلَّا علىٰ سبيل الإبانة والدلالة علىٰ صدق نبيٍّ من الأنبياء عليهم السلام عُلِمَ أنَّ جميع ما روي من زيادة الأعمار علىٰ العادة باطل مصنوع لا يُلتفَت إلىٰ مثله.

٢٨٧/٥١

الجواب: قيل له: أمَّا من أبطل تطاول الأعمار من حيث الإحالة وأخرجه عن باب الإمكان، فقوله ظاهر الفساد، لأنَّه لو علم ما العمر في الحقيقة وما المقتضي لدوامه إذا دام وانقطاعه متىٰ انقطع، لعلم من جواز امتداده ما علمناه، والعمر هو استمرار كون من يجوز أنْ يكون حيًّا، وغير حيٍّ حيًّا، وإنْ شئت أنْ تقول: هو استمرار كون الحيِّ الذي لكونه علىٰ هذه الصفة ابتداءً حيًّا.

---

(١) في المصدر: (عليه) بدل (علا).

(٢) أمالي المرتضىٰ (ج ١/ ص ١٨٥ - ١٩٥/ مجلس ١٨).

(٣) أي قال المرتضىٰ رحمه الله.

وإنَّما شرطنا الاستمرار لأنَّه يبعد[١] أنْ يُوصَف من كان في حالة واحدة حيًّا بأنَّ له عمراً، بل لا بدَّ من أنْ يراعوا في ذلك ضرباً من الامتداد والاستمرار وإنْ قلَّ.

وشرطنا أنْ يكون ممَّن يجوز أنْ يكون غير حيٍّ أو يكون لكونه حيًّا ابتداءً، احترازاً من أنْ يلزم القديم تعالىٰ جلَّت عظمته ممَّن لا يُوصَف بالعمر وإنْ استمرَّ كونه حيًّا.

فقد علمنا أنَّ المختصَّ بفعل الحياة هو القديم تعالىٰ، وفيما تحتاج إليه الحياة من البنية ومن المعاني ما يختصُّ به (جلَّ وعزَّ)، ولا يدخل إلَّا تحت مقدوره تعالىٰ، كالرطوبة وما جرىٰ مجراها، فمتىٰ فعل القديم تعالىٰ الحياة وما تحتاج إليه من البنية وهي ممَّا يجوز عليه البقاء وكذلك ما تحتاج إليه، فليس ينتفىٰ إلَّا بضدٍّ يطرأ عليها أو بضدٍّ ينفي ما تحتاج إليه. والأقوىٰ أنَّه لا بضدَّ لها في الحقيقة، وربَّما ادَّعىٰ قوم أنَّه ما تحتاج إليه، ولو كان للحياة ضدٌّ علىٰ الحقيقة لم يخل بما نقصده في هذا الباب.

فمهما لم يفعل القديم تعالىٰ ضدَّها أو ضدَّ ما تحتاج إليه، ولا نقض ناقض بنية الحيِّ استمرَّ كون الحيِّ حيًّا، ولو كانت الحياة أيضاً لا تبقىٰ علىٰ مذهب من رأىٰ ذلك لكان ما قصدناه صحيحاً، لأنَّه تعالىٰ قادر علىٰ أنْ يفعلها حالاً فحالاً ويوالي بين فعلها وبين فعل ما تحتاج إليه فيستمرُّ كون الحيِّ حيًّا.

فأمَّا ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلوِّ السنِّ وتناقص بنية الإنسان فليس ممَّا لا بدَّ منه، وإنَّما أجرىٰ الله تعالىٰ العادة بأنْ يفعل ذلك عند تطاول الزمان، ولا إيجاب هناك، ولا تأثير للزمان علىٰ وجه من الوجوه، وهو تعالىٰ قادر علىٰ أنْ لا يفعل ما أجرىٰ العادة بفعله.

٢٨٨/٥١

(١) في المصدر: (يتعذَّر) بدل (يبعد).

وإذا ثبتت هذه الجملة ثبت أنَّ تطاول العمر ممكن غير مستحيل، وإنَّما أبي[1] من أحال ذلك من حيث اعتقد أنَّ استمرار كون الحيِّ حيًّا وجب عن طبيعة وقوَّة لهما مبلغ من المادَّة متىٰ انتهتا إليه انقطعتا واستحال أنْ تدوما، فلو أضافوا ذلك إلىٰ فاعل مختار متصرِّف لخرج عندهم من باب الاستحالة.

فأمَّا الكلام في دخول ذلك في العادة أو خروجه عنها فلا شكَّ في أنَّ العادة قد جرت في الأعمار بأقدار متقاربة يعدُّ الزائد عليها خارقاً للعادة إلَّا أنَّه قد ثبت أنَّ العادات قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضاً، ويجب أنْ يُراعىٰ في العادات إضافتها إلىٰ من هي عادة له في المكان والوقت.

وليس بممتنع أنْ يقلَّ ما كانت العادة جارية به علىٰ تدريج حتَّىٰ يصير حدوثه خارقاً للعادة بغير خلاف، ولا أنْ يكثر الخارق للعادة حتَّىٰ يصير حدوثه غير خارق لها علىٰ خلاف فيه، وإذا صحَّ ذلك لم يمتنع أنْ يكون العادات في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الأعمار وامتدادها ثُمَّ تناقص ذلك علىٰ تدريج حتَّىٰ صارت عادتنا الآن جارية بخلافه، وصار ما بلغ مبلغ تلك الأعمار خارقاً للعادة، وهذا جملة فيما أوردناه كافية[2].

أقول: وذكر الشيخ[3] رحمه الله من المعمَّرين لقمان بن عاد وأنَّه عاش ثلاثة آلاف سنة وخمس مائة سنة، وقال: وفيه يقول الأعشىٰ:

لنفسك إذ تختار سبعة أنسر ... إذا ما مضىٰ نسر خلدت إلىٰ نسرِ

فعمَّر حتَّىٰ خال أنَّ نسوره خلود ... وهل تبقىٰ النفوس علىٰ الدهرِ

وقال لأدناهنَّ إذ حلَّ ريشه ... هلكت وأهلكت ابن عاد وما تدري

(١) في المصدر: (أَبِيَ).

(٢) أمالي المرتضىٰ (ج ١/ ص ١٩٦ و١٩٧/ مجلس ١٩).

(٣) أي الشيخ الطوسي رحمه الله.

٢٨٩/٥١

قال: ومنهم ربيع بن ضبع بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عبس بن فزارة، عاش ثلاثمائة سنة وأربعين سنة، ثُمَّ ذكر ما مرَّ من قَصصه وأشعاره[١].

ثُمَّ ذكر أكثم بن صيفي وأنَّه عاش ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة، وذكر والده صيفي بن رباح أبا أكثم، وأنَّه عاش مائتين وسبعين سنة لا يُنكَر من عقله شيء، وهو المعروف بذي الحلم الذي قال فيه المتلمِّس اليشكري:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع ... وما عُلِّم الإنسان إلَّا ليعلما

ومنهم: ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو، عاش مائتي سنة وعشرين سنة، ولم يشب قطُّ، وأدرك الإسلام ولم يسلم. وروىٰ أبو حاتم والرياشي، عن العتبي، عن أبيه، قال: مات ضبيرة السهمي وله مائتا سنة وعشرون سنة، وكان أسود الشعر، صحيح الأسنان، ورثاه ابن عمِّه قيس بن عدي، فقال:

من يأمن الحدثان بعد ... ضبيرة السهمي ماتا

سبقت منيَّته المشيب ... وكان منيَّته[٢] افتلاتا

فتزوَّدوا لا تهلكوا ... من دون أهلكم خفاتا

ومنهم: دريد بن الصمة الجشمي، عاش مائتي سنة وأدرك الإسلام ولم يسلم، وكان أحد قوَّاد المشركين يوم حنين ومقدَّمهم[٣]، حضر حرب النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فقُتِلَ يومئذٍ.

ومنهم: محصن بن غسَّان بن ظالم الزبيدي، عاش مائتي سنة وستاً وخمسين سنة.

---

(١) الغيبة للطوسي (ص ١١٤/ ح ٨٧).

(٢) في المصدر: (ميتته).

(٣) في المصدر: (مقدَّمتهم).

ومنهم: عمرو بن حممة الدوسي، عاش أربعمائة سنة، وهو الذي يقول:

كبرت وطال العمر حتَّىٰ كأنَّني ... سليم أفاع ليلة غير مودع

فما الموت أفناني ولكن تتابعت ... عليَّ سنون من مصيف ومربع

ثلاث مآت قد مررن كواملاً ... وها أنا ذا [قد](١) أرتجي منه أربع

ومنهم: الحارث بن مضاض الجرهمي، عاش أربعمائة سنة، وهو القائل(٢):

كأنْ لم يكن بين الحجون إلىٰ الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكَّة سامرُ

بلىٰ نحن كنَّا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود العواثرُ

ومنهم: عبد المسيح بن بقيلة الغسَّاني، ذكر الكلبي وأبو عبيدة وغيرهما أنَّه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة، وذكر من أحواله وأشعاره نحواً ممَّا مرَّ(٣).

٢٩٠/٥١

ثُمَّ ذكر النابغة الجعدي، وأبا الطمحان القيني، وذا الإصبع العدواني، وزهير بن جنب ودويد بن نهد، والحارث بن كعب، وأحوالهم وأقوالهم نحواً ممَّا مرَّ في كلام السيِّد رضي الله عنه(٤).

ثُمَّ قال: فهذا طرف من أخبار المعمَّرين من العرب، واستيفاؤه في الكُتُب المصنَّفة في هذا المعنىٰ موجود.

وأمَّا الفرس فإنَّها تزعم أنَّ فيها تقدَّم من ملوكها جماعة طالت أعمارهم، فيروون أنَّ الضحَّاك صاحب الحيَّتين عاش ألف سنة ومائتي سنة، وإفريدون العادل عاش فوق الألف سنة، ويقولون: إنَّ المَلِك الذي أحدث المهرجان(٥)

---

(١) كلمة: (قد) ليست في المصدر.

(٢) في سيرة ابن هشام (ج ١/ ص ٧٥) أنَّ قائلها عمرو بن الحارث [بن عمرو] بن مضاض.

(٣) الغيبة للطوسي (ص ١١٥ - ١١٨/ ح ٨٧).

(٤) الغيبة للطوسي (ص ١١٨ - ١٢٢/ ح ١٢٢).

(٥) المهرجان معرَّب (مهركان) من أعياد الفرس القديمة، ستَّة أيَّام من برج الميزان من اليوم السادس عشر إلىٰ الحادي والعشرين.

عاش ألف[١] سنة وخمسمائة استتر منها عن قومه ستّمائة سنة، وغير ذلك ممَّا هو موجود في تواريخهم وكُتُبهم لا نطوِّل بذكرها، فكيف يقال: إنَّ ما ذكرناه في صاحب الزمان خارج عن العادات؟

ومن المعمَّرين من العرب يعرب بن قطحان، واسمه ربيعة، أوَّل من تكلَّم بالعربيَّة، ملك مائتي سنة علىٰ ما ذكره أبو الحسن النسَّابة الأصفهاني في كتاب الفرع والشجر، وهو أبو اليمن كلِّها، وهو منها كعدنان إلَّا شاذًّا نادراً.

ومنهم: عمرو بن عامر مزيقيا، روىٰ الأصفهاني عن عبد المجيد بن أبي عبس الأنصاري والشرقي بن قطامي أنَّه عاش ثمانمائة سنة، ثُمَّ ذكر نحواً ممَّا مرَّ في كلام الصدوق رحمه الله[٢].

ثُمَّ قال: وقيل[٣]: إنَّما سُمِّي مزيقيا لأنَّ علىٰ عهده تمزَّقت الأزد فصاروا إلىٰ أقطار الأرض، وكان ملك أرض سبأ، فحدَّثته الكُهَّان أنَّ الله يُهلِكها بالسيل العرم، فاحتال حتَّىٰ باع ضياعه وخرج فيمن أطاعه من أولاده قبل السيل العرم، ومنه انتشرت الأزد كلُّها، والأنصار من ولده.

٢٩١/٥١

ومنهم: جلهمة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن يعرب، ويقال لجلهمة: طيئ، وإليه يُنسَب طيئ كلُّها، وله خبر يطول شرحه، وكان له ابن أخ يقال له: يحابر بن مالك بن أدد، كان قد أتىٰ علىٰ كلِّ واحدٍ منهما خمسمائة سنة، ووقع بينهما ملاحاة بسبب المرعىٰ، فخاف جلهمة هلاك عشيرته، فرحل عنه وطوىٰ المنازل فسُمِّي طيئاً، وهو صاحب أجأ وسلمىٰ جبلين لطيئ[٤]، ولذلك خبر يطول معروف.

---

(١) في المصدر: (ألفي).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ١٢٣ و١٢٤).

(٣) نقله ابن إسحاق في السيرة عن أبي زيد الأنصاري.

(٤) في المصدر: (بطيء).

ومنهم: عمرو بن لحي[1]، وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقيا في قول علماء خزاعة، كان رئيس خزاعة في حرب خزاعة وجرهم، وهو الذي سنَّ السائبة والوصيلة والحام، ونقل صنمين وهما هُبَل ومناة من الشام إلىٰ مكَّة فوضعهما للعبادة، فسلَّم هُبَل إلىٰ خزيمة بن مدركة، فقيل: هُبَل خزيمة، وصعد علىٰ أبي قبيس ووضع مناة بالمشلّل[2]، وقَدِمَ بالنرد، وهو أوَّل من أدخلها مكَّة، فكانوا يلعبون بها في الكعبة غدوةً وعشيَّةً.

فَرُويَ عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: «رُفِعَتْ إِلَيَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ رَجُلاً قَصِيراً أَحْمَرَ أَزْرَقَ يَجُرُّ قُصْبَهُ[3] فِي النَّار، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ»، وَكَانَ يَلِي مِنْ أَمْرِ الْكَعْبَةِ مَا كَانَ يَلِيهِ جُرْهُمُ قَبْلَهُ حَتَّىٰ هَلَكَ[4].

ووجدت بخطِّ الشريف الأجلِّ الرضي أبي الحسن محمّد بن الحسين الموسوي رضي الله عنه تعليقاً في تقاويم جمعها مؤرَّخاً بيوم الأحد الخامس عشر من المحرَّم سنة إحدىٰ وثمانين وثلاثمائة أنَّه ذُكِرَ له حال شيخ بالشام قد جاوز المائة وأربعين سنة، فركبت إليه حتَّىٰ تأمَّلته وحملته إلىٰ القرب من داري بالكرخ، وكان أُعجوبة شاهد الحسن بن عليٍّ بن محمّد بن الرضا عليهم السلام، ووصف صفته، إلىٰ غير ذلك من العجائب التي شاهدها[5].

[وقال الكراجكي رحمه الله في كنز الفوائد: إنَّ أهل الملل كلَّها متَّفقون علىٰ جواز امتداد الأعمار وطولها، وقد تضمَّنت التوراة من الإخبار بذلك ما ليس بينهم فيه تنازع، وفيها أنَّ آدم عليه السلام عاش تسعمائة وثلاثين سنة، وعاش شيث تسعمائة واثنتي

٢٩٢ / ٥١

(١) وفي السيرة: (عمرو بن لحىٰ بن قمعة بن خندق).
(٢) في المصدر: (بالمسلّل).
(٣) القصب: الأمعاء.
(٤) الغيبة للطوسي (ص ١٢٤ و١٢٥/ ح ٨٧ و٨٨).
(٥) لم نعثر علىٰ خطِّ السيِّد الرضي هذا.

عشرة سنة، وعاش أنوش تسعمائة وخمساً وستِّين سنة، وعاش قنيان[١] تسعمائة سنة وعشر سنين، وعاش مهلائيل ثمانمائة وخمساً وتسعين سنة، وعاش برد تسعمائة واثنتين وستِّين سنة، وعاش أخنوخ وهو إدريس عليه السلام تسعمائة وخمساً وستِّين سنة، وعاش متوشلح تسعمائة وتسعاً وستِّين سنة، وعاش لمك سبع مائة وسبعاً وستِّين سنة، وعاش نوح تسعمائة وخمسين، وعاش سام ستّمائة وتسعين سنة، وعاش أرفخشاو[٢] أربعمائة وثماني وتسعين سنة، وعاش شالخ أربعمائة وثلاثاً وتسعين سنة، وعاش عابر[٣] ثمانمائة وسبعين سنة، وعاش فالغ[٤] مائتين وتسعاً وتسعين سنة، وعاش أرغو مائتين وستِّين سنة، وعاش باحور مائة وستًّا وأربعين سنة، وعاش تارخ مائتين وثمانين سنة، وعاش إبراهيم عليه السلام مائة وخمساً وسبعين سنة، وعاش إسماعيل عليه السلام مائة وسبعاً وثلاثين سنة، وعاش إسحاق عليه السلام مائة وثمانين سنة.

فهذا ما تضمَّنته التوراة ممَّا ليس بين اليهود والنصارىٰ اختلاف، وقد تضمَّنت نظيره شريعة الإسلام، ولم نجد أحداً من علماء المسلمين يخالفه أو يعتقد فيه البطلان، بل قد أجمعوا من جواز طول الأعمار علىٰ ما ذكرناه.

ثُمَّ قال: ومن المعمَّرين عمرو بن حممة الدوسي عاش أربعمائة سنة، قال أبو روق[٥]: حدَّثنا الرياشي[٦]، عن عمرو بن بكير، عن الهيثم بن عدي، عن

(١) في المصدر: (قينان).

(٢) في المصدر: (أرفخشاد).

(٣) في المصدر: (غابر).

(٤) في المصدر: (فالخ).

(٥) في المطبوعة: (أبو أرق)، وما أثبتناه من المصدر، وهو أحمد بن محمّد بن بكر أبو روق الهِزَّاني، ترجم له ابن حجر في لسان الميزان (ص ٢٧٩)، وأرَّخ وفاته عام (٣٢٤هـ). وراجع: الأنساب للسمعاني (ج ٥/ ص ٦٤٠).

(٦) هو العبَّاس بن الفرج أبو الفضل الرياشي اللغوي النحوي، ترجم له السيوطي في بغيبة الوعاة (ج ٢/ ص ٢٧)، وأرَّخ وفاته عام (٢٥٧هـ). وراجع: الأنساب للسمعاني (ج ٣/ ص ١١١).

مجالد، عن الشعبي، قال: كنَّا عند ابن عبَّاس في قبَّة زمزم وهو يفتي الناس، فقام إليه رجل، فقال له: لقد أفتيت أهل الفتوىٰ فأفت أهل الشعر، قال: قل، قال: ما معنىٰ قول الشاعر:

لذي الحلم قبل اليوم ما يقرع وما عُلِّم الإنسان إلَّا ليعلما

فقال: ذاك عمرو بن حممة الدوسي، قضىٰ علىٰ العرب ثلاثمائة سنة، فلمَّا [كبر][1] ألزموه، وقد رأىٰ السادس أو السابع من ولد ولده، فقال: إنَّ فؤادي بضعة منِّي، فربَّما تغيَّر عليَّ اليوم والليلة مراراً، وأمثل ما أكون فهماً[2] في صدر النهار، فإذا رأيتني قد تغيَّرت فاقرع العصا، فكان إذا رأىٰ منه تغيُّراً قرع العصا فيراجعه فهمه، فقال المتلمِّس هذا البيت][3].

٢٩٣/٥١ **أقول**: إلىٰ هنا انتهىٰ ما أردت إيراده من أخبار المعمَّرين، وإنَّما أطلت في ذلك مع قلَّة الجدوىٰ تبعاً للأصحاب، ولئلَّا يقال: هذا الكتاب عارٍ عن فوائدهم التي أوردوها في هذا الباب.

* * *

(١) كلمة: (كبر) ليست في المصدر.

(٢) في المصدر: (فيها).

(٣) كنز الفوائد (ج ٢/ ص ١٢٦).





مجتبى الساده



الطبعة الأولى

٢٠١٦م-١٤٣٧هـ

القطيف-المملكة العربية السعودية



أطيـــاف للنشـــر والتـوزيـــع

هاتف / فاكس : ٨٥٤٩٥٤٥ (١٣) ٩٦٦ +
القــطيف - شـــارع القـــدس
ص.ب ٦١٢١٥ القطيـــــف ٣١٩١١
المملـــكة العربيـــة السعوديـــة
E-mail : atyaf-pd@hotmail.com

الثالث: التشكيك في طول عمره:

من الشبهات التي تثار وتطرح حول الأطروحة الإمامية بخصوص الإمام المهدي ﷺ طول عمره في فترة غيبته: كيف يكون الإمام حيّاً يُرزق حالياً، وقد ولد في عام ٢٥٥هـ، فهل يمكن في منطق العلم والعقل أن يعيش إنسان هذا العمر الطويل؟.. كيف عاش الإمام هذه المدة الطويلة التي تزيد على ألف ومائة وثمانين عاماً، ولا

يخضـع لأعـراض الشـيخوخة، وتتعطـل قوانين الطبيعـة التي تقضي بهرم الإنسـان وفنائه؟.

إن امتداد عمر الإنسان مئات السنين وقرون عديدة وفوق الحد الطبيعي أضعافاً مضاعفةً، هو أمر ليس مشاهداً ومألوفاً ويبدو غريباً في حياة الناس، ولكنه أيضاً ليس ضمن دائرة المستحيل.. لابد لنا أن نناقش الموضوع بمنطق العقل والعلم وقبل ذلك الدين، ونرى ماهو الرأي الصائب والسديد في هذه المسألة:

أولاً: إن إطالة عمر الإنسان أمر ممكن عقلاً وليس مستحيلاً، فبقاء الإنسان قروناً متعـددة أمـر ممكن منطقياً (لا يتعارض مع العقـل)، وممكن علمياً (من وجهة النظر العلميـة، ومـن الناحية النظرية)، ولكنه لا يزال غير ممكن عمليـاً، إلا أن اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الامكان.

ثانيـاً: الأعمـار من حيث الطـول والقصر مسـألة بيـد الخالق سـبحانه وتعالى، وكذلـك فإن عناية الله تعالى قد تتدخل لتجميد قوانيـن الطبيعة، فقد جعل النار برداً وسـلاماً على إبراهيم ﷺ، وفلق البحر لموسى ﷺ، وستر النبي ﷺ عن عيون قريش، وهكذا تكون قوانين الشيخوخة من هذا القبيل مع ولي الله المهدي ﷺ.. فما المانع أن يمنحه الله تعالى حياة طويلة ويبقيه شاباً مصوناً عن عوارض الشيب، خصوصاً أنه القائد المنتظر الـمُعد لليوم الموعود، والدور المطلوب منه استثنائي وفريد، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة ربانية عطلت قانوناً طبيعياً.

طـول عمر الإمام المهدي ﷺ من الحقائق التي لا مجال لإنكارها أو التشـكيك فيهـا، فهـو أمر لا يثير إشـكالاً إلا حيـن ينظر إليه بالقياسـات الطبيعيـة العادية لا في إطار المشـيئة والقدرة الإلهية التي لا تحكمها قوانين الطبيعة، ولاثبات هذه الحقيقة لنسـتقرئ بعـض الادلـة والشـواهد والبراهيـن، ونقتطف شـذرات من هنـا وهناك، ونستضي بهدي الإسلام ومصادره الرئيسية:

١. **القـرآن الكريـم**: قد ثبت في كتاب الله أن تمتع بعـض الأفراد بأعمار طويلة مثل:

- شيخ الأنبياء نوح عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[1].
- نبي الله يونس عليه السلام: ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2].
- نبي الله عيسى عليه السلام: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[3].
- أهل الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾[4].
- ابليس اللعين: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[5].

أليـس الله بقادر على حفـظ وابقاء وليّه المهدي عجل الله فرجه، الـذي وعد أن يحقق على يديه: ظهور الإسلام على الدين كله، ويمكّن له في الأرض، ويجعله من الوارثين.

٢. **السـنة الشـريفة**: مضافاً للأحاديث الخاصة بطول عمره المبارك، والمروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه:

- لا شك في أبدية الدين الإسلامي إلى يوم القيامة، وباعتبار أن الأئمة الأحد عشـر آباء الإمام المهدي قد مضوا واستشهدوا، فلابد من بقاء وإطالة عمره المبارك، مصداقاً لحديث الخلفاء الإثني عشر.
- إن الإمام حياً يُرزق ولابد من بقائه لأن هذا الدين باق، ولأن هذا القرآن باق، وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله إنهما يردان عليّ الحوض يوم القيامة (القرآن والعترة)،

(١) سورة العنكبوت: آية ١٤.
(٢) سورة الصافات: آية ١٤٤.
(٣) سورة النساء: آية ١٥٨.
(٤) سورة الكهف: آية ٢٥.
(٥) سورة الحجر: آية ٣٦ـ٣٨.

فما دام هذا في الوجود فذاك معه لايفارقه، مصداقاً لحديث الثقلين.

- إن عدم وجوده وعدم إطالة عمره الشريف، يلزم عدم وجود إمام رباني بين المسلمين، فتكون ميتتهم جاهلية، ولزم عدم الحجة من الله على الخلق، ولاشك في بطلان هذه الافتراضات، مصداقاً لحديث إمام الزمان.

فيثبت شرعاً كون الإمام المهدي ﷺ باقياً وعمره طويلاً، حفظه الله ورعاه.

٣. **برهان من التاريخ**: إن التاريخ البشري يزخر بنماذج من المعمرين [١] مثل:

- النبي آدم عاش ٩٣٠ سنة.
- النبي شيث بن آدم عاش ٩١٢ سنة.
- النبي نوح عاش ٢٥٠٠ سنة.
- ذو القرنين عاش ٣٠٠٠ سنة.
- لقمان بن عاد ذو النسور عاش ٣٥٠٠ سنة.
- الخضر اطول بني آدم عمراً.

مما يثبت كون طول عمر الإمام المهدي ليس ممكناً فقط بل طبيعياً أيضاً، قياساً مع مسيرة المعمرين في تاريخ البشرية، مما يسقط دعوى المنكرين كون عمر القائد المنتظر شيء غير مألوف أو لا مثيل له.

٤. **شواهد من الوجدان**: لقد التقى ورأى وشاهد كثير من المؤمنين الإمام المهدي ﷺ مراراً وتكراراً سواءً في حياة أبيه ﷺ أو في زمن الغيبة الصغرى أو في زمن الغيبة الكبرى، فالذين تشرفوا وفازوا بلقائه ﷺ كثيرون جداً [٢] ولايمكن إحصاؤهم، وقد كتب علماؤنا مصنفات عديدة في هذا الموضوع،

(١) كتاب المعمّرون لأبي حاتم السجستاني، وكتاب مروج الذهب للمسعودي ذكر عدداً من المعمرين.. وقد ذكر العشرات من المعمرين في كتب التاريخ.

(٢) قصص عديدة ذكرت في: بحار الانوار ج ٥٢ للمجلسي، وجنة الماوى للشيخ النوري، وتبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي للبحراني.

فرؤيته عليه السلام حقيقة ثابتة على طول صفحات التاريخ وتشكل مقداراً من التواتر.. فيتحصل أن طول عمر الإمام المنتظر حقيقة لا جدال فيها، فالعيان يغني عن البرهان، ووجوده يُحس بالوجدان.

وبناءً على هذا تندفع شبهة استحالة أو استبعاد طول عمره عليه السلام على ضوء القرآن الكريم والأحاديث النبوية ثم تواتر الرؤية وشواهد التاريخ، وقبل ذلك لا ننسى أنها قدرة الخالق عز وجل كمعجزة وكرامة للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.. وهنا يحق لنا أن نتساءل: هل هي صدفة أن يقوم شخصان فقط بإعادة برمجة الحياة البشرية وتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد وبنائها من جديد، فيكون لكل منهما عمر مديد، أحدهما مارس دوره في ماضي البشرية وهو النبي نوح، والآخر يمارس دوراً في مستقبل البشرية وهو المهدي.. فلماذا نقبل نوحاً الذي ناهز ألف عام على أقل تقدير ولا نقبل المهدي؟!!.


التشريف بالمنن
في التعريف بالفتن
المعروف بـ
الملاحم والفتن
تأليف
نشر
مؤسسة صاحب الأمر

هويّة الكتـاب

الكتاب :	التشريف بالمِنَن في التعريف بالفتن
المؤلّف :	السيّد ابن طاووس رضي الدين علي بن موسى بن جعفر
التحقيق :	مؤسسة صاحب الامر (عج)
النشر :	گلبهار اصفهان
الاخراج الفني :	السيّد حسن عزيز الحكيم
الطبعة :	الأُولى ـ ١٥ شعبان ـ ١٤١٦ هـ
المطبعة :	نشاط ـ اصفهان
الكميّة :	٣٠٠٠ نسخة
السعر :	

الباب ٢٥

فيما ذكره زكريا في كتاب الفتن في صفة عمر المهدي وموته .

٤٦٦ ـ قال : حدّثنا عبد القدّوس بن محمد ، قال : حدّثنا عمرو بن عاصم ، قال : حدّثنا عمران القطّان ، قال : حدّثنا قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم : « المهدي منّا يعيش هكذا » وبسط يساره وإصبعين من يمينه : المشيرة والإبهام ، وعَقَد ثلاثةً[٣] .

---

(١) أضفناها من مسند أحمد .

(٢) مسند أحمد ٣ : ٤٢٦ ـ ٤٢٧ / ١٠٩٣٣ ، الصواعق المحرقة : ١٦٦ ، كنز العمّال ١٤ : ٢٦١ ـ ٢٦٢ / ٣٨٦٥٣ .

(٣) المستدرك ـ للحاكم ـ ٤ : ٥٥٧ .

٤٦٧ ـ وذكر زكريا أيضاً ، قال : حدّثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدّثنا أبو معاوية عن موسىٰ الجهني عن زيد العمّي عن أبي الصدّيق عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم ، قال : « يكون في أُمّتي المهدي إن طال عمره ملك عشر سنين ، وإن قصر عمره ملك سبع سنين أو ثمان سنين » .

٤٦٨ ـ وذكر زكريا أيضاً في كتاب الفتن ، قال : حدّثنا محمد بن يحيىٰ ، قال : حدّثنا جعفر بن عون ، قال : حدّثنا موسىٰ عن زيد العمّي عن أبي الصدّيق الناجي عن أبي سعيد الخدري [عن النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم][1] ، قال : « من أُمتي المهدي ، فإن قصر عمره أو طال عمره عاش سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، وتنبت الأرض نباتها ، وتمطر السماء مطرها ، وتنعم أُمّتي في ولايته نعمة لم ينعموا مثلها »[2] .

٤٦٩ ـ وذكر زكريا أيضاً في كتاب الفتن ، قال : حدّثنا محمد بن يحيىٰ ، قال : حدّثنا محمد بن بكر البُرْساني عن عمران بن حُدَيْر ، قال : حدّثني السميط عن كعب عن النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم ، قال : « المهدي اسمه اسمي ، ويخرج وهو ابن إحدىٰ وخمسين أو ثنتين وخمسين ، يكون علىٰ الناس سبع سنين »[3] .

---

(١) أضفناها من المصادر .

(٢) مصنّف عبد الرزّاق ١١ : ٣٧١ ـ ٣٧٢ / ٢٠٧٧٠ ، المستدرك ـ للحاكم ـ ٤ : ٤٦٥ ، الفتن ـ لابن حمّاد ـ ١ : ٣٧٧ / ١١٢٧ .

(٣) الفتن ـ لابن حمّاد ـ ١ : ٣٦٥ / ١٠٦٦ ، و٣٦٨ / ١٠٨٨ .

الباب ١٦٢

فيما ذكره نعيم : أنّه فتىً من قريش ضرب من الرجال ، وأنّ عمره ستّون سنة

١٩٣ ـ حدّثنا نعيم ، حدّثنا ابن وهب عن إسحاق بن يحيىٰ بن طلحة التيمي عن طاووس ، قال : قال علي بن أبي طالب : « هو فتىً من قريش ضرب من الرجال »[1] .

١٩٤ ـ قال : وحدّثنا نعيم ، حدّثنا الحكم بن نافع عن جرّاح عن أرطأة ، قال : المهدي ابن ستين سنة[2] .

١٩٥ ـ قال : حدّثنا نعيم ، حدّثنا محمّد بن حمير عن السقر بن رستم عن أبيه ، قال : المهدي رجل أزَجُّ[3] أبْلَجُ[4] أعْيَنُ[5] ، يخرج من الحجاز حتىٰ يستوي علىٰ منبر دمشق ، وهو ابن ثماني عشرة سنة[6] .

أقول أنا : إنّ الاختلاف في عمره لعلّ معناه أنّ صفته عند من يراه نحو

عقد الدرر : ٣٧ ـ ٣٨ ، وأخرج أوّله أيضاً « المهدي مولده بالمدينة » ابن حجر في صواعقه : ١٦٧ .

(١) الفتن ١ : ٣٦٦ / ١٠٧٤ ، وعنه في كنز العمّال ١٤ : ٥٩٠ / ٣٩٦٧٢ ، وفيه : « المهدي فتىً من قريش آدم ضربٌ من الرجال » .

(٢) الفتن ١ : ٣٦٧ / ١٠٧٥ .

(٣) الزَّجَجُ : تَقَوّسٌ في الحاجب مع طول في طرفه وامتداده . النهاية ـ لابن الأثير ـ ٢ : ٢٩٦ « زجج » .

(٤) الأبلج : الذي وضح ما بين حاجبيه فلم يقترنا . النهاية ـ لابن الأثير ـ ١ : ١٥١ « بلج » .

(٥) أعْيَنُ : واسع العين . النهاية ـ لابن الأثير ـ ٣ : ٣٣٣ « عين » .

(٦) الفتن ١ : ٣٦٦ / ١٠٧٢ ، وأخرجه في عقد الدرر : ٣٧ وليس فيه « وهو ابن ثماني عشرة سنة » .

ما تضمّنته الأخبار وإن كان عمره أكثر من ذلك .

---

(١) الفتن ١ : ٣٦٧ / ١٠٧٦ .

(٢) الفتن ١ : ٣٦٧ / ١٠٧٧ ، وأخرجه في كنز العمّال ١٤ : ٢٦٨ / ٣٨٦٧٨ عن ابن عساكر ، وأخرجه أيضاً الخطيب البغدادي في تأريخه ٥ : ٣٩١ .

(٣) ما بين القوسين لم يرد في المصدر .

(٤) الفتن ١ : ٣٦٧ / ١٠٧٨ .

الباب ٦٨

فيما ذكره السليلي في كتاب الفتن
ممّا جاء في دولة المهدي ، وذكر مدّة عمره .

فقال ما هذا لفظه :

٤٠٥ ـ حدّثنا محمد بن جرير ، قال : حدّثنا ابن حميد ، قال : أخبرنا الحكم قال : أخبرنا خلادبن مسلم الصفّار وعمرو بن قيس عن زيد العمّي عن أبي الصدّيق الناجي عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله : قال : « يكون المهدي في عمره[1] إن قصر عمره فسبع وإلّا فثمان وإلّا فتسع ، تنعم أُمّتي في دنياه نعماً لم تنعم مثله قطّ ، البرّ منهم والفاجر ترسل السماء عليهم مدراراً ، ولا تدّخر الأرض شيئاً من نباتها ، والمال كدوس يأتيه الرجل فيحثو له[2] .

---

(١) كذا بخطّ المصنّف رحمه الله ، وفي المصادر : « في أُمّتي » .

(٢) أُنظر : سنن أبي داود ٤ : ١٠٧ ـ ١٠٨ / ٤٢٨٦ ـ ٤٢٨٨ ، سنن الترمذي ٤ : ٥٠٦ / ٢٢٣٢ ، المصنف ـ لابن أبي شيبة ـ ٨ : ٦٧٦ / ١٨٤ ، الفتن ـ لابن حمّاد ـ ١ : ٣٧٦ ـ ٣٧٧ / ١١٢١ ـ ١١٢٨ ، وتقدّم صدره في الحديث رقم ٢٢٤ ، نقلاً عن كتاب الفتن لنعيم بن حمّاد .

غيبة الإمام المهدي عجّل الله فرجه

عند الإمام الصادق عليه السلام



السيد ثامر هاشم العميدي

تقديم وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

٤٥٥



اسم الكتاب:.......غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه عند الإمام الصادق عليه السلام

تأليف: ....السيد ثامر العميدي

نشر: .مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه /مركز الرسالة

رقم الإصدار: ٢٧٣

الطبعة: ....الأولى ١٤٤٤هـ

عدد النسخ: ....طبعة محدودة

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

العراق- النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٩٧٤٤٤٧٤ - ٠٧٨١٦٧٨٧٢٢٦

www.m-mahdi.com

info@m-mahdi.com

أوّلاً: شبهة طول العمر وجوابها في قول الإمام الصادق عليه السلام:

١ - أنَّ في الإمام المهدي عليه السلام «سُنَّةً مِنْ نُوحٍ، وَهُوَ طُولُ عُمُرِهِ»[١].

٢ - وقوله عليه السلام: «وَاَلله لَوْ بَقِيَ فِي غَيْبَتِهِ مَا بَقِيَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ اَلدُّنْيَا حَتَّىٰ يَظْهَرَ، فَيَمْلَأَ اَلْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً»[٢].

٣ - وقوله عليه السلام: «... يَمُدُّ اَللهُ لِصَاحِبِ هَذَا اَلْأَمْرِ فِي اَلْعُمُرِ كَمَا مُدَّ لِنُوحٍ عليه السلام فِي اَلْعُمُرِ؟»[٣].

---

(١) الخرائج والجرائح (ج ٢/ ص ٩٣٦ و٩٣٧).
(٢) كمال الدِّين (ص ٣٤٢/ باب ٣٣/ ح ٢٣).
(٣) الغيبة للطوسي (ص ٤٢١/ ح ٤٠٠).

٤ - وقوله عليه السلام: «نَظَرْتُ فِي كِتَابِ اَلْجَفْرِ صَبِيحَةَ هَذَا اَلْيَوْمِ...، وَتَأَمَّلْتُ مِنْهُ مَوْلِدَ غَائِبِنَا، وَغِيبَتَهُ، وَإِبْطَاءَهُ، وَطُولَ عُمُرِهِ، وَبَلْوَىٰ اَلْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ اَلزَّمَانِ، وَتَوَلُّدَ اَلشُّكُوكِ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ طُولِ غَيْبَتِهِ...»[1].

٥ - وقوله عليه السلام: «مَا يُنْكِرُونَ أَنْ يَمُدَّ اَللهُ لِصَاحِبِ اَلْأَمْرِ فِي اَلْعُمُرِ كَمَا مَدَّ لِنُوحٍ عليه السلام، وَإِنَّ لِصَاحِبِ اَلزَّمَانِ شَبَهاً مِنْ مُوسَىٰ وَرُجُوعُهُ مِنْ غَيْبَتِهِ بِشَرْخِ[2] اَلشَّبَابِ»[3].

٦ - وقوله عليه السلام: «لَوْ قَدْ قَامَ اَلْقَائِمُ لَأَنْكَرَهُ اَلنَّاسُ - يعني معظمهم -؛ لِأَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ شَابًّا مُوفِقاً لَا يَثْبُتُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ قَدْ أَخَذَ اَللهُ مِيثَاقَهُ فِي اَلذَّرِّ اَلْأَوَّلِ»[4]؛ لأنَّهم يحسبون أنَّه عليه السلام لو بقي حيًّا في تلك الفترة الطويلة لكان شيخاً هرماً كبيراً.

ويُؤيِّد هذا...

٧ - قوله عليه السلام: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ اَلْبَلِيَّةِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِمْ صَاحِبُهُمْ شَابّاً وَهُمْ يَحْسَبُونَهُ شَيْخاً كَبِيراً»[5]، أي: من طول العمر.

٨ - وقوله عليه السلام في بيان وجه الشَّبَه بين الإمام المهدي عجَّل الله فرجه ونبيِّ الله نوح والخضر عليهما السلام: «وَأَمَّا إِبْطَاءُ نُوحٍ عليه السلام، فَإِنَّهُ لَـمَّا اِسْتَنْزَلَتِ اَلْعُقُوبَةُ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ

---

(١) كمال الدِّين (ص ٣٥٢ - ٣٥٧/ باب ٣٣/ ح ٥٠)، الغيبة للطوسي (ص ١٦٧ - ١٧٣/ ح ١٢٩)، ينابيع المودَّة (ج ٣/ ص ٣١٠ - ٣١٢/ باب ٨٠/ ح ٢).

(٢) في الصحاح للجوهري (ج ١/ ص ٤٢٤/ مادَّة شرخ): (شرخ الأمر والشباب: أوَّلُه).

(٣) منتخب الأنوار المضيئة (ص ٣٣٠/ فصل ١٢) وصحَّحه؛ ورواه الطوسي رحمه الله في الغيبة (ص ٤٢١/ ح ٣٩٩)، وفيه: (إنَّ في صاحب الزمان عليه السلام شبهاً من يونس...).

(٤) الغيبة للنعماني (ص ١٩٤/ باب ١٠/ فصل ٤/ ح ٤٣، وص ٢١٩/ باب ١٢/ ح ٢٠)، الغيبة للطوسي (ص ٤٢٠/ ح ٣٩٨) بتفاوت يسير.

(٥) الغيبة للنعماني (ص ١٩٤ و١٩٥/ باب ١٠/ فصل ٤/ ذيل الحديث ٤٣).

اَلسَّمَاءِ بَعَثَ اَللهُ عَزَّ وَجَلَّ اَلرُّوحَ اَلْأَمِينَ عليه السلام بِسَبْعِ نَوَيَاتٍ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اَللهِ، إِنَّ اَللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَقُولُ لَكَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ خَلَائِقِي وَعِبَادِي، وَلَسْتُ أُبِيدُهُمْ بِصَاعِقَةٍ مِنْ صَوَاعِقِي إِلَّا بَعْدَ تَأْكِيدِ اَلدَّعْوَةِ وَإِلْزَامِ اَلْحُجَّةِ، فَعَاوِدِ اِجْتِهَادَكَ فِي اَلدَّعْوَةِ لِقَوْمِكَ، فَإِنِّي مُثِيبُكَ عَلَيْهِ، وَاغْرِسْ هَذِهِ اَلنَّوَىٰ فَإِنَّ لَكَ فِي نَبَاتِهَا وَبُلُوغِهَا وَإِدْرَاكِهَا إِذَا أَثْمَرَتِ اَلْفَرَجَ وَاَلْخَلَاصَ، فَبَشِّرْ بِذَلِكَ مَنْ تَبِعَكَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا نَبَتَتِ اَلْأَشْجَارُ وَتَأَزَّرَتْ وَتَسَوَّقَتْ وَتَغَصَّنَتْ وَأَثْمَرَتْ وَزَهَا اَلتَّمْرُ عَلَيْهَا بَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ اِسْتَنْجَزَ مِنَ اَللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اَلْعِدَةَ، فَأَمَرَهُ اَللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَغْرِسَ مِنْ نَوَىٰ تِلْكَ اَلْأَشْجَارِ، وَيُعَاوِدَ اَلصَّبْرَ وَاَلِاجْتِهَادَ، وَيُؤَكِّدَ اَلْحُجَّةَ عَلَىٰ قَوْمِهِ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ اَلطَّوَائِفَ اَلَّتِي آمَنَتْ بِهِ، فَارْتَدَّ مِنْهُمْ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ، وَقَالُوا: لَوْ كَانَ مَا يَدَّعِيهِ نُوحٌ حَقًّا لَـمَا وَقَعَ فِي وَعْدِ رَبِّهِ خُلْفٌ.

ثُمَّ إِنَّ اَللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمْ يَزَلْ يَأْمُرُهُ عِنْدَ كُلِّ مَرَّةٍ بِأَنْ يَغْرِسَهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ إِلَىٰ أَنْ غَرَسَهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ اَلطَّوَائِفُ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ تَرْتَدُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ بَعْدَ طَائِفَةٍ إِلَىٰ أَنْ عَادَ إِلَىٰ نَيِّفٍ وَسَبْعِينَ رَجُلاً، فَأَوْحَىٰ اَللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: يَا نُوحُ، اَلْآنَ أَسْفَرَ اَلصُّبْحُ عَنِ اَللَّيْلِ لِعَيْنِكَ حِينَ صَرَّحَ اَلْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَصَفِيَ اَلْأَمْرُ وَاَلْإِيمَانُ مِنَ اَلْكَدَرِ بِارْتِدَادِ كُلِّ مَنْ كَانَتْ طِينَتُهُ خَبِيثَةً...

وَكَذَلِكَ اَلْقَائِمُ فَإِنَّهُ تَمْتَدُّ أَيَّامُ غَيْبَتِهِ لِيُصَرِّحَ اَلْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَيَصْفُوَ اَلْإِيمَانُ مِنَ اَلْكَدَرِ بِارْتِدَادِ كُلِّ مَنْ كَانَتْ طِينَتُهُ خَبِيثَةً مِنَ اَلشِّيعَةِ اَلَّذِينَ يُخْشَىٰ عَلَيْهِمُ اَلنِّفَاقُ إِذَا أَحَسُّوا بِالِاسْتِخْلَافِ وَاَلتَّمْكِينِ وَاَلْأَمْنِ اَلْمُنْتَشِرِ فِي عَهْدِ اَلْقَائِمِ عليه السلام...

وَأَمَّا اَلْعَبْدُ اَلصَّالِحُ - أَعْنِي اَلْخَضِرَ عليه السلام -، فَإِنَّ اَللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا طَوَّلَ عُمُرَهُ لِنُبُوَّةٍ قَدَّرَهَا لَهُ، وَلَا لِكِتَابٍ يُنَزِّلُهُ عَلَيْهِ، وَلَا لِشَرِيعَةٍ يَنْسَخُ بِهَا شَرِيعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ اَلْأَنْبِيَاءِ، وَلَا لِإِمَامَةٍ يُلْزِمُ عِبَادَهُ اَلِاقْتِدَاءَ بِهَا، وَلَا لِطَاعَةٍ يَفْرِضُهَا لَهُ،

بَلَىٰ إِنَّ اَللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَـمَّا كَانَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ أَنْ يُقَدِّرَ مِنْ عُمُرِ اَلْقَائِمِ عليه السلام فِي أَيَّامِ غَيْبَتِهِ مَا يُقَدِّرُ، وَعَلِمَ مَا يَكُونُ مِنْ إِنْكَارِ عِبَادِهِ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ اَلْعُمُرِ فِي اَلطُّولِ، طَوَّلَ عُمُرَ اَلْعَبْدِ اَلصَّالِحِ فِي غَيْرِ سَبَبٍ يُوجِبُ ذَلِكَ إِلَّا لِعِلَّةِ اَلِاسْتِدْلَالِ بِهِ عَلَىٰ عُمُرِ اَلْقَائِمِ عليه السلام، وَلِيَقْطَعَ بِذَلِكَ حُجَّةَ اَلْمُعَانِدِينَ، لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اَللهِ حُجَّةٌ»[1].

---

(١) كمال الدِّين (ص ٣٥٢ - ٣٥٧/ باب ٣٣/ ح ٥٠)، الغيبة للطوسي (ص ١٦٧ - ١٧٣/ ح ١٢٩).

(٢) قد تقدَّم في (ص ١٢٠ و١٢١)، فراجع.

(٣) الغيبة للنعماني (ص ١٧٠ و١٧١/ باب ١٠/ فصل ٣/ ح ٦)، أخرجه من ثلاث طُرُق عن زرارة.

الفهرس